

# مكاشفة القلوب

المقرب إلى حضرة همام الغيوب

لحجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي

مختصر من المكاشفة الكبرى ،

حقق نصوصه وخرج أحاديثه

أبو عبد الرحمن صلاح محمد محمد عويضة

بسم الله الرحمن الرحيم

### ترجمة المؤلف

نسبه :

هو الإمام الكبير أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي .

مولده :

ولد في طوس ، ونشأ فيها ، وكان حاكماً مقبلاً على طلب العلم وتحصيله ، وأخذ العلم عن جميع من المشايخ منهم إمام الحرمين ، ثم ولاء نظام الملك تدرّس مدرسته ببغداد .

تصانيفه :

ألف الإمام الغزالي الكثير من المؤلفات نذكر منها :

( ١ ) « البسيط » في الفروع على « نهاية المطلب » لإمام الحرمين .

( ٢ ) « الوسيط » في الفقه الشافعي .

( ٣ ) « الوجيز » في الفروع .

( ٤ ) « تهافت الفلاسفة » .

( ٥ ) « مقاصد الفلاسفة » .

( ٦ ) « إحياء علوم الدين » .

( ٧ ) « فضائح الباطنية » .

(٨) جواهر القرآن .

وفاته :

توفي - رضى الله عنه - في سنة (٥٠٥ هـ) .

انظر ترجمته في :

(١) العبر ٤ / ١٠ .

(٢) شذرات الذهب ٣ / ٢٩٩ .

(٣) النجوم الزاهرة ٥ / ٧٥ .

كتبه :

أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة .

\*\*\*

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أحسن تدبير الكائنات وخلق الأرضين والسموات وأنزل الماء من المعصرات وأنشأ الحب والنبات وقدر الأرزاق والأقوات وأثاب على الأعمال الصالحات .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد ذي للمعجزات الظاهرات الذي حصل من نوره وجود الكائنات .

وبعد فهذا كتاب اخترته من الكتاب البديع حسن لصنع المسمى بمكاشفة القلوب المقرب إلى حلام الغيوب المنسوب إلى الشيخ الغزالي وقد سميت كأصله بمكاشفة القلوب وأعوذ بالله من الشرك والمنسوب واقتصرته فيه على مائة وأحد عشر باباً ليحفظ ما فيها أولو العلم والأكتاب .

### كتاب الأول

#### في بيان الخوف

جاء في الخبر عن النبي ﷺ أنه قال : « أن الله تعالى خلق ملكاً له جناح في المشرق وجناح في المغرب ورأسه تحت العرش ورجلاه تحت الأرض السابعة ، وعليه بعدد خلق الله تعالى ريش ، فإذا صلى رجل أو امرأة من أمتي على ، أمره الله تعالى بأن ينغمس في بحر من نور تحت العرش ليغمس فيه ثم يخرج ويغفر جناحه فيقطر من كل ريشة قطرة . فيخلق الله تعالى من كل قطرة ملكاً يستغفر له إلى يوم القيامة »

قال بعض الحكماء : سلامة الجسد في قلة الطعام ، وسلامة الروح في قلة الأثام وسلامة الدين في الصلاة على خير الأنام .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ يعني اعشوا الله ﴿ وَتَقَرُّ قُلُوبُكُمْ مَا قَدَّمْتُمْ لِلَّهِ ﴾ يعني ما عملت ليوم القيامة ومعناه تصدقوا واعملوا بالطاعة لتجدوا ثوابها يوم القيامة ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١) من الخير والشر ، فإن الملائكة والسماء والأرض والليل والنهار يوم القيامة يشهدون بما عمل ابن آدم من خير أو شر طاعة أو معصية حتى أن جوارحه تشهد عليه والأرض تشهد للمؤمن والزاهد فتقول : صلى على وصام وحج وجاهد فيخرج المؤمن والزاهد وتشهد على الكافر والمعاصي فتقول : أشرك على ظهري وشرب الخمر وأكل الحرام فباركه أن

(١) آية (١٨) سورة الحشر .

ناقشه في الحساب أرحم الراحمين .

المؤمن هو الذي يخاف الله تعالى بجميع جوارحه كما قال الفقيه أبو الليث : علامة خوف الله تظهر في سبعة أشياء :

أولها : لسانه فيمنعه من الكذب والغيبة والنميمة والبهتان وكلام الفضل ويجعله مشغولا بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن ومذاكرة العلم .

والثاني : قلبه فيخرج منه العداوة والبهتان وحسد الإخوان ، لأن الحسد يمحو الحسنات كما قال ﷺ : « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » (١) .

وأعلم أن الحسد من الأمراض العظيمة في القلوب ولا تداوى أمراض القلوب إلا بالعلم والعمل .

والثالث : نظره فلا ينظر إلى الحرام من الأكل والشرب والكسوة وغيرها ولا إلى الدنيا بالترغيب ، بل يكون نظره على وجه الاعتبار ولا ينظر إلى ما لا يحل له كما قال ﷺ : « من ملا عينه من الحرام ملا الله تعالى يوم القيامة عينه من النار » (٢) .

والرابع : بطنه فلا يدخل بطنه حراما فإنها أثم كبير كما قال ﷺ : « إذا وقعت لقمة من الحرام في بطن ابن آدم تمت كل ملك في الأرض والسماء ما دامت تلك اللقمة في بطنه ، وإن مات على تلك الحالة فمأواه جهنم » .

والخامس : يده فلا يمد يده إلى الحرام بل يمدّها إلى ما فيه طاعة الله تعالى .

وروى عن كعب الأحبار أنه قال : أن الله تعالى خلق داراً من زبرجدة خضراء فيها سبعون ألف دار في كل دار سبعون ألف بيت لا يتزلها إلا رجل يعرض عليه الحرام فيتركه من مخافة الله تعالى .

والسادس : قدمه فلا يمشي في معصية الله بل يمشي في طاعته ورضاه وإلى صحبة العلماء والصلحاء .

والسابع : طاعته فيجعل طاعته خالصة لوجه الله تعالى ويخاف من الرياء والتفاخر فإذا فعل ذلك فهو من الذين قال الله تعالى في حقهم : ﴿ وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٣) وقال في آية

(١) (ضعيف) أبو داود (٤٩٠٣) ، وضعيف الجامع (٢١٩٧) .

(٢) (موضوع) الفوائد المجموعة ص (٢٠٧) : حديث (٢٧) .

(٣) آية (٣٠) سورة الزخرف .

أخرى ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ (١) وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَتُجْرَمُ ﴾ (٢) وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ (٣) كأنه تعالى يقول : أنهم يتمنون يوم القيامة من النار .

ويشفي للمؤمن أن يكون بين الخوف والرجاء ليرجع رحمة الله ولا ييأس منها كما قال الله تعالى : ﴿ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾ (٤) ويعبد الله ويرجع عن أفعاله القبيحة ويتوب إلى الله .

حكاية : بينما داود - عليه السلام - جالس في صومته يتلو الزبور إذ رأى دودة حمراء في الثراب فقال في نفسه ما أراد الله في هذه الدودة ؟ فأذن الله للدودة حتى تكلمت فقالت : يا نبي الله أما نهاري فأنهمني ربي أن أقول في كل يوم سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ألف مرة ، وأما ليلي فأنهمني ربي أن أقول في كل ليلة اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم ألف مرة ، فأنث ما تقول حتى أسغيد منك ، فندم داود - عليه السلام - على احتقار الدودة وخاف من الله تعالى وتاب إليه وتوكل عليه .

وكان إبراهيم الخليل - صلوات الله عليه - إذا ذكر خطيئته يفضي عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا في ميل فأرسل الله إليه جبريل فأتاه فقال له الجبار بقرئك السلام ويقول هل رأيت خليلي يخاف خليله فقال يا جبريل إذا ذكرت خطيئتي وفكرت في عقوبتي نسبت خلتي .

فهذه أحوال الأنبياء والأولياء والصالحين والزهادين فتأمل ؟ .

### الباب الثاني

#### في الخوف من الله تعالى أيضا

قال أبو الليث - رحمه الله تعالى - : أن لله ملائكة في السماء السابعة سجدا منذ خلقهم الله تعالى إلى يوم القيامة ترعد فرأى منهم من مخافة الله تعالى ، وإذا كانوا يوم القيامة وقعوا رؤوسهم فقالوا سبحانك ما عبدتك بحق عبادتك وذلك قوله تعالى : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٥) يعني لا يعصون الله تعالى طرفة عين . وقال رسول الله ﷺ : « إذا اقتسم جسد العبد من خشية الله تعالى تحانت عنه ذنوبه كما يتحانت عن الشجرة ورقها » .

حكى أن رجلا تعلق قلبه بامرأة فخرجت تلك المرأة إلى حاجة لها فذهب الرجل معها فلما

(٢) آية (١٧) سورة الطور .

(٤) آية (٥٣) سورة الزمر .

(١) آية (٤٥) سورة الحجر .

(٣) آية (٥١) سورة النحل .

(٥) آية (٥٠) سورة النحل .



ساجدين باكين في الدنيا طمعا في لقائي « قترع الحبيب فينظرون فيخرون سجد لله - عز وجل - فيقول الله تعالى : « أرفعوا رؤوسكم فإن هذه ليست بدار العمل بل دار الكرامة » فينجلي لهم بلا كيف ويقول لهم أنبساطا « سلام عليكم عبادي فقد رضيت عنكم فهل رضيتكم عنى » فيقولون وما لنا يا ربنا لا نرضى وقصد أعطينا ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهو قوله تعالى : « رضى الله عنهم ورضوا عنه » (١) وقوله تعالى « سلام قولا من رب رحيم » (٢)

### الباب الثالث

#### فى الصبر والعزم

من أراد أن يتجوز من عذاب الله ويتأهل ثوابه ورحمته ويدخل جنته فليته نفسه عن شهوات الدنيا وليصبر على شدائد ما ومصائبها ، كما قال الله تعالى : « وَاللَّهُ يَجِبُ الْعَاقِبِينَ » (٣) والصبر على أوجه : صبر على طاعة الله ، وصبر عن محارمه ، وصبر على المصيبة وعند الصلوة الأولى

فمن صبر على طاعة الله تعالى أعطاه الله تعالى يوم القيامة ثلثمائة درجة في الجنة كل درجة ما بين السماء والأرض ، ومن صبر عن محارم الله أعطاه الله تعالى يوم القيامة ستمائة درجة كل درجة مثل ما بين السماء السابعة والأرض السابعة ، ومن صبر على المصيبة أعطاه الله تعالى يوم القيامة سبعمائة درجة في الجنة كل درجة ما بين العرش إلى الثرى .

روى عن النبي ﷺ أنه قال : يقول الله تعالى : « ما من عبد نزلت به بلية فاعتصم بي إلا أعطيت قبل أن يسألني وأستجب له قبل أن يدعوني ، وما من عبد نزلت به بلية فاعتصم بمخلوق دوني إلا أضلقت أبواب السماء منه » فيجب على العاقل أن يصبر للبلاء ولا يشكو فينجو من عذاب الدنيا والآخرة ، لأن أشد البلاء على الأنبياء والأولياء .

قال الجليلي البغدادي - رحمه الله - : البلاء مرآة العارفين وقلعة المريدین وصلاح المؤمنين وهلاك الغافلين ، لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يأتيه البلاء ويرضى ويصبر .

وقال ﷺ : « من مرض ليلة فصبر ورضى عن الله نخرج من قنوبه كيوم ولدته أمه ، فإذا مرضتم فلا تتمنوا العافية » (٤)

قال الضحك من لم يثقل بين كل أربعين ليلة بيلة أو هم أو مصيبة فليس له عند الله خير .

(١) آية (١١٩) - سورة المائدة .

(٢) آية (١٤٦) - سورة آل عمران .

(٣) آية (٥٨) - سورة يس .

(٤) تنزيه الشريعة ٢ / ٣٥٦ بدو .

وعن معاذ بن جبل - رضى الله عنه - قال : إذا ابتلى العبد المؤمن بالسقم قال لصاحب الشمال ارفع القلم عنه وقال لصاحب اليمين اكتب لعبدى أحسن ما كان يعمل .

وجاء في الخبر عن النبي ﷺ : « إذا مرض العبد بعث الله إليه ملكا فقال انظرا ما يقول عبدى فإن هو قال الحمد لله رفع ذلك إلى الله وهو أعلم فيقول لعبدى على إن أنا توفيته أن أدخله الجنة وإن أنا شقته أن أبدله لحما خيرا من لحمة ودما خيرا من دمه وأن أكفر عنه سيئاته » (١)

حكى أنه كان في بني إسرائيل رجل فاسق وكان لا يمتنع عن الفسق حتى ضج أهل بلده وعجزوا عن منعه من فسقه ففزعوا إلى الله تعالى فأوحى الله تعالى إلى موسى - عليه السلام - أن في بني إسرائيل شابا فاسقا ، فأخرجه من بلدهم حتى لا تقع عليهم النار بسبب فسقه ، فجاء موسى - عليه السلام - فأخرجه فذهب الشاب إلى قرية من القرى فأمر الله موسى أن يخرج من تلك القرية فأخرجه موسى - عليه السلام - فخرج إلى مفاضة ليس فيها خلق ولا زرع ولا وحوش ولا طيور فمرضى في تلك المفاضة وليس عنده معين يعينه فوقع على التراب ووضع رأسه عليه وقال لو كانت والدتي عند رأسي لرحمتني ولبكت على ملكتي ، ولو كان والدي حاضرا لأهانتني وتولى أمرى ، ولو كانت زوجتي حاضرة لبكت على قراني ، ولو كان أولادى حاضرين هتدي ليكوا خلف جنتي ولقالوا اللهم أغفر لوالدنا الغريب الضعيف العاصي الفاسق المظنود من بلده إلى قرية ومن القرية إلى مفاضة ومن المفاضة يخرج من الدنيا إلى الآخرة أبسا من كل الأشياء . اللهم قطعني عن والدي وأولادى وزوجتي فلا تقطعني من رحمتك فإنك أحرق قلبى بفراقهم فلا تحرقنى بترك لأجل مصيبتى ، فأرسل الله تعالى له حوراء على صفة أمه وحوراء على صفة زوجته وخدمتا على صفة أولاده ، وملكا على صفة والده فجلسوا عنده وبكوا عليه فقال : إن هذا والدي ووالدتي وزوجتي وأولادى حضروا عندى وطاب قلبى ، ووصل إلى رحمة الله تعالى طاهرا مقفورا له ، فأوحى الله تعالى إلى موسى - عليه السلام - إنظرب إلى مفاضة كذا وموضع كذا فإنه مات ولي من الأولياء فأحضره وتول أمره ووارده ، فلما حضر موسى - عليه السلام - ذلك الموضع رأى الشاب الذي كان أخرجه من البلد ومن القرية بأمر الله تعالى ورأى الحور المعين حوايه فقال موسى - عليه السلام - : يا رب أما هذا الشاب الذي أخرجه من البلد ومن القرية بأمرى ؟ فقال الله تعالى يا موسى إنى رحمته وتجاوزت عنه بآيته في موضعه وفراقه وطنه ووالدته ووالده وأولاده وزوجته أرسلت إليه حوراء على صفة والدته وملكا على صفة والده وحوراء على صفة زوجته يترحمون على مثله في غربته فإنه إذا مات الغريب بكى عليه أهل السموات وأهل الأرض ورحمة له ، فكيف لا أرحمه وأنا أرحم الراحمين ؟ (٢)

(١) الموطأ ص (٧١٧) : حديث (٥) .

إذا وقع الغريب في النزاع يقول الله تعالى : يا ملائكتي هذا قريب مسافر ترك أولاده وحياله ووالديه وإذا مات لا يبكي عليه أحد ولا يحزن ثم يجعل الله واحداً من الملائكة على صورة أبيه وواحداً على صورة أمه وواحداً على صورة ولده وواحداً على صورة واحد من أقاربه فيدخلون عليه فيفتح عينه فيرى والده وحياله فيطيب قلبه وتخرج روحه مع الفرح والسرور .

ثم إذا خرجت جنازته يشيعونها ويدعون له : « لى قبره إلى يوم القيامة فذلك قوله تعالى : ﴿ الله لطيف بعباده ﴾ (١) »

وقال ابن عطاء : يتبين صدق العبد من كذبه في أوقات البلاء والرخاء فمن شكر في أيام الرخاء وجزع في أيام البلاء فهو من الكاذبين ولو اجتمع في رجل علم الثقلين ثم هاجت عليه رياح البلاء فأظهر الشكوى لما نزل به لا ينفعه علمه ولا عمله كما جاء في الحديث القدسي يقول الله تعالى : « من لم يرخصي بقضائي ولم يشكر لمطالي فليطلب ربا سواي » (٢) .

حكى وهب بن منبه أن نبيا عبد الله خمسين علما فأوحى الله إليه أني قد غفرت لك ، فقال يا رب لماذا تغفر لي ولم أذنّب قط ؟ فأمر الله حلقه فحسب عليه ولم يتم تلك الليلة فجاء ملك الصبح فشكا إليه ما لقي من ضربان العرق فقال إن ربك يقول لك عبادة خمسين عاما ما تعدل شكوى هذا العرق .

### الباب الرابع

### في الرياضة والشهوة النفسانية

أوحى الله إلى موسى - عليه السلام - : يا موسى إن أردت أن أكون أقرب إليك من كلامك إلى لسانك ومن وسوسة قلبك إلى قلبك ومن ريحك إلى بدنك ومن نور بصرك إلى عينيك ومن سمعك إلى أذنك فأكثر من الصلاة على محمد ﷺ . قال تعالى : « ولتنظر نفس ما قدمت لقد » يعني ما عملت في يوم القيامة .

اعلم أيها الإنسان أن النفس الأمارة بالسوء هي أصدق لك من إبليس وإنما يتفوق عليك الشيطان بهوى النفس ، وشهواتها فلا تغترنك نفسك بالأماني والفروور ، لأن من طبع النفس الأمن والغفلة والراحة والفتنة والكسل فدعواها باطل وكل شيء منها ضرور وإن وضيت عنها واثبت أمرها هلكت وإن غفلت عن محاسبتها فرقت وإن عجزت عن مخالفتها واثبتت هواها قادتك إلى النار .

(١) آية (١٩) سورة الشورى .

(٢) (ضعيف) تحف السادة المتقين ٩ / ٦٥١ ، وضعيف الجامع (٥٨٤٢) .

وليس للنفس مرجع إلى الخير هي رأس البلاء ومعدن الفضيحة وهي خزانة إبليس وماوى كل شر لا يعرفها إلا خالفها ﴿ وأنظروا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾ يعني من الخير والشر .

وإذا تفكر العبد فيما مضى من عمره في طلب آخرته كان هذا التفكير غسل القلب كما قال ﷺ « تفكر ساعة خير من عبادة سنة » (١) كلما في تفسير أبي الليث .

فينبغي للماقل أن يتوب من اللذات الماضية ويتذكر فيما يقربه وينجو به في الدار الآخرة ، ويقتصر الأمل ويجعل التوبة ويذكر الله تعالى ، ويترك المناهى ويصبر نفسه ولا يتبع الشهوات النفسانية فالنفس صتم ، فمن عبد النفس بعبد الصنم ومن عبد الله بالإخلاص فهو الذي قهر نفسه .

وروى أن مالك بن دينار كان يمشى في سوق البصرة فرأى التين فاشتتهاه فخلق تكله وأعطاه إلى البقال وقال أعطني التين فرأى البقال النمل وقال لا يساوى شيئا قمضى مالك ، فقبل للبقال ليس تعرف من هذا ؟ قال لا قيل هو مالك بن دينار فحمل البقال الطبق على رأس غلامه وقال له إقبل هذا منى فأبى فقال إقبل فإن فيه تمريرى فقال له مالك بن دينار : إن كان فيه تمريرى ففيه تمريرى ، فألح الغلام عليه فقال مالك بن دينار حلفت أن لا أبيع الدين بالدين ولا أكل التين إلى يوم الدين .

حكى أن مالك بن دينار مر من مرعبه الذي مات فيه فاشتتهى قدحا من العسل واللبن ليشره فيه رغيفا حارا فقمض الخادم وحمله إليه فأخذه مالك بن دينار ونظر فيه ساعة وقال يا نفس قد صبرت ثلاثين سنة وقد بقى من عمرك ساعة ورمى القدرح عن يده وصبر نفسه ومات . . وهكذا أحوال الأنبياء والأولياء والصادقين والعاشقين والزهادين .

قال سليمان بن داود - عليه السلام - أن القاهر لنفسه أشد من يفتح المدينة وحده .

وقال علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - : ما أنا ونفسي إلا كراهي غم كلما ضمهما من جانب انتشرت من جانب آخر ، من أمارت نفسه يلف في كفن الرحمة ، ويدفن في أرض الكرامة ، ومن أمارت قلبه يلف في كفن اللمة ويدفن في أرض العقوبة .

قال يحيى بن معاذ الرازي - رحمه الله تعالى - : جاهد نفسك بالطاعة والرياضة فالرياضة هجر المنام وقلة الكلام ، وحمل الأذى من الأنام والقلة من الطعام ، ليتولد من قلة المنام صفو الإرادات ، ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ، ومن احتمال الأذى اللبوغ إلى الغايات ، ومن قلة الطعام موت الشهوات لأن في كثرة الأكل قسوة القلب وقهاب نوره ، نور الحكمة الجيوع و

(١) (موضوع) تذكرة الموضوعات (١٨٨) ، وضعيف الجامع (٣٩٨٨) .



الشيء يبعد من الله كما قال ﷺ : « نوروا قلوبكم بالجوع وجاعدوا أنفسكم بالجوع والعطش وأديموا قرع باب الجنة بالجوع فإن الأجر في ذلك كأجر للمجاهد في سبيل الله ، وأنه ليس من عمل أحب إلى الله من جوع وعطش ولن يبلغ ملكوت السماء من ملابطه وفقد حلوة العبادات » .

قال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - : ما شبت منذ أسلمت لأجد حلوة عبادة ربي ، وما رويت منذ أسلمت الشيطان إلى لقاء ربي ، لأن في كثرة الأكل قلة العبادة ، لأنه إذا أكثر الإنسان الأكل تقل بنته وغلبت عينه وفترت أعضاؤه فلا يبقى منه شيء وإن اجتهد إلا النوم فيكون كالجيفة الملقاة - كذا في منهاج العابدين .

عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه : لا تكثر النوم والأكل فإن من أكثر منهما جاء يوم القيامة مفلسا من الأعمال الصالحة . . كذا في منية الفنى .

وقال ﷺ : « لا تخمروا القلوب بكثرة الطعام والشراب فإن القلب يموت كالزروع إذا كثرت عليه الماء » . (١)

ولقد شبه ذلك بعض الصالحين بأن للعدة كاللندز تحت القلب تغلى البخار يصل إلى فطرة البخار تكثره وتسوده وفي كثرة الأكل قلة الفهم والعلم فإن البطنة تلعب الفطنة .

حكى عن يحيى بن زكريا - عليه السلام - أن إبليس بدا له وعليه معاليق فقال له يحيى ما هذه قال الشهوات التي أصيد بها بني آدم قال يحيى : هل تجد لي فيها شيئا قال : لا إلا أنك شبت ذات ليلة فقللتك من الصلاة ، قال يحيى - عليه السلام - : لا جرم أنى لا أشبع أبدا . فقال إبليس لا جرم أنى لا أنصح أحدا أبدا . فهذه فيمن لم يشبع في صومه الليلة فكيف بمن لا يجوع في صومه ليلة ثم يطعم في العبادة .

حكى أيضا عن يحيى بن زكريا - عليه السلام - أنه شبع مرة من غبض شعير فنام تلك الليلة عن ورده فأوحى الله تعالى إليه يا يحيى هل وجدت ذارا هي خير لك من تارى أو وجدت جوارا هو خير لك من جوارى ، وهزنى وجلالى لراطلعت على الفردوس واطلمت على جهنم لبكت الصديد بدل الدموع وللبست الحديد بدل السروج .

(١) (الضعيفة (٢٢١) ، وتذكرة الموضعات (١٥١) )

### الباب الخامس

#### فى غلبة النفس وعداوة الشيطان

ينبغى للعالم أن يقمع شهوة النفس بالجوع إذا الجوع نهر لعبد الله ، قال ﷺ : الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع <sup>(١)</sup> إن أقرب الناس إلى الله تعالى يوم القيامة من طال جوعه وعطشه ، وأعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن فيها أخرج آدم وحواء من دار القرار إلى دار الذلل والافتقار ، إذ نهاهما عن أكل الشجرة فغلبتهما شهواتهما حتى أكلتا فبدت لهما سوراتهما . والبطن على التحقير يتبرع الشهوات .

وقال بعض الحكماء : من استولت عليه النفس صار أسيرا في حب شهواتها محصورا في سجن هفواتها ، ومنعت قلبه من القوائد ، من سقى أرض الجوارح بالشهوات فقد خرص في قلبه شجرة الندامة .

إن الله تعالى خلق الخلق على ثلاثة صروب خلق الملائكة وركب فيهم العقل ولم يركب فيهم الشهوة ، وخلق البهائم وركب فيها الشهوة ولم يركب فيها العقل ، وخلق ابن آدم وركب فيه العقل والشهوة ، فمن غلبت شهوته عقله فالبهائم خير منه ، ومن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة .

حكاية : قال إبراهيم الخواص : كنت في جبل للكلام فرأيت رمانا فاشتيتته فأخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركت الرمان فرأيت رجلا مطروحا قد أجمعت عليه الزنايير فقلت : السلام عليك فقال لي : عليك السلام يا إبراهيم ، فقلت : من أين عرفتي فقال : من عرف الله لا يخفى عليه شيء فقلت أرى لك مع الله حالا فهلا سألته أن ينجيك من هذه الزنايير ؟ فقال إني أرى لك من الله حالا فهلا سألته أن ينجيك من شهوة الرمان فإن الرمان يبعد الإنسان الله في الآخرة ولقح الزنايير يبعد الله في الدنيا ، ولذع الزنايير على النفوس ولذع الشهوات على القلوب . . فمضيت وتركته .

الشهوة تصوير الملوك عبيدا ، والصبر يصير العبيد ملوكا ، ألا ترى إلى قصة يوسف - عليه السلام - وزليخا ، فقد صار يوسف سلطان مصر بصبره ، وصارت زليخا ذليلة فقيرة عجوزا عمية لأجل شهواتها ، فإن زليخا لم تصبر عن محبة يوسف .

حكى : أبو الحسن الرازى أنه رأى والده في منام بعد موته يستين وعليه ثياب من القطران فقال يا أبى ما لى أرى عليك هيئة أهل النار فقال يا والدى جذبتنى نفسى إلى النار فاحذر يا ولدى من خديعة نفسك .

(١) (صحيح) أحمد ٣ / ٣٠٩ وصحيح الجامع (١٦٥٨) .



إني ابتليت بإربع : ما سلطو •• إلا لشدة شقوتي وعنائى :  
إليس والدنيا ونفسي والهوى •• كيف الخلاص وكلهم أعدائى  
وأرى الهوى تدعو إليه خواطرى •• فى ظلمة الشهوات والآراء

قال حاتم الأصم رحمه الله : نفسي وباطلى ، وعلمي وسلاحي ، وفننى وخبيثى والشرطان  
عدوى ، وأنا بنفسى غادر .

حكى عن بعض أهل المعرفة أنه قال : الجهاد على ثلاثة أصناف : جهاد مع الكفار وهو جهاد  
الظاهر كالذى فى قوله تعالى : ﴿ يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (١) وجهاد مع أصحاب الباطل بالعلم  
والحجة كقوله تعالى : ﴿ وَجَاهِدْنَاهُمْ بِأَلْفٍ مِنْ أَحْسَنِ ﴾ (٢) وجهاد مع النفس الأمارة بالسوء كالذى  
فى قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ (٣) وقوله ﴿ أَفْضَلُ الْجِهَادِ جِهَادُ النَّفْسِ ﴾ .

إن الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - كانوا إذا رجعوا من جهاد الكفار يقولون رجعنا  
من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر . وإنما سمو الجهاد مع الهوى والنفس والشرطان أكبر لأن  
الجهاد معهما أديم وجهاد الكفار يكون فى وقت دون وقت ، لأن الغازى يرى العدو ولا يرى  
الشرطان ، والجهاد مع عدو يراه أسهل من الجهاد مع عدو لا يراه ، ولأن للشرطان معينا من  
نفسك وهو الهوى ، وليس للكافر من نفسك معين ، فلذلك كان أشد ، ولأنك إذا قتلت الكافر  
نجد النصر والخيمة وإن قتلت الكافر تجد الشهادة والجنة . ولا تغدر أن تقتل الشرطان ، وأن تقتل  
الشرطان فى عقوبة الرحمن . كما قيل من فر منه فرسه فى الحرب يقع فى أيدي الكفار ، ومن فر  
منه الإيمان يقع فى غضب الجبار نعوذ بالله منه ، ومن وقع فى أيدي الكفار لا تغل يده إلى عتقه  
ولا تقيد رجله ولا يجمع بطنه ولا يهرى يده ، ومن وقع فى غضب الجبار يسود وجهه وتغل يده  
إلى عتقه بالأغلال وتقيد رجله بقيود النار ، ويكون طعامه نارا وشرابه نارا ولباسه من نار .

### الباب السادس

#### فى الغفلة

الغفلة تزيد الحسرة ، الغفلة تزيل النعمة ، وتحجب عن الخدمة ، الغفلة تزيد الجسد ، الغفلة  
تزيد الملازمة والندامة .

(١) آية (٥٤) سورة المائدة .

(٢) آية (١٢٥) سورة النحل .

(٣) آية (٦٩) سورة العنكبوت .

حكى أن بعض الصالحين رأى أستاذه فى المنام فسأله أى الحسرة أعظم عندكم فقال حسرة  
الغفلة . وروى أن بعضهم رأى ذا النون المصرى فى منامه فقال له ما فعل الله بك فقال أوقفنى بين  
يديه وقال لى يا مدح يا كذاب ادعيت محبتى ثم غفلت عني .

أنت فى غفلة وقلبك ساهى •• ذهب العمر والذنوب كما هى

حكى أن رجلا من الصالحين رأى والده فى منامه فقال يا أبت كيف أنت وكيف حالك فقال  
له يا ولدى عشنا فى الدنيا غافلين ومتنا غافلين .

وفى زهر الرياض كان يعقوب - عليه السلام - مؤاخيا لملك الموت فزاره فقال له يعقوب يا  
ملك الموت أزارا جئت أم قابضا روحى ، فقال بل زارأ قال فإنى أسألك حاجه قال : وما هى قال  
: أن تعلمنى إذا دنا أجلى وأردت أن تقبض روحى فقال نعم أرسل إليك رسولين أو ثلاثة ، فلما  
انقضى أجله أتى إليه ملك الموت فقال أزارا جئت أم لقبض روحى فقال لقبض روحك فقال  
أرسلت كنت أعبرتنى أنك ترسل إلى رسولين أو ثلاثة قال قد فعلت يياض شعرك بعد سواده .  
وضعف يدك بعد قوته ، وانحناء جسمك بعد استقامته ، هذرسلى يا يعقوب إلى بنى آدم قبل  
الموت .

مضى الدهر والأيام والذنب حاصل •• وجاء رسول الموت والقلب غافل

نعيمك فى الدنيا ضرور وحسرتا •• وعيشك فى الدنيا محال وباطل

قال أبو على الدقاق دخلت على رجل صالح أحوده وهو مريض وكان من المشايخ الكبار  
وحوله تلاميذه وهو يبكى وقد بلغ أواخر العمر فقلت له أيها الشيخ م بكاؤك أعلى الدنيا ؟ فقال :  
كلا بل أبكى على فوت صلاتى ، قلت : وكيف ذلك وقد كنت مصليا ؟ قال لأنى قد بقيت يومى  
هذا وما سجدت إلا فى غفلة ولا رفعت رأسى إلا فى غفلة وما أنا أموت على الغفلة ثم أنه تنفس  
الصعداء وأشد يقول :

تفكرت فى حشرى ويوم قيامتى •• وأصباح غمدى فى المقابر ثاويا

فسريدا وحيدا بعد عز ورفعة •• رهيبا بجرمى والشراب وساديا

تفكرت فى طول الحساب وعرضه •• وذلل مقامى حين أعطى كتابيا

ولكن رجائى فيك ربى وخالفتى •• بأنك تعفروا يا إلهى خطايا

وفى حيون الأخبار ذكر عن شقيق البلخى أنه قال : الناس يقولون ثلاثة أقوال وقد تألفوها  
فى أعمالهم : يقولون نحن عبيد الله وهم يعملون عمل الأحرار وهذا خلاف قولهم . ويقولون

أن الله قليل بأرزقانا ولا تطمن قلوبهم إلا بالدنيا ، وجمع خطاياهم : وهذا أيضا خلاف قولهم .  
ويقولون لا بد لنا من الموت وهم يعملون أعمالا من لا يموت وهذا أيضا خلاف قولهم .

فانظر لنفسك يا أخي بأي بدن تقف بين يدي الله تعالى وبأي لسان تحييه ، وماذا تقول إذا سألك عن القليل والكثير ، فأعد للسؤال جوابا وللجواب صوابا ، واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون أي من الخير والشر ، ثم وعظ المؤمنين بأن لا يتركوا أمره وبأن يوحّدوه في السر والعلانية جاء في الخبر عن النبي ﷺ أنه قال : « مكتوب على ساق العرش أنا مطيع من أطاعني ومحب من أحبني ومحبب من دهاني وغافر لمن استغفرني » (١) ، فينبغي للماعقل أن يطيع الله بالخوف والإخلاص في طاعته والرضا بقضائه والصبر على بلائه وبالشكر على نعمائه والقناعة بإعطائه يقول الله تعالى : من لم يرض بقضائي ، ولم يصبر على بلائي ، ولم يشكر على نعمائي ولم يتق بعبائتي فليطلب ريا سوالي (٢) .

وقال رجل للحسن البصري رحمه الله : إني لا أجد للطاعة لذة فقال له لعلك نظرت في وجه من لا يخاف الله .

العبودية أن تترك الأشياء كلها لله .

وقال رجل لأبي يزيد رحمه الله إني لا أجد للطاعة لذة فقال لأنك تعبد الطاعة ولا تعبد الله أعبد الله حتى تجد للطاعة لذة .

حكى أن رجلا دخل في الصلاة فلما انتهى إلى قوله ﴿ إياك نعبد ﴾ (٣) خطر بباله أنه عابد لله في الحقيقة فردى في السر كذبت إنما تعبد الخلق فتاب واعتزل الناس ، ثم شرع في الصلاة انتهى إلى قوله ﴿ إياك نعبد ﴾ نودي كذبت إنما تعبد مالك فتصدق بماله كله ، ثم شرع في الصلاة فلما انتهى إلى قوله ﴿ إياك نعبد ﴾ نودي كذبت إنما تعبد ثيابك فتصدق بها إلا ما لا بد له منه ، ثم شرع فيها فلما انتهى إلى قوله ﴿ إياك نعبد ﴾ نودي الآن صدقت إنما تعبد ربك .

وفي روثق للحجالي : ضاع لرجل جوائق فلم يدرك من أعلاها منه فلما دخل في الصلاة تذكره فلما سلم قال للسلامة انذهب إلى فلان ابن فلان واسترد منه الجوائق فقال له السلام متى ذكرته فقال حين كنت في الصلاة فقال يا مولاي كنت طالب الجوائق لا طالب الخالق ، فأعطاه مولاه ببركة اعتقاده .

وينبغي للماعقل أن يشرك الدنيا ويعبد الله ويشكر أماله ويريد الآخرة ، كما قال الله

(١) سورة الشورى .

(٢) سورة الشورى .

تعالى ﴿ من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا ﴾ (١) أي ملائها من لباسها وطعامها وشرابها ﴿ نؤتيه منها وما له في الآخرة من نصيب ﴾ بأن يتزعج من قلبه حب الآخرة ، ولذلك أنفق أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - على النبي ﷺ أربعين ألف دينار في السر وأربعين ألف دينار في العلانية حتى لم يبق له شيء ، وكان ﷺ معرضا عن الدنيا وشهواتها ولذاتها هو وأهله ، ولذلك كان جهاز السيدة الزهراء - رضي الله عنها - لما زوجها النبي ﷺ من علي - جلد كبش منبوغ ووسادة آدم حشوها ليف .

### الباب السابع

#### في نسيان الله تعالى ، والفسق والنفاق

جاءت امرأة إلى الحسن البصري - رضي الله عنه - فقالت إنه كانت لي ابنة شابة فماتت وأحببت أن أراها في المنام فحسنتك كي تعلمني ما أستعين به على رؤيتها فعملها قرأتها وعليها لباس من قطران وفي عنقها الغل وفي رجلها القيد فأخبرت الحسن بذلك فاقتم ، ومضت مدة ثم رآها الحسن في الجنة وعلي رزسها تاج فقالت يا حسن بذلك أما تعرفني أنا ابنة المرأة التي أتتك وقالت لك كلنا فقال لها ما الذي صيرك إلي ما أرى ؟ قالت مر بنا رجل فصلى على النبي ﷺ مرة وكان في المقبرة خمسمائة وخمسون إنسانا في العذاب فنودي أرفعوا العذاب عنهم ببركة صلاة هذا الرجل . بصلاة رجل على محمد ﷺ أصابهم المغفرة فمن صلى عليه منذ خمسين سنة أفلا يجد شفاعة يوم القيامة .

قال الله تعالى : ﴿ ولا تكونوا ﴾ أي في المعصية ﴿ كالدّٰهين ﴾ يعني المنافقين الذين ﴿ تسوا الله ﴾ (٢) يعني تركوا أمر الله وفعلوا خلافه وتلفذوا بشهوات الدنيا وركنوا إلى خرودها .

ومثل رسول الله ﷺ عن المؤمن والمنافق فقال : « إن المؤمن همه في الصلاة والصيام والمنافق همه في الطعام والشراب كالبهيمة وترك العبادة والصلاة ، والمؤمن مشغول بالصدقة وطلب المغفرة ، والمنافق مشغول بالحرص والأمل ، والمؤمن أسر من كل أحد إلا من الله ، والمنافق راج كل أحد إلا الله ، والمؤمن يقدم ماله دون دينه ، والمنافق يقدم دينه دون ماله ، والمؤمن آمن من كل أحد إلا من الله والمنافق خائف من كل أحد إلا من الله ، والمؤمن يحسن ويكفي ، والمنافق يسر ويضحك ، والمؤمن يحب الوحدة والخلو ، والمنافق يحب الخلطة والملا ، والمؤمن يزور ويخشى الفساد ، والمنافق يقلع ويرجو الحصاد ، والمؤمن يأمر وينهى سياسة دينية ويصلح ،

(١) آية (١٩) سورة الحجر .

(٢) آية (٢٠) سورة الشورى .

و يماضي يأمر ويسهي ويسد ، بل يأمر بالمكر ويهيئ عس المعروف كما قال الله تعالى ﴿ يَتَفَقَّرُونَ وَالْمَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْتِرُونَ بِاتِّسَافٍ وَيَهْرُونَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٢٧) وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتُ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ سَبِيلُكُمْ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٨) وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ صَافٍ ﴾ (٢٩) الآية . . . يعني إن ماتوا على كفرهم وعاقبهم ليلاً بالمافقين لأنهم شر من الكفار وجعل أراهم جميعاً النار وقال تعالى ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ مَصْرُورًا ﴾ (٣٠) الآية . والمدفق اشتقاقه من اللعنة مافقاء الربوع ويقال إن للربوع حجرتين إحداهما الباقية والأخرى الماصعة فيظهر منه في إحداهما ويخرج من الأخرى ، ولهذا سمي المدفق مافقا ، لأنه يظهر من نفسه أنه مسلم ويخرج من الإسلام إلى الكفر .

وفي الحديث : « مثل المنافق كمثل الشاة ترى بين قطيعين من الغنم تارة تسير إلى هذا القطيع وتارة إلى هذا القطيع ولا تسكن لواحد منهما لأنها عريضة ليست منهما » (٣١) وكذلك المنافقين لا يستقر مع المسلمين بالكلية ولا مع الكافرين .

إن الله خلق النار ولها سبعة أبواب كما قال الله تعالى : ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ (٣٢) الآية . . . من حديد مطبقة باللعنة وعليها ظهارة النحاس وبطانة الرصاص في أصلها العذاب وفوقها السخط وأرضها من نحاس وزجاج وحديد ورصاص ، النار من فوق أهلها والنار من تحتهم ، ولما عن أيانهم والنار عن شعائلهم ، طبقاتها بعضها فوق بعض أعدل للمنفقين منها الدرك الأسفل

وجاء في الخبر أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال : « يا جبريل صف لي النار وحرها فقال : إن الله عز وجل خلق النار ما وقدها ألف عام حتى احمرت ثم أوقدها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة ولدى بحث ملحق نيبا لو أن ثوبا من ثياب أهل النار طهر لأهل الأرض لما تروا جميعا ولو أن دلوا من شربها صب على ماء الأرض جميعه لقتل من دقه ولو أن دراعا من السلسلة التي ذكرها الله تعالى بقوله ﴿ ثُمَّ فِي سُلْسُلَةٍ دُفِعُوا مِنْهَا فَرَاغَا فَاسْتَكُوهُ ﴾ (٣٣) الآية . . . كن دراع طوله من المشرق إلى المغرب ولو وضع على حبل الدنيا لمات ولو أن رجلا دخل النار ثم أخرج منها مات أهل الأرض من تنن وجهه » (٣٤) .

« وسأل ﷺ جبريل فقال يا جبريل صف لي أبواب جهنم أمي كأيابنا هذه فقال يا رسول الله

لا ولكنها طباق بعضها أسفل من بعض ، من الباب إلى الباب مسيرة سبعين سنة كل باب منها أشد حرا من الذي يليه بسبعين ضعفا ، وسأله أيضا عن سكان هذه الأبواب فقال أما الأسفل ففيه المذموم واسمه الهاوية كما قال الله تعالى ﴿ إِنَّ الْمَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ (٣٥) والباب الثاني فيه المشركون واسمه الجحيم ، والباب الثالث فيه الصائون واسمه سقر ، والباب الرابع فيه إبليس - عليه اللعنة - ومن تبعه من اللجوس واسمه لظى ، والباب الخامس فيه اليهود واسمه الحطمة والباب السادس فيه النصارى واسمه السعير ، ثم أمست جبريل - عليه السلام - فقال له وسأله الله ﷻ لم تحببني عن سكان الباب السابع فقال جبريل : يا محمد لا تسألني عنه فقال له : أخبرني عنه فقال فيه أهل الكبائر من أمك الذين ماتوا ولم يتوبوا »

وروي أنه لما نزل قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَادُهَا ﴾ (٣٦) اشتد خوفه ﷻ هي أمت ويكي بكاء شديداً ما العارف بالله وشدة سطوته وقهره بحاله حوها شديداً ويكي على نفسه وتميطه قبل أن يرى هذه الشدائد ويعاين هذه الدار المخوفة وقبل أن تنتهك الأستاذ ويهرس على المنتقم الجبار ويؤمر به إلى النار .

فكم من شيخ يتنادى في النار واشتبهائه ، وكم من شاب يتنادى في النار واشتبهائه ، وكم من امرأة في النار تتنادى وافضيحتائه ولعنت ستره ، وقد سودت رجوهم وأجسادهم وانكسرت ظهورهم فلا يكرم كبيرهم ولا يرحم صغيرهم ولا تشر نسا لهم .

اللهم أجرقنا من النار ومن عذاب النار ومن كل حمل يقرينا إلى النار ، ولدخلتنا الجنة مع الأبرار يرحمك يا عزيز يا غفار ، اللهم اسر هوراتنا ، وآمن ووعاتنا وأفلنا من هتراتنا ، ولا تعصمنا بين يديك يا أرحم الراحمين .

وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

### الباب الثامن

#### عن التوبة

التوبة واجبة على كل مسلم ومسلمة ، قال الله تعالى : ﴿ تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ﴾ (٣٧) والأمر للتوبة . وقال تعالى ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُ اللَّهُ مَا عَمِلُوا فإِذَا جَاءَهُمْ عَذَابُهُمْ كَانُوا يُدْرِكُونَ ﴾ (٣٨) .

(٣٧) آية (٧١) سورة مريم

(٣٨) آية (١٢٥) سورة البقرة

(٣٩) آية (٨) سورة التوبة

(٣٧) آية (١٢٥) سورة البقرة

(٣٨) آية (١٢٥) سورة البقرة

(٣٩) آية (٨) سورة التوبة

(٣٩) آية (٨) سورة التوبة

(٣٧) آية (٧١) سورة مريم

(٣٨) آية (١٢٥) سورة البقرة

(٣٩) آية (٨) سورة التوبة

(٣٩) آية (٨) سورة التوبة

« ظهورهم » فأنساهم أنفسهم ، بمعنى أنساهم حالهم حتى لم ينهوا أنفسهم ولم يقدموا لها خيرا . من أحب لقاء الله ومن كره لقاء الله كرم الله لقاءه » (١٧) ﴿ وَأُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ﴾ (٢١) يعني العاصون الناصون عهدهم ، أي المخرجون عن طريق الهداية والرحمة والمعصية ، والفاسيق على نوعين فاسق كافر وفاسق عاجز ، والفاسق الكافر هو من لم يؤمن بالله . سرحه وخرج عن الهدية ودخل في الضلالة كما قال الله تعالى : ﴿ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ (٣) يعني خرج عن طاعة أمر ربه بالإيمان ، والفاسق لما حرم هو الذي يشرب الخمر ويأكل الحرام ويرى يحصى الله تعالى ويخرج من طريق العبادة ويدخل في المعصية ولا يأنى بالشرك .

والفرق بينهما أن الفاسق الكافر لا يرجي غفرانه إلا بالشهادة والثوبة قبل موته ، والفاسق القاصر يرجي غفرانه بالثوبة قبل الموت ، فإن كل معصية أصلها من الشهوة النفسانية يرجي غفرانها وكل معصية أصلها من الكبر لا يرجي غفرانها . ومعصية إبليس كان أصلها من الكبر .

فيبقى لك أن تتوب من ذنوبك قبل الموت رجاء أن يقبلك الله ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ قَبْلَ الْفِتْنَةِ عَنِ عِبَادِهِ وَيُفَوِّضُ السُّلْطَانَ ﴾ (٤) الآية . . . يعني يتجاوزهما عملوا بقبوله الثوبة . وقال ﴿ : التائب من الذنب كمن لا ذنب له » (٥)

حكى أن رجلا كان كلما أذنب يكتب ذنبه في ديوان فأدب يوما فأنشأ ديوانه ليكتب فيه فلم يجد فيه إلا قوله تعالى : ﴿ فَأُولَئِكَ يَدُلُّ اللَّهُ سَبِيلَهُمْ حَسَنَاتٍ ﴾ (٦) الآية . . . يعني يدل مكان الشرك لإيمان ، ومكان الزنا العفو ، ومكان المعصية المعصية والطاعة .

وحكى أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - مر وقتا من الأوقات في سبيل المدينة فاستقبله شاب وهو حامل قدورة تحت ثيابه فقال عمر أيها الشاب ما الذي تحمل تحت ثيابك وكان خمرًا ، فحمل الشاب أن يقول خمرًا فقال في سره الهي لا تحجلي عند عمر ولا تمضيني واسترني عنه فلا أشرب الخمر أبدا ، ثم قال يا أمير المؤمنين الذي أحمل هو خفي ، فقال أرنني حتى أراها فكشفتها بين يديه فرأها عمر صارت خلا .

فانظر إلى مخلوق تائب من خوف مخلوق قبل الله سبحانه وتعالى خمره بالخفي لما علم منه

صحیح ( البحاری ( ٦٥٠٨ ) .

( ٢ ) آية ( ١٩ ) سورة الحشر

( ٤ ) آية ( ٢٥ ) سورة النور

( ٥ ) حس ( أبو داود ( ٤٢٥٠ ) وصحيح الجامع ( ١٣٠٠٨ ) .

( ٦ ) آية ( ٧٠ ) سورة الفرقان

إخلاص الثوبة ، فلو تائب العاصي المعلن عن الأعمال العاصدة توبة نصوحا وندم على ذنبه بذل الله سبحانه وتعالى ، خمر سيئاته بحل الطاعة .

وذكر عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : خرجت ذات ليلة بعدما صليت العشاء الآخرة مع رسول الله ﷺ فوجدنا امرأة في الطريق فقالت يا أبا هريرة إني ارتكبت ذنبا ههل لي من توبة فعلت ما دلت ؟ قالت إني ريت وقتلت ولدي من الرما ، فقلت لها هلكت وأهلك ، والله مالت من توبه فحمرت مشيا عليها مصصت ، فعلت في نفسي أمتي ورسول الله ﷺ بين أظهرنا فرحمت إني فاجبرته بذلك فعلم هلكت وأهلك فأبى أنت من هذه الآية : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَأُولَئِكَ يَدُلُّ اللَّهُ سَبِيلَهُمْ حَسَنَاتٍ ﴾ (١) الآية . . . فخرجت وقلت من يدلني على امرأة سألتني مسألة والصبيان يقولون جن أبو هريرة حتى أدركتها وأخبرتها بذلك فشبهت شهقة من السرور وقالت إن لي حليقة جعلتها صدقة لله ورسوله .

حكاية : عن عتبة العلام - رحمه الله تعالى - وكان من أهل الفسق والفجور مشهورا بالفساد وشرب الخمر فدخل يوما في مجلس الحسن البصري وهو يقرأ في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (٢) يعني ألم يجيء وقت يخاف قلوبهم ؟ فوعظ الشيخ في تفسيره هذه الآية وعظا يليما حتى أبكى الناس ، فقام من بينهم شاب فقال يا فتى المؤمنين أيقبل الله العاصق الفاجر مثلي إذا تائب ؟ فقال الشيخ نعم يقبل الله توبة فسفك وفجورك فلما سمع عتبة الغلام هذا الكلام اصفر وجهه ولم تعدت فرأته فصاح صيحة فخر مغشيا عليه فلما أفاق دنا منه الحسن وقال الأبيات :

أيا شابا لرب العرش هلص ••• أتدرى ما جزاء ذوى المعاصي  
سمير للمصاة لها زفير ••• وغيط يسوم يؤخذ بالتواصي  
فان تصبر على البيران فاعصه ••• ولا كن عن المصبيان قاصي  
وفيما قد كسبت من الخطايا ••• وهنت النفس فاجهد في الخلاص

فصاح عتبة صيحة عظيمة وخر مغشيا عليه ، فلما أفاق قال يا شيخ هل يقبل الرب الرحيم توبه مثلي التميم ؟ قال الشيخ هل يقبل توبة العبد الجاني إلا الرب المعافي ؟ ثم رفع رأسه ودعا ثلاث دعوات : الأولى قال إلهي إن كنت قبلت توبتي وغفرت ذنوبي فأكرمني يا معلم والحفظ حتى أحفظ كل ما سمعت من العلم والقرآن ، والثانية قال إلهي أكرمني بحسن الصوت حتى إن كل من سمع قرأته يزداد رقة في قلبه وإن كنت قاسي القلب ، والثالثة قال إلهي أكرمني بالرزق

( ١ ) آية ( ٦٨ - ٧٠ ) سورة الفرقان .

( ٢ ) آية ( ١٦ ) سورة الحديد



## الباب العاشر

## في العشق

حب عبارة عن : ميل الطبع إلى الشيء الملذذ ، فإن تأكد ذلك الميل وقوى سمي عشقا فيجاور إلى أن يكون رفيقا لمحبة ويثق ما يملك لأجله ألا ترى إلى زليخا بلغ بها من محبة يوسف - عليه السلام - أن ذهب ماله وجمالها وكان لها من الجواهر والقلائد وقرصين جملا وقد أتمقتها كلها في محبة يوسف وكل من قال رأيت يوسف اليوم أعطته قلادة تغنيه حتى لم يبق لها شيء وكانت تسمى كل شيء باسم يوسف وقد نسيت كل شيء سواه من فرط العشق وإذا رفعت رأسها إلى السماء رأته اسم يوسف مكتوبا على الكواكب .

وروي أنها لما أمنت وتزوجت به - عليه السلام - انمردت عنه وتخلت للعبادة وانقطعت إلى الله تعالى ، فكان يدعوها إلى فراشه نهارا فتدافع إلى الليل فإذا دعا ليلا سوفت به إلى النهار وقالت يا يوسف إنما كنت أحبك قبل أن أهره ، فأما إذا عرفته فما أبقيت محبة لسواه وما أريد به بدلا ، حتى قال لها إن الله جعل ذكره أمرني بذلك وأحبرني أنه مخرج ميت ولدي وجاعلها بيين فقالت أما إذا كان الله تعالى أمرك بذلك وجعلني طريقا إليه مطاعتك لأمر الله تعالى فلهذا سكنت إليه

وحكي أن مجنون ليلى قيل له ما اسمك قال ليلى وقيل له يوما أو مائت ليلى قال إن ليلى في قلبي لم تفت أنا ليلى ، ومر يوما على دار ليلى فنظر إلى السماء فقيل له يا مجنون لا تنظر إلى السماء ولكن انظر إلى جدار ليلى لعطفك تراها قال أنا أكنى بنجم يقع ظله على دار ليلى .

وحكي عن منصور الحلاج - رحمه الله تعالى - أنهم حسوه ثمانية عشر يوما فجاءه الشلى - رضى الله عنه - فقال يا منصور ما المحبة فقال لا تسألني اليوم وسألتني غدا فلما جاء الغد وأخرجوه من السجن ونصبوا النطع لأجل قتله ، مر الشلى بين يديه فتنادى يا شبلى المحبة أولها حرق وأخرها قتل .

إشارة إلى تحقق للحلاج - رضى الله عنه - في نظره أن كل شيء ما خلا الله باطل ، وعلم أن الله هو الحق نسي عند تحقق اسم الحق اسم نفسه فقل من أنت قال أنا الحق .

روي أن صديق للمحبة في ثلاث خصال أن يختار كلام حبيب على كلام غيره ويختار مجالسة حبيب على مجالسة غيره ، ويختار رضا حبيب على رضا غيره . كذا في المنتهى .

وقيل : العشق هتك الأسرار وكشف الأسرار ، وأوجد حجر الروح من احتمال غلبة الشوق عند حلاوة الذكر ، حتى لو قطع عضو من أعضائه لا يمس ولا يشعر

وحكى أن رجلا كان يغتسل في المرات فسمع رجلا يقرأ ﴿ وَأَمَّا آيَاتُ الْيَوْمِ آيَ الْغُفْرِ ﴾ (١) فلم يزل يضطرب حتى غرق ومات .

وعن محمد بن عبد الله البغدادي قال رأيت في البصرة شابا على سطح مرتفع قد أشرف على الناس وهو يقول من مات عاقبا فليمت هكذا لا خير في عشق بلا موت ثم رمى بنفسه فعمل ميتا .

قال الجيّد - رحمه الله تعالى - : التصرف ترك الاختيار .

وحكى أن ذا النون المصري رحمه الله دخل المسجد الحرام فرأى شابا عربيا مطروحا مريضا تحت أسطوانة وله أنين من قلبه حزين قال فدنوت منه وسمعت عليه وقلت له من أنت يا غلام قال أنا غريب عاشق فعلمت ما يقول ، قلت وأما مثلك فيكى بأعلى صوته وصاح صيحة عظيمة عالية فخرجت وروحه من ساعته طرحت عليه ثوبى وخرجت من ههنا لطلب الكمن فاشتريت الكفن ورجعت إليه فلم أجده في مكانه فقلت سبحان الله فسمعت هاتفا يقول : يا ذا النون إن هذا العريب الذى طلبه الشيطان في الدنيا فما وجده وطلبه مالك فلم يره وطلبه رضوان في الجنة فما وجده ، قلت فأين هو قال فسمعت هاتفا يقول : ﴿ في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾ (٢) بسبب محبه وكثرة طاعته وتعجيل ثوبته . كذا في زهر الرياض .

ومثل بعض المشايخ من المحب فقال قليل الخلطة كثيرة الخلوة دائم الفكر ظاهر النصمت ، لا يصر إذا نظر ولا يسمع إذا نودي ولا يفهم إذا كلم ولا يحرن إذا أصيب بمصيبة وإذا أصيب بسجوع فلا يرى ، ويعمرى ولا يشعر ويستم ولا يخشى ، ينظر إلى الله تعالى في خلوته ويأس به ويناسيه ، وينارح أهل الدنيا في دنياهم ، وقد قال أبو نواب النخشى في علامات المحبة أياتا :

لا تحمد حسن فللمحبيب دلائل ●● ولدي من نعم الحبيب وسائل

سها تصممه بمسر بلائيه ●● وسروره في كل ما هو فاعل

فما منع من عطية مقبولة ●● والمفر إكرام وير عاجل

ومن الدلائل أن ترى من عزمه ●● طوع الحبيب وإن ألح العائد

ومن الدلائل أن يرى متبسما ●● والقلب فيه من الحبيب بلايل

ومن الدلائل أن يرى متمهما ●● لكلام من يحظى لديه السائل

ومن الدلائل أن يرى متقشقا ●● متحفظا من كل ما هو قاتل

(٢) آية (٥٦) سورة القمر

(١) آية (٥٩) سورة يس



حكيية : مر عيسى - عليه السلام - بشاب يسأل يستأنا فقال الشاب لعيسى هل ريك أن يروى من محبة مثقال ذرة فقال عيسى لا تطيق مقدار ذرة ، فقال نصف ذرة ، فقال عيسى - عليه السلام - يارب ابرقه نصف ذرة من محبتك ، فعصى عيسى - عليه السلام - فلما كان بعد مدة طويقتني يحول ذلك الشاب فسأل عنه فقالوا جن وذهب إلى اجبال ، فدعا الله عيسى - عليه السلام - أن يريه إياه فأراه بين الجبال فوجده قائم على صخرة شامخة طرفه إلى السماء فلم يعسى - عليه السلام - فلم يرد عليه ، فقال أنا عيسى فأوحى الله تعالى إلى عيسى كيف يسمع كلام الآدميين من كان في قلبه مقدار نصف ذرة من محبتى ، فوعزنى وجلالى لو قطعته بالشار لما علم بملك .

من ادعى ثلاثة ولم يظهر من ثلاثة فهو مفروز أولها من ادعى خلاوة ذكر الله وهو يحب الدنيا ، وثانيها من ادعى محبة الإخلاص في العمل ومحبة تعظيم النفس له ، وثالثها من ادعى محبة مخالفه من غير إسقاط نفسه .

قال رسول الله ﷺ : « سبأى زمان على أمتي يحبون خمسا وينسون خمسا : يحبون الدنيا وينسون الآخرة ، ويحبون المال وينسون الحساب ، ويحبون الخلق وينسون الخصال ، ويحبون الذنوب وينسون التوبة ، ويحبون القصور وينسون القبور » .

وقال منصور بن عمار لثاب يعظه ياشاب لا يعروك شبابك فكم من شاب أخر التوبة وأطال الأمل ولم يذكر موته ، فقال إني أتوب هذا أو بعد هذا فجاءه ملك الموت وهو خافض حسن التوبة فصار في جوف القبر لا يتنعم مال ولا عبد ولا ولد ولا أب ولا أم ، كما قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (١) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ مَلِيمٍ (٢) 》 .

اللهم إرزقنا التوبة قبل الموت ، ونبها عند الفعلة وانفعا بشفاة تبيخ غير المرسلين ﷺ .

صفة المؤمن أن يتوب من يومه وساعته ، ويندم على ما فعل من قنوه ويرضى بالقوت من الدنيا ولا يشتغل بالدنيا ، بل يشتغل بعمل الآخرة ويعبد الله تعالى بالإخلاص .

حكاية : كان رجل يخيل منافق حلف على زوجته بالطلاق أن لا تصدق بصدقة فجاء سائل على باب داره وقال يا أبل الدار بحق الله ألا أعطينموني شيئا فأعته امرأة ثلاثة أرعة فاستقبله سائق وقال من أعطاك هذه الأربعة قال أعطوني من لدار أحده شيء فقلت أعطيت لأجل أنه مر وجن فذهب المنافق وأوقد النور حيي حمي ، ثم قال قومي ما بقي بفسك في النور لأجل الله ، فقامت امرأة وأحدث حلقها فقال المنافق دعي الحلق فقلت المرأة الحبيب يتزين لحبيبه ، وأن راترة حبسى ثم ألفت نفسها في تنور فأطبق المنافق عليها ومضى ، فلما تم لها ثلاثة أيام جاء المنافق

(١) يه (٨٨-٨٩) سورة الشعراء

فتفتح عليها رأس النور ، فرأى المرأة سالمة بقدره الله تعالى فتعجب الرجل من تلك الحال فهتف به هاتف بقول ما علمت أن النار لا تحرق أحبابنا .

وحكى أن أسية امرأة فرعون كانت تكتم إيمانها من فرعون فلما أطلع فرعون على إيمانها أمر بها أن تعذب فعدبها بأنواع العذاب وقال إرتدى فلم ترتد ، فأتى بأوتاد وضربوها على أعضائها ثم قال إرتدى ، فقالت إنك تعلم أن نفسى وقلبي في عصمة ربى لو قطعتنى إربا مازددت إلا حيا ، فامر موسى - عليه السلام - بين يديها فدأت موسى : أخبرنى أواض منى ربى أم ساحط فان موسى - عليه السلام - يأسيه ملائكة السموات فى انتظارك أى مشتقة إليك والله يباهى بك ماسائلى حاجتك فإنها مقضية ، فقالت : ﴿ رَبِّ إِنِّي لَأَعِيشُنَّ بِمَا فِي الْجَنَّةِ وَتَجْنِي مِن فُرْعُونَ وَعَمَلِهِ وَتَجْنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١) 》 .

وعن سلمان - رضى الله - عنه فان كانت امرأة فرعون تعذب بالشمس فإذا انصرفوا عنها أظنتها الملائكة بأجنتها وكانت ترى بيتها في الجنة .

وعن أبي هريرة أن مرعون وتد لامرأته أربعة أوتاد وأجمعها وجعل على صدرها رحي واستغل بها عين الشمس فرفعت رأسها إلى السماء فقالت : ﴿ رَبِّ إِنِّي لَأَعِيشُنَّ بِمَا فِي الْجَنَّةِ (٢) 》 الآية . . . قال الحسن لنجاها الله أكرم لها ورفعها إلى الجنة فهي تأكل وتشرب .

وفيه دليل على أن الاستعاذة بالله والاتجاه إليه ومسألة الخلاص منه عند اللحن والنوارل من سير الصالحين ودليل المؤمنين .

### الباب الحادي عشر

#### في طاعة الله ومحبة و محبة رسول الله ﷺ

قال الله تعالى : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ (٣) 》 اعلم ورحمك الله أن محبة العبد لله ولرسوله طاعته لهما واتباعه أمرهما ومحبة الله للعباد إتمامه عليهم بالعمران .

فيل العبد إذا علم أن الكمال الحقيقي ليس إلا لله وأن كل ما يرى كمالا من نفسه أو من غيره مبر من الله وبالله لم يكن حبه إلا لله وفى الله ، وذلك يقتضى إرادة طاعته والرغبة فيما يقربه إليه فلهذا فسرت للمحبة بإرادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول ﷺ في عبادته والحث على طاعته

(٢) يه (١١) سورة التحريم .

(١) يه (١١) سورة التحريم .

(٣) يه (٣٦) سورة آل عمران .

وعن الحسن قال أنفوام : على عهد رسول الله ﷺ يا محمد إننا نحب ربنا فأمر الله هذه الآية .

وعن بشر الحافي - رضى الله عنه - قال روى النبي ﷺ في المنام فقال يا بشر أأندري من رعبك لئله من بين أنراث قلت لا يا رسول الله قال بعدمتك بلصالحين وبعيبتك لا حوائك ومحببتك لأصحابك وأهل ستي وتباعث لستى .

قال ﷺ : « من أحيأ ستي فقد أحيأ ومن أحيأ كان معى يوم القيامة فى الجنة » (١)

وجاء فى الآثار المشهورة أن لتمسك بسنة سيد الخلق والمرسلين عند فساد الخلق واختلاف المذهب له أجر مائة شهيد كذا فى شرعة الإسلام . وقال « كل أمى يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا من أبى قال من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى كل عمل ليس على ستي لهو معصية » (٢)

وقال بعضهم لو رأيت شيخا يطير فى الهواء أو يمشى على البحر أو يأكل النار أو غير ذلك وهو يترك فرضا من قرآن الله تعالى أو سنة من السن عاما فاعلم أنه كذاب فى دعواه وليس عمله كرامة بل هو استعراج ، ثم ذباله منه .

قال الجنيد - رحمه الله - ما وصل أحد إلى الله إلا بالله والسبيل إلى الوصول إلى الله متابعة المصطفى ﷺ .

وقال أحمد الخوارى - رحمه الله - كل عمل بغير اتباع السنة فباطل كما قال ﷺ من ضيع ستي حرمت عليه شفاعتى . . . كنا فى شرعة الإسلام .

حكى أن رجلا من بعض المجانين ما استجهله فى فأخبر بذلك معروف الكرخى - رحمه الله - فبسم ثم قال يا أحمى له محزون صغار وكبار وعفلا ومجانين فهذا الذى زايته من مجانيهم .

وحكى عن الجنيد أنه قال مرضى استأفنا السرى رحمه الله فلم نعرف لعلته دواه ولا عرفا لها سببا فوصف لنا طبيب حادق فأخذنا فارورة مائة فنظر إليها الطبيب وجعل ينظر إليها مليا ثم قال أرء بول عانى مال اجنيد مصعف وعنى على ورقت الفرورة من يدى ثم رحب إلى السرى فأخبرته فبسم ثم قال قاتله الله ما أبصره قلت يا أستاذ وتبين للحية فى البول قال نعم .

قال العفيل - رحمه الله - إذا قيل لك أئحب الله فاسكت فإنك إن قلت : لا كبرت وإن قلت نعم فليس وصعك للمحين فاحذر الحقت .

(١) (حسن) الترمذى (٢٦٧٨)

(٢) (صحيح) البخارى (٧٢٨٠)

وقال سعيان من حب من يحب الله تعالى فالما أحب الله ، ومن أكرم من يكرم الله تعالى فإنك يكرم الله تعالى .

وقال سهل علامة حب الله حب القرآن ، وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبى ﷺ ، وعلامة حب النبى ﷺ حب السنة ، وعلامة حب السنة حب الآخرة ، وعلامة حب الآخرة بعض الدنيا وعلامة بعض الدنيا أن لا يأخذ منها إلا زادا ويلغة إلى الآخرة ، قال أبو الحسن الزنجاني أصل العبادة على ثلاثة أركان السرى والقلب والبدن ، فالسرى بالعبارة والقلب بالعبادة والبدن بالصدق والسيح والذكر كما قال الله تعالى . ﴿ اذْكُرُوا الله ذكرا كبيرا ﴾ (١) وسبحوه بكثرة وأصلا (٢) .

يعنى غدا وعشيا .

وحكى أن عبد الله وأحمد بن حرب حضرا موخما قطع أحمد بن حرب قطعة من جشيش الأرض فقال له عبد الله حصل عليك خمسة أشياء شغل قلبك به عن تسبيح مولاك ، وعودت نفسك الاشتغال بعير ذكر الله تعالى ، وجعلت ذلك طريقا يقتدى بك فيه ، ومنعته عن تسبيح ربه وأكرمت نفسك حجة الله عز وجل يوم القيامة . كذا فى روتق للجالس .

وعن السرى - رضى الله عنه - قال : رأيت من الجرجاني سويقا يمسح منه فقلت لماذا لا تأكل طعاما غيره ؟ قال إنى حسبت ما بين للضيق والاستفاف تسعين تسبحة فما مضت الحيز منذ أربعين سنة .

وكان سهل بن عبد الله يأكل فى كل خمسة عشر يوما فإذا دخل رمضان لم يأكل إلا أكلة واحدة ويصبر فى بعض الأوقات عن الطعام سبعين يوما ، وكان إذا أكل خفيف وإذا جاع قوى ، وجاور أبو حماد الأسود فى المسجد الحرام ثلاثين سنة وما روى أنه أكل وشرب ولا يحلو ساحة من ذكر الله .

وحكى أن عمرو بن عبيد كان لا يخرج من منزله إلا لثلاث : للصلاة مع الجماعة ولعبادة المريض ، وحضور الجنائز . ويقول رأيت الناس سراقا وقطاعا للطريق .

العمر جوهر نفيس لا قيمة له فبعضى أن عملا منه خزائن باقية فى الآخرة . واعلموا بأن طالب الآخرة لا يد له من الرهد فى الحياة الدنيا ليصير همه واحدا ، ولا يفترق بخلته من ظاهره ، ولا يمكن حفظ الحال لا بصيغ الطاهر والباطن .

وحكى عن إبراهيم الحاكيم أنه قال كان أبى إذا جاءه اليوم دخل البحر فيسبح فتجتمع إليه حيتان البحر يسبحون معه .

(١) آية (٤١ - ٤٢) سورة الأحزاب



## الباب الثاني عشر

## في ذكر إبليس وعذابه

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنْ تَوَلَّوْا ﴾ (١) إني أمرضوا عن طاعة الله ورسوله يعني لا يقهر لهم ولا يقبل توبتهم كما يقبل توبة إبليس لكفره واستكباره . وتاب على آدم - عليه السلام - وقبل توبته لأنه أقر على نفسه بالذنب ولم يعلل نفسه وهذا وإن لم يكن ذنباً حقيقياً لأن الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - معصومون لا تقع منهم المعصية أبداً لا قبل النبوة ولا بعدها على الصحيح لكنه على صورة الذنب ولذلك قال هو وحواء - عليهما السلام - : ﴿ بَلَّغْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَنْفَرْنَا لَنَرَحِمَنَّكَ لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٢) فندم عليه السلام وأسرع بالتوبة ولم يقطع من رحمة الله تعالى كما قال الله تعالى : ﴿ لَا تَقْطَعْنَا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾ (٣) .

وإبليس لم يقهر على نفسه بالذنوب ولم يندم عليها ولم يندم نفسه ولم يسرع بالتوبة وقطع من رحمة الله تعالى وتكبر . فمن كان حاله مثل حال إبليس لم تقبل توبته ، ومن كان مثل حال آدم قبل الله توبته ، لأن كل معصية أصلها من الشهوة فإنه يرجي غفرانها ، وكل معصية أصلها من الكبر فإنه لا يرجي غفرانها ، ومعصية آدم أصلها من الشهوة ، ومعصية إبليس أصلها من الكبر .

حكى أن إبليس جاء إلى موسى - عليه السلام - فقال له : أنت الذي اصطفاك الله برسالتك وكلمك تكليماً ؟ فقال له موسى نعم فما الذي تريد يا هذا ومن أنت ؟ فقال إبليس يا موسى قل لربك خلق من خلقت قد سألت التوبة ، فأوحى الله إلى موسى قل له إني قد استجبت لك فيما سألت ومعه يا موسى أن يسجد لقبر آدم فإذا سجد له قبلت توبته وغفرت له ذنوبه فأخبره موسى فغضب إبليس واستكبر وقال يا موسى أنا لم أسجد له في الجنة فكيف أسجد له وهو ميت .

وروي أن إبليس يشتد عليه العذاب في النار فيقال له كيف وجدت عذاب الله ؟ فيقول أشد ما يكون فيقال له إن آدم في رياض الجنة فاسجد له واعتل حتى يخفرك فيأبى فيشتد عليه العذاب بقدر عذاب أهل النار سبعين ضعفاً .

وجاء في الخبر أن الله تعالى يخرج إبليس من النار كل مائة ألف سنة ويخرج آدم ويأمره بالسجود له فيأبى ثم يرده إلى النار .

إخواني أن أردم الحجة من إبليس فاعتصموا بالموت واستبدوا به .

إذا كان يوم القيامة يوضع كرسى من النار فيقعد عليه إبليس عليه اللعنة فيجتمع الشياطين

(٢) آية (٢٣) سورة الأعراف

(١) آية (٣٢) سورة آل عمران .

(٣) آية (٥٣) سورة الزمر

والكفار عنده وله صوت كصوت الحمار ينطق ويقول يا أهل النار كيف وجدتم اليوم ما عهد ربكم قالوا أحفأ ثم يقول هذا يوم أبيت فيه من الرحمة فيأمر الله الملائكة أن يضربوه ومن تبعه بمقامع من نار فيهبون فيها أربعين سنة فلا يسمعون الأمر بالخروج أبداً إلا بعد نعوذ بالله منها .

وروي أنه يؤتى إبليس يوم القيامة فيؤمر به أن يجلس على كرسى من نار وعلى عنقه طوق الدعة ويأمر الله - عز وجل - الرابية أن يجره من الكرسى ويلقوه في النار فيتعلقون به ليدفوه فلا يقشرون ثم يأمر الله تعالى جبريل مع ثمانين ألف ملك بذلك فلا يقشرون ثم يأمر إسرافيل ثم عزرائيل ومع كل واحد منهما ثمانون ألف ملك فلا يقشرون فيقول الله تعالى لهم لو اجتمع عليه أصحاب ما خلقت من الملائكة لما قدروا على أن يقتلوه وطوق اللعنة على عنقه .

وروي أن إبليس كان اسمه في سماء الدنيا العابد وفي الثانية الزاهد وفي الثالثة الخائف وفي الرابعة الولي وفي الخامسة التقى وفي السادسة الخار وفي السابعة عز وجل وفي اللوح المحفوظ إبليس وهو غافل حاقبة أمره فأمره الله أن يسجد لآدم فقال أنفضله على وأنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فقال تعالى أن أفعل ما أشاء مرأى لعنه شرفاً فولى آدم ظهره أمانة وكبرا وانتصب قائماً إلى أن سجدت الملائكة المدة المارة فلما رفعوا رؤوسهم ورأوه لم يسجد وهم قد وقوا للسجود سجدوا ثانياً شكراً وهو قائم يرى معرضاً عنهم غير حارم على الانتع ولا بادم على الانتع فسله الله من الصورة البهيبة فكس كخزير وجعل رأسه كرامس البعير وصلبه كسام الجمل الكبير ووجهه كوجه القرد وحينئذ مشقوقين في طول وجهه ، ومنخرته مفتوحين ككوز الحمام ، وشعته كشفتي الثور ، وأنيابه خارجة كأنياب الخنزير وفي لحيته سبع شعرات وطرده من الجنة بل من السماء بل من الأرض إلى الجحيم فلا يدخل الأرض إلا خعية ولعنه إلى يوم الدين لأنه صار من الكافرين .

وانظر كيف كان بهي الصورة وباهي الأجنحة وكثير العلم وكثير العبادة طأوس الملائكة ولعظمتهم ، سيد الكرويين إلى غير ذلك فلم يبق ذلك منه شيئاً ، إن في ذلك لذكرى .

وفي الآخر لما مكر إبليس بكى جبرائيل وميكائيل فقال الله لهما : ما يكيكما ؟ قال : ربنا ما أمنا منك فقال الله تعالى : هكذا كونا لأنامنا مكرى .

وروي أن إبليس قال يارب أخرجنني من الجنة لأجل آدم وأنا لا أقدر عليه إلا بتسلطك قال أب مسلط عليه أي على أولاده بمصحة الأسبء مه ، قال زدني قال لا يولد له ولد إلا ولد لك مثله ، قال زدني قال صدورهم مساكن لك تجري فيها مجرى الدم ، قال زدني قال أجلب عليهم بخيلك ورجلك ، أي استمن عليهم بأهوائك من راكب وماشي وشاركهم في الأموال ، أي يحملهم على كسبها وصرفها في الحرام والأولاد أي بالغت على التوصل إليهم بالسبب المحرم .

كالوطء في الحيف والإشراك فيهم بتسميتهم بسحر عبد العزى ، والتضليل بالحمل على الأديان الباطلة والحرف للحمية والأفعال القبيحة ، وأعدتهم الواعيد الباطلة كشفاة الأكلة والانتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة بطول الأمل وهذا على طريق التهديد كأعمالوا ما شئتم .

فقال آدم يارب قد سلطته على فلا امتنع منه إلا بك قال لا يولد للبشر ولد إلا وكنت به من يحفظه من ابتلائه ، قال ردى قال الحسة بعشر أمثالها ، قال زدنى قال لا أنزع سهم التوبة ما نلت أو واسهم في أيدائهم ، قال زدنى قال أخضر لهم ولا أبالي ، قال اكتفيت .

فقال إبليس يارب جعلت في بني آدم الرسل وأنزلت عليهم الكتب فما وصى قال الكهان ، قال فما كتبت قال الوشم ، قال فما حدثت قال الكذب ، قال فما قرأت قال الشعر ، قال فما مؤدى قال الممار ، قال فما مسجدي قال الأسواق ، قال فما بيتي قال الحمام ، قال فما طعاس قال الذي لم يذكر عليه اسمي ، قال فما شرابي قال لشكر قال فما مصلي قال النساء .

### الباب الثالث عشر

#### في الأمانة

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا ﴾ أي امتنعن عن قبولها ﴿ وَأَخْلَفْنَ بِهَا ﴾ (١) أي خفن من الأمانة أن لا يؤديتها فيلحقهن من العقاب أو تخفن من الخيانة فيها . ومعنى الأمانة في هذه الآية الطاعة والفرائض التي يتعلق بأدائها الثواب والعقاب .

قال القرطبي : الأمانة تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الأقوال وهو قول الجمهور ، واختلف في تفاصيل بعضها .

فقال ابن مسعود : هي أمانة الأموال كالودائع وغيرها ، وروي عنه أنها في كل العرائض وأنها أمانة المان . وقال أبو الدرداء غسل الحجاب أمانة . وقال ابن عمر أول ما خلق الله من إنسان فرجه وقال هذه أمانة استودعتك فلا تلبسها إلا بحق فإن حفظتها حفظت فالمرح أمانة والأذن أمانة والعين أمانة والنساء أمانة والبطن أمانة واليد والرجل أمانة ولا إيمان لمن لا أمانة له .

قال الحسن إن الأمانة عرضت على السموات والأرض والجبال فأضطربت وما فيها فقال الله بها . أحسنت أجزتك وإن أسأت عذبت فقال لا . قال مجاهد قلما خلق الله آدم عرضها عليه . وروى عنه ذلك فقال قد تحملتها .

١ به (٧٢) سورة الأعراف .

ولا يحصى أن عرض هذه الأمانة على السموات والأرض والجبال عرض تحبير لا عرض إلزام ، ولو ألزمهم لم يستمن من حملها .

وقال الفقهاء العرض في هذه الآية ضرب مثل أي أن السموات والأرض والجبال على كبر أجزائها لو كانت بحيث يجوز تكليفها لنقل عليها تقلد الشرائع لما فيها من الثواب والعقاب أي أن التكليف أمر عظيم حقيق أن تعجز عنه السموات والأرض والجبال وقد كلمه الإنسان ، قال تعالى : ﴿ وحملها الإنسان ﴾ أي التزم بحملها آدم بعد عرضها عليه في عالم الذر عند خروج ذرته من ظهره وأخذ الميثاق عليهم ﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (١) أي هو في ذلك الحمل ظلم لنفسه جهول بقدوم ما دخل فيه أو جهول بأمر ربه .

وعن ابن عباس قال عرضت الأمانة على آدم فقبل خنعا بما فيها فإن أطعت غفرت لك وإن عصيت عذبتك قال قبلتها بما فيها ، فما كان إلا ما بين العصر إلى الليل من ذلك اليوم حتى أكل من الشجرة لولا أن تشاركه الله برحمته فتاب عليه وهدي .

والأمانة مشتقة من الإيمان فمن حفظ أمانة الله حفظ الله إيمانه ، قال الله : ﴿ لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له ﴾ (٢) .

قال الشاعر :

تيا لمن وهى الخيانة مهيمًا ••• وأزور من صون الأمانة جانيه

وهي الديانة والرومة فاهتدى ••• تشرى عليه من الزمان مصائبه

وقال آخر :

أخلق بمن وهى الخيانة شيمة ••• أن لا يسرى إلا صريح حوادث

ما زالت الأرزاء ينزل بسؤسها ••• أبنا بنافذ ذممة أو ناكث

وقال رسول الله ﷺ : « يطيع المؤمن على كل خلق ليس بالخيانة والكذب » (٣) وقال رسول الله ﷺ : « لا تزال أمتي بخير ما لم تر الأمانة مغنما والصدق مغرما » وقال ﷺ : « أد الأمانة إلى من ائتمن ولا تخن من خان » (٤) .

(١) آية (٧٢) سورة الأعراف .

(٢) (صحيح) أحمد ٣ / ١٣٨ ، وصحيح الجامع (٧١٧٩) .

(٣) (ضعيف) أحمد ٥ / ٥٥٢ ، وضعيف الجامع (٦٤٣١) والصحيح (٣٢١٥) .

(٤) (صحيح) أبو داود (٣٥٣٤) ، وصحيح الجامع (٢٤٠) .

في صحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « آية المنافق ثلاث : ١ - إذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان (١) . ٢ - أي إذا أئتمنه أحد بكلمة خاتمه بأعمالها ليس برغبة خاتمه بانكارها وعدم حفظها واستعمالها بغير إذنه ، فحفظ الأمانة صفة الملائكة المبررين والأنبياء والمرسلين وشيعة الأبرار المتقين . قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِكُمْ أَنَّ تَقُولُوا أَمْرًا لَمْ يَلُفْهَا ﴾ (٢) قال المفسرون هذه الآية مستعملة على كثير من أمهات الشريعة وليحجب بها عموم المكلفين الولاية وغيرهم فيجب على الولاية إصناف المظنوم وإظهار حقه وحسن حمة وحفظ أموال المسلمين لأصنامها اليتامى ، ويجب على العلماء تعليم العوام أحكام دينهم بغير أمانة اختار لحفظها العلماء . ويجب على الوالد رعاية ولده بحسن التأديب إذ هو أمانة عنده . وقال ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » (٣) .

وفي زهر الرياض يؤتى بالعيد يوم القيامة فيوقف بين يدي الله تعالى فيقول الله تعالى : أرعدت أمانة فيقول لا يدرب فيأمر الله تعالى ملكا فيأخذ بيده وينطلق به إلى جهنم ويريه الأمانة بعينها في قبر جهنم فيهرى فيها سبعين عاما حتى يتنهي إلى قبرها ثم يصعد بالأمانة فإذا بلغ أعلى جهنم زالت قدمه بهوى فيها ، كذلك ثم يصعد ثم يهبط وهكذا حتى يدركه لطف ربه بشفاعه الصلي ﷺ فيرضى عنه صاحب الأمانة .

وروى عن سلمة قال : بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ أتى بجنارزة ليصلى عليها . فقال هل عليه دين قالوا لا فصلى عليها ثم أتى بجنارزة أخرى فقال هل عليه دين قالوا نعم قال فهل ترك شيئا قد قتلوا ثلاث دنانير فصلى عليها ثم أتى بثلاثة فقال هل عليه دين قالوا نعم فقال ﷺ هل ترك شيئا قالوا : لا قال : صلوا على صاحبكم . وعن قتادة - رضي الله عنه - قال : « قال رجل يا رسول الله لو أريت إن قتلت في سبيل الله صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر يكثر الله عنى خطاياى قال نعم فلما أدير الرجل تاداه فقال يضر الله للشهيد كل قلب إلا الدين » (٤) .

### الباب الرابع عشر

#### في إتمام الصلاة بالخضوع والخشوع

« وَتَبَارَكَ الَّذِي مَلَكَ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ . أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ فِتْنَةً أَنْ يَقُولُوا لَنَا مَرْءٌ مِثْلُنَا وَهُمْ لَا يُفْقَهُونَ ﴾ (٥) .

إعلم أن الخشوع منهم من يجعله من أفعال القلوب كالحروف والرهبة ومنهم من يجعله من أفعال الجوارح كالسكون وترك الإلتفات والعبث . وقد اختلفوا في الخشوع هل هو من فرائض الصلاة أو من قصائدها على قولين . واستدل من قال بالأول بحديث : « ليس للمعب من صلاته إلا ما عقل » ، ويقولون تعالى ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ (١) والعملية تصادف الذكر ولهذا قال تعالى ﴿ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (٢) .

أخرج البيهقي عن محمد بن سيرين قال نبئت أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء مرت الأمانة . وراد عبد الرزاق عنه فأمره بالخشوع فرمى بصره نحو مسجده . وأخرج الحاكم والبيهقي عن أبي هريرة كان ﷺ إذا صلى رفع بصره إلى السماء فترلت هذه الآية فطأها رأسه .

وروى عن الحسن أن النبي ﷺ قال : « مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار على باب أحدكم كثير لذه يقتل فيه كل يوم خمس مرات فهل يبقى بيلته من الدون شيئا » (٣) يعني أن الصلوات تظهر من النوب ولا تبقى منها شيئا فيما دون الكيثار وهذا إذا صلى بخشوع وحضور قلب وإلا فهي مردودة عليه وقال ﷺ : « إنما فرخت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت المناسك لإقامة ذكر الله تعالى » فإذا لم يكن في قلبك المذكور الذي هو المقصود والمبتغى غفلته ولا هيته فما قيمة ذكرك . وقال ﷺ : « من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا » (٤) .

وقال بكر بن عبد الله يا ابن آدم إذا شئت أن تدخل على مولاك بغير إذن وتكلمه بلا ترجمان دخلت ، قيل وكيف ذلك قال تسبغ وضوءك وتدخل محرابك فإذا أنت قد دخلت على مولاك بغير إذن فتكلمه بغير ترجمان .

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت كان رسول الله ﷺ يحدثنا ويحدثه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم يعرفه أشتمالا بعظمة الله عز وجل وقال ﷺ : « لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه » .

وكان إبراهيم الخليل إذا قام إلى الصلاة يسمع وحجب قلبه على مبلين . وكان سعيد التنوخي إذا صلى لم تنقطع الدموع من خلفه على لحيته . ورأى رسول الله ﷺ رجلا يعبث بلحيته في

(١) آية (١٤) سورة طه

(٢) آية (٢٠٥) سورة الأعراف

(٣) صحيح (صحيح) مسم (٦٦٧-٦٦٨)

(٤) صحيح (صحيح) الطبراني (١) / ٥٤ ، وصحيح الجامع (٥٨٣٤)

١ - صحيح بخاري (٣٣) و٢٦٨٢ و٢٧٤٩ . (٢) آية (٥٨) سورة النمل .

٢ - صحيح بخاري (٢٥٥٤) . (٣) صحيح أحمد (٢٢٠) ، وصحيح الجامع (٨١١٩)

٣ - سورة طه



الصلاة فقال : « لو شئت قلب هذا خشعت جوارحه »<sup>(١)</sup>

وروى أن علياً كرم الله وجهه كان إذا حضرت الصلاة يتزلزل وتلون وجهه فيقال له مالك يا أمير المؤمنين فيقول جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها . وروى عن علي بن الحسين أنه كان إذا توشأ أصفر لونه فيقول له أهله ما الذي يمتريك هذا الوضوء فيقول أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم .

ويروى عن حاتم الأصم أنه سئل عن صلته فقال إذا حانت الصلاة أمسحت الوضوء وأنت الموضع الذي أريد الصلاة فيه فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحي ثم أقوم إلى الصلاة أجعل للكمة بين حاجبي والصراط تحت قدمي والجنة عن يميني والنار عن شمالي ومالك الموت ورائي وأقنها آخر صلاتي أقوم بين الرجل والخوف وأكبر تكبيرا يتحقق وأقرأ قراءة يترئيل وأركع ركعاً يتواضع وأمسجد سجوداً يتخشع وأقعد على الورك الأيسر وأفرش ظهر قدمي وأصعب القدم اليمنى على الإبهام وأتبعها بالإخلاص ثم لا أدرك أقبلت مني أم لا .

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - ركعتان مفصلتان في تفكير خير من قيام ليلة والقلب

وقال رحمه : « يأتي في آخر الزمان ناس من أمته يأتون للمساجد فيقعدون فيها حلقة فذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا يجالسهم فليس لهم بهم حاجة » .

وعن الحسن أن النبي ﷺ قال : « ألا أخبركم بأمر الناس سرقة قالوا من هو يا رسول الله قال الذي يسرق من صلاته ، قالوا كيف يسرق من صلاته قال لا يتم ركوعها ولا سجودها »<sup>(٢)</sup> وقال رحمه : « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فإن قد أتتها حزين عليه الحساب وإن كان قد انتفع منها شيئاً قال الله تعالى خلانكته هل لعبدي من تطوع فأتوا القرية منه »<sup>(٣)</sup> وقال رحمه : « ما أعطى عبد عطاء خيراً من أن يؤد له في ركعتين يصليهما » .

وكان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إذا أراد القيام إلى الصلاة ترتعد فرائضه وتصلب أسنانه فقبل له ما ذلك قال حين وقت أداء الأمانة وفناء القرينة ولا أدري كيف أودعها .

حكى : عن خلف بن أيوب أنه كان قائماً في الصلاة فدخله زبور لسائل منه الدم وهو لا يشعر حتى خرج ابن سميد فأعلمه بذلك فعمل ثوبه فقبل له يلدخك زبور ويسيل منك الدم ولم

تسمر به فقال أشعر بمثل هذا من يكون وإنما بين يدي الملك لجبار ومالك الموت على قفاه والسار عن شماله والصراط تحت قدميه .

ووقعت الأكلة في يد عمرو بن در وكان جبلاً في الزهد والعبادة فقال له الأعباء لا بد لك من قطع هذه اليد فقال أقطعوها فقالوا لا تقدر على قطعها إلا أن تشدك بالجبال فقال لا ولكن إذا شرعت في الصلاة فاطعموها حيث شئت ، فلما دخل في الصلاة لصعت يده ولم يشعر بذلك .

### الباب الخامس عشر

#### فصل في آداب العبادة والنهي عن المنكر

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « من صلى على مرة خلق الله تعالى من نفس الصلوة غمامة يضاء ثم يأمرها الله تعالى أن تأخذ من بحر الرحمة فتأخذ ثم يأمرها الله تعالى أن تخطر فإذا أمطرت ، فأى قطرة قطرت عن الجبال يخلق الله تعالى منها الفضة ، وأى قطرة قطرت على كافر رزقه الله تعالى الإيمان »<sup>(١)</sup> .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾<sup>(٢)</sup> قال الكلبي هذه الآية تتضمن بيان حال هذه الأمة في الفضل على غيرها من الأمم ، وفيها دليل على أن هذه الأمة الإسلامية خير الأم على الإطلاق وأن هذه الأخيرة مشتركة بين أول هذه الأمة وآخرها بالنسبة إلى غيرها من الأمم ، وإن كانت متعاضدة في ذاتها كما ورد في فضل الصحابة على غيرهم . ومعنى أخرجت : أظهرت للناس أى لنفعهم ومصلحتهم في جميع الأعصار حتى تميزت وعرفت .

وقوله تعالى : ﴿ تَأْمُرُونَ بِالْعُرْوَةِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾<sup>(٣)</sup> .

كلام مستأنف يتضمن بيان كونهم خير أمة ما يشتمل عليه من أنهم خير أمة ما أنعموا على ذلك وأنصفوا به فإنما تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر زال عنهم ذلك ، فجعلهم الله خير الناس لأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقاتلون الكفار ليلسوا فترجع منعتهم على غيرهم كما قال رحمه : « خير الناس من ينه عن الناس وسر الناس من يصر الناس »<sup>(٤)</sup> .

(١) لوائح الرضع ظاهرة عليه

(٢) آية (٣٠) سورة آل عمران

(٣) أورد المصنف في كشف المعاني ١١ / ٤٧٢ ، وقال : لم أر من ذكره حديث ، فراجع ، لكن معناه

سبح

ومعناه بلفظ : « خير الناس أئمة الناس » وهو حديث (حسن) انظر (صحيح الجامع) (٣٢٨٩)

(١) (موضوع) البيهقي ٢ / ٢٨٩ ، والضعيف (١١٠) ، وضميف الجامع (٤٨٦١)

(٢) (صحيح) أحمد ٣ / ٥٦ ، وصحيح الجامع (٩٨٦)

(٣) (صحيح) أحمد ٤ / ٦٥ ، وابن ماجه (١٤٢٦) ، وصحيح الجامع (٢٥٧٤)

« تؤمن بالله » أى تصدقون بتوحيد الله وتثبتون على ذلك وتقررون أن محمدًا نبي الله ، من كرم محمد ﷺ لم يؤمن بالله لأنه يزعم أن الآيات المعجزات اتى بها من عند نفسه .

وقال ﷺ : « من رأى منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فقلبه وذلك سبب الإيمان » . يعنى أضعف فعل أهل الإيمان .

قال بعضهم التفتيز باليد للأمراء ، وباللسان للعلماء ، وبالقلم للعوام . قال بعضهم : « من يفسد على ذلك فالواجب عليه أن يغيره كما قال الله تعالى : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ (١) الآية . ومن التعاون الحث عليه وتسهيل طرق الخير اليه وسد سبل الشرور والعدوان بحسب الإمكان .

وقال ﷺ فى حديث آخر : « من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً ومن أعان صاحب بدعة أمته الله يوم الموعظ الأكبر ومن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله فى أرضه وخليفة كتابه وخليفة رسوله » (٢) .

عن حديثه : « رضى الله عنه . قال يأتى على الناس زمان لأن تكون فيهم جيفة حملة أحب إليهم من مؤمن يأمرهم وينهاهم .

قال موسى يا رب ما جزاء من دها أخاه وأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر ؟ قال أكتب له بكل ليلة عبادة سنة وأستحي أن أحلجه يثارى .

وفى الحديث القدسى يقول الله تعالى : « يا ابن آدم لا تكن من يؤخر التوبة ويطول الأمل يرجع إلى الآخرة بغير عمل ، يقول قول العاصي ويعمل عمل المنافق ، أن أعطى لم يتق وأذ نتج لم يصبر ، ويحب الصالحين وليس منهم ، ويحضر المنافقين وهو منهم ، يأمر بالخير ولا يحله ، وينهى عن الشر ولم يتعه » .

وعن على كرم الله وجهه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « سيأتى قوم فى آخر الزمان يحدث الأسنان نواقص العقل يقولون من قول خير البرية لا يجاوز حناجرهم ، يعرفون من دين كما يعرف السهم من الرمية » (٣) .

وقال رسول الله ﷺ : « رأيت ليلة أسرى بى إلى السماء رجلاً تقرض شملهم بمناوئس من النار قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء خطباء أمته الذين يأمرون الناس بالبر وينهون أنمهم

(١) آية (٢) سورة المائدة .

(٢) (موسوع) كتب الحناء ٢ / ٣٠٨ ، وقال : قال الفراء . موسوع

(٣) (صحيح) البخارى (٦٩٣٤) ، ومسلم (١٤٣-١٤٥)

كما قال الله تعالى فى حقهم ﴿ تأمرؤن الناس بالبر وتنهون أنفسكم وأنتم تطرون الكتاب أفلا تعلمون ﴾ (١) يعنى تلتون كتاب الله ولا تعملون بما فيه فكانوا يأمرؤن بالصدقة ولا يصدقون .

يجب على المؤمنين أن يأمرؤا وينهؤا عن المنكر ولا يسوا أنفسهم كما قال الله تعالى ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرؤن بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ﴾ (٢) الآية . فقد نمت المؤمنين بأن يأمرؤا بالمعروف فالذى هجر الأمر بالمعروف خارج عن هؤلاء المؤمنين المحبوبين فى هذه الآية . وقد ذم الله أقواماً بترك الأمر بالمعروف فقال : ﴿ كانوا لا يتعاونون عن منكر فظوه لبس ما كانوا يفعلون ﴾ (٣)

روى عن أبى الدرداء - رضى الله عنه - أنه قال لتأمرؤن بالمعروف ولتنهؤن عن المنكر أو ليلطن الله عليكم سلطاناً ظالماً لا يجعل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدهو خياركم فلا يستجيب لهم ويستصرون فلا ينصرون ويستفرون فلا يففرون لهم .

وعن عائشة - رضى الله عنها - قال رسول الله ﷺ : « طلب الله أهل قرية فيها ثمانية عشر ألفاً عملهم عمل الأنبياء قالوا يا رسول الله كيف ؟ قال لم يكونوا يفتخرون لله ولا يأمرؤن بالمعروف وينهون عن المنكر » .

وقال أبو ذر الغفارى قال أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - يا رسول الله هل من جهاد غير قتال المشركين فقال رسول الله ﷺ : « نعم يا أبا بكر إن لله مجاهدين فى الأرض أفضل من الشهداء أحياء مرزوقين يمشون على الأرض يباهى الله بهم ملائكة السماء وتزين لهم الجنة كما تزينت أم سلمة لرسول الله ﷺ ، فقال أبو بكر - رضى الله عنه - يا رسول الله ومن هم قال : الأمرون بالمعروف والنهون عن المنكر والمحبون فى الله وللبغضون فى الله ثم قال والذي نفسى بيده إن العبد ليكون فى الخرفة فوق الغرقات لرقى غرف الشهداء لكل غرفة منها ثلثمائة باب منها الياقوت والزمرد الأخضر ، على كل باب نور وأن الرجل منهم ليتزوج بثلاثمائة ألف حوراء قاصرات الطرف حين ، كلما التفت إلى واحدة منهن فنظر إليها تقول له أتذكر يوم كنا وكنا أموت فيه بالمعروف ونهيت عن المنكر ، وكلما التفت إلى واحدة منهن ذكرت له مقاماً أمر فيه بالمعروف ونهى عن المنكر » .

وفى الخبر أن الله تعالى قال : « يا موسى هل عملت لى عملاً قط قال لى صليت لك وصمت لك وتصدقت لأجلك وسجدت لك وحمدت لك وقرأت كتابك وذكرتك » . قال الله تعالى : « يا موسى أما الصلاة فلك برهان وأما الصوم فلك جنة وأما الصدقة فلك ظل وأما

(١) آية (٢) سورة التوبة

(٢) آية (٣) سورة البقرة .

(٣) آية (٧٩) سورة المائدة

النبيح ملك نور ، حمل عصا لي ، قال موسى دلني يارب على عمل أعمله لك قال يا موسى هل واليت لي وليا فظ و هل عادت لي عدوا قط ، فعلم موسى أن أفضل الأعمال الحب لله والأولياته والبغض لله ولاعناته .

وقال أبو عبيدة بن الجراح -رضي الله عنه- قلت يا رسول الله : « أي الشهادة أكرم على الله عز وجل : قال رجل قام إلى وال جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله ، فإن لم يقتله فإن القلم لا يجري عليه بعد ذلك وإن عاش ما عاش <sup>(١)</sup> وقال الحسن البصري رحمه الله قال رسول الله ﷺ : « أفضل شهادة أمتي رجل قام إلى إمام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك فذلك الشهيد منزلة في الجنة بين حمزة وجعفر » <sup>(٢)</sup>.

وأوحى الله إلى يوشع بن نون -عليه السلام- أني مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم فقال يارب هؤلاء الأشرار لما بال الأخير قال : إني لم يفضيوا لبعضي وواكلوهم وشاربوهم .

وهن نفس -رضي الله عنه- قال : « فلنا يا رسول الله ألا تأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ، ولا نهى عن المنكر حتى نجتنه كله ؟ فقال ﷺ بل مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله ، وانها عن المنكر وإن لم تحبوه كله . وأوحى بعض السلف بنيه فقال إذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر وليتن بالثواب من الله ، فمن وثق بالثواب من الله لم يجد مس الأذى .

### الباب السادس عشر

#### في معاداة الشيطان

يجب على المؤمن أن يحب العلماء والصلحاء ويلازم مجالستهم ويسأل ما لا بد له ويحفظ بصحبهم ، ويجنب لأعداء القبيحة ويتجنب الشيطان عدوا كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ <sup>(١)</sup> أي ، فعادوه بطاعة الله تعالى ولا تطيعوه في محاسن الله تعالى وكونوا على حذر منه في جميع أحوالكم وأفعالكم وعقائدكم عن صميم قلوبكم ، وإذا فعلتم فعلا فتخطوا له فإنه ربما يدخل عليكم فيه الرياء ويزين لكم القبايح واستعينا عليه بربكم .

قال عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- خط لنا رسول الله ﷺ خطا وقال : هذه سبيل الله

(١) (صحيح) مجمع الزوائد ٧ / ٢٧٢ ، وراه إلي (البزار) وقال : فيه من لم أمره فتنان

(٢) الخلف السادة المتقي ٧ / ١٢

(٣) آية (٦) سورة فاطر

ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله ثم قال هذه سبيل علي كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم بلا : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَطُرُقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ <sup>(١)</sup> فبين لنا ﷺ كثرة طرق الشيطان <sup>(٢)</sup>.

روى : عن النبي ﷺ أنه قال كان راهب لي بنى إسرائيل لعمد الشيطان إلى جارية فختنها وألقى لي قلوب أهلها أن دورها عند الراهب فأتوا بها إليه فأبى أن يقبلها فلم ير الوا به حتى قبلها فلما كانت عنده ليحالجها أتاه الشيطان فزين له مقاربتها ولم يزل به حتى واقمها فحملت منه فوسوس إليه وقال الآن تفتضح بأتيك أهلها ماقتلها فإن سألتك فقل ماتت مقتلتها ودمها ماتي الشيطان أهلها فوسوس إليهم وألقى في قلوبهم أنه أسبلها ثم قتلها هو ودفنها فأتاه أهلها فسألوها عنها فقال ماتت فأخلوه ليقتلوه بها فأتاه الشيطان فقال أنا الذي خنتها وأنا الذي ألقى في قلوب أهلها ما طعنتي تنج وأخلصك منهم ، قال مجاهد قال اسجد لي سجدتين ففعل فقال له اني يرى منك . فهو الذي قال الله تعالى فيه : ﴿ كَذَّبَ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ ﴾ <sup>(٣)</sup>.

وروى أن إبليس سأل الشافعي -رضي الله عنه- ما قولك فيمن عطفني كما اختار واستعملني فيما اختار وبعد ذلك إن شاء أدخلني الجنة وإن شاء أدخلني النار أعدل في ذلك أم جار ؟ نظري كلامه ثم قال يا هذا أن كان خلقت لا تريد أنت فقد ظلمت وإن كان خلقت لما يريد هو فلا يستل عما يفعل ، فأضجع لي إلى أن صار لاشيء ثم قال والله يا شافعي لقد أخرجت بمسئتي هذه سبعين ألف عابد من ديوان العبودية .

واعلم أن مثال القلب مثال حصن والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن فيملكه ويستولي عليه ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو إلا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومخارج ثلجه ولا قدر على حراسة أبوابه من لا يترهبها .

فحماية القلوب عن وسوس الشيطان واجب وهو فرض عين على كل مكلف وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو أيضا واجب ولا يتوصل إلى دفع الشيطان إلا بمعرفة مداخله فصار معرفة مداخله واجبة ، ومداخله وأبوابه صغات البدن وهي كثيرة .

منها الغضب والشهوة : فإن الغضب غول العقل وإذا ضعف العقل هجم جند الشيطان ومهما غضب الإنسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبي بالكرة . وقد ذكر أن بعض الأولياء قال لإبليس أرمي كيف تعلب ابن آدم فقال أحده عند سمع وعند الهوى .

(١) آية (٥٣) سورة الأنعام

(٢) (صحيح) البخاري (٦٤١٨) .

(٣) آية (١٦) اخضر .

ومنها الجسد والخرص : فمهما كان العبد حريصا على كل شيء أحمله حرصه وأصممه بجهنم بعد الشيطان فرصة فيحسن عندا لم يصب كل ما يوصله إلى شهوته وإن كان مكرا فاحشا ، فقد روى أن نوحا - عليه السلام - لما ركب السفينة حمل فيها من كل زوجين اثنين كما أمره الله تعالى فرأى من السفينة شيئا لم يعرفه ، فقال له نوح ما أدخلك فقال دخلت لأصيب قلوب أصحابك فتكلم قلوبهم معي وأبدانهم معك ، فقال نوح أخرج منها ما عدو الله فأتاك فعين فقال له إبليس حمس أهلك بهن الناس وسأحدثك سهو بثلاث ولا أحدثك بآثتين فأوحى الله إلى نوح أنه لا حاجة لك بالثلاث فليحدثك بالآثتين فقال له نوح ما الاثنتان فقال هما قلتان لا تكذبني هما الثناتان لا تخلفني بهما أهلك الناس الحرص والحسد فبالحسد لعنت وجمعت رجسهما ، وأما الحرص فإنه أبيع لأدم الجنة كلها إلا الشجرة فأصابت حاجتي منه بالحرص .

ومنها المشيع من الطعام وإن كان حلالا حافيا : فإن المشيع يقوى الشهوات وهي أسلحة الشيطان .

فقد روى أن إبليس ظهر ليحيى - عليه السلام - فرأى عليه معاليق من كل شيء فقال له يا إبليس ما هذه المعاليق قال هذه الشهوات التي أصبت بها ابن آدم فقال فهل لي فيها من شيء قال ربما شجعت فتفلك من الصلاة وعن الذكر قال فهل غير ذلك قال لا قال لله على لا أملا بطي من الطعام أبدا فقال له إبليس والله على أن لا أنصح مسلما أبدا .

ومنها حب التزين من الأثاث والثياب والدور : فإن الشيطان إذا رأى ذلك خالبا على قلب الإنسان يافس فيه ، وفرخ فلا يزال يدهوه إلى صمارة الدار وتزيين مقولها وحيطاتها وتوسيع أبنيتها ويدهوه إلى التزيين بالثياب والدواب ويستحسر فيها طول صمره فإذا أوقعه في ذلك فقد استمعى أن يهود إليه ثنية فإن بعض ذلك يجره إلى البعض إلى أن يصدق إليه أجله ليموت وهو في سبيل الشيطان واتباع الهوى ويخفى من ذلك سوء العاقبة نموذ بالله .

ومنها الطمع في الناس : فقد روى صفوان بن سليم أن إبليس مثل لعبد الله بن حنظلة فقال له يا ابن حنظلة اعط حتى شيئا أعلمك به فقال له لا حاجة لي به قال فتنظر إن كان خيرا أعطت وإن كان شرا رددت يا ابن حنظلة لا تسأل أحنا خبر الله سؤال رغبة وتنظر كيف إذا خلصت فإنني أملكك إذا عصيت .

ومنها المعجلة وترك الثبوت في الأمور قال : « المعجلة من الشيطان والثاني من الله تعالى فعند الاستمجال يروج الشيطان شره على الإنسان من حيث لا يدري » (١)

(١) (حسن) البيهقي ١/ ١٠٤ و ١٠٥ ، وكشف المحجوب ١/ ٣٥٠

فقد روى أنه لما ولد عيسى ابن مريم - عليه السلام - أتت الشياطين إبليس فقالوا لو أصبحت الأصنام قد نكست رؤوسها فلك هذا حادث قد حدث مكانكم فطار حتى أتى خافض الأرض فلم يجد شيئا فوجد عيسى عليه السلام قد ولد وإذا بالملائكة حافين به فرجع إليهم فقال إن نبيا قد ولد الباهرة ما حملت أنثى قط ولا وضعت إلا وأنا حاضرها إلا هذا فابتسوا من أن تعبد الأصنام بعد هذه البيلة ، ولكن اتوا بنى آدم من قبل المعجلة والخفة .

ومنها الدراهم والنفائير وسائر أصناف الأموال من العروض والنبواب والعقل فإن كل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان . قال ثابت البناني لما بعث رسول الله ﷺ قال إبليس لشياطينه لقد حدث أمر فانظروا ما هو فانطلقوا حتى أحيوا ثم جاءوه وقالوا ما ندري قال أنا أتيتكم بالخبر فلبث ثم جاء وقال قد بعث الله محمد ﷺ قال فجعل يرسل شياطينه إلى أصحاب النبي ﷺ فينصرفون خائبين ويقولون ما صحبتنا برما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون إلى صلاتهم فيمحق ذلك . فقال لهم إبليس رويدا عسى الله أن يفتح لهم الدنيا فتصيب منهم حاجتنا

ومنها البخل وخوف الفقر فإن ذلك هو الذي يمنع من الإتفاق والتصدق ويدهو إلى الإحار والكره والمذاب الأليم . ومن آفات البخل الحرص على ملازمة الأسواق لجميع المال وهي معيش الشياطين .

ومنها التعصب للمذاهب والأهواء والتحق على الخصوم والنظر لهم بعين الاحتقار وذلك مما يهلك العباد والعساق جميعا . قال الحسن - رضي الله عنه - بلغنا أن إبليس قال سولت لأمة محمد ﷺ المعاصي فقصرها ظهوري بالاستعمار فسول لهم دين لا يستمعرون الله منها وهي الأهواء وقد صدق الملعون فإنهم لا يعلمون أن في ذلك من الأسباب التي تجر إلى المعاصي فكيف يستمعرون منها .

ومنها سوء الظن بالمسلمين فيجب الاحتراز عنه وعن تهمة الأشرار فمهما رأيت إنسانا يسيء الظن بالناس طلبا للعيوب فاعلم أنه خبيث باطل وأن ذلك خبيث يترشح منه فيجب على الإنسان قطع هذه الآثواب من العبد وبعثه عليها ذكر الله تعالى .

قال ابن اسحاق لما رأى كسار قریش هجرة الصحابة وعرفوا أنه صار له ﷺ أصحاب من غيرهم فحلوا عروجه وعرفوا أنه أجمع لحربهم فاجتمعوا في دار الندوة وهي دار قصي بن كلاب وسميت بذلك لا اجتماع الندى فيها يتشاورون ، وكانت قریش لا تقضى أمرا إلا فيها ولا يدخلون فيها غير قریش إلى أن يبلغ أربعين سنة بحلاف القریش وقد أدخلوا أبا جهل واجتمعوا يوم السبت ولما ورد يوم السبت يوم مكر وخديعة ومعهم إبليس في صورة شيخ مجذو . وذلك أنه وقف على باب الدار في هيئة شيخ جليل عليه بت قيل كساء قليل أو طيسان من خز فقالوا ممن

الشبح قال من يجد سمع بالذي أهدم له فحضر لسمع ماتقولون وعسى أن لا يعلمكم رأيا  
 يصحاح . قالوا ادخل فدخل فتشاوروا في أمر النبي ﷺ وكانوا مائة رجل وقيل كانوا خمسة عشر  
 رجلا فقال أبو النحرى المقتول كما أريد أحبوه في الحديد وأخذوا عليه بابا ثم تربصوا به ما  
 أصاب أشباهه من الشعراء قبله ، فقال النجدي ما هذا يرى والله لو جستموه في الحديد ليخرجن  
 أمره من وراء الباب الذي الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه فلا وشكوا أن يتبوا عليكم فيستعوه من  
 أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم . ما هذا يرى فانظروا في غيره فقال الأسود ابن  
 ربيعة بن عمرو العامري نخرج من بين أظهرنا فتية من بلادنا فلا نبالي أين ذهب فقال النجدي  
 لعنة الله والله ما هذا يرى أقم حسن حديثه وحلاوة منطجه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي  
 به والله لو فعلتم فلذلك ما أمنت أن يحل على حى من العرب فيغلب بذلك عليهم من قوله حتى  
 يتابعوه عليكم ثم يسير بهم اليكم فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد أجهروا فيه رأيا غير  
 هذا فقال أبو جهل والله إن لى فيه رأيا ما أراكم وقمتهم عليه ، أرى أن تأخذوا من كل قبيلة فتى  
 شابا جلدا نسياً وسيطا ثم يعطى كل فتى منهم سيفاً صارما ثم يعملوا إليه فيفسدوه ضربة رجل  
 واحد فيقتلوه فيستريح منه ويفرق دمه في القبائل فلا تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم  
 جميعاً فنمقله لهم . فقال النجدي لعنة الله القوم ما قال لا أرى غيره فاجمع رأيهم على قتله ﷺ  
 ففروا على ذلك ثم أتى جبريل النبي ﷺ فقال لا تبت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت  
 عليه فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرمونه حتى ينالوا فيه فأمروا عليه السلام - علياً فنام  
 مكانه وغلب يرد له ﷺ أخضر كان يشهد به الجمعة والعينين بعد ذلك عند فعلهما فكان على أول  
 شرى نعه في الله ووفى بها رسول الله ﷺ وفى ذلك يقول على رضى الله عنه ( شعر ) :

وقيت يرمى خير من وطئ الثرى \* \* \* ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر  
 رسول الله غصاف أن يمكروا به \* \* \* فنجاه ذو الطول الإله من المكر  
 وبات رسول الله في الدار آتناً \* \* \* موقى ومى حفظ الإله ومى ستر  
 وبأراعيهم ومسايتهمونى \* \* \* وقد وطئت نفسى على القتل والأسر

ثم خرج ﷺ من الباب عليهم وقد أخذ الله على أيصارهم فلم يره أحد منهم ويتر على  
 رؤسهم كلهم تراءيا كان في يده وهو يتلو قوله تعالى : ﴿ هـ ﴾ (١) إلى قوله : ﴿ فأغنيهم فهم لا  
 يهرون ﴾ (٢) ثم انصرف حيث أراد فأتاهم أت من لم يكن معهم فقال ما تنتظرون ههنا قالوا  
 محمداً قال قد حبكم الله ولله حرج عليكم ثم ما نرك منكم رجلاً إلا وضع على رأسه ثم اجتمعوا  
 وانطلقوا لحاجته فما ثروا ما بكم ؟ فوضع كل رجل يده على رأسه فافا عليه ثواب ثم جمعوا

(١) سورة يس . (٢) آية (٩) سورة يس

يطعمون فيرون علياً على المرائش متسجياً بردة رسول الله ﷺ فيقولون والله إن هذا لمحمد تائب  
 عليه برده فلم يزالوا كذلك حتى أصبحوا قد قدم على من الفرائش فقالوا لقد صدقت الذي كان يحدثنا  
 . وفى هذا نزل قوله تعالى : ﴿ وإذا ينكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك ﴾ (١) .

لا تخرج من فمك تيسير \* \* \* وكل شيء له وقت وقته وتفتت  
 وللمقدر في أحوالنا نظير \* \* \* وغشوق تدهيرنا لله تدهير

ثم أذن الله تعالى لبيه ﷺ في الهجرة . قال ابن عباس بقوله تعالى : ﴿ وقل رب أدخلنى  
 مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدك سلطاناً نصيراً ﴾ (٢) وأمره جبريل أن  
 يستصحب أبي بكر - رضى الله عنه - .

روى الحاكم عن علي - رضى الله عنه - أن النبي ﷺ قال جبريل من يهاجر معي قال أبو بكر  
 الصديق وأخبر ﷺ علياً بمخرجه وأمره أن يتخلف بعده حتى يؤدي عنه الودائع التي كانت عند  
 الناس .

وروى الطبراني في حديث أسماء كان النبي ﷺ يأتيها بكراً كل يوم مرتين بكراً وحشية فلما  
 كان يوم من ذلك جاءها في الظهيرة فقالت يا أبت هذا رسول الله ﷺ متقنعا أي مغطياً رأسه في  
 ساعة لم يكن يأتيها ، قال أبو بكر - رضى الله عنه - فدي له أبي وأمي والله ما جاء به لي هذه  
 الساعة إلا أمر .

قالت عائشة - رضى الله عنها - فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن له أبو بكر فدخل فحضر أبو بكر  
 إنما هم أهلكت يعني عائشة وأسماء . وفي رواية قال أبو بكر لا عين عليك إنما هما ابنتاي فقال ﷺ  
 فإنه قد أذن لي في الخروج فقال أبو بكر العصابة بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال نعم قالت  
 عائشة - رضى الله عنها - فرأيت أبا بكر يبكي وب كنت أحسب أن أحدا يبكي من المرح فقال أبو  
 بكر فخذ بأبي أنت وأمي يا رسول الله إحدى راحتي هاتين قال ﷺ لا بل بالشمن . وفي رواية  
 فقال بشمتها إن شئت ، وإنما أخذها بالشمن لتكون هجرته ﷺ إلى الله تعالى بنفسه وماله وغبته منه  
 عليه في استكمال فضل الهجرة إلى الله تعالى . قالت عائشة فجهزناهما أحث أي أسرع الجهازا ،  
 وصعدنا لهما سفرة أي راداً في جراب ، راد الوعدى أنه كان في السفرة شاة مطبوخة قالت  
 ففعلت أسماء قطعة من نطفها يكسر الثون ما يشد به الوسط . قالت عائشة - رضى الله عنها - ثم  
 لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر يعار ثور فكما فيه ثلاث ليال وهو جبل بمكة نزل ثور بين عبد صاة  
 فسب له

(١) آية (٣٠) سورة الأنعام . (٢) آية (٨٠) سورة الإسراء

وروي أنهما خرجا من غوفة أي باب صغير لأبي بكر في ظهر بيته ليلاً إلى الغار

وروي أن أبا جهل لقيهما فأعصى الله بصره فنهض حتى مضى ، قالت أسماء بنت أبي بكر ح - أبو بكر بماله خمسة آلاف درهم ولما فقدت قريش رسول الله ﷺ طلبوه بمكة أهلها وأسفلها ، من الثغمة جمع قائف وهو الذي يعرف الأثر في كل وجه فوجدوا في وجهه ثور أثره هناك منه برء ينمعه حتى انقطع الأثر لما انتهى إلى ثور وشق حتى قريش خروجه وجزوا لذلك وجعلوا مائة ناقة لمن يردّه .

وروي أنه لما دخلوا الغار وأبو بكر معه أنبت الله علي باب الرامة وهي شجرة معروفة بأم قبيلان فصعبت عن الغار وأرسل حمامتين وحشيتين فرقتا علي وجهه فعششتا علي بابيه وأن ذلك مما صد المشركين عنه وأن حمام الحرم من تينك الحمامتين .

ثم أقبل قتيان قريش من كل بطن بعضهم وهراويهم وسوقهم فجعل بعضهم ينظر في الغار فرأي حمامتين وحشيتين يعم الغار فرجع إلي أصحابه فقالوا له ما لك فقال رأيت حمامتين وحشيتين فعرفت أنه ليس فيه أحد فسمع النبي ﷺ ما قال فعلم أن الله قد دواهم وقال آخر ادخلوا الغار فقال أمية بن خلف وما أربكم أي حاجتكم إلى الغار إن فيه لعنكبوت أقدم من ميلاد محمد لو دخل لكسر البيض وتمسح العنكبوت . وهذا أبلغ في الإصغار من مقارفة القوم بالجورد ، فتأمل كيف أظلت الشجرة المطلوب وأغفلت الطالب وجاءت عنكبوت فسدت باب الطلب وحاصت وجه المكان فصاكت ثوب سجها حتى عمي علي القائف الطلب ولقد حصل لها بذلك الشرف وما أحسن قول ابن القيم :

ودود القز إن نسجت حريرا • • • يجعل لبيته في كل شيء

فإن العنكبوت أجل منها • • • ما نسجت علي رأس النبي

وروي الشيخان عن أبي سعيد أن قال حدثني أبو بكر قال قلت للنبي ﷺ ونحو في أعمار لو أن ندمهم نظر إلي قدميه لرآن فقال له رسول الله ﷺ ما ظنك بأشبه الله ثالثهما <sup>(١)</sup> وذكر بعض من السير أن أبو بكر لما قال ذلك قال له ﷺ لو جاءنا من ههنا ندمنا من ههنا فنظر الصديق إلي معاً ، فخرج من الخدي لأخر وردا البحر فد اتصل به وسعية مشدوده إلي جانبه وعن الحسن بن علي بن بلعاء أن أبا بكر ليته يطلع معه ﷺ إلي الغار كان يحيى بن يزيد ساعده ومن بعده ساعة ساعده فقال أذكر الطلب فأمنني حدثك وأذكر الرصد فأمنني أمأمت فقال لو كان شيء أحبب أن يسل دوسي ، قال أي ولدي بحثت باحث فلما انتهت إلي أعمار فإل مكأنت رسول الله حي

سبوي ذلك الغار فاستبيرا فجعل يلتصق بيده فكلما رأي جحراً قطع من ثوبه وألقمه الجحر حتى فعل ذلك بشوبه أجمع . فبقي جحر فوضع عليه عليه لئلا يخرج ما يؤذي رسول الله ﷺ فدخل رسول الله ﷺ ووضع رأسه في حجر أبي بكر وبام فلدغ أبو بكر في وجهه من الجحر ولم يتحرك لئلا يوقظ المصطفى ﷺ فسقطت دمعه علي وجه رسول الله ﷺ . فقال مالك يا أبا بكر قال لدغت فذلك أبي وأمي فمسح رسول الله ﷺ بريقه مكان اللدغة فذهب ما يجده ، ولقد أحسن حسابه بن ثابت - رضي الله عنه - حيث قال :

وثاني اثنين في الغار اللئيف وقد • • • طاف العدو به إذا صاعد الجبل

وكان حب رسول الله قد علمو • • • من الخلائق لم يحصل به بدلا •

وكان خروجه ﷺ من مكة يوم الخميس وخرج من الغار ليلة الاثنين لأنه أقام فيه ثلاث ليال وذلك من أول ربيع الأول ودخل المدينة يوم الجمعة ثلثي عشرة ليلة خلت منه .

حكى : أن زاهدا من الزهاد اسمه زكريا مرض مرضا شديدا ودنا وقت أجله فأتاه صديقه في مكرات الموت ولقنه لا إله إلا الله محمد رسول الله فأعرض الزاهد بوجهه وم يقل فقال ثانيا فأعرض ، فقال له ثالثا فقال لا أقول فغشي عليه صديقه فلما كان بعد ساعة وجد الزاهد خفة ففتح عينيه فقال هل قلتم لي شيئا قالوا نعم عرضنا عليك الشهادة فأعرضت في مرتين وقلت لي الثانية لا أقول فقال أثنائي إليس عليه اللعنة ومعه قدح من الماء ووقف عن يميني وهو يحرك القدح فقال احتناج إلي الماء قلت بلي قال قل عيسى ابن الله فأعرضت عنه ثم أثنائي من قبل رجلي فقال لي كذلك فأعرضت عنه وفي الثالثة قال لي كذلك فقلت لا أقول فضرب القدح علي الأرض وولي هاربا وأنا وجدت علي إليس لا عليكم فانا أشهد لا إله إلا الله وأشهد أن محمد عبده ورسوله .

وروي عن عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - قال سألت بعضهم ربه أن يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم فرأى في السوم جسد رجل شبه البلور يري داخله من خارجه ورأى الشيطان في صورة ضفدع قاعد علي منكبه الأيسر بين منكبه وأذنه له خرطوم طويل دقيق أدخله من منكبه الأيسر إلي قلبه يوسوس إليه فإذا ذكر الله تعالى أحس .

اللهم لا تسلط عليا شيطانا مريدا ولا إنسانا حسوذا وأعنا علي ذكرك وتذكرك بجاه خاتم أنبيائك ورسلك



## الباب السابع عشر

## في بيان الأمانة والتوبة

روى عن محمد بن المنكدر أنه قال سمعت أبي يقول بينما سفيان الثوري يطوف إدراي رجلا لا يرفع قدما ولا يضع قدما إلا وهو يصلي علي النبي ﷺ قال فقلت له يا هذا إنك قد تركت السبح والتهليل وأقبلت بالصلاة علي النبي ﷺ هل عندك في هذا شيء قال من أنت هاتك الله ؟ فقلت أنا سفيان الثوري قال لولا أنك زاهد أهل زمانك ما أخبرتك عن حالي ولا أعلمتك علي سري ثم قال لي خرجت ووآلدي حاجا إلي بيت الله الحرام حتي إذا كنت في بعض المنازل مرض والدي فمضت بشأته حتي مات فأمرد وجهه فقلت إنا لله وأنا اليه واجعون وغطيت وجهه فقلبتني عياي فمضت حزينا فرأيت رجلا ثم أرأحسن منه وجهها ولا أنظف منه ثوبا ولا أطيب منه ريحا يرفع قدما ويضع أخري حتي دنا من والدي من فكشف الإزار عن وجهه فأمر بيده علي وجهه فأبيض ثم ولي واجعا فتملقت بثوبه فقلت يا عبد الله من أنت الذي من الله علي والدي بك في أوهى الغربة قال : «أوما تعرفني أنا محمد بن عبد الله صاحب القرآن أما إن والنك كان مسرفا علي نفسه ولكن كان يكثر الصلاة علي فلما نزل به منازل استعانت بي ولما غيبت لم أكنر الصلاة علي » فانتبهت فإذا وجه أبي قد أبيض .

روى عن عمرو بن دينار عن أبي جعفر عن النبي ﷺ أنه قال : « من نسي الصلاة علي فقد أخطأ طريق الجنة » (١) .

إعلم أن الأمانة مأخوذة من الأمن لأنه يؤمن معها من منع الحق ، وعندها الحياة من الخوف وهو النقص لأنك إذا خفت أحدا في شيء فقد أدخلت عليه النقصان . قال رسول الله ﷺ : « المكر والخديعة والحياة في النار » (٢) . وقال ﷺ : « من هامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم فهو عن كملت مروءته وظهرت عدالته ووجبت أخوته » (٣) ومدح أعرابي قوما فقال شفعوا برعي الأمانة فلا يعدون بلمة ولا ينتهكون لمسلم حرمة ولم تعلق بهم ذمة فهم خير أمة الأول وهؤلاء الذين مدحهم الأعرابي قد انقروا فلم ترفي هذه الأزمان إلا دنيا في ثياب كما قال :

من يثق الإنسان فيمن يوفيه ••• ومن أين للحمر الكريم صحاب

وقد صار هذا الناس إلا أقلهم ••• دنيا علي أجسادهم ثياب

(١) (صحيح) ابن ماجة (٩٠٨) ، وصحيح الجامع (٦٥٦٨) .

(٢) (حسن) إصاكام ٤ / ٦٠٧ ، وصحيح الجامع (٦٧٢٦) .

(٣) تاريخ أصعها ٢ / ٣٠٠

وكما قال آخر :

ذهب الدين يقال عند مراقبهم ••• ليت البلاد وما بها تنصدع

وعن حذيفة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « إن الأمانة مترفع ويصح الناس يتابعون وما يكاد أحد منهم أن يؤدي الأمانة وحشي يقال أن في بني فلان أمينا »

واعلم أن اتوبة واحدة بالأحبار والآيات ، قال الله تعالى : « وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » (١) وهذا أمر علي العموم . وقال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا » (٢) ومعني النصوح الخالص لله تعالى حاليا من الشوائب مأخوذا من الصح ويدل علي فضل التوبة قوله تعالى : « إن الله يحب المتطهرين » (٣) بقوله ﷺ : « الثالث حبب الله والثالث من الدب كمن لا ديب له » (٤) وقال رسول الله ﷺ : « لله أربع بتوة العبد المؤمن من رجل نزل في أرض مهلكة معه راحلته ها بها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتي إذا أشد عليه الحر والمطرش أو ماشاء الله قال أوجع مكاني الذي كنت فيه فأتاهم حتي أموت فوضع رأسه علي ساعده لميموت فاستيقظ فإذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه فأنه أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا يراجلته » (٥) .

ويروي عن الحسن قال لما تاب الله علي آدم - عليه السلام - هتأته للملائكة وهبط عليه جبريل وميكائيل - عليهما السلام - فقال يا آدم قرت عينك بتوبة الله عليك فقال آدم - عليه السلام - يا جبريل فإني كان بعد هذه التوبة سؤال فأين مقامي فلوحى الله إلي يا آدم وركت فريتك التمسب والنصب وورثتهم التوبة فمن دهاتي منهم لست كما ليئك ومن سألني للمغفرة لم أبخل عليه لأنني قريب محبب يا آدم وأحشر الثانيين من القبور مستبشرين فاسحكن ودهالهم مستجاب . وقال ﷺ : « إن الله عز وجل ييسر يده بالتوبة لسيء الليل إلي النهار ولسيء النهار إلي الليل حتي تطلع الشمس من مغربها » (٦) ويسر اليد كناية عن طلب التوبة والطالب وراه القابل قرب قاس ليس يطرد ولا طالع إلا هو قبل » وقال ﷺ : « لو عملتم الخطايا حتي تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم » (٧) وقال ﷺ : « إن العبد لينسب بالنسب ويدخل به الجنة فليل كيف ذلك يارسول الله قال يكون نصب عيني ثابا منه فلما حتي يدخل الجنة » (٨) وقال ﷺ : « كرامة الدب

(١) آية (٣١) سورة النور .

(٢) آية (٢٢٢) سورة البقرة .

(٣) (صحيح) مسلم (٢٧١٦) .

(٤) (صحيح) مسلم (٢٧٥٩) .

(٥) (صحيح) ابن المبارك (٥٢) ، وصحيح الجامع (١٥٠٣) والضعيفة (٢٠٣١) .

(٦) (صحيح) مسلم (٢٧٥٩) .

(٧) (صحيح) مسلم (٢٧٥٩) .

(٨) (صحيح) ابن المبارك (٥٢) ، وصحيح الجامع (١٥٠٣) والضعيفة (٢٠٣١) .

الذامة . وقال ﷺ : « الثائب من الذنب كمن لا ذنب له » .

وروي أن حبشياً قال يارسول الله إني كنت أعمل الفواحش فهل لي من ثوبة قال : نعم فولي ثم رجع فقال يارسول الله أكان الله يراني وأنا أعمى قال : نعم فصاح الحبشي صيحة خرجت منها روحه .

وروي أن الله عز وجل لما لعن إبليس سأله النظرة فأنظره إلى يوم القيامة فقال وهزتك لأخرجت من قلب ابن آدم ما دام فيه الروح فقال الله تعالى : وهزتي وجلالي لأحجب عنه ثوبة مادام فيه الروح . وقال ﷺ : « إن الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الرسخ » (١) من سعيد بن المسيب في قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ كَانَ لِلْأَوَّابِ غُفْرًا ﴾ (٢) في الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب . وقال المصلي قال الله تعالى . شر المنين بأنهم إن تلبوا قبلت منهم وحذر الصديقين أني إن وضعت عليهم عدلي عذبهم . وقال عبد الله بن عمر من ذكر حطية ألم بها فرجل مها قلبه صحت عنه في أم الكتاب .

وروي أن نبيا من الأنبياء أذنب كل ما أوحى الله إليه وهزتي لئن عدت لأعذبك فقال يارب أنت أنت وأنا أنا وهزتك أن لم تعصمني لأهودن فعصمه الله تعالى .

وروي أن رجلا سأل ابن مسعود عن ذنب ألم به هل له من ثوبة فأعرض عنه ابن مسعود ثم التفت إليه فإني عيبه تذر فإن فقال إن للجنة ثمانية أبواب كلها تمتع وتعلق إلا باب التوبة فإن عليه ملكا موكلا به لا يخلق فاعمل ولا تيأس .

وروي أنه كان في بني إسرائيل شاب عبد الله عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم نظر في المرأة فرأى الشيب في لحية فسأه ذلك فقال إلهي أطعك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة إن رجعت إليك تقبلي فسمع قائلا يقول ولا يري شخصه أحبتها فأحببتك وتركنا فتركناك وعصيتا فأهملناك وإن رجعت إلينا قبلتك .

وروي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال : « إذا تاب العبد تاب الله عليه وأسي الخطئة ما كانوا يكتبوا من مساوئ عمله وأسي جوارحه ما حملت من الخطايا وأسي كانه من لأرض ومقامه من السماء ليجمع يوم القيامة وليس شيء من الخلق يشهد عليه » (٣) .

وروي عن علي - كرم الله وجهه - عن النبي ﷺ أنه قال : « مكتوب حول العرش قبل أن

يخلق الخلق بأربعة آلاف عام : وإني لعنار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدي » (١) .

وعلم أن التوبة فرض عين من الذنوب الكبائر والأصغائر فوراً فإن الإصرار على الصغائر يلحقها بالكبائر . قال الله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ إِدْرَاكُ مَا نَعْمُوا أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ﴾ (٢) الآية . والتوبة النصوح أن يتوب العبد ظاهراً وباطناً مادام غير هازم علي العود ومثل من تاب ظاهراً فقط كمثل مريضة سط عليها دياج والناس يظنون إليها ويتمحبون منها فإذا كشف عنها العطاء أعرضوا عنها فكذلك الخلق يظنون إلى أهل الطاعة الظاهرة فإذا كشفت لخطاياهم يوم القيامة يوم تبلى السرائر أعرضت الملائكة عنهم ولذا قال ﷺ : « إن الله لا يظر إلي صوركم ولكن يظر إلي قلوبكم » (٣) وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - : كم من تائب يجيء يوم القيامة يظن أنه تائب وليس يتأب أي لأنه لم يحكم أبواب التوبة من الندم والعزم علي عدم العود ورد المظالم لأربابها إن أمكن واستحل لهم منها أن تيسر ولا أكثر من الاستعفاء له ولهم عسي الله أن يرغيبهم عنه وسيان الذنب من أتبع المصائب فعلي العاقل أن يعاسب نفسه ولا ينسي ذنبه كما قيل :

يا أيها المذنب المحصي جرائمه • لا تنس ذنبك وأذكر منه ما سلما

وتب إلي الله قبل الموت واترجرا • يا عاصيا واعترف أن كنت معترفا

وروي العقبة أبو الليث يستنه قال دخل عمر - رضي الله عنه - علي رسول الله ﷺ باكية فقال له رسول الله ﷺ : « ما يبكيك يا عمر » فقال يارسول الله بالباب شاب قد أحرق فؤادي وهو يبكي فقال له رسول الله ﷺ : « أدخه يا عمر » قال فدخل وهو يبكي فقال له رسول الله ﷺ : « ما يبكيك يا شاب » قال يارسول الله أبكتني دنوب كثيرة وجمت من جبار عصيان علي فقال رسول الله ﷺ : « أشركت بالله شيئا قال لا قال أقتلت نفسا بغير حق قال لا قال قتل الله يعمر ديت ولو كان مثل السموات السبع والأرضين والحيال » قال ديتي أعظم من ذلك قال ذنبك أعظم أم الكرسي قال ديتي أعظم يارسول الله قال ديتك أعظم أم العرش قال ديتي أعظم قال ذنبك أعظم أم إلهك يعني عمر الله قال بل الله أعظم وأجل قال فونه لا يعمر الذنب العظيم إلا الرب العظيم يعني عظيم التجاور ثم قال له رسول الله ﷺ أحبرني عن ذنبك قال إني أستحي منك يارسول الله قال بل أخبرني قال يارسول الله إني كنت أتبش القبور منذ سبع سنين حتي ماتت جارية من بنات الأنصار فبشت قبرها وأخذت كمها ومضيت غير بعيد فغلب الشيطان علي فرجعت فوجدتها ثم مضيت غير بعيد وإذا بأخارية قامت وقالت ويلك يا شاب أما تسحي من ديان يأخذ للمظلوم من الظالم تركني عريانة في عسكر الموتى وأوقعني حبساً بين يدي الله عز وجل قال فوثب رسول الله

(٢) آية (١٣٥) سورة آل عمران

(١) الانعامات (٢٧٣)

(٣) صحيح مسلم (٣٣ - ٣٤)

(١) البقرة ٩ / ١٦٠

(٢) سورة الإسراء ٢٥

(٣) صحيح ابن مسعود ٢٨٦ / ٤ ، وضعيف الجامع (٤٢١)

ﷺ وهو يدفع في قفاه ويقول يا فاسق ما أحوجك إلي البار أخرج هني فخرج الشاب تائباً إلي الله تعالى أربعين ليلة فمات له أربعون ليلة رجع رأسه إلي السماء وقال يا إله محمد وآدم وإبراهيم إن كنت غفرت لي فأعلم محمدنا ﷺ وأصحابه والافارسل نارا من السماء فأحرقني بها ولنجني من عذاب الآخرة فهبط جبريل علي النبي ﷺ وقال يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول لك أنت خلت الخلق فقال بل هو خلقتني وخلقهم وروفي وروفهم قال جبريل - عليه السلام - يقول لك الله تعالى إني ثبت علي الشاب فدعا النبي ﷺ الشاب ويشره بأن الله تعالى قاب عليه .

حكى أنه كان في زمن موسى - عليه السلام - رجل لا يستقيم علي التوبة كلما تاب أفسد ممكث علي ذلك عشرين سنة فأوحى الله تعالى إلي موسى قل لعمري فلان أني غضبت عليه فبلغ موسى - عليه السلام - الرسالة إلي ذلك الرجل محزون وذهب إلي الصحراء قائلاً إلهي أعدت رحمتك أم ضرتك معصيتي أم نضدت غزائني عفوك أم يغفلت علي عبادك أي ذنب أعظم من عفوك وأكرم من صفاتك القديمة وللؤم من صفاتي الحادثة أفتعذب صفتي صفتك وإذ حجب عبادك عن رحمتك فمن يرجو وإن طردتهم فإني من يقصدون إلهي إن كانت رحمتك قد نضدت وكان لابد من عذابي فأحمل علي جميع ذنوب عبادك فإني قد نديتهم بعصي فقال الله تعالى يا موسى اذهب إلي وقُلْ له لو كانت ذنوبك ملء الأرض لغفرتها لك بعد ما عرفتني بكمال القدرة والعفو والرحمة . وقال ﷺ : « ما من صوت أحب إلي الله من صوت عبد مذبذب تائب يقول يا رب فيقول الرب ليبيك يا عبيدي صل ما تريد أنت عبيدي كبعض ملائكتي أنا عن بيت وعن شمالك وفوقك وغريب من ضمير قلبك . . إشهدوا بالملائكتي أني قد غفرت له » (١) .

قال ذو النون المصري - رحمه الله - إن الله عباداً نصبوا أشجار الخطايا نصب رواق لقلوبهم وسقوها ماء التوبة فأنمرت ندما وحزننا فجنوا من غير جنون وتلبسوا من غير وعي ولا بكهم وأنهم هم البلاء الصالحاء العارفون بالله ورسوله ثم شربوا الصفاء فورثوا الصبر علي طول البلاء ثم تولت قلوبهم في المنكوث وجالت أفكارهم بين سرايا حجب الجبروت واستظلوا تحت رواق الندم وقرأوا صحيفة الخطايا فأورثوا أنفسهم الجزع حتي وصلوا إلي علو الرهد بسلم الورع فاستعذبوا مرارة الترك للنداء واستلوا خشونة المضجع حتي ظفروا بحبل النجاة وعروة السلامة وسرحت أرواحهم في العلا حتي أناخوا في رياض التجم وخاضوا في بحر الحياة وروموا حادق البحر وعبروا جسور الهوي حتي نزلوا بفناء العلم واستقروا من غدير الحكمة وركبوا سفينة العطف وأقلعوا برياح النجاة في بحر السلامة حتي وصلوا إلي رياض الراحة ومعدن العز والكرامة

### الباب الثامن عشر

#### في فضل الترحم

قال رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة إلا رحيم قالوا يا رسول الله كلنا رحيم قال ليس الرحيم من يرحم نفسه خاصة ولكن الرحيم من يرحم نفسه وغيره » (١) . ومعني رحمة نفسه أن يرحمها من عذاب الله تعالى بترك المعاصي والتوبة منها وفعل الطاعات والإحسان فيها ومعني رحمة لغيره أن لا يسعي في أذية المسلم . قال ﷺ : « أفسلم من سلم الناس من يده ولسانه » (٢) ويرحم اليهائم فلا يكلمها ما لا تطيق . فقد ورد أن رسول الله ﷺ قال : « بينما رجل يمشي في الطريق فاشتد عليه العطش فوجد بئراً فترل بها وشرب ثم طلع فإذا كلب يلهث من العطش فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغ مني فملا خفه ماء ثم أمسكه بفيه فسقي الكلب فشكر الله تعالى له فغفر له قالوا يا رسول الله إن لنا في اليهائم لأجراً قال في كل ذات كبد وحيلة أجر » (٣) .

وعن أنس بن مالك قال بينما هم - رضي الله عنه - يمشون ذات ليلة إذا مر برفقة قد نزلت فغشي عليهم السرقة فلقي عبد الرحمن بن هوف - رضي الله عنه - فقال ما الذي جاء بك في هذه الساعة يا أمير المؤمنين قال مروت برفقة قد نزلت فحدثني نفسي أنهم إذا باتوا ناموا فغشيت عليهم السارق فانطلق بنا نحرصهم قال فانطلقنا فبعد قريباً من الرفقة بحرمان حتي إذا طلع الفجر نادى عمر - رضي الله عنه - يا أهل الرفقة الصلاة حتي إذا رآهم لمحركوا فنصرف فلعيننا أن نقتدي بالصحاب - رضي الله عنهم - فقد مدحهم الله تعالى بقوله رحماء بينهم وكانوا رحماء علي المسلمين وعلي جميع الخلق وكانوا يرحمون أهل الدمة .

فقد روي عن عمر - رضي الله عنه - أنه رأي رجلاً من أهل النعمة يسأل أبواب علي وأبواب الناس وهو شيخ كبير فقال له عمر - رضي الله عنه - ما أنصفك أخلفنا منك الخزية ما دمت شاباً ثم صيغتك اليوم وأمر أن يجري عليه قوته من بيت مال المسلمين .

وعن الحسن عن رسول الله ﷺ أنه قال : « بدلاء أمتي لا يدخلون الجنة بكثرة صلاة ولا صيام ولكن يدخلونها بسلامة الصدور وسخاوة النفوس والرحمة لجميع المسلمين » (٤) . وعن رسول الله ﷺ أنه قال : « الراحمون يرحمهم الرحمن لإرحموا من في الأرض يرحمكم من

(١) كثر العمال (٥٩٧٤)

(٢) صحيح البخاري (٦٤٨٤)

(٣) صحيح البخاري (٦٠٠٩)

(٤) كتاب الأولياء (٥٨)

السماء .<sup>(١)</sup> وعنه ﷺ : « من لا يرحم لا يرحم ومن لا يعمر لا يعمر له »<sup>(٢)</sup> وقال أنس بن مالك قال رسول الله ﷺ : « أربع من حق المسلمين عليك أن تعين محسبهم وأن تستعمر مدبهم وأن تعود مريضهم وأن تحب قائلهم »<sup>(٣)</sup>.

وروي أن موسى عليه السلام قال يا رب بأي شيء اتحدثني صفيًا قال يرحمتك علي خدي . وعن أبي البرقاء رضي الله عنه أنه كان يتبع الصياد فيشتري منهم العصافير فيرسلها ويقول ادعني فعميتي . وقال رسول الله ﷺ : « مثل المؤمن في تراحمهم وترادهم وتواصلهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تلهي له سائر الجسد »<sup>(٤)</sup> النبي والسهر<sup>(٥)</sup>.

حكاية . مر عابد من بني إسرائيل علي كتيب من رمل وقد أصابت بني إسرائيل مجاعة عظيمة فتسبي في نفسه أن هذا لو كان دقيقا لأشبع به بني إسرائيل فأوحى الله إلي نبي بني إسرائيل أن قل لعباد أن الله تعالى قد أوجب لك من الأجر ما لو كان دقيقا واشتبهت به الناس ولذلك قال رسول الله ﷺ : « نية المؤمن خير من عمله »<sup>(٥)</sup>.

حكى : أن عيسى - عليه السلام - خرج يوما ففقي إيليس وبيده غسل وفي الأخرى رماد فقال ما تفعل يا عدو الله بهذا الغسل والرماد ؟ قال أما الغسل فأجعله علي شفاء المعتارين حتي يبلغوا منها ، وأما الرماد فأضعه علي وجه اليتامي حتي يبيضهم الناس . وقال ﷺ : « إن اليتيم إذا ضرب لعز هزى الرحمن ليكافئه فيقول الله عز وجل يا ملائكتي من أهلكي هذا الصبي الذي عييت أباه في التراب »<sup>(٦)</sup> وقال ﷺ : « من أوى يسيما إلي طعامه وشرابه أوجب الله له الجنة »<sup>(٧)</sup> وفي روضة العلماء كان إبراهيم - عليه السلام - إذا أراد أن يأكل طعاما مني الليل والميلين يطلب من يأكل معه ويكي علي كرم الله وجهه يوما ففيل مايكيك قال لم يأتي ضيف منذ سبعة أيام فأحلف أن يكون الله قد أهاني . وقال رسول الله ﷺ : « من أطعم جائعا يريد به وجه الله وجبت له الجنة ومن منع الطعام عن الجائع منع الله عنه فضله يوم القيامة وعنده في النار » . وقال رسول الله ﷺ : « السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار »<sup>(٨)</sup> . وقال ﷺ : « اجامل وابخل بعيد عن الله بعيد من الجنة بعيدا من الناس قريب من النار »<sup>(٨)</sup> . وقال ﷺ : « اجامل

(١) (صحيح) (أبو داود) (٤٩٤١) ، وصحيح الجامع (٣٥٢٢) .

(٢) (صحيح) (البخاري) (٦٠١٣) .

(٣) (صحيح) (السنة للشيخ) ٦ / ٢٥٢ .

(٤) (صحيح مسلم) (٢٥٨٦) .

(٥) (صحيح) (الطبراني) ٦ / ٢٢٨ ، وصحيح الجامع (٥٩٧٦) .

(٦) (صحيح) (ابن عدي) ٢ / ٧٢٢ .

(٧) شرح السنة ١٣ / ٤٤ .

(٨) (صحيح) (جدا) (الصحيح) (١٥٤) ، وصحيح الجامع (٣٣٤١) .

السخي أحب إلي الله من العابد الخجل »<sup>(١)</sup> وقال رسول الله ﷺ : « إذا كان يوم القيامة يدخل الجنة أربعة بعير حساب : العالم الذي يعمل بعلمه ، ومن حج ولم يرث ولم يفسق حتي مات ، والشهيد الذي قتل في معركة لإعلاء كلمة الإسلام ، والسخي الذي اكتسب مالا من الحلال وأعمه في سبيل الله بعير ربه هؤلاء يتارح بعضهم بعضا أيهم يدخل الجنة أولا ، وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لله عبدا يختصهم بالعلم لتافع العباد فمن يحل بملك المنافع علي العباد نقلها الله تعالى عنه وحولها إلي غيره »<sup>(٢)</sup> وقال ﷺ : « السخاء شجرة من شجر الجنة أعصانها منقلبة إلي الأرض فمن أخذ بفضن منها فادخ ذلك الفضن إلي الجنة »<sup>(٣)</sup> وعن جابر - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « الأعمال أفضل : « قال : « الصبر والسماحة »<sup>(٤)</sup>

وروي المتقدم بن شريح عن أبيه عن جده قال قلت يا رسول الله دلني علي عمل يدخلني الجنة قال : « إن من موجبات المغفرة بذل الطعام ، وإفشاء السلام ، وحسن الكلام »<sup>(٥)</sup> .

### الباب التاسع عشر

#### في بيان الخشوع في الصلاة

جاء في الخبر أن جبريل - عليه السلام - جاء يوما إلي النبي ﷺ وقال : يا رسول الله كنت رأيت ملكا في السماء علي سرور وحوله سبعون ألف ملك صفوقا يخدمون وكل نفس يتنفس ذلك الملك يخلق الله من نفسه منك والآن رأيت ذلك الملك علي جبل قائم منكسر الجناح وهو يبكي فلما رأي قال أتشفع لي قلت ما جرمك قال كنت علي السرور ليلة المعراج فمر بي محمد ﷺ مما قمت له فعاقبني الله بهذه العقوبة وجعلني في هذا المكان كما تري قال فتصرعت إلي الله نشعنت له فقال الله تعالى يا جبريل قل له حتي يصلي علي محمد فصلي ذلك الملك عليث فعفا الله عنه وأنت جناحه .

إعلم : أنه ورد أن أول ما ينظر فيه من عمل العبد يوم القيامة الصلاة فإن وجدت تامة قبلت منه وسائر عمله ، وإن وجدت ناقصة ردت إليه وسائر عمله وقال ﷺ : « مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميراث من أوفي أستوفي » . وقال يزيد الرفثي كانت صلاة رسول الله ﷺ مستوية كأنها

(١) (صحيح) (الطبراني) .

(٢) تاريخ أصمها ٢ / ٢٧٦ ، وتذكرة الموضوعات (٦٤) .

(٣) (صحيح) (الموضوعات) ٢ / ١٨٢ ، وتذكرة الشريعة ٢ / ١٣٩ ، وصحيح الجامع (٣٣٤٠) .

(٤) أحمد ٤ / ٦٨٥ .

(٥) (صحيح) (تاريخ أصمها) ١ / ٢٠٧ ، وصحيح الجامع (٢٢٣٢) ، والنسخة (١٠٣٥) .

سورة ، وقال ﷺ : « إن الرجلين من أمتي ليقومان إلى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد  
وبما بين صلاتيهما ما بين السماء والأرض وأشار إلى الخشوع » قال ﷺ : « لا يظفر الله يوم  
عبادة إلى العبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده » (١) وقال ﷺ : « من صلى صلاة لوقتها  
واسبح وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهي بضياء صفرة تقول حمطك الله  
كما أحفظني ومن صلى صلاة لعبير وقتها ولم يسبح وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها  
ولا خشوعها عرجت وهي سوداء مظلمة تقول ضحكك الله كما ضحيتني حتى إذا كانت حيث شاء  
الله لفت كما يذهب الثوب الخلق فيصرب بها وجهه » (٢) وقال ﷺ : « أسوأ الناس سرقة الذي  
يسرق من صلاته » (٣) . وقال ابن مسعود رضي الله عنه الصلاة مكيال فمن أوفى استوفى ومن  
طفف فقد علم ما قال الله ﴿ وَيَلْزَمُهُمْ تَقَطُّهُنَّ ﴾ (٤) وقال بعض العلماء مثل المصلي مثل التاجر الذي  
لا يحصل له الربح حتى يخلص له رأس المال وكذلك المصلي لا تقبل له نافلة حتى يؤدي  
القرينة . وكان أبو بكر رضي الله عنه يقول إذا حضرت الصلاة قوموا إلى نازيكم التي  
أوقدتموها فأطعموها . وقال ﷺ : « إنما الصلاة تمسكن وتواضع » . وقال ﷺ : « من لم تنته  
صلاته عن الفحشاء والمكر لم يزد من الله إلا بعدا وصلاة العاقل لا تمتع من المحشاء والمكر »  
(٥) . وقال ﷺ : « كم من قائم وليس له من قيامه إلا التعب والنصب » . وما أراد به إلا الغافل ،  
وقال ﷺ : « ليس للعبد من صلاة إلا ما عقل منها » وقال أهل المعرفة الصلاة أربعة أشياء ،  
الشروع مع العلم والقيام مع الحياء والأداء مع التعظيم والخروج مع الخوف . وقال بعض المشايخ  
من لم يجمع قلبه على الحقيقة فسدت صلاته . وقال رسول الله ﷺ : « في الجنة نهر يقال له  
الأبيض فيه حواري خلقهم الله من الرعرعان يلعب بالنهر واليادون يسبحن الله بسبعين ألف لغة  
أصواتهن أطيب من صوت داود عليه السلام . ويقفن نعن فن صلى صلاته بالخشوع والحضور  
يقول الله تعالى لا أسكنه دارى ولا جعلته من زواري » (٦) .

وروى أن الله تعالى أوحى إليه قل لعصاة أمتك لا يذكروني فإن ذكروني فذكرني وأنت  
تتمضي أعصاك وكفى عند ذكرى خاشعا مطمئنا وإذا ذكرني فاجعل لسانك من وراء قلبك وإذا  
قامت بين يدي فقم قيام العبد الذليل واجبى قلبك وجل ولسان صدق .

وروى أن الله تعالى أوحى إليه قل لعصاة أمتك لا يذكروني فإنني آليت على نفسي أنه من  
ذكرني ذكرته مؤذنا ذكروني ذكرتهم باللعنة هذا في عاص غير عامل في ذكره فكيف إذا اجتمعت  
العفة والمصيان . قال بعض الصالحين رضي الله عنهم يحشر الناس يوم القيامة على مثال

(١) أحمد ٢٢ / ١ .

(٢) سبق تحريجه .

(٣) سبق تحريجه .

(٤) سبق تحريجه .

(٥) تحف السادة المطهرين ١٢ / ٣ .

(٦) سورة الطه

(٧) إن لم يكن موشوعاً فهو ضميم

هيشتم في الصلاة من الطمأنينة والهدوء ومن وجود التعميم بها واللذة . ورأى النبي ﷺ رجلا  
بعث بلحيته في صلاته فقال لو شجع قلب هذا خشعت جوارحه وقال من لم يحشع قلبه ردت  
صلاته . وأعلم أن الله مدح الخاشعين المتواضعين في الصلاة في غير آية فقال : ﴿ فِي صَلَاتِهِمْ  
خَاشِعُونَ ﴾ (١) ﴿ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُعَظِّمُونَ ﴾ (٢) ، ﴿ عَلَى صَلَاتِهِمْ أُنذِرُ ﴾ (٣) قيل أن المصلين كثير  
والخاشعين في الصلاة قس ، والحاج كثير والدار قليل والطير كثير والعنديل قليل والعالم كثير  
والمعامل قليل والصلاة محل الخشوع ومعدن التواضع والخشوع وهذا علامة القبول فون لجواز  
شرط ولقبول شرط فشرط الخصال أداء فرضها وشرط قبول الخشوع . قال تعالى : ﴿ وَهُدًى أُنْفِجُ  
الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤) الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴿ (٥) آية . . والتقوى قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ  
مَنْ أَمِنَ ﴾ (٦) وقال ﷺ : « من صلى ركعتين مقبلا فيهما على الله بقلبه خرج من ذنوبه كيوم  
وعدته أمه »

واعلم أنه لا يلبي عن الصلاة إلا الخواطر الوردية الشاغلة فلا بد من دفعها ودفعها قد يكون  
بالصلاة في مكان مظلم أو خال عن الشواغل من الأصوات والعرش المتقوشة والتجرد من  
الملابس الخفيفة بحيث تلهي إذا نظر إليها في الصلاة كما روى أنه ﷺ لما لبس الخميصة التي أتاه بها  
أبو جهم وعليها علم وصلى بها نزعها بعد صلاته وقال ذهبوا بها إلى أبي جهم فلبسها الهنسي أنما  
عن صلاتي وأمر ﷺ بتجديده شراك نعله ثم نظر إليه في صلاته إذا كان جديدا فامر أن ينزع منها  
ويرد الشراك الخلق وكان ﷺ في يده خاتم من ذهب قبل التحريم وكان على المنبر فرماه وقاد  
شعلنى هذا نظرة إليه وبعدة اليكم

ومن رجل آخر أنه صلى في حائط له والحيل مطوفة بشرها فنظر إليها فأعجبه ولم يدركم  
صلى فذكر ذلك لعمتان رضي الله عنه . وقال هو صدقة فاجعله في سبيل الله عز وجل فباعه  
بخمسين ألفا ، وقال بعض السلف أربعة في الصلاة من اجفاء الانشعاع ، ومسح الوجه ،  
وتسوية الحصى وأن تصلى بطريق من يمر بين يديك . قال ﷺ : إن الله عز وجل مقبل على المصلي  
ما لم يلتفت . وكان الصديق رضي الله عنه في صلاته كأنه وقد وبعضهم كان يسكن في  
ركوعه بحيث تقع العصا في عينه كأنه جماد وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدي من يعظم من أبناء  
الدنيا ، فكيف لا يتفاهده بين يدي ملك الملوك

وفي التواضع مكتوب يا ابن آدم لا تعجز أن تقوم بين يدي مصليا باكية فأنا لله الذي فتربت

(١) سورة المؤمنون

(٢) سورة الأنعام .

(٣) سورة المؤمنون .

(٤) آية (٢٣) سورة المداح

(٥) آية (٢٧) سورة مداح

(٦) سورة المداح

من قلبك وبالعيب وأبى نورى .

وروى أن عمرو بن الخطاب - رضى الله عنه - قال على المنبر : أن الرجل يشيب عارضه في الإسلام وما أكمل لله تعالى صلاة ، وقيل وكيف ذلك ؟ قال لا يتم خشوعها وتواضعها وإقباله على الله - عز وجل - فيها . واستل أبو العالية عن قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> قال هو الذى يسهو في صلاته فلا يدرى على كم يتصرف أعلى شفع أم على وتر . وقال الحسن هو الذى يسهو عن وقت الصلاة حتى تخرج . وقال رحمه الله : قال الله تعالى : لا يتنجس من عبدي إلا بأداء ما افترضته عليه .

### الباب العشرون

#### في بيان الغيبة والنميمة

إعلم أن الله سبحانه وتعالى نهي على ذم الغيبة في كتابه وشبه صاحبها بأكل لحم الميتة قال تعالى : ﴿ وَلَا يَتَّبِعْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَنِ يَحْبِسَ أَخًا هُم مِّنْ فَكْرٍ هُم ﴾ <sup>(٢)</sup> وقال رحمه الله : كل المسلم على المسلم حرام أدمه وماله ودمه <sup>(٣)</sup> وقال رحمه الله : إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا فإن الرجل قد يزني فيتوب ، فيتوب الله عليه وأن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يعترف له صاحبها <sup>(٤)</sup> وقالوا مثل من يختاب للناس كمثل من نصب متجنبا فهو يرمى بها يمينا وشمالا فهو يرمى بحسناته كذلك . وقال رحمه الله : من رمى أخاه بعبية يريد بها شبهة أو قبه الله تعالى على حشر جهنم يوم القيامة حتى يخرج مما قال : وقال رسول الله ﷺ : الغيبة ذكر كأكلك بما يكره <sup>(٥)</sup> أى سواء ذكرته بتقصان بدنه أو نسيه أو فعله أو قوله أو فعله أو ديبه في ثوبه وردائه ودابته ، حتى ذكر بعض المتقدمين لو قلت أن فلانا ثوبه طويل أو قصير يكون ذلك غيبة فكيف ما يكره من نفسه .

وروى أن امرأة قصيرة دخلت على النبی ﷺ في بعض حاجاتها فلما خرجت قالت : شفى الله عها - ما أقصرها فقال النبي ﷺ : إغبتها يا عائشة . وقال رحمه الله في ذم النميمة : شر الناس يوم القيامة ذو الوجهين في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار <sup>(٦)</sup> . وعن النبي ﷺ أنه

(١) آية (٥) سورة الماعون

(٢) آية (١٢) سورة الحجرات .

(٣) (صحيح) مسلم (٢٥٦٤) ، وأحمد ٢ / ٢٧٧

(٤) (صحيح) المحققين ٧ / ٥٣٣ ، وصحيح البخاري (٢٢٠٤) ، والنميمة (١٨١٦)

(٥) (صحيح) الترمذي (١٩٣٤) .

(٦) (صحيح) البخاري (٦٠٥٨) ، ومسلم (٢٥٢٦)

قال : لا يدخل الجنة تمام <sup>(١)</sup> فإن قيل ما الحكمة في أن الله تعالى خلق كل مخلوق فالسان ناطق وغير ناطق وليس لسان أصلا فليل لأن الله تعالى لما خلق آدم أمره باللائكة بالسجود له فسجدوا كنهم إلا إبليس فلعنه الله وأخرجه من الجنة ومسحه فأعطى إلى الأرض فجاءه إلى البحار فأول ما رآه لسان فاحبسه فخلق آدم وقال إنه يصطد ويأخذ ذوات البحر وليربيع السمك ذوات البحر بخير آدم فأذهب الله لسانه .

حكى : عن عمرو بن دينار أنه قال كان رجل من أهل المدينة له أخت في ناحية المدينة فاشتكت فكان يأتيها يموها ثم ماتت وجهرها وحملها إلى القبر فلما دفنت رجع إلى أهلها ثم ذكر أن له كيسة كان معه فضبعه في القبر فاستمان برجل من أصحابه فأثاب القبر فتيشده فوجدوا الكيس فقال الرجل تنح عنى حتى أنظر على أى حال هى لرفع بعض ما على الصد فلما التقى به شمل سرا فرجع إلى أمه فذا أحبريى هلام كاث أحنى فقالت كانت أحتك بأنى أبواب الجيران فتلقى أدبها إلى أبايهم حتى تستمع الحديث لكى تمشى بالنميمة . فعلم أن هذا سبب عذاب القبر فمن أراد أن يتنجو من عذاب القبر فليحذر من النميمة والغيبة .

وحكى : عن أبي الليث البخاري أنه خرج حاجا فعمل في جيبه درهمين وحلف إن أغتبت أحدا في طريق مكة دامها أو آيا ماله على أن أتصدق بهما فذهب إلى مكة ورجع إلى منزله والدرهمان في جيبه فقيل له في ذلك قال لأن أرى مائة مرة أحب إلى أن أغتاب مرة واحدة . قال أبو حفص الكبير لو لم أصم رمضان أحب إلى من أن أغتاب إنسانا ثم قال من اغتاب فقيه جاء يوم القيامة مكتوبا على وجهه هذا أبس من رحمة الله وعن أنس من مالك - رضى الله عنه - قال نال رسول الله ﷺ : مررت ليلة أسري بي على أفوام يمشون وجوههم بأطافيرهم يأكلون الجيفة فقلت من هؤلاء فاجبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس في الدنيا . وقال الحسن - رضى الله عنه - والله للعنة أسرع في دين الرجل المؤمن من الأكله في الحسد . وقال أبو هريرة - رضى الله عنه - يصير أحدكم القذى في عين أخيه ولا يصير الجذع في عين نفسه .

وروى أن سمعان كان في سفر مع أبي بكر وعمر وكان يصيح بهم فمروا سرا فسم يتهيا أن يصلح لهم من الطعام فمعه إلى النبي ﷺ ليظهر عنده شيئا من الطعام فمجد فرجع إليهم فعلا أنه لم يذهب إلى شئ كيد ليس مذهب فمزلت هذه الآية ﴿ وَلَا يَتَّبِعْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَنِ يَحْبِسَ أَخًا هُم مِّنْ فَكْرٍ هُم ﴾ <sup>(٢)</sup>

وعن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال . . قال رسول الله ﷺ : من أكل لحم أخيه في الدنيا

(١) (صحيح) مسلم (١٠٥) ، وأحمد ٥ / ٣٩١ .

(٢) آية (١٢) سورة الحجرات



قدم إليه حبه يوم القيامة ويقال كله ميتا فإني أكلته حيا فأكلته . ثم تلا قوله تعالى : ﴿ أَهْبِ اسْمُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ بَحْمُ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾ (١)

وروى عن جابر بن عبد الله الأنصاري - رضي الله عنه - إن وثق الغيبة كانت نبه في عهد رسول الله ﷺ وذلك لقلتها ، وأما في هذه الأزمان فقد كثرت الغيبة وامتلات الأنوف منها ملا تميز وانحنها ، ومثل ذلك كمثل رجل دخل دار الدباغين فلم يقدر على الفرار فيها من شدة الرائحة ونشها وأهلها المقيمون فيها يأكلون الطعام يشربون فيها ولا تبين لهم تلك الرائحة الممتة لأنها ملأت أنوفهم فكذلك أمر الغيبة في أيامنا هذه .

قال كعب - رضي الله عنه - : قرأت في بعض الكتب أن من مات تائباً من الغيبة كان آخر من يدخل الجنة ومن مات مصراً عليها كان أول من يدخل النار . قال الله تعالى : ﴿ وَيَلْ لَّكَزُ هَمْرًا لَمَرَّةً ﴾ (٢) أي أشد العذاب للهمة الذي يعيبك في العيب والهمة الذي يعيبك في وجهك . والآية نزلت في الوليد بن المغيرة وكان يختاب النبي ﷺ والمسلمين في وجوههم ويجوز أن يكون السبب خاصاً بالوحيد عاماً . وقال رسول الله ﷺ : إياكم والغيبة فإنها أشد من الزنا ، قالوا كيف تكون الغيبة أشد من الزنا قال أن الرجل يزني ثم يتوب فيتوب الله عليه وأن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يمضو عنه صاحبه (٣) فالواجب على المعتاب أن يتوب ويتوب ليخرج من حق الله ثم يستحل المعتاب لهجته فيخرج من مظلمته .

وقال ﷺ : من اختاب أخاه المسلم حول الله وجهه إلى دبره يوم القيامة . - ويتخى لصاحب الغيبة أن يستعير الله تعالى قبل القيام من المجلس وقبل أن تصل إلى المعتاب لأنه إذا تاب صاحب الغيبة قبل وصولها إلى المعتاب قبل توبت أما إذا بلغته فلا يرتفع عنه الإثم بالتوبة ما لم يجمعه من حل ، وذلك إذا رضى بالمرأة لها زوج فبذنه الحبر لا يرتفع بالتوبة ما لم يجمعه من حل وأما ترك الصلاة والزكاة والصوم والحج فلا يرتفع بالتوبة بل مقضاء المالكات من ذلك والله أعلم .

### الباب الحادي والعشرون

#### في بيان الزكاة

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلرَّكَاةِ لَاَعْلُونَ ﴾ (١) يعني يهودون وهم أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان

معبه صفحت له صفائح من نار فأحس عبيها في نار جهنم فيكرب بها حسه وظهره أي - مع حسنه لها كلها وإن كثرت كلمه بردت عيبه له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة . - ينص النبي العباد فيرى سبيله إب إس حة وما إلى النار . الحديث (٢) ، وفيما تعالى : ولدي يكرهون ديني والفضة ولا يعلو بها في سبي الله البشرهم بعداب أليس (٣) يوم يحصى عليها في نار جهنم فتكوى بها جهنم وجنوبهم وظهرهم هذا ما كثرت لأسفسكم يدور ما كنتم تكفرون (٤) وقال رسول الله ﷺ : ويل للأعبياء من يعرف يوم القيامة يقولون ظنموا حقوا لتي فرغت عليهم . فيقول الله تعالى وعزتي وجلالي لأدينكم ولأباعدنهم ثم تلا رسول الله ﷺ : ﴿ وَأَنْذِرْ فِي أَنْفُسِهِمْ هَوْنًا مِمَّنْ سَاءَ لِلْأَبْلَاءِ وَالْمَعْرُومِ ﴾ (٥)

وروى أنه ﷺ : مر ليلة أسرى به على قوم على أديارهم وقاع وعلى أقبالهم وقاع يسرحون كما تسرح الأنعام الفسريح والرقوم وروى عنهم قال : من هو لا يهاجر ليرى قال هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد .

وحكى : أن جماعة من التابعين خرجوا لزيارة أبي سفيان فلما دخلوا عليه وجلسوا عنده قال قوموا بنا نזור جارا لنا مات أخوه ونعمره فيه ، قال محمد بن يوسف القزباني فقمنا معه ودخلنا على ذلك الرجل فوجدناه كثير اليكاء والخزع على أخيه فجللنا بعزبه ونسله وهو لا يقبل تسليته ولا هزله فقلنا له أما تعلم أن الموت سبيل لا بد منه قال بلى ولكن أبكي على ما أصبح وأمسى فيه أخى من العذاب فقلنا له قد أطلعك الله على الغيب قال لا ولكن لما دنته وسويت عليه التراب وانصرف الناس جلست عند قبره وإذا صوت من قبره يقول له أفروني وحيدا أقاسى العذاب قد كنت أصوم قد كنت أصلي قال فأبكاني كلامه فنيشت عنه التراب لأنظر ما حاله وإذا القبر يلعب عليه مارا وفي عنقه طوق من نار فحملتني شعقة الأخوة ومددت يدي لأرفع الطوق من رقبت فاحترقت أصابعي ويدي ثم أخرج إليها يده فإذا هي سوداء محترقة قال فرددت عليه التراب وانصرفت فكيف لا أبكي على حاله وأحزن عليه فقلنا فما كان أخوك يعمل في الدنيا قال كان لا يؤدي الزكاة من ماله قال فقلنا هنا تصديق قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْتَاعُونَ بِدَارِهِمْ أَثَمًا أَنْ هُمْ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُمْ شَرُّ لَكُمْ سَيُفَوَّقُونَ مَا يَخْلُو بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (١) . وأتوك عجب له العذاب في فيه إلى القيامة قال ثم خرجنا من عنده وأتينا أبا در صاحب رسول الله ﷺ وذكرنا له قضية الرجل ونسأله يهودي وانصرمى ولا يرى بينهم دنت قل أولئك لاشت أنهم في النار وإن يريكم الله أهل الإيمان لتعتبروا ، قال الله تعالى : ﴿ فَمَنْ أَهْمَرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ عَنِ لِمَعْنَاهَا وَمَا أَنَا بِمُتَّبِعٍ ﴾ (٢)

(٢) آية (٣٤-٣٥) سورة التوبة .

(٤) آية (١٨٠) سورة آل عمران .

(١) (صحيح) مسلم (٩٨٧) .

(٢) آية (٢٤-٢٥) سورة لماعز .

(٢) آية (١) سورة الهمة .

(٤) آية (٤) سورة المؤمنون .

(١) الاختلاف ٧ / ٥٣٦ .

(٣) سبق .

عليكم جميعاً<sup>(١)</sup> . وجاء في الخبر عن النبي ﷺ أنه قال مطيع الزكاة عند الله بمنزلة اليهودي والنصارى وسامع العشر عند الله تعالى بمنزلة المجوس ومن يمنح الزكاة والعشر من ماله طمعون على لسان الملائكة والى ﷺ ولا تقبل شهادته وقال طوبى له أن أدى الزكاة والعشر وطوبى لمن ليس عليه عذاب الزكاة وعذاب يوم القيامة ، ومن أدى الزكاة من ماله وقع الله عنه عذاب القبر وحرم الله لحمه على النار وأوجب له الجنة بغير حساب ولا يصله عذاب يوم القيامة .

### الباب الثاني والعشرون في بيان الزنا

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> أي من الفواحش وعما لا يحل لهم كما قال الله تعالى في آية أخرى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾<sup>(٣)</sup> يعني ما كبر وهو الزنا وما صغر وهو القبله واللمس والنظرة كما جاء في الخبر عن سيد البشر ﷺ أنه قال : « البدان والرجلان تزنيان والعيان تزنيان »<sup>(٤)</sup> قال الله تعالى ﴿ قُلْ لِلزَّانِمِينَ بُعْثُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَصُغُرُوا لِفُرُوجِهِمْ ذَلِكَ أَرْكَى لَهُمْ ﴾<sup>(٥)</sup> الآية . . . قد أمر الله تعالى الرجال والنساء بعض البصر من الحرم ويحفظ الفرج من الحرام وقد حرم الله الزنا في آيات كثيرة ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَنْقُصْ مِنْهَا شَعْبًا مِثْلَ بُرَّةٍ يُقَالُ فِي النَّارِ وَيُقَالُ وَادِيَا فِي النَّارِ وَيُقَالُ جَبَّ فِي النَّارِ إِذَا نَتَحَ فَمِنْ صَاحِ أَهْلِ جَهَنَّمَ مَنْ خَبِثَ وَانْتَحَتْ .

وروى عن بعض الصحابة أنه قال : إياكم والزنا فإن فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة أما التي هي الدنيا فقصران الرزق وقطع الأجل وسواد الوجه وأما التي هي الآخرة فعقوب الله وشدة الحساب ودخول النار .

وروى أن موسى - عليه السلام - قال يارب ما لي زنى ؟ قال الله تعالى اليسه درعا من النار لو وضع على جبل شاقق لأصبح ومادا .

وورد أن امرأة فاجرة أحب إلى إبليس من ألف عاجر . وفي الصحيحين قال رسول الله ﷺ : « إذا زنى العبد خرج الإيمان وكان فوق رأسه كائطلة فإذا خرج من ذلك العمل رجع إليه الإيمان »<sup>(٦)</sup> . وفي كتاب الإقناع قال النبي ﷺ : ما ذنب أعظم عند الله من نقطة يعضها الرجل

(١) آية (١٠٤) سورة الأنعام

(٢) آية (٥) سورة المؤمنون

(٣) آية (٥١) سورة الأنعام

(٤) آية (٣٠) سورة النور

(٥) آية (٦٨) سورة الفرقان

(٦) (صحيح) أبو داود (٤٦٩٠)

في رحم من لا تحل له . واللواط أشد من الزنا لما روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : من لاط لا يجد رائحة الجنة وإن راتحتنها لتوجد من مسيرة خمسمائة عام . قال العاصم الإمام رحمه الله سمعت بعض مشايخ يقول إن مع كل امرأة شيطان ومع كل علة ثمانية عشر شيطان . وروى من قبل علاما شهوة عذبه الله تعالى في النار خمسمائة عام ومن قبل امرأة شهوة فكانما ربي سبعين بكرا ومن ربي بالكبر فكانما ربي سبعين ألف نيب

وفي روث التفسير قال الكلبي : إن أول من عمل قوم لوط إبليس لعنه الله فتصور في صورة غلام أمره جميل ثم دعاهم إلى نفسه فتكبره فصار ذلك عادة لهم في كل غريب فأرسل لهم لوط - عليه السلام - فتهاهم عن ذلك ودعاهم إلى عبادة الله وتوحيدهم على إصرار العصية بعذاب الله فقالوا له اجتنب عذاب الله إن كنت من الصادقين ، فقال لوط ربه أن ينصره عليهم فقال رب انصرنى على القوم المفسدين فأمر الله السماء أن تمطر عليهم بالحجارة مكتوب على كل حجر اسم من رمى به وهو معنى قوله ﴿ مُنْزَلَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ ﴾<sup>(١)</sup> أي معلمة أي عليها علامة في خرائط الله أو في حكمه .

وحكى : أن رجلا فاجرا من قوم لوط كان بمكة فجاء حجر ليصيه في الحرم فقالت للملائكة الحجر ارجع من حيث جئت فإن الرجل في حرم الله فرجع الحجر فوقف خارج الحرم أرمعين يوما بين السماء والأرض حتى قضى الرجل نهاره فلما خرج أصابه الحجر فخارجا عن الحرم فأهلكه وكان لوط قد أخرج امرأته معه ونهى من تبعه أن يلتفت خلفه إلا امرأة لوط فلأنها لما سمعت هذا العذاب التعتت وقالت واقوما فأدركها حجر فوقع على رأسها فقتلها . قال مجاهد لما أصبحوا غدا جبريل على قريتهم وقلعها من أركانها ثم أدخل جناحه ثم حملها على حوافي جناحه بما فيها ثم صعد بها إلى السماء حتى سمع أهل السماء صياح فيكتهم وتباح كلابهم ثم قلبها فكان أول ما سقط منها مرادفها فلم يصب قوما ما أصابهم ثم إن الله طمس على أعينهم ثم قلبت قريتهم وهي خمس ملأان أكبرها سدوم وهي المؤتفكات المذكورة في سورة براة يقال كان فيها أربعة آلاف لب .

### الباب الثالث والعشرون

#### في صلة الرحم وحقوق الوالدين

قال الله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾<sup>(٢)</sup> أي واتقوا الأرحام أن تقطعوها .

(١) آية (١) سورة النساء

(٢) آية (٨٣) سورة هود .

وروي عن أبي بصير **« فَمَنْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطُّوا أَرْحَامَكُمْ (٢٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَ اللَّهُ فَعَسَتْهُمْ وَأَهْلُ أَهْلِهِمْ » (١)**.

وروي عن أبي بصير **« وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوعَى وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ سُوءُ النَّارِ » (٢)**.

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال رسول الله ﷺ **« إِنْ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْخَمْسَ حَسَى ، دَفْعَ مَنَّهُمُ الرَّحْمَ فَقَالَتْ هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بَكَ مِنَ الْفُطَيْعَةِ قَالَ نَعَمْ أَمَّا تَرْضِينَ أَنْ أُصِلَ مِنْ وَصْلِكَ وَأَقْطَعَ مِنْ قَعْدِكَ قَالَتْ بَلَى قَالَ فَنُفِثَ لَكَ »** . ثم قال رسول الله ﷺ **« أَتَرَأَوْنَ أَنْ شَتَمَ » فَمَنْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطُّوا أَرْحَامَكُمْ (٢٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَ اللَّهُ فَعَسَتْهُمْ وَأَهْلُ أَهْلِهِمْ »** . ورواه أيضا الترمذي وقال حديث حسن صحيح ، وابن ماجه والحاكم وقال صحيح الإسناد (٣) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ **« مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِمَنْ يَصْنَعُهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدْخُرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْبُغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحْمِ » (٤)** والشيخان **« لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ »** قال سفيان يعني قاطع رحم . وأحمد بسنده ورواه ثقات : **« إِنْ أَعْمَلَ بَنَى آدَمَ تَعَرَّضَ كُلَّ خَمِيسٍ وَلَيْلَةٍ جُمُعَةٍ فَلَا يَقْبَلُ عَمَلُ قَاطِعِ رَحِمٍ »**

وابن حبان وغيره : **« ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ . . مَنَعْنِ الْخَمْرَ وَقَاطِعِ الرَّحْمِ وَمَعْلُقِ السَّحَرِ » (٥)** . وأحمد مختصرا وابن أبي الدنيا والبيهقي : **« يَبِيتُ قَوْمٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى طَعْمٍ وَشَرْبٍ وَلَهْوٍ وَلَعِبٍ فَيَمُوتُونَ قَدْ مَسَحُوا قُرْدَةً وَخَنَازِيرَ وَلَيُصِيبُهُمْ خَسْفٌ وَقَدْفٌ حَتَّى يَصِيبَ النَّاسَ فَيَقُولُونَ خَسَفَ اللَّيْلَةُ بَيْنِي فَلَانٌ وَخَسَفَ اللَّيْلَةُ بَيْنَهُ فَلَانٌ وَلَتُرْسَلُنَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ كَمَا أُرْسِلَتْ عَلَى قَوْمِ لُوطَ عَلَى قِبَائِلٍ فِيهَا وَعَلَى دُورٍ وَلَتُرْسَلَنَّ عَلَيْهِمُ الرِّيحُ الْعَلِيمُ الَّتِي أَهْلَكْتَ عَادًا عَلَى قِبَائِلٍ فِيهَا وَعَلَى دُورٍ بِشَرِّهِمْ الْخَمْرَ وَالْبَهْمَ الْحَرِيرَ وَاتَّخَذْنَاهُمْ الْقَبَائِلَ وَأَكَلَهُمُ الرِّيحَ وَقَطِيعَتُهُمُ الرَّحْمَ » (٦)** وخصلة نسبها جعفر والطبراني في الأوسط .

عن جابر - رضي الله عنه - قال خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن مجتمعون فقال : **« يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ اتَّقُوا اللَّهَ وَصَلُّوا أَرْحَامَكُمْ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ ثَوَابِ أَسْرَعٍ مِنْ صَلَاةِ الرَّحْمِ وَإِيَّاكُمْ وَالْبُغْيَ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَقُوبَةِ أَسْرَعٍ مِنْ عَقُوبَةِ بُغْيٍ وَإِيَّاكُمْ وَعَقُوبَةُ الْوَالِدَيْنِ فَإِنْ رِيحَ الْجَنَّةِ يَوْجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَلْفِ**

(١) آية (٢٣، ٢٤) سورة محمد .

(٢) (صحيح) البخاري (٥٩٨٧) ، ومسلم (٢٥٥٤)

(٣) (صحيح) الترمذي (٢٥١١) .

(٤) (صحيح) الحاكم (٥١٥) / ٤

(٥) (صحيح) أحمد (٣٩٩) / ٤

(٦) (صحيح) الحاكم (٥١٥) / ٤

عَمَ وَاللَّهُ لَا يَجِدُهَا إِلَّا بِغَمٍّ وَلَا فِطْعٍ رَحِمٍ وَلَا شَحٍّ وَلَا جَسَارٍ إِذْ بَرَهُ حَبْلًا ، وَمَا لِكَبِيرِهِ لَهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ » (١)

والأصهاني : كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ فقال لا يجالسنا ليوم قاطع رحم فقام ثنى من الحقة فأنى خالة له قد كان بينهما بعض الشيء فاستغفر لها فاستغفرت له ثم عاد إلى المجلس فقال النبي ﷺ : **« إِنْ الرَّحْمَةَ لَا تَزُلْ عَلَى قَوْمٍ فَيَهْمُ قَاطِعِ رَحِمٍ »**

والطبراني : **« إِنْ الْمَلَانِكَةَ لَا تَزُلْ عَلَى قَوْمٍ فَيَهْمُ قَاطِعِ رَحِمٍ »** .

والطبراني بسند صحيح عن الأعشى قال : كان ابن مموذ رضي الله عنه يجالس بعد الصبح في حلقه فقال أنشد الله قاطع رحم لما قام عما فلما يريد أن يدعو ربه وأن أبواب السماء مرتجة أي بضم ففتح والجيم محففة (معلقة) دون قاطع رحم .

والشيخان : **« الرَّحْمُ مَعْلُقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ مِنْ وَصَلْنِي وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعْنِي قَطَعَهُ اللَّهُ » (٢)** وأبو داود والترمذي ، وقال حديث حسن صحيح واحترس تصحيحه بأنه منقطع ورواه وصلة قال البخاري خطأ .

عن عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : **« قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا اللَّهُ وَأَنَا الرَّحْمَنُ خَلَقْتُ الرَّحْمَ وَشَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنْ أَسْمَى فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَنِي وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَنِي »** أو قال به أي قطعت .

وأحمد بإسناد صحيح : **« إِنْ مِنْ أَرَبٍ الرِّبَا الْإِسْتِعَالَةَ فِي عَرَضِ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَإِنْ هَذِهِ الرَّحْمُ شَجَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ فَمَنْ قَطَعَهَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ » (٣)** .

وأحمد بإسناد جيد قوي وابن حبان في صحيحه : **« إِنْ الرَّحْمُ شَجَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ تَقُولُ يَا رَبِّ إِنْ قَطَعْتَ يَارَبِّ إِنْ أَسْمَى إِلَى »** يارب إني ظلمت يارب يارب فيجيبها ألا ترضين أن أصل من وصحت وأقطع من قطعك (٤) .

والشجعة بكسر أوله وضمه وإسكان الجيم ، القرابة المشتبكة كاشتباك العروق ، ومعنى من الرحم أي مشتق لفظها من لفظ اسمه الرحم كما يأتي في الحديث على الأثر والبزار بإسناد حسن : **« الرَّحْمُ حَجَّةٌ مَتَمَسِكَةٌ بِالْعَرْشِ تَكَلِّمُ بِلِسَانٍ فَلَقَى اللَّهُمَّ صَلِّ مِنْ وَصَلِي وَأَقْطَعْ مِنْ**

(١) (صحيح) مجمع الزوائد (١٢٥) / ٥

(٢) (صحيح) البخاري (٥٩٨٨) ، ومسلم (٢٥٥٤)

(٣) (صحيح) أحمد (٦٠) / ١

(٤) (صحيح) أحمد (٤٠٦) / ٢ و ٤٥٥

قصص فيقول الله تبارك وتعالى : أنا الرحمن الرحيم وأني شفقت الرحمة من اسمي فمن وصيه ومن تكلمت بتكلمته . اخبئة ، صبغ احياء لمهمة واخيم ومخيف الوب ، صارة معر . أي الخديعة العمياء التي يعنى بها الخيط ثم يعنى العزل والبنك القطع ، والبوار : ثلاث متعلقات بالعز : الرحمة تقول : إني بك فلا أقطع ، والأمانة تقول : اللهم إني بك فلا أعان ، وتلمعة تقول : اللهم إني بك فلا أكفر ، والبزار واللفظ له واليهي الطابع معلق بقائمة العرش فإذا استكت الرحمة وعمل بالخاصة واجترأ على الله تعالى بعث الله الطابع ليطلع على فيه فلا يغفل بعد فذلك شيئا .

وأخرج الشيخان : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه » ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » (١) .

وأخرج أيضا « من أحب أن يسقط له في رزقه وينسأ (أي يؤخر) وهو يضم أوله وتشديد الله للمهل وبالهمز ) له ، في أثره أي أجله فليصل رحمه » (٢) « ومن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من سره أن يسقط له في رزقه أو ينسأ له في أثره فليصل رحمه » . ورواه البخاري والترمذي ، ولفظه قال : « تعلموا من قسائكم ما تصلون به أرحامكم » فإن صلة الرحم محبة في الأهل مثارة في المال منسأة في الأثر » . أي بها الزيادة في العمر . وعبد الله بن الإمام أحمد في زوائد المستد ، والبزار بإسناد جيد والحاكم « من سره أن يمد له في عمره ويوسع له في رزقه ويدفع عنه ميتة السوء فليقل الله وليصل رحمه » ، والبزار استأذ لا بأس به والحاكم وصححه أنه ﷺ قال : « مكتوب في الثوراة : من أحب أن يزداد عمره وفي رزقه فليصل رحمه » (٣) وأبو يعلى : أن الصدقة صلة الرحم يزيد الله بهما في العمر ويدفع بهما ميتة السوء ويدفع بهما المكروه والمحنور . وأبو يعلى بإسناد جيد . عن رجل من ختعم قال : « أتيت النبي ﷺ وهو في نفر من أصحابه فقلت أنت الذي تزعم أنك رسول الله قال نعم » قال قلت يا رسول الله أي الأعمال أحب إلى الله قال الإيمان بالله قلت يا رسول الله ثم مه قال صلة الرحم قلت يا رسول الله أي الأعمال أحب إلى الله قال الإشراف بالله قلت يا رسول الله ثم مه قال فطاعة الرحمن » .

والبخاري ومسلم واللفظ له « وقف أمر أبي لرسول الله ﷺ وهو في سفر فأخذ بحطام نافذة أو برصاصها ثم قال يا رسول الله أو يا محمد أخبرني بما يقربني من الجنة ويباعدني من النار فكيف

أبى ﷺ ثم بعث من أصحابه ثم قال : لقد وفق هذا أو لقد هدى قال كيف قلت فأعادها فقال النبي ﷺ تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم . . . « دع الباقي » (١) وفي رواية : « وتصل قارحك » . فلما أدير قال رسول الله ﷺ : إن لمسك بها أمرته به دخل الجنة » . والطبراني بإسناد حسن : « إن الله ليحمر بالقوم الديار ويسمى لهم الأموال وما نظر إليهم منذ خلقهم بعضها لهم قبل وكيف ذلك يا رسول الله قال يصلونهم أو حادهم » . وأحمد بسند رواه ثقات إلا أن فيه انقطاعا أنه من أعطى الرق أعطى حقه من غير الدنيا والآخرة وصلة الرحمن وحسن الجوار وحسن الخلق يحمر الديار ويؤتى في الأعمال . وأبو الشيخ وابن حبان والبيهقي . يارسول الله من غير الناس قال : أتقاهم للرب وأوصلهم للرحم وأمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر . والطبراني وابن حبان في صحيحه واللفظ له من أبي ذر - رضي الله عنه - قال « أوصاني خليلي ﷺ بخصال من الخير أوصاني أن لا أنظر إلى من هو فوقني وأن أنظر إلى من هو دوني وأوصاني بحب المساكين والدنومهم » وأوصاني أن أصل رحمي وإن أدبرت وأوصاني أن لا أخاف في الله لومة لائم وأوصاني أن أقول الحق وإن كان مرا وأوصاني أن أكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة » . والشيخان وغيرهما من ميمونة - رضي الله عنها - أنها اعتقدت وليدة لها ولم تستأذن النبي ﷺ فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه قالت أشعرت يارسول الله أني اعتقت وليدتي قال أما أنك لو أعطيتها أحوال كانت أعظم لأجرك » وابن حبان والحاكم « أتى النبي ﷺ وجل فقال إني أدتبت فتبا عطيها فهل لي من ثوبة قال هل لك من أم قال لا قال وهل لك من خالة قال نعم قال غيرها » .

والبخاري وغيره « ليس الواصل بالكمالي ولكن الواصل السلي إذا قطعت رحمه وصلها » (٢) . والترمذي وقال حسن : « لا تكبروا إمامة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلموا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تחסنوا وإن أساءوا أن لا تظلموا » (٣) والإمامة بكسر ففتح وتشديد لمهملة هو الذي لا رأى له فهو يتبع كل واحد على رأيه . وفي مسلم « يارسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني » وأحسن إليهم ويسيتون إلى وأحلم عليهم ويجهلون على فقال : إن كنت كما قلت فكأنه نسف لئلا أي ، يفتح تشديد ، الرماذ الحار ولا يرال معك من الله طهر عليهم مادمت على ذلك » والطبراني وابن خزيمة في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم : أفضل الصدقة صدقة على ذي الرحم الكاشح (٤) . أي الذي

(١) (صحيح) البخاري (١٣٩٧) ، ومسلم (١٤) .

(٢) (صحيح) البخاري (٥٩٩١) ، وأحمد ١٦٣ / ٢ .

(٣) (حسن) الترمذي (٢٠٠٧) .

(٤) (صحيح) الحاكم ١٠٦ / ١ .

(١) (صحيح) البخاري (٦٠١٩) ، ومسلم (٤٧-٤٨) .

(٢) (صحيح) البخاري (٥٩٨٦) ، ومسلم (٢٥٥٧) .

(٣) (صحيح) الحاكم ١٦٠ / ٤ ، وصحيح الجامع (٥٢٧٢) .

بضمير عدائته في كشحه أي خصمه كتابة عن باطنه ، وهو في معنى قوله ﷺ : « وتصل من قطعك » - البزار والطبراني والحاكم وصححه واعتزله بأن فيه واحدا : « ثلاث من كن فيه - حاسبه الله حسابا يسيرا وأدخله الجنة برحمته قالوا وما هي يا رسول الله قال تعطي من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك فإذا فعلت ذلك يدخلك الجنة » - وأحمد بإسنادين أحدهما رواه ثقات عن عتبة بن عامر - رضى الله عنه - قال « لقيت رسول الله ﷺ فأخذت بيده فقلت يا رسول الله أخبرني بفواضل الأعمال فقال يا عتبة : صل من قطعك واعط من حرمك واحف عمن ظلمك » وأد الحاكم : « ألا ومن أراد أن يمدني عمره ويسقط في رزقه فيصل رحمه » والطبراني بسند صحيح به : « ألا أدلك على أكرم أخلاق الدنيا والآخرة أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وأن تعفو عمن ظلمك »<sup>(١)</sup> والطبراني : « إن أفضل الفضائل أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصفح عمن شتمك » والبزار « ألا أدلكم على ما يرفع الله به الدرجات ، وفي رواية للطبراني ألا أثبتكم بما يشرف الله به البنيان ويرفع به الدرجات قالوا نعم يا رسول الله قال تعلم على من جهل عليك وتعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك » .

وابن ماجه « أسرع الخير ثوابا البر وصلة الرحم ، وأسرع الشر حقوة البشى وقلعة الرحم »<sup>(٢)</sup> والبيهقي : « ما من فئب أجدر أن يمجى لصاحبه العفوة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من قطة الرحم والخيانة والكذب وإن أصبل البر ثوابا لصلة الرحم حتى إن أهل البيت ليكونن فجرة فتموا أموالهم ويكثر عددهم إذا تواصلوا »<sup>(٣)</sup>.

### الباب الرابع والعشرون

#### فصل في بر الوالدين

أخرج الشيخان عن ابن مسعود - رضى الله عنه - قال « سألت رسول الله ﷺ : أي العمل أحب إلى الله قال الصلاة لوقتها ثم قلت ثم أي قال بر الوالدين ، قلت ثم أي قال الجهاد في سبيل الله » ومسلم وغيره : « لا يجرى ولد والده إلا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه »<sup>(٤)</sup> ومسلم أفضل رجل إلى رسول الله ﷺ فقال أبايك على الهجرة والجهاد أثنى الأجر من الله تعالى فقال فهل

من والديك أحد حتى قال نعم بل كلاهما حتى قال فشئني لأمر من الله من نعم قد وجع من والديك فأحسن صحبتهما وأبو يعنى والطبراني بسند جيد : أتى رجل رسول الله ﷺ فقال : « بر أستبني الجهاد ولا أقدر عليه قال هل بقي من والديك أحد قال أمي قال فاسأل الله في برها مرة ففعلت فأنت حرج ومعتز ومجاهد ، والطبراني « يا رسول الله إني أريد الجهاد في سبيل الله - أملك حية قال نعم قال ﷺ : الزم رجلها فثم الجنة »<sup>(١)</sup> وابن ماجه : « يا رسول الله ما حق الوالدين على ولدهما من حب حنك وتارك ، وابن ماجه والسائي واللفظ له والحاكم وصححه : « يا رسول الله أردت أعرو وقد حنت أشتري فقال : هل لك من أم قال نعم قال الزمها فإن الجنة عند رجلها »<sup>(٢)</sup> ، وفي رواية صحيحة : « ألك والدان قال نعم قال الزمهما فإن الجنة تحت أرجلها » . والترمذي وصححه عن أبي الدرداء - رضى الله عنه - أن رجلا أتاه فقال يه إن لي امرأة وإن أمي تأمرني بطلاقها فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الوالد أوسط أبواب الجنة فإن شئت فأضرب ذلك الباب أو احفظه » . وابن حبان في صحيحه « أن رجلا أتى أبا الدرداء فقال إن أبي لم يزل يه حتى زوجني وإنه الآن يأمرني بطلاقها قال : ما أنا بالذي أمرك أن تعق والدتك ولا بالذي أمرك أن تطلق زوجتك غير أنك إن شئت حدثتك بما سمعت من رسول الله ﷺ سمعت يقول : « الوالد أوسط أبواب الجنة فحافظ على ذلك أو دع قال وأحسب عطاء قال فطلقها »<sup>(٣)</sup> . وأصحاب السنن الأربعة وابن حبان في صحيحه ، وقال الترمذي حدث حسن صحيح عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال : كان تحت امرأة أحبها وكان عمر يكرها فقال لي طلقها فأبيت فأتى عمر رسول الله ﷺ فذكر ذلك له فقال لي رسول الله ﷺ : طلقها . وأحمد بسند صحيح : من مره أن يمد له في عمره ويؤاد في رزقه فليبر والديه وليصل رحمه وأبو يعلى وغيره وصححه الحاكم « من ير والديه طويى له زاد الله في عمره »<sup>(٤)</sup> وابن ماجه وابن حبان في صحيحه واللفظ له والحاكم وصححه « أن الرجل ليحرم الرزق بالذنوب يصيبه ولا يرد القدر إلا الذنء ، ولا يزيد في العمر إلا البر » ، وفي رواية للترمذي وقال حسن غريب : « لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر »<sup>(٥)</sup> ، والحاكم وصححه « عفا عن نساء الناس تعف نساؤكم ويروا أباءكم تبركم أساؤكم ومن أتاه أخوه متصلا فليقبل ذلك محققا كان أو مبطلا فإن لم يفعل لم يرد على الحرم » .

(١) الطبراني ٨ / ٣٧٢

(٢) (حسن) ابن ماجه (٢٧٨) ، والسائي ٦ / ١١ وصحيح الجامع (١٢٤٨ - ١٢٤٩)

(٣) (صحيح) الترمذي (١٩٠٠)

(٤) (صحيح) الحاكم ٤ / ١٥٤

(٥) (حسن) الترمذي (٢١٣٩) ، وصحيح الجامع (٧٦٨٧)

(١) مجمع الروايات ٨ / ١٨٨

(٢) ضعيف جداً (ابن ماجه (٤٢١٢) ، وضعيف الجامع (٨١٠)

(٣) مجمع الروايات ٨ / ١٥٦

(٤) (صحيح) مسلم (١٥١٠)

والطيراني بإستاد حسن : « يروا آباءكم تبركم أبائكم وعموا تعف نسائكم » (١)

ومسلم : « رغب أمه ثم رغب أمه ثم رغب أمه ، أي تصق بالرخام وهو التراب من اللؤلؤ ، قبل من يارسل الله قال من أدرك والديه عبد الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة أو لا يدخلها »

والطيراني بإستاد أحدها حسن : « بعد النبي ﷺ المنير فقال أمين أمين أمين ثم قال : أثنى جبرائيل - عليه السلام - فقال يا محمد من أدرك أحد أبويه ثم لم يبرهما سمات فدخل النار فأبعده الله قل أمين فقلت أمين فقال يا محمد من أدرك شهر ومضان سمات فلم يحضر له فأدخل النار فأبعده الله قل أمين فقلت أمين قال ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك سمات فدخل النار فأبعده الله قل أمين فقلت أمين . « ورواه ابن حبان في صحيحه إلا أنه قال فيه : « ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما سمات فدخل النار فأبعده الله قل أمين ، فعلت أمين ، « ورواه الحاكم وغيره وقال في آخره فلما رقيت الثالثة قال بعد : « من أدرك أبويه الكبر حده أو أحدهما فلم يدخل الجنة فأبعده الله قل أمين فقلت أمين . « ورواه الطبراني وفيه من أدرك والديه أو أحدهما فلم يبرهما فدخل النار فأبعده الله وأسحقه قلت أمين . وأحمد من طرق أحدها حسن : « من اعتق رقبة مسلمة فهي فداؤه من النار ومن أدرك أحد والديه ثم لم يقضر له فأبعده الله ، زاد في رواية وأسحقه . « والشيخان يارسل الله من أحق الناس بحسن صحابتي قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أبوك . « والشيخان هن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما - قالت : « قدمت على أمي وهي مشرقة في عهد رسول الله ﷺ فاستغثت رسول الله ﷺ فقلت قدمت على أمي وهي راغبة أي عن الإسلام أو فيما عتدي أناصل أمي قال نعم صلى أمك » . « وابن حبان في معصية الوالد أو قال الوالدين معصية الرب ، وفي أخرى للبخاري : « رضا الرب من رضا الوالد أو قال الوالدين وسخط الله في سخط الوالد أو قال الوالدين » (٢) ، وفي رواية للطبراني : طاعة الله في طاعة الوالد أو قال الوالدين ومعصيته في معصية الوالد أو قال الوالدين وفي أخرى للبخاري : رضا الرب تبارك وتعالى في رضا الوالدين وسخط الرب تبارك وتعالى في سخط الوالدين

والترمذي واللفظ له وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرطهما : « أثنى النبي ﷺ ورجل فقال إني أفتيت دنيا عظيمه فهل لي من ثوبة قال : هل لك من أم قال لا قال فهل لك من خالة قال نعم قال فبرها » (٣) وأبو داود وابن ماجه « يارسل الله هل بقي من بر أبواي شيء

أبرهما به بعد موتهما قال نعم الصلاة عليهما أي الدعاء لهما والاستغفار لهما وإعداد عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقتهما » ، ورواه ابن حبان في صحيحه بزيادة : قال : « لرجل ما أكثر هذا يارسل الله وأطيعه قال فاعمل به » .

ومسلم أن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - لقيه رجل من الأعراب بطريق مكة فسلم عليه عبد الله بن عمر وحمله على حمار كان يركبه وأعطاه عمامة كانت على رأسه ، قال ابن حبان فقلت أصلحك الله إنهم الأعراب وهم يرضون باليسير فقال عبد الله بن عمر إن أباهما كان ودودا لعمر بن الخطاب وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أبا البر صلة الولد أهل ود أبيه » (١) . « وابن حبان في صحيحه عن أبي بردة - رضي الله عنه - قال : « قدمت المدينة فأتاني عبد الله بن عمر فقال أتدري لما أتيتك قلت لا قال فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أحب أن يصل أباه في قبره فيصل إخوان أبيه بسده وإنه كان بين أبي عمر وبين أبيك إخوان وود فأجبت أن أصل ذلك » (٢) « وفي حديث الصحيحين وغيرهما المشهور بروايات متعددة : « أن ثلاثة نفر من كان قبلنا خرجوا يتماشون ويرتادون لأهلهم فأخذهم بطر حتى أودوا إلى غار في الجبل فالتجسست على فمهم صخرة فسقطت فقلوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا بصالح أعمالكم ، وفي رواية فقال بعضهم ليمض انتظروا أحمالا حملتموها لله عز وجل صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها ، وفي أخرى فقال بعضهم لبعض عفى الأثر ووقع الحجر ولا يعلم مكانكم إلا الله فادعوا الله يأتوا أعمالكم فقال أحدهم اللهم إنه كان لي أبوان شيخان كبارا وكنت لا أعيق قبلهما أهلا ولا مالا فأبى بي طلب شجر يوما فلم أرح عليهما حتى ماما فعلت لهما غيبوتهما فوجدتهما باليمن فكرهت أن أعيق قبلهما أهلا أو مالا فلبت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى يرقى الفجر فاستيقظا فشربا غيبوتهما اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من الصخرة ففرجت شيئا لا يستطيعون الخروج ، وفي رواية : « وفي رواية أخرى صغار كنت أراهي فإذا رحت عليهم فحلت يداي بوالدي أسقيهما قبل ولدي وإنه نأى بي طلب الشجر يوما فما أتيت حتى أميت فوجدتهما قد ناما فحلبت كما كنت أحب فبحث بالخلاط فعمت هند رؤوسهما أكره أن أو قطعهما من نومهما وأكره أن أبدأ بالصبي قبلهما ، والصبي يتضاهاون عند قدمي فلم يزل ذلك تأني ردايهم حتى طلع الصبح فإني كنت تعلم أني قد فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا فرجة نرى منها السماء ففرج الله لهم فرجة حتى يروا منها السماء وذكر الآخر عنه عن الرضا بآية عه والآخر تبعه لئلا أجبر فانفرت عنهم كلهم وخرجوا يتماشون » .

(١) (صحيح) (مسم) (٢٥٥٢)

(٢) (صحيح) (صحيح الجامع) (٥٩٠)

(١) مجمع الزوائد ٨ / ٣٨ و ٨١ .

(٢) مجمع الزوائد ٨ / ٣٩

(٣) سبق شرحه .



## الباب السادس والعشرون

## في طول الأمل

قال **عنه** : « أحوف ما أخاف هيكم اثنتان طول الأمل واتباع الهوى ، وأذن طول الأمل ينسى الآخرة واتباع الهوى يصد عن الحق » .

وقال أبو الدرداء - رضي الله عنه - أنه أشرف على أهل حمص فقال: ألا تستحون نبتون ما لا تسكنون ، وتأملون ما لا تتركون ، وتجمعون ما لا تأكلون ، إن الذين كنتم قبلكم بهو شديدا وجمعوا كثيرا وأملوا فاصبحت مساكنهم قيورا وأمالهم ففروا وجمعهم هورا .

وقال علي بن أبي طالب لعمري - رضي الله عنهما - : إذا أردت أن تلقى صاحبك فترفع قميصك واخصف ثملك وقصر أمثلك وكل هو الشيع .

وأوصى آدم لبنته شيث - عليهما السلام - بخمسة أشياء وأمره أن يوصي بها أولاده من بعده أولها قال له قل لأولادك لا تطمعوا للثمنيا فإني اطمأنت بالجنة الباقية فأخرجني الله منها ، والثاني قل لهم لا تعلموا بهوى تسائلكم فإني عملت بهوى إسرائيل وأكلت من الشجرة فلحقني القنامة ، والثالث قل لهم كل عمل تريدونه فانظروا عاقبته فإني لو نظرت عاقبة الأمر لم يصني ما أصابني ، والرابع إذا اضطربت قلوبكم بشيء فاجتنبوه فإني حين أكلت من الشجرة اضطرب قبي فلم أرجع للحقني التدم ، والخامس استشيروا في الأمور فإني لو شاورت الملائكة لم يصيبي ما أصابني . وقال مجاهد قال لي عبد الله بن عمر : إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بئساء وإذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من حياتك قبل موتك ومن صحبتك قبل مفارقتك فإني لا تدري ما أسلك هذا . وقال **عنه** لأصحابه : « أريد كلكم أن يدخل الجنة قالوا : نعم يا رسول الله . قال أنصروا الأمل واستحيوا من الله حتى الحياء . قالوا : كلنا نستحي من الله تعالى قال ليس ذلك بالحياء ولكن الحياء من الله تعالى أن تذكروا المقابر والبلى وتحفظوا الجوف وما حوى والرأس وما وعى ومن يشتهي كرامة الآخرة يدع زينة الدنيا فهالك استعيا العبد من الله حق الحياء وبها صيب العبد ولاية الله تعالى » . وقال **عنه** : « أول صلاح هذه الأمة بالزهد واليقين وهلاك حرم بالبعول والأمل » (١)

وروي عن أم المنذر أنها قالت طلع رسول الله **ﷺ** ذات عشية إلى الناس فقال « أيها الناس - تستحون من الله قالوا وما ذلك يا رسول الله قال . تجمعون ما لا تأكلون وتأمبون ما لا تدركون ينوب ما لا تسكنون » (٢)

مسند المصنف ( ٥٢٨١ )

\* كتاب السادة المثنيين ١٠ / ٢٣٧

وعن أبي سعيد الخدري قال : « اشترى أسامة بن زيد بن ثابت وليلة جملة دينار إلى شهر فسمعت رسول الله **ﷺ** يقول ألا تمجبون من أسامة المشتري إلى شهر إن أسامة لطويل الأمل والذي نفسي بيده ما طرقت عياني إلا ظننت أن شمري لا يدقيان حتى أفيض ولا لقد - لقيمة إلا طبت أسي لا أسفها حتى أحصى بها من الموت ثم قال يا بني آدم إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى والذي نفسي بيده إنما تواعدون لآت وما أنتم بمجبرين » .

وعن ابن عباس - رضي الله بهما - أن رسول الله **ﷺ** كان يخرج بهريق الماء فيتمسح بالتراب فأقول له يا رسول الله إن الماء منك غريب فيقول : ما يدريني لعني لا أبلغه .

وقيل بينما عيسى - عليه السلام - جالس وشيخ يعمل بمسحاة يثر بها الأرض فقال عيسى : اللهم ائزع من الأمل فرجع الشيخ المسحاة واضجع حيث مسحة فقال عيسى اللهم اردد عليه الأمل فقام فجعل يعمل فساله عيسى عن ذلك فقال يسما إنا أهل لاذ قالت لي نفسي إلى متى تعمل وأنت شيخ كبير فأنثيت المسحاة واضجعت ثم قالت لي نفس والله لا بد من عيش ما بقيت فممت إلى مسحتي .

## الباب السابع والعشرون

## في ملازمة الطاعة وترك الحرام

معنى الطاعة القيام بفروض الله تعالى والاجتناب لمحارمه والوقوف عند حدوده قال مجاهد في قول الله عز وجل : ﴿ وَلَا تَقْسُ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِينِهَا ﴾ (١) هو أن يعمل العبد بطاعة الله تعالى . وأعلم أن أصل الطاعة العلم بالله والرجاء في الله والمراقبة به ، فإذا تجرد العبد من هذه الخصال لم يترك حقيقة الإيمان لأنه لا تصح الطاعة لله إلا بعد العلم به والإيمان بوجوده خالفا علما قادرا لا يحيط به علم ولا يتصوره وهم ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

قال أعرابي لمحمد بن علي بن الحسين - رضي الله عنهم - : هل رأيت الله حين عبده قال لم أكن أعبد من لم أوه قال كيف وأبته قال لم تره الأبصار بمشاهدة العيان لكن رأته القلوب بحقيقة الإيمان لا يدرك بالحواس ولا يشبه بالناموس معروف بالآيات متصوت بالعلامات لا يجوز في الفضليات ذلك الله لا إلا هو رب الأرض والسموات فقال الأعرابي الله أعلم حيث يجعل رسالته

(١) آية ( ٧٧ ) سورة القصص



روى أن كعب الأحرار قال لو أن من آدم تلقوا من اليقين مقالحة من عظمة الله  
لشوى على الماء والريح . فبحان من جعل الأقرار بالعجز حق إدراك معرفته إيمانا قد  
لنعم عليه بالسجود عن ذلك شكره شكرا . قال محمود التوراني .

إذا كان شكرى معمة الله معمة ••• على له في مثلها يحب الشكر  
مكيف يلوغ الشكر الا بفضلله ••• وإن طالت الأيام واتصل العمر  
إذا من بالصراء هم سرورها ••• وإن من بالصراء أعقبها الأجر  
وما منها إلا لله فيه نعممة ••• تضيق لها الأوهام والبر والبحر

إذا ثبت العلم بالربوبية تعين الإقرار بالعبودية وإذا تقرر الإيمان في القلب وجبت الطاعة  
للب ••• والإيمان نوعان ظاهر وباطن فالظاهر النطق باللسان والباطن الاعتقاد بالقلب والمؤمنون  
متباينون في منازل القرب متفاوتون في درجات الطاعة والإيمان جامع لهم يقدر حظ كل واحد  
منهم من المربة وتكثفه من هلو المربة في الإخلاص لله والتوكل عليه والرضا بحكمه . فأما  
الإخلاص فلن لا يطلب العبد بما يعمل جزاء من الخالق والله خلقكم وما تعملون فون كانت  
الطاعة رجاء للمثوبة وخوفا من العقوبة فذلك العبد لا يكون كامل الإخلاص فإنه لنفسه سعى .  
روى أنه **عنه** قال لا يكن أحدكم كالكلب السوء إن خاف عمل ولا كالأجير السوء إن لم يعط  
أجر ألم يعمل .

وقال تعالى . ﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير أطاعه به وإن أصابته فتة انقلب  
على وجهه خسر الدنيا والآخرة ﴾ (١) وإنما تعينت علينا وتقدم له من الإحسان إلينا فضلا عن كونه  
أمرنا بها ليرتب الجزاء عليها فضلا ويجازى من ضل عنها عدلا . وأما التوكل فهو الاعتماد على  
الله سبحانه عند الحاجة والاستناد إليه مع الضرورة والثقة به عند المازلة مع سكون النفس  
وطمأنينة القلب فالتوكلون على ربهم علموا أنه المقدر والأسباب تحت حكم الخالق المدير لا  
يركونون لأبياء ولا أبناء ولا أموال ولا مصالح بل صرفوا يهديه جميع الأمور إليه ولم يعتمدوا في  
حال من الأحوال إلا عليه ومن يتوكل على الله فهو حسبه وأما الرضا فهو طيب النفس بما يجري  
به المقدر . قال بعض العلماء أقرب الناس إلى الله أرضاهم بما قسم لهم . ومن كلام الحكماء  
رب مسرة هي الداء ومرص وهو الشفاء كما قال .

كم نعممة مطوية ••• لك من أميـاب النوائب  
ومسيرة قبيـد أفتت ••• من حيث ترقب المصائب

(١) آية (١١) سورة الحج

فصبر على حـدث ••• ن دهرك في الأمور لها عواقب  
ولكل كرب فرجـة ••• ولكل حـالة صواب  
وحسنا قول الله عز وجل : ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ (١)

واعلم أنه لن يستكمل العبد طاعة ربه ألا يرضى الدنيا . وفي بعض الحكم أبلغ المواظ مالم  
يحجبها عن القلب وهذه الحجب إما هي عوارض الدنيا .

ومن كلامهم الدنيا ساحة فاجعلها طاعة . قال أبو الوليد الباجي :

إذا كنت أعلم علما بقينا ••• بأن جميع حياتي كساعة  
فلم لا أكون ضينا بها ••• واجعلها في صلاح وطاعة

« وقال رجل لرسول الله إنى أكره الموت قال : ألك مال قال نعم قال قدم مالك فإن قلب  
المرء عند ماله » (٢)

وروى عن عيسى عليه السلام أنه قال البرقى ثلاثة : النطق والنظر والصمت فمن كان متلفه  
في غير ذكر الله فقد لعا ومن كان نظره في غير اعتبار فقد سها ومن كان صمته في غير فكر فقد  
لها . وترك الدنيا يكون باطراح الفكرة في أحوالها وترك التمتع بذاتها فإن العكرة تبعث الإرادة  
لتعلق النفس بالعكرة .

وليحذر من إرسال النظر فيما لا يعمل فإنه سهم صائب وسلطان خالب . قال - عليه الصلاة  
والسلام - : « النظر سهم من سهام إبليس فمن تركها مخافة الله تعالى أعقبه إيمانا يهد طعمه في  
قلبه » (٣) ومن كلام الحكماء من أطلق نظره كثر أسفه . أدمان النظر يكشف الخبر ويفضح البشر  
ويطول به المكث في سفر احتفظ عيبك فانك أن أظفتها أرفعتك في مكروه وإن ملكتهما ملكك  
سائر جوارحك .

قيل لأفلاطون أيهما أشد ضررا بالقلب السمع أم البصر قال هما للقلب كالجراحين للعائر لا  
يستقل إلا بهما ولا ينهض إلا بقوتهما وربما نص أحدهما فتنهض الآخر حتى تعب وشغف . وقال  
محمد بن ضوء كفى بالعبد نقصان عد الله وضعة عد ذوى القول أن ينظر إلى كل ما يشغ له .

رأى بعض الزهاد رجلا يصيحك إلى قلام فقال له يا غريب العقل والقلب ولا تحرب الطرف  
أما تستحي من كرام كاتيب وملائكة حـطبين يحفظون الأعمال ويكتبون الأعمال وينظرون إليك

(١) آية (٢١٦) سورة البقرة .

(٢) بحاف الساجد ٨ / ١٤٦ ، والمعنى عن حمل الأسفار ٢ / ٢٢٧ .

(٣) (صبر) الحاكم ٤ / ٣١٤

ويشهدون عليك بالبلاء الطاهر والعل الدخيل المخامر الذي أقمت نفسك فيه مقام من لا يبالي من وقف عليه ويظر من الخلق إليه ، وللقاضي الأرجاني :-

تتمتعها يا ناظرى بنظرة •• فأوردتها قلبى أشبه الموارِد  
أعينى كما حسن فؤادى فإنه •• من البعى معنى اثنين فى قتل واحد

وقال على - كرم الله - وجهه الميؤن مصائد الشيطان والعين أنعم الجوارح سرعة وأشدّها سرعة من اتبع جوارحه نفسه فى طاعة ربه لقد وصل أمّله ومن اتبع جوارحه نفسه فى تيل لذته فقد أحبط عمله وأنشدها :

إذا ما صفت نفس المرء لطاعة •• ولما تشبها للمعاصى شوائب  
واتبعها فعل الجوارح كلها •• فتلك عليه أنعم ومواب  
تلفته فى دار الخلود كرامة •• إذا جيب للمعاصى ستم وغارب

قال عبد الله بن المبارك أصل الإيمان التصديق بما جاءت به الرسل فمن صدق القرآن خرج إلى العمل به ونجا من الخلود فى النار ومن احتسب المحارم خرج إلى التوبة ومن أخذ القوات من حله خرج إلى الورع ومن أدى التراضى صح إسلامه ومن صدق لسانه سلم من التبعات ومن رد المظالم نجا من القصاص ومن أتى بالحق زكت أعماله ومن أخلص لله قبل عبده .

وروى عن أبي الدرداء أنه قال لرسول الله ﷺ يا رسول الله أوصنى قال له : « اكتسب طيبا وأعمل صالحا وصل الله رزق يوم ليوم وعد نفسك من الموتى » .

ويحذر من الاعجاب بالعمل فإنه من أعظم الآفات وأحبط الأعمال فإن المعجب بعمله عثر على ربه وما يدريه أقبل منه أم رد عليه رب منصبة أورث ذلا وانكسارا أخير من طاعة أورث حرا وانكسارا . ويحذر أيضا من الرياء قيل فى قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ هُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا بِمَعْلُومٍ ﴾ (١) قيل عملوا أعمالا كانوا يرونها فى الدنيا من الحسنات فبعت لهم يوم القيامة من السيئات . وكان بعض السلف إذا قرأ هذه الآية قال ويل لأهل الرياء . ونيل أيضا فى قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدٌ ﴾ (٢) ، أى لا يظهر ما رياء ولا يخفيها حياء .

وروى عن ابن مسعود آخر ما نزل من القرآن ﴿ وَتَقَرُّوا يَوْمَ تَرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (٣) .

(١) آية (١١٠) سورة الكهف .

(٢) آية (١٦٦) سورة الزمر

(٣) آية (٢٨١) سورة الفرقان

قال محمد بن بشير :

مضى أمسك الأذى شهيدا معدلا •• - ويرمك خطا بالفعال شهيد  
بلان تك بالأمر افترقت إمسا •• قثن بإحسان وأنت حميد  
ولا ترج فعل الخير منك إلى شد •• لعل غدا يأتى وأنت فقيد  
وقال غيره :

وتعجل الخشب بما تشتهي •• وتأمل التوبة فى قابل  
والسوت يأتى بعد فاضلة •• ما فك فعل الخلق العاقل

وقال دلود لسلیمان - عليهما السلام - يثقل على تقوى المؤمن بثلاث : حسن التوكل فيما لم يتل وحسن الرضا فيما نال وحسن الصبر على ما قد فات . وفى بعض الحكم المنثورة من صبر على البلاء وصل إلى الوفاء قال :

عليك بالصبر فلعلك نائبة •• من الزمان ولا تترك إلى الجزع  
وإن تعرضت لك الدنيا بنيتها •• فالصبر عنها قليل الحبيب والورع  
فجاهد النفس قرا فبهما أبدا •• تلحق السدى ترجمه غير محتج  
وقال آخر :

الصبر مفتاح ما يرجى •• ولسم يزل فائعا بعين  
ما صبر وإن طالت الليالى •• لربما ساعد الحزون  
ودمنا نيل باصطبار •• ما قيل هيهات لا يكون  
وقال آخر :

الصبر أوثق عروة الإيمان •• ومعجة من نزع الشيطان  
الصبر فيه عواقب محمودة •• والطيش فيه عواقب الخسران  
فإذا لقيت من الزمان علة •• وكطلك فينا عبادة لأزمان  
مشرع الصبر الجميل ثيقا •• إن الصبر واتعد الرهوان

والصبر له فروع صبر على العرائض بالمواظبة عليها بكمالها هى أحب أوقاتها وصبر على

لأصحاب الجوار وصبر على الأمراض وصبر على الفقراء والصبر من  
وعن الشبهات وعن قبول جميع جوارح البدن وغير ذلك .

### الباب الثامن والعشرون

#### في بيان ذكر الموت

« أكثروا من ذكر هازم اللذات »<sup>(١)</sup> معناه بقصروا بذكره اللذات حتى ينقطع  
الذهاب فقصير على الله تعالى ، وقال ﷺ : « لو تعلم البهائم من الموت ما يعلم ابن آدم ما  
وقالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد قال  
يذكر حيت في اليوم واليلة عشرين مرة . وإنما سب هذه الفضيلة كلها أن ذكر الموت  
المتجاني عن دار العرور ويتقاضى الاستعداد للآخرة والمعدة من الموت تدعو إلى الانهيك  
الذات الدنيا . وقال ﷺ : « نعمة المؤمن الموت »<sup>(٢)</sup> وإنما قال هذا لأن الدنيا سجن المؤمن إذا لا  
لها في هذه من مقاساة نفسه ورعاية شهوراته ومداغمة شيطانه فالموت إطلاق له من هذا  
الإطلاق نعمة في حقه ، وقال ﷺ : « موت كرامة لكل مسلم »<sup>(٣)</sup> وأراد بهذا المسلم حقا  
مصادف الذي يسلم المسلمون من لسانه ويده ويتحقق فيه أخلاق المؤمنين ولم يتدنس من  
إلا بالثمة والصنائر فالموت يظهره منها ويكفرها بعد اجتنبه الكيثر وأقامته الفرائض .

حدثنا عن أماني : مر رسول الله ﷺ بمجلس قد استعمل فيه الصحك فقال : شوبوا  
م يذو مكرو اللذات قالوا وما مكرو اللذات قال الموت »<sup>(٤)</sup> .

« أسأل رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ : « أكثروا من ذكر الموت فإنه يمحص الذنوب  
الالهية » وقال ﷺ : « كفى بالموت مفرقا »<sup>(٥)</sup> وقال عليه السلام : « كفى بالموت  
« رسول الله ﷺ إلى المسجد فإذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال : « اذكروا  
« حسي يده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا »<sup>(٦)</sup> وذكر عند رسول

<sup>(١)</sup> ٢٣٠٩ ، وصحيح الجامع ( ١٢١٠ )

<sup>(٢)</sup> خطبة ٢ / ٢٠٢ ، وضعيف الجامع ( ٤٨١٣ )

<sup>(٣)</sup> ٣١٩ ، وضعيف الجامع ( ٢٤٠٠ )

<sup>(٤)</sup> ١٢١ ، وضعيف الجامع ( ٥٩٥٠ )

<sup>(٥)</sup> ٢٢١٢ ، وضعيف الجامع ( ٣٤٠٩ )

<sup>(٦)</sup> ١٣٩

<sup>(٧)</sup> ١٣ / ٩ ، وضعيف الجامع ( ٤١٨٥ )

<sup>(٨)</sup> ٦٤٨٦ ، ٦٤٨٨

الله ﷻ وحل فأحسوا الله عليه فقال : « كيف ذكر صاحبكم للموت ، قالوا ما كنا نكاد نسمعه  
يذكر الموت قبل فإن صاحبكم ليس هناك » . وقد ابن عمر - رضى الله عنهما - « أتيت النبي ﷺ  
هاشر عشرة فقال رجل من الأنصار من أكرم الناس يا رسول الله فقال : أكثرهم  
ذكر الموت وأشدهم استعدادا له أولئك هم الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة » . وقال  
الحسن - رحمه الله تعالى - فصح الموت الدنيا يترك لدى لب فرجا . وقال الربيع بن خثيم ما هائب  
يتنظره المؤمن خيرا له من الموت وكان يقول لا تشعروا به أحد وسلوني إلى ربي ملا .

وكتب بعض الحكماء إلى رجل من إخوانه يدأخس إحذر الموت في هذه الدار قبل أن تصير  
إلى دار تمنى فيها الموت ملا تحمد . وكان ابن سيرين إذا ذكر هذه الموت مات كن مضيقته :  
وكان عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء فيذاكرون الموت والقيامة والآخرة ثم يكون حتى  
كان بين أيديهم جمادة ، قال إبراهيم التيمي شيئا قطعت على الله فالدنيا : ذكر الموت والوقوف بين  
يدي الله عز وجل . وقال كعب من عرف الموت ماتت عليه مصائب الدنيا وهومها . وقال  
مطرف رأيت فيما يرى النائم كأن قائلا يقول في وسط مسجد البصرة قطع ذكر الموت قلوب  
الحاضرين فوالله ما تراهم إلا والهين ، وقال أشعث كنا ندخل على الحسن لما هو أثار وأمر  
الآخرة وذكر الموت .

وقالت صفية - رضى الله عنها - إن امرأة اشكت إلى عائشة - رضى الله عنها - قسوة قلبها  
فقال أكثرى ذكر الموت يرق قلبك فعمدت فرق قلبها لجماعت تشكر عائشة - رضى الله عنها - .  
وكان داود - عليه السلام - إذا ذكر الموت والقيامة يبكي حتى تتخلع أوصاله فإذا ذكر الرحمة  
رجعت إليه نفسه . وقال الحسن ما رأيت عاقلا قط إلا أصبته من الموت حذرا وعليه حزنا ، وقال  
عمر بن عبد العزيز لبعض العلماء حظي فقال أنت أول خليفة مات زدي قال ليس من أبائك  
أحد إلى آدم إلا ذاق الموت وقد جاءت نوبتك فبكي عمر لذلك ، وكان الربيع بن خثيم قد حضر  
قبرا إلى حارة فكان يتم فيه كل يوم مرات يستدبهم بذلك الموت وكان يقول لو فارق ذكر الموت قلبي  
ساعة واحدة لمسد .

وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير إن هذا الموت قد نعص على أهل الميم نعيمهم فاطلبوا  
نعيمًا لا موت فيه . وقال عمر بن عبد العزيز لعنيسة أكثر ذكر الموت فإن كنت واسع العيش ضيقه  
عليك وإن كنت ضيق العيش وسعه عليك قال أبو سليمان الدارني قلت لأم هارون أنجبين الموت  
فالت لا تقلت لم قالت لو عصيت آدميا ما اشتبهت لقاءه فكيف أحب لقاءه وقد عصيته .

قال أبو موسى التميمي توفيت امرأة المرزوقي فخرج في جنازتها وجوه البصرة . وفيهم  
الحسن - رضى الله عنه - فقال الحسن يا أبا قرامس ماذا أعددت لهذا اليوم فعلى شهادة أن لا إله إلا

الله وأن محمداً رسول الله منذ ستين سنة فلما دفنت قام الفرزدق على قبرها فقال :

أخاف وراء القبر إن لم تعافني \* \* \* أشد من القبر التهاباً وأضيقاً  
إذا جئاني يوم القيامة قائد \* \* \* حنيف وصواق يسوق الفرزدقا  
لقد خاب من أولاد آدم من مشى \* \* \* إلى النار مغلول القلابة أزرقاً  
وقد أنشدوا في أهل القبور :

قف بالقبور وقل على ساحاتها \* \* \* من منكم المغمور في ظلماتها  
ومن المكرم ومنكم في قعرها \* \* \* قبل ذات برد الأمن من روحاتها  
أما السكون لدى الميمون فواحد \* \* \* لا يستبين الفصيل في درجاتها  
لو جابريوك لأخبروك بالسن \* \* \* نصف الحقائق بعد من حالاتها  
أما المطيح فنزل في روضة \* \* \* يفضي إلى ما شاء من دوحاتها  
وللمجرم الطافي بهماً مستقلب \* \* \* في حفرة يأوي إلى حباتها  
وعقارب تسمى إليه فروجه \* \* \* في شدة التعذيب من لدعاتها  
وقال مالك بن دينار مروت بالمقبرة فأنشأت أقول :

أنبت القبور فناديتها \* \* \* فلأين المعظم والمحتقر  
وأين الملك سلطانه \* \* \* وأين المزكى إذا ما القبر  
قال فتوديت من بينها أسمع صوتاً ولا أرى شخصاً وهو يقول :

تماتوا جميعاً فما مخبر \* \* \* وماتوا جميعاً ومات الخبير  
نروح وتفسدو بنات الشرى \* \* \* فتمحور معهن تلك النصور  
ليما سألني عن أناس مضوا \* \* \* أمالك فيهما ترى معتبر  
وجد مكتوباً على قبر :

تناجيك أجدات وهن صموت \* \* \* وسكاتها تحت الثراب غفوت  
أها جامع الدنيا للغير بلافة \* \* \* لمن تجمع الدنيا وأنت تموت

وقال ابن السكك مروت على المقابر فإذا على قبر مكتوب :

يمر أناربي جيبات قبرى \* \* \* كأن أنسارى لم يعر فونى  
دور الميراث يقتسمون مالى \* \* \* ومبا يألون إن جمحوا ديونى  
وقد أخلوا سهاصهم وهاشوا \* \* \* فميت الله أسرع ما نسوى  
ووجد على قبر مكتوباً :

إن الحبيب من الأحباب مختلف \* \* \* لا يمنع الموت بواب ولا حرم  
كيف تفرح بالدنيا ولذتها \* \* \* يا من يعد عليه اللفظ والنفس  
أصبحت يا غافلاً في النفس منقسما \* \* \* وأنت دهرك في اللذات منقسماً  
لا يرحم الموت فاجعل لفرته \* \* \* ولا ألى كان منه العلم يقتبس  
كم أعرس الموت في قبر وقت به \* \* \* من الجواب لسائنا ما به عرس  
قد كان قصرك مغموراً له طرف \* \* \* فقبرك اليوم في الأجدات متلوس  
ووجد على قبر مكتوباً :

وقفت على الأحبة حين صفت \* \* \* فقبورهم كالأسراس الرهان  
فلئن بكيت وفاض دمعي \* \* \* رأيت حيناً بينهم مكاني  
ووجد على قبر طيب مكتوباً :

قد قلت لما قال لي قائل \* \* \* قد صار لقمان إلى رمله  
فلأين من وصف من طيبه \* \* \* وحذقه في الماء مع جسده  
هيهات لا يدفع عن نفسه \* \* \* من كان لا يدفع عن نفسه  
وجد على قبر آخر مكتوباً :

يا أيها الناس كبراً في أمل \* \* \* فصرى عن بلوغه الأجل  
ميتتق الله ربه وجل \* \* \* أمكنه في حبيباته العمل  
ما أنا وحدي تغلبت حيث ترى \* \* \* كل إلى مثله ميتتقل

## الباب التاسع والعشرون

## فى ذكر السموات والأجناس المختلفة

• فى أول ما خلق الله جوهرة فطر إليها بنظر الهيبة فذابت ولترعدت من خوف ربه .  
 • ثم نظر إليها بنظر الرحمة فجمد نصفها فخلق منه العرش فارتعد العرش فكتب الله  
 • فيه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن العرش وترك الماء على حلقه يرتعد إلى يوم القيامة  
 • • ثم نه تعالى • ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ (١) ثم تلاطم وتخرج وصعدت منه أوحدة وارتفع  
 • حجاب متركما على بعض وكان له زيد فخلق الله تعالى منه السموات والأرض طباقا فكانتا رتقا  
 • محبس للريح فيها يتفق به أطباق السماء وأطباق الأرض كما أخبر سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ ثُمَّ  
 • سَوَّيْنَاهُ السَّمَاءَ هِيَ دَحَانُ ﴾ (٢) قال أهل الحكمة إنما خلق الله تعالى السماء من دحان ولم  
 • يحققها من بخار لأن الدخان خلق متصايفك الأجزاء يستقر متناهى والبخار متراجع وذلك من  
 • كمال حكمه سبحانه وحكمته • ثم نظر تعالى إلى الماء بعين الرحمة فجمد كما جاء فى الحديث •

فلتنة : بين السماء الدنيا والأرض وكذا بين كل سماء وسماء خمسمائة عام وخلق كل سماء  
 كذلك • وقيل أن السماء أشد بياض من اللبن وإنما أحضرت من خضرة جبل قاف واسم تلك  
 السماء رقيقة والشفقة من حديد تتلألأ نورا واسمها فيدوم أو ماعون والثالثة من نحاس يقال لها  
 سكوت أو عاربون والرابعة من فضة بيضاء فكاند نورها يحطف الأبطال واسمها الزاهرة والخامسة  
 من ذهب أحمر يقال لها المزية أو المسهرة والسادسة من جوهرة تتلألأ نورا واسمها الخالصة  
 والسابعة من ياقوتة حمراء واسمها اللابية أو الدامعة وفيها البيت المعمور وله أربعة أركان : وكن  
 من ياقوتة حمراء وركن من ريز جدة خضراء وركن من فضة بيضاء وركن من ذهب أحمر • وورد  
 أن بيت المعمور من العقيق يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة لا يعودون إليه إلى يوم القيامة  
 • • تعتمد أن الأرض أفضل من السماء لأن الأنبياء خلقوا منها ودفنوا فيها • وأفضل طبقات  
 • من أعلاها لما ذكر ولأنه محل اجتماع العالم •

وعن ابن عباس أفضل السموات هى التى على سقفها عرش الرحمن وهى الكرسي لقربها  
 • • من ولأن جميع النجوم المنتجع بها مشته فيها غير السبعة السبلة أما هى فمشته فى السموات  
 • سبع فدخل فى السابعة وهو ليوم السبت والمشتري فى السادسة وهو ليوم الخميس والريخ فى  
 • • خمسة وهو ليوم الثلاثاء والشمس فى الرابعة وهى ليوم الأحد والمزهر فى الثالثة وهى ليوم  
 • • • عطارد فى الثانية وهو ليوم الأربعاء والقمر فى الأولى وهو ليوم الإثنين •

ومن عجيب صنع البارئ تبارك وتعالى أن خلق السموات السبع من دحان مع كون كل سماء  
 لا تشبه صاحبة وأسر من سماء ماء فأخرج به من أسودع ابيات والأنهار المختلفة اللون  
 وبطعم كما قال تعالى • ﴿ وبمصر بمصر على بعض لى لأكل ﴾ (١) وخلق أولاد آدم على طبقات  
 شتى منهم الأبيض والأسود والسهل والحزن والمؤمن والكافر والعالم والجاهل مع أن الأصل آدم  
 فسبحان من أتقن كل شىء خلقه •

## الباب الثلاثون

## فى بيان الكرسي والعرش وبيان الملائكة المقربين

## والأوراق والتوكل

قال الله تعالى • ﴿ وسبح كرسى السموات والأرض ﴾ (٢) قيل كرسىه مجاز من حمله وقيل ملكه  
 وقيل الملك المعروف •

روى عن علي • كرم الله وجهه • أن الكرسي لؤلؤة وطوله لا يعلمه إلا الله تعالى وفى الخبر  
 ما السموات والأرضون السبع مع الكرسي إلا كحلقه فى فلاة • وأخرج ابن ماجه أن السموات  
 فى موقف الكرسي والكرسي بين يدي العرش •

وعن حكيمه قال الشمس جزء من سبعين جزءا من نور الكرسي والعرش جزء من سبعين  
 جزءا من نور الستون يعنى بها الحجب • وورد أن نور كل حجاب مسيرة خمسمائة عام ولولا  
 ذلك لاحترق حملة الكرسي من نورهم • والعرش جسم نورانى علوى فوق الكرسي فهو غيره  
 خلافا للحسن البصرى قيل من ياقوتة حمراء وقيل من جوهرة خضراء وقيل من فرة بيضاء وقيل  
 من نور والأولى الإمساك عن القطع بحقيقته ويسميه الفلكيون بالفلك التاسع والفلك الأعلى  
 وفلك الأفلاك والملك الأطلس أى الخالى من الكواكب إذ كلها على ما قال قدماه أهل الهيئة  
 ثوابت فى العدد الثامن المسمى بملك البروج وعد أهل الشرع بالكرسي والعرش سقف  
 المخلوقات فلا شىء يخرج عن دائرته فهو متهى علم الساد لا مجال للإدراك ورائه ولا مطالب  
 لطالب معرفته قال الله تعالى • ﴿ إنا أنزلنا فى حسى السكنة لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش  
 العظيم ﴾ (٣) وصعبه بالعظم لأنه أعظم المخلوقات وقد تحقق حكمة بالتوكل كما أمر ولذا سعى فى  
 التوارة وغيرها بالتوكل كيف والتوكل فرع التوحيد والمعرفة وهو حكمة سيد الموحدين ورأس

العارفين ولا يهين التوكل الأخذ في الأسباب كما يدّيتوهم بل هو أيضا مأمور به فقد قال له ﷺ  
اعرابي أتعقل نائني أم أتركها وأتوكل فقال أعفها وتوكل .

وقال ﷺ : « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا أي جياع  
وبروح معانا أي شباها فأشار بقوله تغدو إلى التسبب .

حكاية : التقى إبراهيم بن أدهم وشقيق البلخي بمكة فقال له إبراهيم ما يده أمرك الذي يهلك  
هذا قال مررت ببعض العلوات فرأيت طيرا مكسورا ألباحين فلاة من الأرض فقلت أنظر من أين  
يرزق هذا ففعلت بحذائه فإذا أنا بطير قد أقبل في منقاره حرارة فوضعهما في منقار الطير المكسور  
الجناحين فقلت لنفسي إن الذي قبض هذا الطير لهذا الطير قادر أن يوزقني حيث كنت فتركت  
التكسب واشتغلت بالعبادة فقال إبراهيم ولم لا تكون أنت الطير الصحيح الذي أطعم الطير  
العليل حتى تكون أفضل منه أما سمعت عن النبي ﷺ : « اليد العليا خير من اليد السفلى » (١)  
ومن علامة المزم أن يطلب أعلى الدرجتين في أمره كلها حتى يبلغ متارل الأبرار فأخذ شقيق  
يبد إبراهيم فقبضها وقال أنت أستاذنا يا أبا اسحق . ثم إذا تسبب الإنسان فليجتهد أن لا ينظر إلى  
أسبابه ولا يقف عندها بل يجعل مولا مطمح نظره ومرمى قصده كالسائل يقصد الناس بوجهه في  
بده ولا ينظر إليه وإنما ينظر إلى الذين يعطونه . وفي الحديث : من سره أن يكون أخفى الناس  
فليكن بما عند الله أوثق منه بما في يديه .

وقد قيل لحليفة المرعشي وكان خدم إبراهيم بن أدهم ما أعجب ما رأيت منه فقال بقيتا في  
طريق مكة أيما لم نجد طعاما ثم دخلنا الكوفة فأرنا إلى مسجد خراب فنظر إلى إبراهيم وقال يا  
حذيفة أرى بك الجوع فقلت هو ما رأى الشيخ فقال على بدواة وقرطاس فجلت به فكتب بعد  
البسلة أنت المقصود بكل حال والمشار إليه بكل معنى وكتب :

أنا حليم أنا شاكس أنا ذاكر •• أنا جليل أنا ضائع أنا عسري  
هي سعة وأنا الضمين لنصفها •• فكان الضمين لنصفها يا بلوى  
مدحى لغيرك لهب نار غضبتها •• فاجر عبيدك من دخول النار

ثم دفع إلى الرقعة فقال أخرج ولا تعلق قلبك بشيء الله تعالى وادفع الرقعة إلى أول من يلقاك  
فخرج فأول من بقى كان رجلا على بعة دواك الرقعة فأحدها فلما وقف عليها بكى وقال ما  
لعل صاحب هذه الرقعة فقلت هو من المسجد العلوي مدع إلى بصرة فيها ستمائة دينار ثم لفت  
ورجلا آخر فسألته عن راقب البطة فقال هذا بصراتي فجلت إلى إبراهيم وأجبرته بالقصة فقال لا

(١) (صحيح) البخاري (١١٢٧)

نفسها فإنه يجره اساعة فلما كان بعد ساعة دخل انصراني وأكب على رأس إبراهيم قبله وأسلم  
فائدة : قال ابن عباس لما خدق الله تعالى حملة العرش قال لهم أحملوا عرشي فلم يطيقوا  
فخلق مع كل واحد منهم مثل من في السموات السبع من الملائكة فقال أحملوا عرشي فلم  
يطيقوا فخلق مع كل منهم مثل السموات ومن الأرض من الخلق وقد أحملوا عرشي فلم يطيقوا  
فقال قولوا لا حول ولا قوة إلا بالله فلما قالوها حملوه فنفذت أقدامهم في الأرض السابعة على  
من الرياح فلما لم تستقر أقدامهم على شيء تمسكوا بالعرش ولم يفتروا عن قولهم لا حول ولا  
قوة إلا بالله خيفة أن ينقلب أحدهم فلا يعرف أين يهوى لهم حاملون للعرش وهو حاملهم  
والكل محمول بالقوة .

وروي من قال إذا أصبح وإذا أمسى حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش  
العظيم سبع مرات كفاء الله تعالى ما أحبه صادقا كان بها أو كاذبا وفي رواية كفاء الله ما أحبه من  
أمر آخرته ودياره .

### الباب الواحد والثلاثون

#### في ترك الدنيا وذلها

الآيات الواردة في ذم الدنيا وأمتنها كثيرة وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وحرف الخلق  
عنها ودعوتهم إلى الآخرة بل هو مقصود الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يبعثوا إلا لذلك  
فلا حاجة إلا لإستشهاد بآيات القرآن لظهورها وإنما نورد بعض الأغبيار الواردة فيها .

فقد روي : أن رسول الله ﷺ مر على شاة ميتة فقال أنرون هذه الشاة ميتة على أهلها قالوا  
من هو أنها ألقوها قال والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها ولو  
كانت الدنيا تعبد عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وقال ﷺ : « الدنيا مطعونة ملعون ما فيها إلا ما كان  
سجين المزمون وجنة الكافر » (١) وقال رسول الله ﷺ : « الدنيا مطعونة ملعون ما فيها إلا ما كان  
لله منها » وقال أبو موسى الأشعري قال رسول الله ﷺ : « من أحب دنياه أضر بآخرته ومن  
أحب آخرته أضر بدنيته فائروا ما يبقى على ما يبقى » (٢) . وقال ﷺ : « حب الدنيا رأس كل  
خطئة » (٣) .

(١) (صحيح) مسلم (٢٩٥٦) ، وأحمد (١٩٧ / ٢) .

(٢) (ضعيف) أحمد (١٩٧ / ١) ، وضميف الجامع (٥٣٤٠) .

(٣) (ضعيف) الخلف السادة المختبر (١٣١ / ٣) ، وضميف الجامع (٢١٨٢) .

وهذا روي عن أرفم كتاب أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - فدها بشراباً ملئ ماء وحصل  
دبمه آدماء من فيه بكى حتى أبكى أصحابه رسكوا وما سكنت ثم عد وبكى حتى طوى، أنهم لا  
يقدر أن على مسأله قال ثم مسح عييه فقالوا يا حبيبة رسول الله ما أبكتك قال كنت مع رسول  
الله ﷺ فرأيت يده عن يمينه شئ لم أر معه أحد فقلت يا رسول الله ما رأيت يده عن يمينه قال  
هذه الدنيا مثنت لي فقلت لها اليك عسى ثم رجعت فقال إنك أن أفلت مني لم يفت مني من  
عندك وقال ﷺ : يا عجباً كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسمى لدار العزور<sup>(١)</sup>

وروي أن رسول الله ﷺ وقف على مزبلة فقال : هلموا إلى الدنيا وأخذ عرقاً قد بليت  
على تلك المزبلة وعظاماً قد نخرت فقال هذه الدنيا<sup>(٢)</sup> وهذه إشارة إلى أن زينة الدنيا ستحلقي  
مثل ذلك الخرق وأن الأجسام التي ترى بها مستصير عظاماً يالية . وقال ﷺ : إن الدنيا حلوة  
حاضرة وإن الله مستحلمكم فيها فتناظر كيف تعملون إن بني إسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت  
ناهاراً في الحلية والنساء والطياب والثياب<sup>(٣)</sup> . وقال عيسى - عليه السلام - لا تحنوا الدنيا ربا  
فتخذكم عبيداً كثر كثركم عدد من لا يضيفه فإن صاحب كثر الدنيا يحاف عليه الآفة وصاحب كثر  
الله لا يحاف عليه الآفة . وقال عليه أفضل الصلاة والسلام أيضاً : يا معشر الخواريص إنني قد  
كبت لكم الدنيا على وجهها فلا تمنعوها بعدي فإن من حيث الدنيا أن عصى الله فيها وأن من  
حب الدنيا أن الآخرة لا تتركها إلا بتركها ألا فاهربوا الدنيا ولا تمسروها واعلموا أن أصل كل  
حطئة حب الدنيا ورب شهوة ساحة أورث أهلها حرماً طويلاً . وقال أيضاً بطعت لكم الدنيا  
وجليتم على ظهرها فلا يارحكم فيها الملوك والنساء فلا تارهم الدنيا فإنهم لن يعرضوا لكم ما  
تركنموهم وديارهم ، وأما النساء فاتفقن بالصوم والصلاة وقال أيضاً الدنيا طالية ومطلوبة  
فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجمع الموت  
فياخذ بعنقه . وقال موسى بن يسار قال النبي ﷺ : إن الله عز وجل لم يخلق خلقاً أبغض إليه  
من الدنيا وإنه منذ خلقها لم ينظر إليها .

وروي أن سليمان بن داود - عليهما السلام - مر في موكبه والطير تظله والجن والإنس من  
بعده وشماله قال قمر بعدد من بني إسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد أتاك الله ملكاً عظيماً قال  
فسمع سليمان وقال لتسبحه في صحيفة مؤمن خير مما أعطي ابن داود فإن ما أعطي ابن داود  
يذهب والتسبيحة تبقى . قال ﷺ : الهاكم التكاثر يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك  
إلا ما أكلت فأنت أو لست فأبيت أو تصدق فأبيت . وقال ﷺ : إنسيما دهر من لا دار به  
ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادي من لا حلم له وعليها يحسد من لا فقه

(١) تحف السادة المتقين ٨ / ٨٧

(٢) الصلوة حاله

(٣) صحيح مسلم مجلد (٢٧٤٢)

له ولها يسمى من لا يقين له<sup>(١)</sup> وقال ﷺ : من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء  
والرم الله قلبه أربع خصال : هما لا يقطع عنه أبداً وشغلا لا يتصرف منه أبداً وفرا لا يبلغ عنه أبداً  
وأعلا لا يبلغ منه أبداً<sup>(٢)</sup> . وقال أبو هريرة قال لي رسول الله ﷺ يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا  
جميعاً بما فيها فقلت بلى يا رسول الله فأخذ بيدي وأتى بي وادياً من أودية المدينة فإذا مزبلة فيها  
رؤوس كانت تحرق كحرقكم وتلعل كأملاككم ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم هي غنم تلهو وتلعب  
وهذه العنرات هي ألوان أطمعتكم اكتسبها من حيث أكسبها ثم قدوها في بطونهم فأصبحت  
والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية كانت رؤسهم ولباسهم فأصبحت والرياح تصفها وهذه  
العظام عظام دوابهم التي كانوا يتجمعون عليها أطراف البلاد فمن كان باكياً على الدنيا فليكن قال  
فما يرحنا حتى اشتد بكلاًنا . وروي أن الله عز وجل لما أهدى آدم إلى الأرض قال له ابن الخراف  
ولد لطفاه . وقال داود بن هلال مكتوب في صحف إبراهيم - عليه السلام - يادنيا ما أهونك على  
الأيثار الذين تصنع وتزينت لهم أني فذنت في قلوبهم بغضك والصلود منك وما خلقت خلقاً  
أهون على منك كل شأنك صغير وإلى الفناء يصير قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدوم لأحد  
ولا يدوم لك أحد وإن يخل بك صاحبك وشح عليك ، طوى للأيثار الذين أطمعوني من قلوبهم  
على الرضا ومن ضميرهم على الصندق والاستقامة طوى لهم ما لهم عندى من الجزاء إذا فلدو  
إلى من قبورهم إلا النور يسمى أمامهم ولللائكة حافون بهم حتى أبلغهم ما يرجون من رحمتي .  
وقال رسول الله ﷺ : الدنيا موعودة بين السماء والأرض منذ خلقها الله تعالى لم ينظر إليها  
وتقول يوم القيامة يارب اجعلني لأدنى أوليائك اليوم نصيباً فيقول استكني يا لا شيء إنني لم  
أرشدك لهم في الدنيا أأرشدك لهم اليوم<sup>(٣)</sup> وروي في أخبار آدم - عليه السلام - أنه لما أكل من  
الشجرة تحركت معدته فخرج التل ولم يكن ذلك مجمولاً في شيء من أطمعة الجنة إلا في هذه  
الشجرة فلذلك نهاها عن أكلها قال فجعل يدور في الجنة فأمر الله تعالى ملكاً يحاطبه فقال له قل  
أي شيء تريد قال آدم أريد أضع ما بي بطني من الأذى فحين للملك قل له في أي مكان تريد أن  
تضعه أعلى القرى أم على السرر أم على الأهدار أم تحت ظلال الأشجار هل ترى هنا مكاناً  
يصلح لذلك إبط إلى الدنيا . وقال ﷺ : ليبيتن أروام يوم القيامة وأعمالهم كحبال نهامة فيؤمر  
بهم إلى النار قالوا يا رسول الله مهلين قال نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون هنة من الليل  
فاذا عرض لهم شيء من الدنيا وثيرا عليه . وقال ﷺ في بعض خطبه : المؤمن بين محافتين بين  
أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقى لا يدري ما الله قاض فيه فليتزود العبد

(١) صحيح أحمد ٦ / ٧١ وصحيح الجامع (٣٠١٢) .

(٢) موضوع لموضوعات ٣ / ١٣٢ . ولقواعد لشمعة (٢٣٦)

(٣) تحف السادة ٨ / ٨٥

من نفسه بعد . . . . .  
 حسم لأخره . . . . .  
 وقال عيسى . . . . .  
 والبار في ربه . . . . .  
 عمو كيف وجد . . . . .  
 وقال بيب . . . . .  
 رسول الله . . . . .  
 بصيرا ألا أنه من ربه . . . . .  
 وقصر فيها أمه . . . . .  
 لهم الملك إلا بالقدر . . . . .  
 الرمان . . . . .  
 ثواب خمسين صديقا . . . . .  
 قجمل يطلب شيء . . . . .  
 هو يكفي في جبل . . . . .  
 تجعل لي ماوى . . . . .  
 خلقتها يبنى . . . . .  
 الزهاد في الدنيا . . . . .  
 السلام . . . . .  
 للمختبرين كيف أرته . . . . .  
 والخطايا عمله . . . . .

وقيل أوحى الله تعالى إلى موسى . . . . .  
 لك بنار أخرجه . . . . .  
 موسى إلى مريم . . . . .  
 خرج فدعاه . . . . .  
 الله . . . . .  
 أكرمهم . . . . .  
 منكم فتدبروا . . . . .

١٠٠ / ٦٨ ، وصحيف الجامع ( ١٩١ )

« إن أكثر ما أحبال عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض فليل ما بركات الأرض قال وهو :  
 الدنيا » (١) وقال : « لا تشعروا قلوبكم بذكر الدنيا » (٢) . . . . .  
 وقال عمرو بن سعيد مر عيسى . . . . .  
 معشر الحواريين إن هؤلاء ماتوا عن سحطة ولو ماتوا عن خير ذلك تصدقوا فقالوا يا روح الله  
 ودعنا أنا لو علمنا خبرهم لسأل الله تعالى فأوحى إليهم إذا كان الليل فناديهم بيجيوك فلما كان الليل  
 أشرف على تشو ، ثم نادى يا أهل القرية فأجابهم مجيب ليبيك يا روح الله فقال ما حالكم وما  
 قصتكم قالوا بئسنا في عافية وأصبحنا في الهاوية قال وكيف ذلك قالوا حب الصبي لأنه إذا أقبلت  
 فرحنا بها وإذا أدبرت حزنا وبكىنا عليها قال فما بال أصحابك لم يجيوني قال لأنهم ملجمون  
 بلجم من نار يأبى ملائكة خلافة شداد قال فكيف أجبتى أنت من بينهم قال لأنى كنت فيهم ولم  
 أكن منهم فلما نزل بهم المذاب أصابني معهم فأنا ملحق على شفير جهنم لا أدرى أجرو منها أم  
 أكسب فيها فقال للمسيح للحواريين لا تكل خبز السمير بالملح الجريش وليس المسوح والنوم على  
 المزابل كثير مع عاقبة الدنيا والآخرة ، وقال أنس : « كفت ناقة رسول الله . . . . .  
 أعرابى بئس ما سبقها فتى ذلك على المسلمين فقال : « إنه حق على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا  
 إلا وهبه » (٣) وقال عيسى . . . . .  
 تخلفوها فرارا . . . . .  
 يحبك الله تعالى . . . . .

وقال أبو الدرداء قال رسول الله . . . . .  
 عليكم الدنيا ولا تترتم الآخرة (٤) ثم قال أبو الدرداء من قبل نفسه لو تعلمون ما أعلم لخرجتم إلى  
 المعصاة فهاون وتكون على أنفسكم ولتركتكم أمرالكم لا حارس لها ولا راجع إليها إلا ما لا بد  
 لكم منه ولكن فريب عن قلوبكم ذكر الآخرة الأمل فصارت الدنيا أملك بأهكم وصرف كالمدين لا  
 يعلمون فبعضكم شر من البهائم التي لا تدع هواها مخافة عما في عاقبتها ما لكم لا تحابون ولا  
 تناصحون وأنتم إخوان على دين الله ما فرق بين أهوائكم إلا خبت مراتركم ولو اجتمعتم على  
 الجور لحابستم وأنكم تناصحون في أمر الدنيا ولا تناصحون في أمر الآخرة ولا يملك أحدكم  
 النصيحة لمن يحب ويعتبه كل أمر آخرته ما هذا إلا من قلة الإيمان في قلوبكم لو كنتم توفنون بخير  
 الآخرة وشرها كما توفون بالدنيا لأكثرتم طلب الآخرة لأنها أملك لأموالكم فإن قلتم حب العاجلة

(١) (صحيح البخاري) (٦٤٢٧)

(٢) (صحيح) (الكتاب السادة المتفقين ٨ / ٨٧ ، وصحيف الجامع ( ٦٣٤ ) .

(٣) (الدار طبع) ٤ / ٣٠٧

(٤) سبق تعريضة



عن مريد براكم تدعون العاجل من الدنيا للأجل منها تكونون أنفسكم بالشقة والاحتراف في حبكم لا تكونون فيس القوم أنتم ما حقت إيمانكم بما يعرف به الإيمان البالغ فيكم مردت في شك عما جاء به محمد ﷺ فأنونا فنبين لكم ولنريكم من النور ما تطمش إليه قلوبكم ولنه ما أنتم بالمتوقفة عقولكم فنعذبكم أنكم تشيئون صواب الرأي في دنياكم وتأخذون بالحزم من مريدكم ما لكم فترجون باليسير من الدنيا تصيبون وتحزنون على اليسير منها يفوتكم حتى يشي من وجوهكم ويظهر على السكتم وتسمونها المصائب وتقيمون فيها المآثم وها منكم قد تفرق من دينهم ثم لا يبين ذلك في وجوهكم ولا يتغير حالكم إني لأرى الله قد تبرأ منكم يلقي بعضكم بعضا بالسرور وكلكم يكره أن يستقبل صاحبه بما يكره مخافة أن يستقبله صاحبه بمثل فاصبرتم على الغل ونبتت مراحمكم على الأمل وتصافيتم على رفض الأجل ولوددت أن الله تعالى أراحني منكم والحقني بمن أحب وزيه ولو كان حبا لم يصبركم فإن كان فيكم غير فقد أسعيتكم وأن تطلبوا ما عند الله تحذوه يسيرا وبالله أستعين على نفسي وعليكم .

وقال عيسى - عليه السلام - يا معشر الخوارج أرضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين كما وهى أهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا ولي معناه قيل :

أرى رجلا بأدنى الخين قد فعلوا • • • وما آراهم رهوا في العيش بالدون

فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كمال • • • تغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا لتبر ، تركك الدنيا أبر .

وقال نبينا ﷺ : لتأتينكم بمعنى دنيا تأكل كل إيمانكم كما تأكل النار الحطب ، (١)

وأوحى الله تعالى إلى موسى - عليه السلام - يا موسى لا تركن إلى حب الدنيا فلن تأتي بكيرة هي أشد منها . ومرت موسى - عليه السلام - برجل وهو يبكي ويرجع وهو يبكي فقال موسى يا رب عبدك يبكي من محاسنك فقال يا ابن عمران لو سألت دعاؤه مع حيون عينيه ورلح يده حتى يسهق ثم أعفر له وهو يحب الدنيا .

لأنار : قال علي - رضي الله عنه - من جمع فيه ست حصال لم يدع للجنة مطلباً ولا عن من مرياً ، أولها من عرف الله فأطاعه وعرف الشيطان فمضاه وعرف الحق فاتبه وعرف الباطل فامناه وعرف الذب فرفضها وعرف الآخرة فطلبها .

(١) غنى عن حذر ، دسار ٢٠٢ / ٣

وقال الحسن رحمه الله أقواما كانت الدنيا عليهم ودبة فأدوها إلى من ائتمنهم عليها ثم راحوا محاد ، وقد أيضا - رحمه الله - من دسست في دينك قساوسة ومن تأسك في دينك فألقها في محره .

وقال لقمان - عليه السلام - لابنه يا بني أن الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير فلنكن سفيتك فيها نفوى الله عز وجل وحشوها الإيمان بالله تعالى وشراعها التوكل على الله عز وجل لعلك تنجو وما أراك حيا . وقال الفصيل طلت بكرتي في هذه الآية : ﴿ إِنَّا جَسَدًا مَّا عَلَى الْأَرْضِ ذِيئًا لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَهْمَ أَحْسَنَ فَعَلًا ﴾ وَإِنَّا لَنَجَاعِلُونَ مَّا عَلَيْهَا صَبِيحًا حَرًّا ﴿ (١) .

وقال بعض الحكماء إنك لن تصبح في شيء من الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلك وسيكون له أهل بعدك وليس لك من الدنيا إلا عشاء ليلة وغداء يوم فلا تهلك في أكلة وصم عن الدنيا وافطر على الآخرة وإن رأس مال الدنيا الهوى وريحها البار . وقيل لبعض الزهاد كيف ترى للهر قال يخلق الأبدان ويجدد الأموال ويقرب المية ويبعد الأمانة قيل فما حال أهله قال من ظم به تعب ومن فاته نصب . وفي ذلك قيل :

زمن يحمي الدنيا لعيش مره • • • فسوف لعمري من قليل يلومها

إذا أدبرت كانت على المرء حسرة • • • وإن أقبلت كانت كثيرا همومها

وقال بعض الحكماء كانت الدنيا ولم أكن فيها وتذهب الدنيا ولا أكون فيها فلا أسكن إليها فإن عيشها نكد وحفوها كدر وأهلها منها على وجل إما بنعمة زائلة أو بلية نازلة أو مية قاضية . وقال بعضهم من عيب الدنيا أنها لا تعطي أحدا ما يستحق لكنها إما أن تزيد وإما أن تنقص .

وقال سفيان أما ترى النعم كأنها مضروب عليها قد وضعت في خير أهلها وقال أبو سليمان الداراني من طلب الدنيا على المحبة لها لم يعط منها شيئا إلا أراد أكثر ومن طلب الآخرة على المحبة لها لم يعط منها شيئا إلا أراد أكثر وليس لي مدار فقال انظر ما أتاك الله عز وجل منها فلا تأخذ إلا من حله ولا تصعه إلا في حقه ولا يصرك حب النبي وإنما قال هذا لأنه لو أخذ نفسه بذلك لاتبه حتى يترجم بالدنيا ويطلب الخروج منها .

وقال يحيى بن صفاد الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيئا فيجىء في طلبه فيأخذك . وقال الفصيل لو كانت لدي من ذهب يعنى والآخرة من خرف ييتى لكأن يسمى لنا أن نختار خرفا ييتى على ذهب يعنى فكيف وقد اخترنا خرفا ييتى على ذهب يعنى .

وقال أبو حازم إياكم والدنيا فإنه يلغى أنه يوقف العيد يوم القيامة إذا كان معظما للدنيا فيقال

(١) آية (٨-٧) سورة الكهف

هذا عظم ما حقره الله ، وقال ابن مسعود أصبح أحد من الناس إلا وهو ضيف وماله عارية  
بالضيف مرغى والعارية مردودة . وفي ذلك قيل :

وما المال والأثوث إلا وقتهما \*\* ولا بد يوماً أن يرد الودائع

ورأى راسه أخصبها فذكرها الدنيا فأقبرها على ذمها فقالت اسكتوا عن ذكرها فلو لا موقعها  
من قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها ألا من أحب شيئا أكثر من ذكره . وقيل لإبراهيم بن أدهم كيف  
أنت فقال :

ترقع ديبانا يتمزق ديتنا \*\* فلا ديتنا يبقى ولا ما ترقع

نعومي لمجد أكر الله ربه \*\* وجناد بديناه لما يتوقع

وقيل أيضاً في ذلك :

أرى طالب الدنيا وإن طال عمره \*\* ونال من الدنيا سرورا وأنعمها

كبان بنى بنيانه فأقامه \*\* فلما استوى ما قد بناه تهدما

وقيل أيضاً في ذلك :

هب الدنيا ساق إليك صعباً \*\* أليس مصير ذلك إلى انشغال

وما ديتك إلا مثل فيء \*\* أظنك ثم أذن بالسر وال

وقال لعماد لابنه يا بني مع دنياك بأخرتك تربحهما جميعاً ولا تبخ أخرجتك بدنياك تخسرهما  
جميعاً

وقال ابن عباس إن الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء . . جزء للمؤمن وجزء للكافر وجزء  
للكافر والمؤمن يتزود والمؤمن يبيع والكافر يبيع ، وقال بعضهم الدنيا جيفة فمن أراد منها شيئاً  
فليصير على معاينة الكلاب وفي ذلك قيل

يا مخاطب الدنيا إلى نفسها \*\* تح عن خطبتها تسلم

إن التي تحطت غداً \*\* قسريه العبرس من الماتم

وقال أبو الدرداء من هو أن الدنيا على الله أنه لا يعصى إلا فيها ولا يبال ما عنده إلا بشرها  
وفي ذلك قيل

إذا استمعن الدنيا لبب نكشت \*\* له عدو في بيت صديق

وقيل أيضاً :

يا رفقه بدين سروراً بأوله \*\* في الحوادث قد يعرض أسعابا

أبى القرون التي كانت معصية \*\* كسر الجديدين إقبالا وإقبالا

كم قد أبادت صروب الدهر من ملك \*\* قد كان في الدهر نقابا وخبرارا

يا من يحاقد ذئبا لا نقاء لها \*\* يعسى ويصبح في ديباه سفارا

هملنا تركت من الدنيا معانقة \*\* حتى تعانق في العر دوس أنكارا

إن كنت تبعي جنان الخلد تسكنها \*\* فبئس لي لك أن لا تأمن النارا

وقال أبو أمامة الباهلي - رضي الله عنه - لما بعث محمد ﷺ أتت إلي من جنوده فقالوا قد  
بعث نبي وأخرجت أمة قال يصحبون النبي فاقبلوا نعم قال فكن كانوا يصحبون الدنيا ما أبالي أن لا  
يصحبوا الأوثان وإنما أعدوا عليهم وأرواح ثلاث : أخذ المال من غير حقه وأتلفه في غير حقه  
وأمسكه عن حقه والشر كله من هذا نوع . وقال رجل لعلي - كرم الله وجهه - يا أمير المؤمنين  
صف لنا الدنيا قال وما أصف لك من دار من صرح فيها سقم ومن آمن فيها ندم ومن افتقر فيها  
حزن ومن استغنى فيها افتقر ، في حلالها الحبيب وفي حرامها العقاب وفي متشابها العتاب ،  
وقيل له ذلك مرة أخرى فقال أطول أم أقصر قيل قصر فقال حلالها حساب وحرامها عذاب .  
وقال مالك بن دينار اتقوا السحابة فإنها تسحر قلوب العلماء يعني الدنيا . وقال أبو سليمان  
الدارسي إذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا تجاهد الدنيا تزاحمها فإذا كانت الدنيا في القلب  
لم ترحمها الآخرة لأن الآخرة كريمة والدنيا شيمة وهذا تشديد عظيم وبرحوا أن يكون ما ذكره  
سيار بن الحكم أصح إذ قال الدنيا والآخرة يجتمعان في القلب فأيهما غلب كان الآخر تبعاً له .  
وقال مالك بن دينار بقل ما تحزن للدنيا من قلبك وهذه اقتباس مما قاله علي - كرم الله وجهه -  
حيث قال : الدنيا والآخرة ضرطان فقل ما ترعى أحدهما تحط لاخرى .

وقال الحسن والله لقد أدرجت أقواما كانت الدنيا أمرن عليهم من التراب الذي تمشون عليه  
ما يبالون أشرقت الدنيا أم غربت ذهبت إلى ذالو ذهبت إلى ذا ، وقال رجل للحسن ما تقول في  
رجل آتاه الله مالا فهو يتصدق منه ويصل منه أبشس له أن يتعش فيه يعسى يتنعم فقال لا لو كانت  
له الدنيا كلها ما كان له منها إلا الكفاف ويقدم ذلك ليوم فقره

وقال الفصيح لو أن الدنيا سحابة فها عرضت على حلال لا أحاسب عليها في الآخرة لكنت  
أقتنرها كما يتخذ أحدكم الحيلة إذا مر بها أن تصيب ثوبه

وقبـ لما قلم عمر - رضى الله عنه - الشام فاستقبله أبو عبيدة بن الجراح على نافذة مطومة  
حبيبـ وسأله ثم أتى منزله فلم ير فيه إلا سيفه وترسه ورجله ضال له عمر - رضى الله عنه -  
رائعـ فهاهنا فقال يا أمير المؤمنين ، إن هذا يلعننا المقبل - وقال سفيان غدا من الدنيا ليهلك  
موردهم - أخرة لفليك ، وقال الحسن والله لقد هبذ بنو إسرائيل الأصنام بعد عبادتهم الرحمن  
بجهنم سبيا - وقال وهب قرأت في بعض الكتب الدنيا خيمة الأكياس وخفة الجهال لم يحرطوها  
حتى خرجوا منها فسألوا الرجعة فلم يرجعوا - وقال لقمان لابنه يا بني إنك استدبرت الدنيا من  
يوم نزلت ، واستقبلت الآخرة فأنت إلى دار تقرب منها أقرب من دار تباعدت عنها .

وقال سعيد بن مسعود إذا رأيت العبد ترداد دنياه وتغنى آخرته وهو به راض فذلك للقبور  
الذي يلعب بوجهه وهو لا يشعر . وقال عمرو بن العاص على المنبر والله ما رأيت قوما قط أرغب  
فيما كان رسول الله ﷺ يزهده فيه منكم والله ما مر برسول الله ﷺ ثلاث إلا والذي عليه أكثر من  
الذي له . وقال الحسن بعد أن تلا قوله تعالى ﴿ فَلَا تَتْرَكُوهُمُ أَنْ يَفْعَلُوا الشَّيْءَ ﴾ <sup>(١)</sup> من قال ذا ناله من  
خلقها ومن هو أعلم بها لياكم وما شغل من الذنب فإن الدنيا كثيرة الإشتغال لا يفتح رجل على  
نفسه يعب شغل إلا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب وقال أيضا مكي بن آدم رضي  
بنذر حلالها حساب وحرامها عذاب إن أخذ من حله حوسب به وإن أعطه من حرام حطب به ابن  
آدم يستقل ماله ولا يستقل عمله يفرح بمعيته في دينه ويحزن من معييته في دنياه .

وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز سلام عليك أما بعد فكأنك يا عمر من كتب عليه الموت مات ، فأجابهم عمر سلام عليك كأنك بالدينيا ولم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل .

وقال الفضيل بن عياض الدخول في الدنيا مبن ولكن الخروج منها شديد ، وقال بعضهم عجباً من يعرف أن الموت حق كيف يفرح وعجباً من يعرف أن النار حق كيف يهملك وعجباً من رأى تمس الدنيا بأهلها كيف يطمئن إليها وعجباً من يعلم أن القدر حق كيف يتعصب .

وقدم على معاوية - رضي الله عنه - رجل من نجران عمره مائتا سنة فسأله عن الدنيا كيف  
وجده قد سيات بلاء وسنيات رخاء يوم فيوم ونهله فليته يولد ولد ويهلك هالك فلو لا المولود  
- - - - - حرولا الهالك لضاعت الدنيا بم فيها فقال له سل ما شئت قال عمر مضى فترجى أو أجل  
حضر ثمعه قال لا أمك ذلك قال لا حاجة لي اليك . وقال داود الطائي - رحمه الله - يا ابن آدم  
فرحت ببيع أمك واغنا بلغته بانتقضه أبجلك ثم سوفت بعملك كان مصعته لغبرك . وقال بشر  
من مشيئة الدنيا فانما يسأله طول الوقوف بين يديه . وقال أبو حازم مافي الدنيا شيء يترك إلا  
وقد عسر به إليه شيء يسهل

وقال الحسن لا تخرج نفس آدم من الدنيا إلا بحسرات ثلاث أنه لم يتب مع ما جمع ولم يترك ما أمل ولم يحسن الراد لم قدم عليه . وقال أبو سليمان لا يصبر عن شهوات الدنيا إلا من كان في قلبه ما يشغله بالآخرة . وقال ابن ديمار اصطالحنا على حب الدنيا فلا يأمر بمعضتها ولا ينهى بمعضتها بعضها ولا يهدئ الله على هذا فليت شمري أى عذاب الله ينزل علينا . وقال أبو حازم يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة . وقال الحسن أميئنا الدنيا فوالله ما هي لأحد بأهنا منها لمن أهاتها . وقال أيضا إذا أراد الله بعد خيرا أعطاه من الدنيا عطية ثم يمسك فإذا نفذ أعاد عليه وأما هان عليه عبد يسط الدنيا يسطها . وقال محمد بن المنكدر أرايت لو أن رجلا صام الدهر لا يفطر وقام الليل لا ينام وتصدق بماله ويجاهد في سبيل الله واجتنب محارم الله خير أنه يؤتى به يوم القيامة فيقال إن هذا عظم في حبه ما صغره الله وصغر في حبه ما عظمه الله كيف ترى يكون حاله فمن من ليس هكذا الدنيا عظيمة عند مع اقترافنا من الذنوب . والحظاها . وقال أبو حازم اثبتت مؤنة الدنيا والآخرة فأما مؤنة الآخرة فإنيك لا تجد عليها أهوتا وأما مؤنة الدنيا فإنيك لا تضرب بيك إلى شيء منها إلا وجدت عاجزا قد سبقك إليه . وقال أبو هريرة : الدنيا وقوفة بين السماء والأرض كأنش البالي نادى ربه منذ خلقها إلى يوم يعيها يارب يارب لم تبغض فيقول لها امسكي يا لاشيء . وقال عبد الله بن المبارك حب الدنيا والذنوب في القلب قد احتوشته فمضى يصل الخير إليه . وقال وهب بن منبه فرح قلبه بشيء من الدنيا فقد أخطأ الحكمة ومن جعل شهوته تحت قدميه فرق الشيطان من ظله ومن غلب عليه هواه فهو الغلب . وقيل لبشر : مات فلان فقال جمع الدنيا وذهب إلى الآخرة وذهب نفسه قبل له إنه كان يفعل ويفعل وذكروا أبوابا من الخير فقال وما يتبع هذا وهو يجمع الدنيا . وقال بعضهم الدنيا تبعث إلينا نفسها ونحن نحبيها فكيف لو تحببت الدنيا . وقيل للحكيم : الدنيا لمن تركها قليل الآخرة لمن هي قال لمن طلبها . وقال حكيم الدنيا دار غروب وأخرب منها قلب من يعمرها والجنة دار عمران أصغر منها قلب من يطلبها .

وقال الجيد : كان الشافعي - رحمه الله - من المريدين الناطقين بكلمة الحق في الدنيا وخط  
أخاه في الله وخوفه بالله فقال يا أخى إن الدنيا دحس مزلة ودار ملذة عمراتها إلى غراب صائر  
وساكنها إلى القبور زائر شعلها على الفرقة موقوف وغناها إلى العثر مصروف الإكثار فيها إفسار  
فيها يسار فافزع إلى الله وألوه برزقك لا تتسلم من دار فتلك فإن هيبك فيء رائل وجنار  
سائل أكثر من عملك وأقصر من أملاك .

وقال إبراهيم بن آدمهم أفرهم في المنام أحب إليك أم ديتلو في اليقظة ؟ فقال ديتلو في اليقظة ، فقال كذبت لأن الذي تحبه في الدنيا كانت تحبه في المنام والذي لا تحبه في الآخرة كانت لا تحبه في اليقظة ، وعن اسماعيل بن هباش قال كان أصحابنا يسمون الدنيا بخزيرة فيقولون ليت عبد ب خزيرة فمر وجدوا لها اسما أفصح من هذا لسموها به ، وقال كعب لتحببي إليكم الدنيا حتى

معدونها وأهملها . وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله العظيمة ثلاثة من ترك الدين قبل أن يتركه وبنى قبره قبل أن يدخله وأوصى خالفه قبل أن يلقاه ، وقال أيضا في الدنيا : بلغ من شؤمها أن غيبك لها يلهيك عن طاعة الله فكيف الوقوع فيها . وقال بكر بن عبد الله من أراد أن يستغنى عن الدنيا بالدنيا كان كمطعم النار بالثمن .

وقال ينداد إذا رأيت أبناء الدنيا يتكلمون في الزهد فاعلم أنهم في مخرقة الشيطان وقال أيضا من أقبل على الدنيا أحرقت نيرانها حتى يصير رماداً ومن أدير عن الدين صفته بنيرانها فصار سيكة ذهب يتصع به ومن أقبل على الله أحرقت نيران التوحيد فصار جوهراً لا أحد لقيمه . وقال علي - كرم الله وجهه - إنما الدنيا ستة أشياء مطموم ومشروب وملبوس ومركوب ومتكوح ومشوم فأشرف المطمومات العسل وهو مذقة ذهاب وأشرف المشروبات الماء ويستوى فيه البر والماجر وأشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة وأشرف المركوبات القرس وعليه يقتل الرجل وأشرف المكوحات المرأة وهي مهال في مهال وأن المرأة لتزين أحسن شيء منها ويواد أقيح شيء منها وأشرف المشومات للسك وهو دم .

### الباب الثاني والثلاثون

#### في ذم الدنيا أيضا

قال بعضهم يا أيها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله على وجل ولا تغشوا بالآمل ونسيان الأجل ولا تركوا إلى الدنيا لذة قد ترغفت لكم بفرورها ولتنتكم بامتيتها وترغبت لحاطبها فأصبحت كالعروس للجلية ، اعبون إليها ناظرة والقلوب عليها حاكفة والتفوس لها حاشقة فكم من عاشق لها قتل ومطمئن إليها خلدت فانظروا إليها بعين الحقيقة فإنها كثير بوائقها ودمها خالفها جديدها يئس وملكتها يئس وحريرها يئس وكثيرها يئس ودها يموت وخيرها يموت . فاستيقظوا ورحمكم الله من غممتكم وانتهوا من قدنتكم قبل أن يقال فلان خليل أو مدبغ تغيب على النواء من دليل أو هل إلى الطبيب من سبيل فتدهي لك الأعباء ولا يرجي لك الشفاء . ثم يعال فلان أوصى ولما أحصى ثم يئس لسانه فما يكلم إخوانه ولا يعرف حسرته وهرق بعد ذلك جبينك وتنازع أنيك وثبت بريقك وطمحت جفونك وصدقت ظنونك وتلحج لسانك وبكى إخوانك وقيل لك هذا ابنك فلان وهذا أخوك فلان ومنعت من الكلام فلا تنطق وختم على لسانك فلا ينطق ثم حل بك القضاء وانت رحت نفسك من الأعضاء ثم صرح بها إلى السماء فاجتمع عند ذلك إخوانك وأحضرت أئمتها في مجلسك وكفتوك فانتقطع عراندك واستراح

حسادك وانصرف أهلوك إلى مالك وبقيت مراثيك بأعمالك .

وقال بعضهم لبعض الملوك : إن أحق الناس بدم الدنيا وفلاها من يسقط له فيها وأعطى حاجته عنها لأنه يتوقع أفة تعدو على ماله فتحتاجه "و على جسمه فتعرقه أو تأتي سلطانه فتهدمه من القواصد أو تدب إلى جسمه فتسقمه أو تعجبه بشيء هو حسين به بين أحيائه والدنيا أحق بالدم وهي الأحدة ما تعطى الرجعة فيما تهيب ، بيتا هي تصحك صاحبها إذا أضحكته منه غيره وبها هي تبكي له إذا بكيت عليه .

وبها هي تبسط كعها بالإعطاء إذ بسطتها بالاسترداد فتعقد الحاج على رأس صاحبها اليوم وتعقره في التراب غدا سواء حبها ذهاب ما ذهب وبقاء ما بقى تجد في الباقي من الداهي خفا وترغى لكل من كل بدلا .

وكسب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز أما بعد فإن الدنيا دار ظمئ ليست دار إقامة وإنما أنزل آدم - عليه السلام - من الجنة إليها حقوبة فاحذرها يا أمير المؤمنين فإن الزاد منها تركها والفسى منها فقرها لها في كل حين قتل تلذذ من أجزها وتمقر من جمعتها هي كالسم يأكله من لا يعرفه وفيه حصه فكن فيها كالمدأوى جراحه كحتمى قليلا مخافة ما يكره طويلا وصبر على شدة الدواء مخافة طول الداء فاحذر هذه الدار الفلذذة لفتنة الحفاضة التي تزيت بخدعها وفتت بفرورها وحلت بأملها ، وسوقت بخوابها فأصبحت كالعروس للجلية العيون إليها ناظرة والقلوب عليها والهة والتفوس لها حاشقة وهي لأراجيحها كلهم قذية لا الباقي بالماضي معتبر ولا الآخر بالأول مزدجر ولا المعارف بالله عز وجل حين أخبره عنها مذكر فعاثق لها قد ظفر منها بعاجته فاغتر وطغى ونسى المعاد فشغل فيها قلبه حتى رلت به قدمه فعظمت ندامته وكثرت حسرته واجتمعت عليه سكرات الموت وناله وحسرات الموت بفصته وراغب فيها لم يدرك منها ما طلب ولم يروح نفسه من التعب فتخرج بغير زاد ولدم على غير مهاد فاحذرها يا أمير المؤمنين ، وكن أسر ما تكون فيها احذر ما تكون لها فإن صاحب الدنيا كلما اطمأن منها إلى سرور أشخصته إلى مكروه الضار في أهلها غار والنازع فيها غدار ضار وقد وصل الرخاء منها بالبلاء وجعل البقاء فيها إلى فناء فسورورها مشوب بالأحزان لا يرجع منها ما ولى وأدير ولا يفرى ما هوأت فيتنظر أمانها كادمة وأملها باحلة وصغرها كدر وعيشها نكد وابن آدم فيها على خطر أن عقل وبظر فهو من السماء على خطر ومن البلاء على حذر فلو كان الخالق لم يخبر عنها خيرا ولم يضرب لها مثلا لكائن الدنيا قد أيقنت الدائم وبهت العاقل ، فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها راجر وفيها واعظ فما لها عند الله جل شأوه قدر وما نظر إليها مد خلقها ولقد عرغست على نبيك ﷺ بمعايبيها وخراستها لا ينقصه ذلك عند الله جناح بعوضة فأي أن يقلبها أذكره بخالف على أمره أو يحب ما أبغضه خالفه أو يرفع ما وضعه مليكه ، فرواه عن الصالحين اختصارا وبسطا لأعدائه

وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو إِلَى الْفِتْنَةِ لِيُقْتَلَ بِهِمْ وَيَقُولُ الشَّيْطَانُ لَهُمْ قَاتِلُواهُمْ فَيَنْقَلِبُوا عَلَيْهِمْ إِلَى آخُفِّ عَنَاءٍ لِيُقْتَلَ بِهِمْ فَذَرْهُمْ هَلِكًا

وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو إِلَى الْفِتْنَةِ لِيُقْتَلَ بِهِمْ وَيَقُولُ الشَّيْطَانُ لَهُمْ قَاتِلُواهُمْ فَيَنْقَلِبُوا عَلَيْهِمْ إِلَى آخُفِّ عَنَاءٍ لِيُقْتَلَ بِهِمْ فَذَرْهُمْ هَلِكًا

وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو إِلَى الْفِتْنَةِ لِيُقْتَلَ بِهِمْ وَيَقُولُ الشَّيْطَانُ لَهُمْ قَاتِلُواهُمْ فَيَنْقَلِبُوا عَلَيْهِمْ إِلَى آخُفِّ عَنَاءٍ لِيُقْتَلَ بِهِمْ فَذَرْهُمْ هَلِكًا

وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو إِلَى الْفِتْنَةِ لِيُقْتَلَ بِهِمْ وَيَقُولُ الشَّيْطَانُ لَهُمْ قَاتِلُواهُمْ فَيَنْقَلِبُوا عَلَيْهِمْ إِلَى آخُفِّ عَنَاءٍ لِيُقْتَلَ بِهِمْ فَذَرْهُمْ هَلِكًا

وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو إِلَى الْفِتْنَةِ لِيُقْتَلَ بِهِمْ وَيَقُولُ الشَّيْطَانُ لَهُمْ قَاتِلُواهُمْ فَيَنْقَلِبُوا عَلَيْهِمْ إِلَى آخُفِّ عَنَاءٍ لِيُقْتَلَ بِهِمْ فَذَرْهُمْ هَلِكًا

وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو إِلَى الْفِتْنَةِ لِيُقْتَلَ بِهِمْ وَيَقُولُ الشَّيْطَانُ لَهُمْ قَاتِلُواهُمْ فَيَنْقَلِبُوا عَلَيْهِمْ إِلَى آخُفِّ عَنَاءٍ لِيُقْتَلَ بِهِمْ فَذَرْهُمْ هَلِكًا

وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو إِلَى الْفِتْنَةِ لِيُقْتَلَ بِهِمْ وَيَقُولُ الشَّيْطَانُ لَهُمْ قَاتِلُواهُمْ فَيَنْقَلِبُوا عَلَيْهِمْ إِلَى آخُفِّ عَنَاءٍ لِيُقْتَلَ بِهِمْ فَذَرْهُمْ هَلِكًا

المحروى حتى يتسنى إلى الغنية وكفى عسى أن يبقى من له يوم الدنيا وطالب حثيث يطلبه حتى يمارقها فلا يجرحوا لئلا يسرها وفسادها فإنه إلى انقطاع ولا تفرحوا بمناجعتها ونعماته فإنه إلى زوال ، عجب بطالب الدنيا والموت يطلبه وعاش وليس بمعمول عنه ، وقال محمد بن الحسن لما علم أهل المعص ببلد المعص والمعرفة والآداب أن الله عز وجل قد أمان الدنيا وأنه لم يرخصها لأولياته وأنها عنده صغيرة ذليلة ، وأن رسول الله ﷺ زهد فيها وحلوا أصحابه لنتها أكلوا منها قصدا وقدموا لفضلا وأخذوا منها ما يكفي وتركوا ما يلهي لبسوا من الثياب ما ستر العورة وأكلوا من الطعام أدناه مما سد الجوعة ونظروا إلى الدنيا بعين أنها فانية وإلى الآخرة أنها باقية فتزودوا من الدنيا كراو الركاب فحربوا الدنيا وصمروا بها الآخرة ونظروا إلى الآخرة بقلوبهم فعملوا أنهم سينظرون إليها بقلوبهم لما علموا أنهم سيرتحلون إليها بأبدانهم تعبوا قليلا ونعموا طويلا كل ذلك بتوفيق مولاهم الكريم أحبوا ما أحب لهم وكروها ما كره لهم .

### الباب الثالث والثلاثون

#### في فضل القناعة

اعلم أنه يبقى أن يكون الفقير قانعا منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت إلى ما في أيديهم ولا حرصا على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك إلا بأن يفتح بقلوبهم الضرورة من المطعم والملبس والسكن ، ويقتصر على أقله قدره وأغنى نرحا ويرد أمله إلى يومه أو سهره ولا شغل قلبه بما بعد شهر فإن تشوق إلى الكثير أو طول أمله فإنه عز القناعة وتدنس لا محالة بالطمع وذلك الحرص وسجده الحرص والطمع إلى مساوي الأخلاق وارتكاب المنكرات المخرقة للبركات ، وقد جبل الأدي على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله ﷺ : « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا يفتى بهذا ثالثا ولا يملا جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب » (١) وعن أبي داود الفري قال قال رسول الله ﷺ : « إذا أوحى إليه أنبياءهم ملما ما أوحى إليه ، فحينئذ تات يوم فقال إن الله عز وجل يقول إنا أنزلنا المال لإتقان الصلاة وإيتاء الزكاة ولو كان لابن آدم واد من ذهب لأحب أن يكون له ثمان ، وإن كان له الثمان لأحب أن يكون له مائة ثمان ولا يملا جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب » . وقال أبو موسى الأشعري نزلت سورة محو برامة ثم رعت وحفظ منها وإن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ، ولو أن لابن آدم واديين من مال لثمن واديا ثالثا ولا يملا جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب وقال ﷺ : « مهووسان لا يشبعان مهووم العلم ومهووم المال » ، وقال ﷺ : « يهرم ابن آدم

(١) (صحيح أحمد ٤ / ٣٦٨ ، والترمذي ٢٣٣٧)

ويشيب معه اتئان الأمل وحب المال أو كما قال » (٢) ولما كانت هذه جبلة للناس مضلة وخرقة مهلكة أتى الله تعالى ورسوله على القناعة ، فقال ﷺ : « ما من أحد فقير ولا غني إلا ود يوم القيامة أنه كان أولي قوتا في الدنيا » ، وقال ﷺ : « ليس الغنى من كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس » (٣) . ونهى عن شدة الحرص والمبالغة في الطلب فقال ﷺ : « أيها الناس أجملوا في الطلب فإنه ليس لعب إلا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راحة »

وروى أن موسى - عليه السلام - سأل ربه تعالى فقال أي عبادك أغنى قال أغنيهم عما أعطيتهم قال فأبهم أحد قال من أنصف من نفسه . وقال ابن مسعود قال رسول الله ﷺ : « إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب » . وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ : « يا أيها هرة إذا أشد بك الجوع فمليك برغيف وكواز من ماء وعلى الدنيا الدمار » . وقال أبو هريرة - رضي الله عنه - قال رسول الله ﷺ : « كن ورعا تكن أعبد الناس . وكن قنعا تكن أشكر الناس ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا » ونهى رسول الله ﷺ عن الطمع ، فيما رواه أبو أيوب الأنصاري أن أعرابيا أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله هظني وأرجز فقال : إذا صليت فصل صلاة مودع ولا تحدثن حديث تعتذر منه خدا واجمع اليأس عما في أيدي الناس . وقال خوف بن مالك الأشجعي كنا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة ، فقال ألا تبايعون رسول الله فليسلنا أيلينا فبايعناه فقال قاتل منا قد بايعتك فعلى ماذا تبايعك قال أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وتصلوا الخمس وأن تسمعوا وتطيعوا وأسر كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيئا قال فقد كان بعض أولئك التفريق سقط سوطه فلا يسأل أحدا أن يتأوله إياه . وقال عمر - رضي الله عنه - إن الطمع فقر وإن اليأس غنى وأنه من يأس عمالي أهد للناس استثنى عنهم ، وقيل لبعض الحكماء ما الغناء قال فقه تمالك وروحك بما يملكك وفي ذلك قيل :

العيش ساعيات تمر ••• وخطوب أيام تكرر  
اسمع بعيشك ترهقه ••• واترك هواك بعيش حمر  
ملرب حاتف صافه ••• ذهب وياقوت ودر

وكأن محمد بن واسع يمل الخبز اليأس بالماء ويأكله ويقول من قنع بهذا لم يحتج إلى أحد ، وقال سفيان خیر دنیاکم ما لم تتلوا به وخیر ما ابتليتم به ما خرج من أيديكم ، وقال ابن مسعود ما من يوم إلا وملك يتأذى يا ابن آدم قليل يكفك خير من كثير يطعك ، وقال سميط بن حجلان

(١) (صحيح أحمد ٣ / ١٩٢ ، والترمذي ٢٣٣٩)

(٢) (صحيح البخاري ٦٤٤٦ ، ومسلم ١٠٥١)

١٠٨ • يا ابن آدم شير في شير فلم يدخلك النار ، وقيل لحكيم ما مالك قال انجمل في الظاهر  
١٠٩ • في الباطن واليأس عما في أيدي الناس .

١٠٩ • ان الله عز وجل قال يا ابن آدم لو كانت الدنيا لك كلها لم يكن لك منها إلا القوت  
١١٠ • منك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فأنا إليك محسن ، وقال ابن مسعود إذا  
١١١ • حرك الحاجة فليطلبها طلبا يسرا ولا يأتي الرجل فيقول إنك وإنك فيقطع ظهره فإذا يأتيه  
١١٢ • من الرزق أو ما رزق .

١١٢ • سب بعض بني أمية إلى أبي حازم يعزم عليه إلا رفع إليه حوائجه فكتب إليه فدرفعت  
١١٣ • من إلى مولاي فما أعطاني منها قبلت وما أمسك عني قنعت ، وقيل لبعض الحكماء أي  
١١٤ • أسروا للعامل وأيما شيء أعون على دفع الحزن ، فقال أسرها ما قدم من صالح العمل  
١١٥ • بها له على دفع الحزن الرضا بمحترم القضاء ، وقال بعض الحكماء وجدت أطول الناس رضا  
١١٦ • د وأماهم عيشا الفئوع وأصبرهم على الأذى الحريص إذا طمع وأخفهم عيشا أنفسهم  
١١٧ • وأعطهم تنعمة العالم المفرط وفي ذلك قيل :

أرقه ببال فتى أمسى على ثقة • • • • • إن الذي قسم الأرزاق يرزقه  
فالعرض منه مصون لا ينفسه • • • • • والوجه منه جليل ليس يخلقه  
إن القناعة من يحل بساحتها • • • • • ثم يلقي في دهره شيئا يورقه  
ولذلك قيل أيضا :

١١٨ • حتى متى أتأ في حل وترحال • • • • • وطول سعي وإدبار وأقبال  
١١٩ • لا أزع النور لا تنفك مفترقا • • • • • من الأحبة لا يدرون ما حالي  
١٢٠ • في الأرض طيرا ثم مضربها • • • • • لا يخطر الموت من حوصلي على يالي  
١٢١ • فتعت أناني الرزق في دهة • • • • • إن القنوع الفنى لا كثرة المال

١٢٢ • قال عمر - رضي الله عنه - ألا أخبركم بما استحل من مال الله تعالى ، حلتان لشعائي  
١٢٣ • وب يسعني من الظاهر لحبي وعصري وفوتي بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست  
١٢٤ • هم ولا بأرضهم هو الله ما يرى أبجل ذلك أم لا كأنه شك في أن هذا القدر هل هو زيادة  
١٢٥ • الحمية التي تحب القناعة بها . وعاتب أعرابي أخاه على الخرص ، فقال يا أخي أنت طالب  
١٢٦ • بهيبك من لا تموته وتطلب أنت ما قد كفيته وكان ما غاب عنك قد كشف لك وما أنت  
١٢٧ • فأتيت عنه كأنك يا أخي لم تر حريصا محروما وراهدا مرزوقا وفي ذلك قيل :

١٠٩ • أراك مزبدك الإثراء حرصا • • • • • على الدنيا كذلك لا تحسوت  
١١٠ • فهل لك ضاية إن صرت يوما • • • • • إليها قلت حسبي قد وضيت

١١٠ • وقال الشعبي حكى أن رجلا صاد قشرة فذلت ما تريد أن تصنع بي قال اذهبك وأكلك قالت  
١١١ • وابله ما أشهى من قرم ولا أشبع من جوع ونكر أعلمك ثلاث حصال من خير لك من أكلتي ، أما  
١١٢ • وحدة وأعلمك وأنا في يدك ، وأما الثانية فإذا صرت على الشجرة ، وأما الثالثة فإذا صرت على  
١١٣ • الجبل من هات الأولى قالت لا تلهي على ما ماتت مغلها فلما صارت على الشجرة قال هات  
١١٤ • الثانية ، قالت لا تصدق بما لا يكون أنه يكون ، ثم طارت فصارت على الجبل تقول يا شقي لو  
١١٥ • ذهبت لأخرجت من حوصلي درتين زنة كل حبة عشرون مثقالا قال فعض على شفتيه ونهف ،  
١١٦ • وقال هات الثالثة قالت أنت قد سبت اتسب فكيف أخبرك بالثالثة ألم أقل لك لا تلهي على ما  
١١٧ • فاتك ولا تصدق بما لا يكون أنا لحمي ودمي وريشي لا يكون مثقالا فكيف يكون في حوصلي  
١١٨ • درتان كل واحدة عشرون مثقالا ثم طارت ذهبت . وهذا مثال لفرط طمع الأحمى فإنه يعميه  
١١٩ • من ذك الحق حتى يقدر ما لا يكون أنه يكون .

١٢٠ • وقال ابن السماك أن الرجاء حبل في قلبك وقيد في رجلك فاخرج الرجاء من قلبك ويخرج  
١٢١ • القيد من رجلك ، وقال أبو محمد اليزيدي دخلت على الرشيد فوجدته ينظر في ورقة مكتوبة فيها  
١٢٢ • بالدعبل فلم راني تبسم فقلت فائدة أصلح الله أمير المؤمنين ، قال نعم وجدت هذين البيتين في  
١٢٣ • بعض خزائن بني أمية فاستحسنتهما وقد أضقت إليهما ثالثا وأتلفتني :

إذا سد باب عك من دون حاجة • • • • • فدعه لأخسرى يغتص لك بابها  
فإن قراب البطن يكفيك ملؤه • • • • • ويكفيك سوات الأمور اجتنابها  
ولا تك مبالا لعرعك واجتنب • • • • • ركوب المعاصي يجتنب عقابها

١٢٤ • وقال عبد الله بن سلام لكعب ما يلعب العلوم من قلوب العلماء بعد إذ وعوها وعقلوها ،  
١٢٥ • قال الطمع وشراء النفس وطلب الحوائج . وقد رجع للمقبل مصر لي قول كعب ، وقال يطمع  
١٢٦ • الرحمن في الشيء يطمع فيذهب عليه دبه وأما الشره فشره النفس في هذا وفي هذا ، حتى لا تحب  
١١٧ • أن يعرف شيء ويكون لك إلى هذا حاجة وإلى هذا حاجة فإذا قصاها لك حرم أنعت وقدك حيث  
١١٨ • شاء وأستمكن منك وخضعت له فمن أحبك للدنيا سلمت عليه إذا مررت به وعذته إذا مرض لم  
١١٩ • تسلم عليه الله عز وجل ولم تعده الله قلوب لم يكن لك إليه حاجة كان خيرا لك .

## الباب الرابع والثلاثون

## فصل العقراء

قال ﷺ : « خير هذه الأمة فقراؤها ، وأسرعها تصجعا في الجنة صغافرها » (١) وقال ﷺ : « إن لي حرفتين اثنتين فمن أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني العقر والعجفاء » (٢) . وروى أن حبرين عنه السلام سئل عن رسول الله ﷺ فقال يا محمد إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويعبر أحب أن أحصل هذه الحبال ذهبيا وتكون معك أينما كنت ؟ فأطرق رسول الله ﷺ ساعة ثم قال يا جبريل إن الدنيا دار من لا دار له ودار من لا مال له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له ، فقال له جبريل يا محمد ثبتك الله بالقول الثابت .

وروى أن المسيح - عليه السلام - مر في سمعته برجل نائم ملتصق في حياة فأيقظه ، وقال يا نائم قم فاذكر الله تعالى فقال ما تريد متى إنني قد تركت الدنيا لأهلها فقال له قم إذا يا حبيبي ، وروى موسى - عليه السلام - برجل نائم على التراب ولحم رأسه لينة ووجهه ولحمته في التراب وهو متزور بمياة فقال يا رب حينئذ عذابي الدنيا ضائع ، فأوحى الله تعالى إليه يا موسى أما علمت أنني إذا نظرت إلى عبد بوجهي كله زويت عنه الدنيا كلها .

وقال ﷺ : « القصر أربعين بالمؤمن من الملوك الحسن على عهد الفرس » (٣) وقال ﷺ : « من أصبح مكم معافى في جسده أما في سره عده فوت يومه فكأن حيزت له الدنيا بحذوها » وقال كعب الأحبار قال الله تعالى لموسى - عليه السلام - إذا رأيت العقر مقبلا فقل مرحبا بشمار الصالحين . وقال عطاء الخراساني مرئى من الأنبياء بساحل فإذا برجل بصطاد حينئذ ، فقال باسم الله والتقى الشبكة فلم يعرج فيه شيء ثم مر بأخر فقال باسم الشيطان والتقى الشبكة فخرج فيها من الحيتان ما كان يتفاحس من كثرتها ، فقال النبي ﷺ لأرب ما حقا وقد علمت أن كل ذلك بيدك ، فقال الله تعالى للملائكة اكشفوا ليلتي عن منزلتيهما ، فلما رأى ما أعد الله تعالى لهذا من الكرامة ولدنك من الهرق قال وضيت بأرب . وقال نبينا ﷺ : « اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها العقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء والنساء . وفي حديث آخر فرأيت أكثر أهل النار قتل ما شأنهم قبل شملهن الأحمران الذهب والزهرمان » (٤) .

وقال ﷺ : « لحمة المؤمن في الدنيا العقر » (٥) . وفي الخبر : « آخر الأغنياء دخول الجنة سليمان

بن داود - عليهما السلام - لمكان ملكه وآخر أصحابه دخلوا الجنة عبد الرحمن بن عوف لأجل عاه ، وفي حديث آخر رأيت دخل الجنة زهد . وقال المسيح - عليه السلام - بشدة يدخل النسي الحنة . وفي خبر آخر حسن أهل البيت - رضي الله عنهم - أنه ﷺ قال إذا أحب الله حبنا بتلاه فإذا أحب الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له أهلا ولا مالا . وفي الخبر إذا رأيت لعقر مثيلا فقل مرحبا بشمار الصالحين وإذا رأيت العنا مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته . وقال موسى - عليه السلام - يارب من أحبائك من عذبتك حتى أحبهم لأجلك فقل كل فقير فقير فيمكن أن يكون الثاني للتوكيد ويمكن أن يراد به الشديد الفقر . وقال المسيح عليه السلام أتى لأحب للسكنة وأبغض النعماء وكان أحب الأسماء إليه - صلوات الله عليه - إن يقال له يا مسكين ، ولما قالت سادات العرب وأغياؤهم للنبي ﷺ اجعل لنا يوما ولهم يوما يجيئون إليك ولا يجي ونجى عليك ولا يجيئون يحون بذلك العقراء مثل بلال وسلمان وصهيب وأبي ذر وغياث بن الأرت وهمار بن ياسر وأبي هريرة وأصحاب الصمة من الفقراء - رضي الله عنهم - أجمعين ، أجابهم النبي ﷺ إلى ذلك ، وذلك لأنهم شكوا إليه النادى براتعتهم وكان لباس القوم الصوف في شدة الحر فإذا عرتوا فاحت الروائح من ثيابهم فاشتد على الأغنياء ، منهم الأقرب من حابس التميمي وعبيدة بن حصين الفزاري وعباس بن مرداس السلمي وغيرهم فأجابهم رسول الله ﷺ أن لا يجمعهم وليأمرهم مجيب واحد فنزل عليه قوله تعالى : ﴿ وَأَمِيرُ فُسْكَ نِعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمَا ﴾ يعني الفقراء ﴿ قُرْبُ دُرَّةٍ الْحَيَةِ الدُّنْيَى ﴾ يعني الأغنياء ﴿ وَلَا تَطْعَمُ مِنْ أَغْفَا قَلْبِهِ عَنْ دُرَّتِنَا ﴾ (١) يعني الأغنياء ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لَعَنَ شَقِيقَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ شَاءَ فليَكْفُرْ ﴾ (٢) الآية . واستأذن ابن أم مكتوم على النبي ﷺ وعنده رجل من أشراط فریش منق ذلك على النبي ﷺ فأمر الله تعالى ﴿ عَسَى وَفَوَيْلَ أَنْ جَاءَ الْأَعْمَى ﴾ وما يتوبك لله بركي ﴿ أَوْ يَذْكُرْ فَهَلْهُ الذِّكْرَى ﴾ أما من استغنى ﴿ فَأَتَتْهُ نَصْدَى ﴾ (٣) يعني عده الشريف .

وقال - عليه السلام - : « أكثروا معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الأيادي فإن لهم دولة قالوا يا رسول الله وما دولتهم قال إذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا من أطعمكم كسرة أو سقاكم شربة أو كساكم ثوبا فخذوا بيده ثم امضوا به إلى الجنة » وقال ﷺ : « دخلت الجنة فسمعت حركة أمامي فنظرت فإذا بلال ومطرت في أعلاه فإذا فقراء أمي وأولادهم ومطرت في أسفلها فإذا فيه من الأغنياء والنساء فقلت يا رب ما شأنهم قال أما النساء فأضربهن الأحمران الذهب والحريير وأما الأغنياء فاشتعلوا بطول الحساب ونفذت أصحابي فلم أر عبد الرحمن بن عوف ثم

(١) آية (٢٨) سورة الكهف

(٢) آية (٢٨) سورة الكهف

(٣) آية (٦٠) سورة هود

(١) الجامع السادة ٩ / ٢٧٥ ، وضميمة (٥٦٧) . (٢) (موضوع) تنزيه الشريعة ٢ / ١٨٢ .

(٣) (ضميم) الطبراني ٧ / ٣٤٣ ، وضميم الجامع (١٠٢٩) .

(٤) (صحيح) البخاري (٣٢٤١) .

(٥) مسند ترمذي



جاءني بعد ذلك وهو يبكي فقمت ما خلعت حتى ، قال يا رسول الله والله ما وصلت إليك حتى لميب المشيب وطمعت أمي لا آت عقلت ولم قال كنت أحاسب مالي ، فأنظر إلى هذا وعبد الرحمن صاحب السابقة العظيمة مع رسول الله ﷺ وهو من العشرة المخصوصين بأنهم من أهل بيته وهو من الأغنياء الذين قال فيهم رسول الله ﷺ إلا من قال بالخال هكذا وهكذا ومع هذا فقد استصر بالعمى ، إلى هذا الحد ودخل رسول الله ﷺ على رجل فقير فلم يره شيئا فقال لو قسم نور هذا على أهل الأرض لوسعهم . وقال ﷺ : ألا أخبركم بملوك أهل الجنة قالوا بلى يا رسول الله قال كل ضعيف مستضعف أعير أشعث ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره . (١)

وقال عمران بن حصيص كانت لي من رسول الله ﷺ منزلة وجاء فقال عمران إن لك عندنا منزلة وجاها فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، قلت نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقام وقمت معه حتى وقف باب فاطمة ففرق الباب وقال السلام عليكم التحل فقلت ادخل يا رسول الله قال أنا ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله ؟ قال عمران فقلت فاطمة والذي بعثك بالحق نبيا ما على إلا عيادة قال اصنعى بها هكذا وأشر بيده فقلت هذا جسدي قد وارته فكيف يرأسى فالتفت إليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال شدي بها على رأسك ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليكم يا ابتاه كيف أصبحت قالت أصبحت والله وجمة وزاخرى وجعا على ما بي أنى لست أقدر على طعام أكله فقد أغمر من الجوع فكى رسول الله وقال لا تجزعى يا ابتاه فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث واني لأكرم على الله منك ولو سألت ربي لأطعمنى ولكن أثرت الآخرة على الدنيا ، ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها أبشرى فوالله إنك لسيدة نساء أهل الجنة ، قالت فأبى أسية امرأة مروعون ومريم بنت عمران قال أسية نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها ، وأنت سيدة نساء عالمك إنكن في بيوت من نصب لا أذى فيها ولا مصعب ولا نصب ، ثم قال لها اتبعى بأين همك فوالله لقد زوجتك سيدا في الدنيا سيدا في الآخرة .

وروي عن علي - كرم الله وجهه - أن رسول الله ﷺ قال إذا أبغض الناس فقراءهم وأظهروا عمارة الدنيا وتكالبوا على جمع الدراهم وماهم الله بأربع خصال ، بالتحفظ من الزمان ، والجور من السلطان ، والخيانة من ولاء الأحكام ، والشركة من الأعداء . وقال أبو الدرداء - رضي الله عنه - ذو الدرهمين أشد حبا أو قال حسابا من ذى الدرهم . وأرسل عمر - رضي الله عنه - إلى سعيد بن عامر بألف دينار فجاء حزينا كئيب فقالت امرأته أحدث لمر قال أشد من ذلك ثم قال أرى درعك الخلق فشقه وجعله صررا ومرقه ثم قام يصلى إلى الفتنة ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : يدخل فقراء أمي الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام حتى إن الرجل من الأغنياء يدخل في عمارهم فيؤخذ بيده فيستخرج

وقيل جاء فقير إلى مجلس الثوري - رحمه الله - فقال له تعط لو كنت غنيا لما قرنتك وكان لأغنياء من أصحابه يودون أنهم فقراء لكثرة تفرقه للمعراء وهراسه من الأغنياء ، وقال المؤمن ما رأيت العس أدن منه في مجلس الثوري ولا رأيت انفق أفسز منه في مجلس الثوري - رحمه الله - . وقال بعض الحكماء مسكين ابن آدم لو خاف من الدركما يحلف من الفقر لتجاسها جميعا ولو رغب في الجنة كما يرغب في الدنيا لمد يدها جميعا ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لسمد في النبلين جميعا . وقال ابن عباس ملعون من أكرم بالعنى وأهان بالمعز . وقال لقمان - عليه السلام - لا ته لا تحقرن أحدا تحقن ثيابه فإن ريك وربك واحد . وقال يحيى ابن معاذ حيك للمعراء من أخلاق المرسلين وإيتارك مجالستهم من علامة المنافقين . وفي الأخبار عن الكتب السالفة ، أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه - عليهم السلام - أحذر أن أمك تسقط من عيني فأصعب عليك الدنيا عيا . ولقد كانت عائشة - رضي الله عنها - تفرق مائة ألف درهم في يوم واحد يوجهها إليها معاوية وابن عامر وغيرهما وأن درعها لم ترق ، وتقول لها الجارية لو اشتريت لك بدرهم لحما تعطين علي وكنت صائمة ، فقالت لو ذكرتني لعلت وكان قد أوصاه رسول الله ﷺ وقال : إن أردت اللعوق بي فعليك بعيش الفقراء وإيك ومجالسة الأغنياء ولا تنزعى درعك حتى ترقع . وجاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم بعشرة آلاف درهم فأبى عليه أن يقبلها فألح عليه الرجل فقال له إبراهيم أتريد أن أمحو اسمي من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم ، لا أفعل ذلك أبدا - رضي الله عنه - . وقال رسول الله ﷺ : طوبى لمن على إلى الإسلام وكان عيشه كعاشا وقع به . (١) وقال ﷺ : يا معشر الفقراء أسخطوا الله الرضا من قلوبكم تظهروا بثواب فقركم . (٢) . والإسلام فالأول الفاتح وهذا الراضى ويكاد يشمر هذا بمنهومة أن الخريص لا ثواب له على فقره ، ولكن العمومات الواردة في فضل الفقر تدل على أن له ثوابا كما سيأتى تحقيقه فلعل المراد بعدم الرضا هو الكرامة لفعل الله في حبس الدنيا عنه وروى راضى في المال لا يخطر بقلبه إنكار على الله ولا كراهة في فعله فتلك الكراهة هي التي تحيط ثواب المعز .

وروي عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال : إن لكل شيء مفتاحا ومفتاح الجنة للمسكين والفقراء لعبرهم هم جلساء الله تعالى يوم القيامة . (٣) الفقير القانع برزقه الراضى عن الله تعالى . وقال ﷺ : اللهم اجعل قوت آل محمد كقافا ، وقال : ما من أحد غنى ولا فقر إلا ود يوم القيامة أنه كان أوتي قوتا في الدنيا . وأوحى الله تعالى إلى اسماعيل - عليه السلام - اطلس عند المكسرة قلوبهم ، قال ومن هم قال الفقراء الصادقون . وقال ﷺ : لا أحد أفضل من الفقير إذا كان راضيا . (٤) وقال ﷺ : يقول الله تعالى يوم القيامة أين صغوتي من غننى

(١) صحيح أحمد ٦ / ١٩ ، وفتح حدي (٢٣٤٩) . (٢) الخلف السادة ٩ / ٢٨٣

(٣) موضوع (الخلف السادة ٩ / ٢٨٣) وصحيح الجامع (٤٧٣١)

(٤) الخلف السادة ٩ / ٢٨٣

هذه الملائكة ومن هم ياربنا فيقول فقراء المسلمين القاتمون لصعدني الراضون بقدرى أدخروهم الجنة ، فيدخلونها ويأكلون ويشربون والناس في أحساب يترددون . فهذا في القانع والراضي وأما الراشد فستذكر فضله إن شاء الله تعالى .

وأما الآثار في الرضا والرضا فكثير ، ولا يخفى أن القباة يضادها الطمع ، وقد قال عمر - رضي الله عنه - أن الطمع غفر والياس غنى وأنه من يتسهما في أيدي الناس وقنع استمى عنهم ، وقال ابن مسعود - رضي الله تعالى عنه - ما من يوم إلا وملك يتأذى من تحت العرش يا ابن آدم قليل يكفيك خبر من كثير يطعيك . وقال أبو الدرداء - رضي الله عنه - ما من أحد وفي عقله نقص وذلك أنه إذا أتته الدنيا بالزيادة ظل فرحاً مسروراً والليل والنهار فالبان في عدم حمرة ثم لا يحمره ذلك ويح ابن آدم ما يتبع مال يريد وعمر ينقص . وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال فلة فليك ورضك بما يكفيك . وقيل كان إبراهيم بن أدهم من أهل النعم بخراسان فبينما هو يشرف من قصر له ذات يوم إذ نظر إلى رجل في فناء القصر وفي يده رغيف يأكله فلما أكل قام فقال لبعض علمائه إذا قام فجتني به ، فلما قام جاء به إليه فقال إبراهيم أيها الرجل أكلت الرغيف وأنت جائع قال نعم قال فشبهت قال نعم قال ثم تمت طيباً قال نعم فقال إبراهيم في نفسه فما أصنع أنا بالدنيا والنفس تقنع بهذا القدر . ومر رجل بعاصم بن عبد القيس وهو يأكل ملحاً وبغلاً فقال له يا عبد الله أرخصت من الدنيا بهذا فقال لا أدلك على من رضى بشر من هذا قال بلى قال من رضى بالدنيا هو رضى عن الآخرة . وكان محمد بن واسع - رحمه الله عليه - يخرج خبزاً باباً فيبله بملحاً ويأكله بالملح ويقول من رضى من الدنيا بهذا لم يحتج إلى أحد . وقال الحسن رحمه الله لعن الله أقوام أقسم الله تعالى ثم لم يصدقوه ثم قرأ : ﴿ وَلِي السَّعَاءُ بِرُكْمٍ وَمَا تُؤْمِنُونَ ﴾ فَوَدَّ السَّعَاءُ وَالْأَرْضُ إِنَّهُ لَحَقٌّ ۝ (١٦) الآية . . . وكان أبو بكر - رضي الله عنه - يوماً جالساً في الناس فأتته امرأته فقالت له أجلس بين هؤلاء والله ما في البيت هفة ولا سفة ، فقال يا هذه إن بين أيدينا عقة كوزها لا ينجو منها إلا كل مخف فرجعت وهي راضية . وقال أبو النون - رحمه الله - أقرب الناس إلى الكفر ذو قافة لا صبر له . وقيل لبعض الحكماء ما مالك فقال التجلجل في الظاهر والفصد في الباطن والياس مما في أيدي الناس .

ومروى أن الله عز وجل قال في محضر الكتب السالمة المنزلة يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن منها إلا القوت فإذا أنا أعطيت منها القوت وجعلت حسابها على خيرك فأنا محسن إليك وقد قيل في القباة

إصرع إلى الله لا تضرع إلى الناس ••• وافتنع بياس فإن العز في اليأس

واستغن عن ذي قريب وذي رحم ••• إذ اعنى من استعنى عن الناس وقد قيل في هذا المعنى أيضاً :

يا جامعاً مانعاً والذهب يرمقه ••• مقبلوا أي باب منه يخلقه  
مكسراً كهمب تأتيه منيته ••• اتفاديا أم بها يسهر فتطرقه  
جمعت ما لا فقل لي هل جمعت له ••• يا جامع المال أهاماً تفرقه  
المال عنسلك مخزون لوارثه ••• ما مال مالك إلا يوم تنفقه  
أرفه يلك فتى يندو على ثقة ••• إن للذي قسم الأرزاق برزقه  
فالعرض منه مصون ما يدنس ••• والوجه منه جديد ليس يخلقه  
إن القباة من يحل يساحتها ••• لم يلق في ظلها هما يورقه

### الباب الخامس والثلاثون

في اتخاذ ولي من دون الله سبحانه وتعالى

وفي بيان العرصات

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَنَنْتُمْ أَنَّهُمْ الْآيَةُ ۝ (١) الآية . . . قال بعض المفسرين أجمع أهل السنة على أن الركوب مطلق الميل والركون يسراً أو كسراً . وعن عكرمة لا تصطنعوهم . والظاهر من الآية عموم النهي عن الركوب إلى المشركين وفئة المسلمين . وقال النيسابوري في تفسيره قال المحققون الركوب المهي عنه هو لرضا بما عليه العلة أو تزيين طريقتهم ولحسينها عند غيرهم ومشاركتهم في شيء من أبواب انظام فأما مداحتهم لدفع شيء من الضرر أو اجتلاب منعة عاجلة بغير داعلة في الكون . قال وأقول هذا من طريق المعاش والرخصة ومقتضى التقوى هو الاحتساب عنهم بالكلية ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۝ (٢) فلت ولقد صدق فحسم مادة الركوب إليهم أولى سيما في هذه الأزمات التي لا يمكن فيها إنكار المنكر والأمر بالمعروف مع ما في الركوب إليهم من العرور والعرور وإذا كان حال الميل في الجملة لم وجد منه ظلم ما في الإفضاء إلى مسلم النار هكذا عما ظنك بمن يميل إلى الراسخين في الظلم والعدوان ميلاً عظيماً ويتهاكك على صحبتهم ، ويلقى شراً شره على مؤسستهم ومعاشرتهم ويتنهج بالتزيين بزيهم ويعد عيبه إلى

زهرتهم المانية ويعطيهم بما أوتوا من القفوف الدانية وهو في الحقيقة من الخية طعيف ومن جناح العوضة يعمر من أن قيل اليه القلوب وضعت للعالم والمطلوب . قال ﷺ : « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » . (١)

وروى : مثل الجليس للمعتلج مثل جاكيل تلمسك إن لم يملك أصيكت من ربحه ، ومثل الجليس السوء كمثل صاحب الكبر إن لم يحرقك أصابك من دجائه قال الله تعالى : ﴿ مثل الذين اتبعوا من دون الله أولياء كمثل الضفادع اتحدت بغيا ﴾ (٢) الآية . وقال ﷺ : من عظم غيب لغناه فقد ذهب ثلثا دينه . وقال ﷺ : إذا مدح الفاسق فخطب الرب واهتر لثلك العرش ، وقال الله تعالى : ﴿ يوم نذهو كل أناس بما همهم ﴾ (٣) يمس من حرصات القيامة ، وقد اختلف المفسرون في تعيين الأمام الذي يدهى كل أناس به فقال ابن عباس وغيره أنه كتاب كل إنسان الذي فيه عمله أي يدهى كل إنسان بكتابات عمله ويؤدى هذا قوله تعالى : ﴿ فأما من أوتي كتابه بيمينه ﴾ (٤) الآية . . وقال ابن زيد : الإمام هو الكتاب المنزل فيقال يا أهل التوراة يا أهل الإنجيل يا أهل القرآن وقال مجاهد وقتادة إمامهم نبيهم فيقال هاتوا متبعي إبراهيم هاتوا متبعي موسى هاتوا متبعي عيسى هاتوا متبعي محمد ﷺ وعليهم . وقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - المراد بالإمام إمام عصرهم فيدهى أهل كل عصر بإمامهم الذي كانوا يأخرون بأمره ويتبعون بنيه . وفي الحديث الصحيح عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة رفع لكل خادع لواء فيقال هذ خذرة فلان ابن فلان .

وروى الترمذي وغيره عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ في تضييره هذه الآية يدهى أحدهم ليطمئ كتابه يمينه ويمد له في جسمه ستين ذراعاً ويبسط وجهه ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤ يتلألأ فيطلق إلى أصحابه فيروته من بعيد فيقولون اللهم اكنا بهذا وبارك لنا في هذا حتى يأتيهم فيقول أبشروا لكل وجل منكم مثل هذه . وأما الكافر فيسود وجهه ويمد له في جسمه ستين ذراعاً على صورة آدم وليس تاجاً من شوك قيراه أصحابه فيقولون هو ذا بالله من شر هذا اللهم لا تأتنا بهذا ، قال فيأتيهم فيقولون انهم آخرون فيقول أعدكم لله بدن لكل روح منكم مثل هذا . وقال الله تعالى : ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها (١) وأخرجت الأرض أنفاسها ﴾ (٥) إلى آخر السورة ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما أي تحركت من أسفلها وأخرجت ما في جوفها من الأموات والذلائل . وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ يومئذ تحدث أخبارها ﴾ (٦) قال أتدرون ما أحبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال فإن أخبارها أن تشهد على كل

عبد وأمه بكل عمل عمل على ظهرها . وعن رسول الله ﷺ أنه قال تحفظوا من الأرض فإنها أمكم وأنه ليس من أحد عامل عليها خيراً أو شراً إلا وهي صغيرة . . أخرجه الطبراني .

### الباب السادس والثلاثون

#### في النخع والفزع والخشر من العقاب

قال رسول الله ﷺ : « كيف أنعم وصاحب الصور قد انقضى القرن وحتى الجبهة واصغر بالادن ينتظر متى يؤمر فينخع » (١) قد مضى الصور هو القرن وذلك أن إسرائيل - عليه السلام - وأصبح فله على القرن كهية البوق وفاترة وأمس القرن كعرش السموات والأرض وهي شاخص بصره نحو العرش ينتظر متى يؤمر فينخع النخعة الأولى فإذا نفع صحن من في السموات ومن في الأرض . أي مات كل حيوان من شدة الفزع إلا من شاء الله وهو جبريل وميكائيل وإسراييل وملك الموت . ثم يامر ملك الموت فيموت ثم يبيت الخلق بعد النخعة الأولى في البرزخ أربعين سنة ثم يحيى الله إسرائيل فأمره أن ينخع الثانية فذلك قوله تعالى : ﴿ ثم نفيخ فيه نفخاً آخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ (٢) على أزجلهم ينظرون إلى البعث ، وقال ﷺ : حين يبعث الله صاحب الصور فأهوى به إلى فيه ، وقدم رجلاً وآخر أخرى ينتظر متى يؤمر والنخع ألا فاتوا النخعة ففكروا في الخلق وذلهم وانسكارهم واستكانتهم عند الابتاء خوفاً من هذه الصعقة وانتظاراً لما يقضى عليهم من سعادة أو شقاوة وأنت فيما بينهم مكسر كانكسارهم فتعبر كتحيرهم ، بل إن كنت في الدنيا من الخرفين والأغنياء المنتعنين فملوك الأرض في ذلك اليوم قد أهل أرض الجمع وأصغرهم وأحقرهم يطؤون بالأقدام مثل الذر وعند ذلك تقبل الوحوش في البراري والجبيل منكسة رؤوسها مختلطة بالخلق بعد توحشها فليلا ليوم النشور من غير خطيئة تلنس بها ، ولكن حشرتهم شدة الصعقة وهو النخعة وشغلهم ذلك عن الهرب من الخلق والتوحش منهم وذلك قوله تعالى : ﴿ وإذا النوحون فحُثِرَتْ ﴾ (٣) ثم أنبلت الشياطين والمردة بعد فمرددها وعتوها وأدعت حاشعها من هيئة العرش على الله تعالى تصديقاً لقوله : ﴿ فلو أنك فحشروهم والشياطين ثم نخرجهم حول جهنم حباً ﴾ (٤) لتعكر في حالك وحال قلبك هنالك .

ثم انظر كيف يساقون بعد البعث والنشور حفاة عراء عرا إلى أرض المحشر أرض بيضاء قاع صصاف لا ترى فيها عوجاً ، ولا ترى عليها روية يحتسى الإنسان ورواحها ولا وهذه يتحضر عن

(١) (حسن) الترمذي (٢٤٣١) . وأحمد ٣٢٦ . (٢) أية (١٨) سورة الفرق .

(٣) أية (٥) سورة التكاوير . (٤) أية (١٨) سورة مريم .

(١) (حسن) الترمذي (٢٣٧٨) .

(٢) أية (٧٩) سورة الإسراء .

(٣) أية (١-٢) سورة الزلزلة .

(٢) أية (٤١) سورة العنكبوت

(٤) أية (١٩) سورة الحاقة

(٥) أية (٤) سورة الزلزلة

الآعين فيها به هو صعيد واحد بسيط لا تفاوت فيه يساقون عليه زمرا زمرا ، فسبحان من جمع الخلاق على اختلاف أصنافهم من أقطار الأرض إذا ساقهم بالراجمة تبعها الرادة والراجعة هي النعمة الأولى والريادة هي الثانية . وحقيق لتلك القلوب أن تكون يومئذ واجمة ولتلك الأبصار أن تكون حاشمة قال تعالى ﴿ يَوْمَ تَبْذُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ﴾ (١) قال ابن عباس يزداد فيها ريعص وينهب أشجارها وجبالها وأوديتها وما فيها وعند مد الأديم العكاظي أرض بيضاء مثل الصفا لم يمسك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة ، والسموات تلعب شمسها وقمرها ونجومها . فانظر يا مسكين في هول ذلك اليوم وشدة فزائه إذا اجتمع الخلائق على هذا الصعيد تأثرت من فوقهم نجوم السماء وطمس الشمس والقمر وأظلت الأرض لحدود سراجها فينما هم كذلك إذ دارت السماء من فوق رؤوسهم وانشقت مع غلظتها وشدها خمسمائة عام وللاذكة قيام على حافاتها وأرجائها ، فيأهول صوت انشقاقها في سمعك وبها هبة يوم تنشق فيه السماء مع صلاتها وشدها ثم تنهار وتسيل كالفضة المذابة تغلظها صفرة فصار وتودة كالدخان وصارت السماء كالمهل وصارت اجيال كالعن ، وانتشرت الناس كالفرش الميثوث وهم حفاة عراة مشاة قال رسول الله ﷺ : « بيعت الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الأذان » (٢) . قالت سورة زوج النبي ﷺ رواية الحديث قلت يا رسول الله واسرائته ينظر بعضنا إلى بعض فقال شغل الناس عن ذلك بهم : ﴿ لَكُلٍّ أَمْرٌ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ خَافٌ مِنْهُ ﴾ (٣) فأعظم بيوم تكشف فيه العورات ويؤمن فيه مع ذلك النظر والإلتفات ، كيف وبعضهم يمشون على بطونهم وجوههم فلا قدرة لهم على الإلتفات إلى غيرهم ، قال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : « يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف وكيانا ومشاة وعلى وجوههم ، فقال رجل يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم قال الذي أمشاهم على أفئدتهم قلوا على أن يمشيهم على وجوههم » (٤) .

في طبع الأدمي إنكار كل ما لم يأنس به ولو لم يشاهد الإنسان الحية وهي تمشى على بطنها كالبرق الخاطف لأنكر تصور المشي على غير رجل ، والمشي بالرجل أيضا مستبعد عند من لم يشاهد ذلك فهناك أن تنكر شيئا من عجائب يوم القيامة لمخالفته قياس ما في الدنيا فإنك لو لم تكن قد شاهدت عجائب الدين ثم عرضت عليك قبل المشاهدة ، لكنت أشد إنكارا لها فاحضر في فميت صورتك وأنت واقف عاريا مكسوبا ذليلا مسحورا متحيرا مبهوتا منتظرا لما يجري عليك من

القصد بالسعادة أو بالشقاء وأعظم هذه الحال فإنها عظيمة . ثم تعكر في ازدحام الخلائق واجتماعهم حتى ازدحم على الموقف أهل السموات السبع والأرضين السبع من ملك وجن وإنس وشيطان ووحش وسبع وطير فاشتربت عليهم الشمس وقد تصاعف حرها وتبدلت عما كانت عليه من خفة أمرها ثم أدبت من رؤوس المالمين كغلاب قورسين ، فلم يبق على الأرض قل إلا هل عرش رب الملمين ولم يمكن من الاستقلال به إلا المقربون فمن بين مستغل بالعرش وبين مضحى لحر الشمس قد صهرته بحرهم وأشدت كربه وغمه من وهجه ثم تذاقت الخلائق ودفع بعضهم بعضا لشدة الزحام واختلاف الأقدام وانضاف إليه شدة الحيلة والحياة من الافتضاح والاحتراء عند العرض على جبار السماء ، فاجتمع وهج الشمس وحر الأنفاس واحتراق القلوب بنار الحياة والخوف ففاض العرق من أصل كل شعرة حتى سأل على صعيد القيامة ، ثم أرتفع على أهدانهم على قدر منازلهم عند الله فبعضهم بلغ العرق ركبتيه وبعضهم حقويه وبعضهم إلى شحمة أذنيه ، وبعضهم كاد يقرب فيه .

قال ابن عمر قال رسول الله ﷺ يوم يقوم الناس لرب المالمين حتى يقبض أحدهم في رشفه إلى أنصاف أذنيه . وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ : يمرق الناس يوم القيامة حتى يلعب عرقهم في الأرض سبعين باعا ويلجمهم ويلغ أذانهم . . كذا رواه البخاري ومسلم في الصحيح . وفي حديث آخر قياما شاحصة أبصارهم أربعين سنة إلى السماء فيلجمهم العرق من شدة الكرب . وقال عتبة بن عامر قال رسول الله ﷺ تدنو الشمس من الأرض يوم القيامة فيحرق الناس من الناس من يبلغ عرقه حقه ومنهم من يبلغ نصف ساقه ومنهم من يبلغ ركبته ومنهم من يبلغ فخذه ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ فاه ، وأشار بيده فألجمها فاه ، ومنهم من يعطيه العرق ويحرب بيده على رأسه هكذا . فتأمل يا مسكين في عرق أهل المحشر وشدة كربيهم وقبيهم من ينادي فيقول رب ارحمني من هذا الكرب والانتظار ولو إلى النار وكل ذلك ولم يلقوا بعد حسابا ولا عقابا فإنك واحد منهم ولا تدري إلى أين يبلغ بك العرق . وأعلم أن كل حرق لم يخرجك التعب في سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد في قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة في أمر معروف وبهي عن مكر ، فسبحرجه الحياء والخوف في صعيد القيامة يطول فيه الكرب ولو سدم ابن آدم من الجهل والغرور لعلم أن تعب العرق في تحمل مصاعب الطاعات أهون أمرا وأقصر زمانا من عرق الكرب والانتظار في القيامة فإنه يوم عظيمة شدته مبرلة مدته .

\*\*\*

(١) آية (٤٨) سورة إبراهيم

(٢) صحيح البخاري ٥٦٤ / ٤ ، والنسائي ١١٤ / ٤

(٣) آية (٣٧) سورة هود ،

(٤) (حسن) الترمذي (٣١٤٢) ، وأحمد ٣٥٤ / ٢

## باب السابع والثلاثون

## في بيان القضاء بين الخلائق

قال أبو هريرة - رضي الله عنه - قال رسول الله ﷺ : « هل تدرون من المفلس فلما المفلس فلتا رسول الله من لا درهم له ولا دينار ولا متاع قال المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة به صلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا - فيحطى هذا من حساته وهذا من حساته فإن قنيت حساته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار » (١) ، فانظر إلى مصيبتك في مثل هذا اليوم إذ ليس يسلم لك حسنة من أهات الرياء ومكائد الشيطان فإن سلمت حسنة واحدة في كل مدة طويلة ابتدأها خصماؤك وأخذوها ، ولعلك لو حاسبت نفسك وأنت مواظب على صيام النهار وقيام الليل لعلمت أنه لا يقضى منك يوم إلا ويجري على لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفي جميع حسناتك ، فكيف ببقية السيئات من أكل الحرام والشبهات والتقصير في الطاعات ، وكيف ترجو الخلاص من المظالم في يوم يقتصر فيه للجماة من القرناء .

فقد روى أبو ذر أن رسول الله ﷺ رأى إنسانين يتطهعان فقال يا أبا ذر أتدرى قيم يتطهعان قلت لا قال ولكن الله يسدري وسيقضي بينهما يوم القيامة - وقال أبو هريرة في قوله عز وجل : ﴿ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا آمم بما لكم ﴾ (٢) أنه يحشر الخلق كلهم يوم القيامة ، البهائم والدواب والطيور وكل شيء يبلغ من عدل الله تعالى أن يأخذ للجماة من القرناء ثم يقول كوني ترابا فذلك حين يقول الكافر ﴿ يا ليتني كنت ترابا ﴾ (٣) فكيف أنت يا مسكين في يوم ترى صحيفتك خالية عن حسنات طال فيها تعبك ، فتقول أين حسناتي : فيقال نقلت إلى صحيفة خصمائك وترى صحيفتك مشحونة بسيئات طال في العسر عنها نصيبك وأشدت بسبب الكف عنها عاؤك ، فتقول يا رب هذه سيئات ما فارقتها قط ، فيقال هذه سيئات القوم الذين غتبتهم وشمتمهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم في المبدعة وللجائرة وللخاطبة والمناظرة والمداكرة والممارسة وسائر أصناف المعاملة .

قال ابن مسعود ، قال رسول الله ﷺ : إن الشيطان قد يش أن تعبد الأصنام بأرض العرب ويكر سببهم مكرم بما هو دون ذلك بالحقيرات ، وهي الموبقات فاتقوا الظلم ما استطعتم فإن يوم القيامة بأشكال الجبال من الطاعات فيرى أنهم سينجيهم فما يزال عبد يجرى فيقول رب فلان ظلمي بمظلمة فيقول أمع من حسناته فما يزال كذلك حتى لا يبقى له من حسناته

شيء ، وأن مثل ذلك مثل سمير بر لود ملاءة من الأرض ليس معهم حطاب تفرق القوم فحطروا فلم يلبثوا أن أعظموا مآزهم وصعوا ما أرادوا ، وكذلك الذنوب وما نزل قوله تعالى ﴿ وإلهم ميتون ﴾ ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تحصون ﴿ (١) ، قال الربيع يا رسول الله أيكرو عليك ما كان بيتنا في الدنيا مع خواص الذنوب ، قال نعم ليكرن عليكم حتى تؤدوا إلى كل ذي حق حقه . قال الزبير والله إن الأمر لشديد فأعظم بشدة يوم لا يسامح فيه بخفلة ولا يتجاوز فيه عن لطفة ولا عن كلمة حتى يتقم للمظلوم من الظالم .

قال أنس سمعت رسول الله ﷺ يقول : يحشر الله العباد حرة فبرأ بهما قال فلنا ما بهما قال ليس معهم شيء ثم يتناديهم ربهم تعالى بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا للذات الدين لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولا لأحد من أهل النار عليه مظلمة حتى أقتصمه منه ، ولا لأحد من أهل النار أن يدخل النار ولا لأحد من أهل الجنة علة مظلمة حتى أقتصمه منه . حتى النظمه فلنا وكيف تأتي الله عز وجل عرة فبرأ بهما ، فقال بالحسنات والسيئات فاتقوا الله عباد الله ومظالم العباد بأخذ أموالهم والتعرض لأعراضهم وتضييق قلوبهم وإساءة الخلق في مباشرتها ، فإن ما بين العبد وبين الله خاصة فالمعصرة إليه أسرع ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال أرواب المظالم فليكثر من حسناته ليوم القصاص ، وليس ببعض الحسنات بينه وبين الله يكمال الإخلاص بحيث لا يطلع عليه إلا الله فعساه يقربه ذلك إلى الله تعالى فينال به لطفه الذي لا يخفى لأحبابه المؤمنين في دفع مظالم العباد عنهم . كما روى عن أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال « بينما رسول الله ﷺ جالس إذ رأيته يضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر ما يضحك يا رسول الله بأبي أنت وأمي قال : رجلان من أمتي جثيا بين يدي وب العزة فقال أحدهما يارب خط لي مظلمتي من أخى فقال الله تعالى أعط أخاك مظلمته فقال يارب لم يبق من حسناتي شيء فقال الله تعالى لطالب كيف تصنع ولم يبق من حسناته شيء ، قال يارب وتحمل عني من أوزاري ، قال وقاضيت عيا رسول الله ﷺ باليكاء ، ثم قال إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج لئس إلى أن يحمل عنهم من أوزارهم ، قال فقال الله لطالب أرفع رأسك وانظر في الجنان فرفع رأسه فقال يارب أرى مدائن من فضة مرفوعة وقصورا من ذهب مكللة بالؤلؤل لاى نبي هذا أو لائى صديق هذا أو لائى شهيد ، قال لئى أعطاني الثمن ، قال يا رب ومن يملك ثمنه قال أنت فمهلك ، قال وما هو قال هموك عن أخيك قال يارب إني قد دعوت عنه ، قال الله تعالى خط بيد أخيك فأدخله الجنة . ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك « اتقوا الله وأصلحوا فلت بينكم فإن الله يصلح بين المؤمنين » - وهذا تبينه على أن ذلك إنما يتال بالخلق بأخلاق الله وهو إصلاح ذات البين وسائر الأخلاق فتفكر الآن في نفسك إن خلت صحيفتك عن المظالم أو تطف لك

حي عفا عنه وأبليت بسعادة الأبد كيف يكون سرورك في منصرفك من مفصل القضاء وقد عيك حلقة الرضاء وعدت بسعادة ليس بعدها شقاء وينعيم لا ينور بمحاضيه العبد ، وعد من كنت سرورا وفرحا إيش وجهك واستار وأشرق كما يشرق القمر ليلة البدر فتوهم بحبك بين الخلائق وانما رأسك خاليا عن الأوزار ظهرك ونهضة نسيم النسيم ويرد الرضاء بتلا لا من حيث وخلق الأولين والآخرين ينظرون إليك وإلى حالك ويعيطونك في حسرتك وجمالك ، « حكمة يمشون بين يديك ومن خلعتك ويتنادون على رؤوس الأشهاد هذا فلان ابن فلان - رضى الله عنه - وأرضاه وقد سعد بسعادة لا يشقى بعدها أبدا أنترى أن هذا المنصب ليس بأعظم من حكمة نبي تالها في قلوب الخلق في الدنيا برئائك ومناصحتك وتصيحك وتزيك . فإن كنت تعلم أنه خير من بل لا نسبة له إليه فتوصل إلى إدراك هذه الرتبة بالإخلاص الصافي والنية الصادقة في معاملتك مع الله ، فلي تدرك ذلك إلا به وإن تكسر الأخرى والتميز بالله إن خرج من صميمك جريمة كنت تحسبها هبة وهي عند الله عظيمة ، فمفقتك لأجلها قتال عليك لعنتي يا همد السوء لا أقبل منك عبادتك فلا تسمع هذا البدء إلا ويسود وجهك ثم يغضب الملائكة للغضب الله تعالى ، فيقولون وعليك لعنتنا ولعنة الخلائق أجمعين وعند تلك تتثال إليك الزبانية وقد غضبت لغضب خالقها فأقدمت عليك بفظاظتها وزعزعتها وصورها النكرة . فأخذوا بتحصيتك بسحبونك على وجهك على ملا من الخلائق ، وهم ينظرون إلى اسوداد وجهك وإلى ظهور خريك وأنت تنادي بالويل والنور وهم يقولون هذا فلان ابن فلان كشف الله من فضائحه ومحزبه ولعنه بفاتح مأويه فشقى شقاوة لا يسعد بعدها أبدا ، وربما يكون ذلك يندب أذنبه خفية من عباد الله أو طلبا للمكانة في قلوبهم أو خوفا من الافتضاح عندهم ، مما أعظم جهلك لهذا تحترز عن الافتضاح عند طاعة مسيرة من عباد الله في الدنيا المنقوضة ثم لا تحس من الافتضاح العظيم في ذلك الملاء العظيم مع التعرض لسخط الله وعقابه الأليم والسباق بأيدي الرتبة إلى سواء المحجيم لهذه أحوالك وأنت لم تشعر بالخطر

### الباب الثامن والثلاثون

#### في بيان ذم المال

« يا أيها الذين آمنوا لا تنهكوا أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فلا حسبه من العاصرين » (١) وقال تعالى : « إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم » (٢) « من حذر ماله وولده على ما عند الله فقد حرس وحين خسرانا عظيما وقال عز وجل : « من

(١) سورة البقرة (٢١٥) الآية (٢٦)

(٢) سورة البقرة (٢١٥) الآية (٢٦)

كان يريد الحياة الدنيا وزينتها » (١) الآية وقال : « كذا إن الإنسان ليطغى » (٢) أن رآه استغنى » (٣) فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وقال تعالى : « أَلَيْسَ لَكُمُ الْفِكْرُ » (٤)

وقال رسول الله ﷺ : « حب للذن والشرف يمتان النفاق في القلب كما يمت الماء البقل » (٥) وقال ﷺ : « ما فتان ضاربان أرسلتا في زينة غنم يأكثر إفساد فيها من حب الشرف وأمال والجفاء في دين الرجل للمسلم » . وقال ﷺ : « هلك المكشرون إلا من قال به في عباد الله حكما وحكما وقيل ما هم » وقيل « يا رسول الله أي أمت شر قال الأغنياء » وقال ﷺ : « مياتي بعدكم قوم يأكلون أطيب الدنيا وألوانها ، ويلبسون أجمل الثياب وألوانها لهم يطرون من القليل لا تشبع ، وأنفس بالكثير لا تقنع ، حاكمين على الدنيا يعمنون ويروحون إليها ، إتخذوها آلهة من دون اللههم وربا دون ربهم ، إلى أمرها يتبهون ولهاهم يتبعون فعمزة من محمد بن عبد الله لأن أدرك ذلك الزمان ، من عقب عقبكم وخلف خلفكم أن لا يسلم عليهم ولا يعود مرغابهم ولا يتبع جنازتهم ولا يقر كبيرهم ، فمن فعل ذلك فقد أصاب على هدم الإسلام » . وقال ﷺ : « دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حقه وهو لا يشمر » (٦) . وقال ﷺ : « يقول ابن آدم مالي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأغصت أو لبست فأبليت ، أو تصنعت فأفسدت » . وقال رجل يا رسول الله « مالي لا أحب الموت فقال هل معك من مال قال نعم يا رسول الله قال قدم مالك فإن قلب المؤمن مع ماله أن قدمه أحب أن يذبحه وأن خلفه أحب أن يتخلف معه » . وقال ﷺ : « أخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه إلى قبض روحه والثاني إلى قبره والثالث إلى محشره فالذي يتبعه إلى قبض روحه فهو ماله ، والذي يتبعه إلى قبره فهو أهله ، والذي يتبعه إلى محشره فهو عمله » .

وكتب سلمان الفارسي إلى أبي الدرداء - رضى الله عنهما - يا أخى ليك أن تجمع من الدنيا مالا تزدى شكره ، فأتى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يجاء بصاحب الدنيا الذي أطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكلم به الصراط قال له أمض فقد أدبت حق الله في ، ثم يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما تكلم به الصراط قال له ماله وبلك إلا أدبت حق الله في فما يزال كذلك حتى يذهب بالويل والثبور » . وقال ﷺ : « إذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم وقال الناس ما خلف » وقال ﷺ : « لا تتخذوا لصيعة فتحبوا الدنيا » (٧) .

وروى أن رجلا مال من أبي الدرداء ، ولما دعا فقال اللهم من فعل بي سوا فأصح جسمه

(١) آية (٧٠-٦٠) سورة البقرة

(٢) سورة البقرة (٢١٥) الآية (٢٦)

(٣) سورة البقرة (٢١٥) الآية (٢٦)

(٤) سورة البقرة (٢١٥) الآية (٢٦)

(٥) سورة البقرة (٢١٥) الآية (٢٦)

(٦) سورة البقرة (٢١٥) الآية (٢٦)

(٧) سورة البقرة (٢١٥) الآية (٢٦)

(١) سورة هود (١٥) الآية (٢٦)

(٢) سورة هود (١٥) الآية (٢٦)

(٣) سورة هود (١٥) الآية (٢٦)

(٤) سورة هود (١٥) الآية (٢٦)

(٥) سورة هود (١٥) الآية (٢٦)

(٦) سورة هود (١٥) الآية (٢٦)

(٧) سورة هود (١٥) الآية (٢٦)

وغيره ، وكثير ماله ، فاعظم كيف رأى كثرة المال غاية لبلاء مع صحة الجسم وطول العمر ، لأنه لابد وأن يفضى إلى الطغيان . ووضع على كرم الله وجهه درهما على كفه ثم قال أما أنت فاعلم تخرج على لا تنفعني .

وروي أن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن زبيب بنت جحش يعطائها فقالت ما هذا قالوا أرسله إليكم . صبر بن الخطاب قالت غفر الله له ثم حلت سترا كان لها فقطعت وجعلته صررا وقسمته في أهل بيتها ورحمتها وأهانتها ثم رفعت يديها وقالت اللهم لا يدركني عطاء من بعد عامي هذا ، فكانت أول ساء رسول الله ﷺ لحوقا به . وقال الحسن والله ما أعز الدرهم أحدا إلا أدله الله ، وقيل أن أول ما ضرب الديار والدرهم ونعمهما إبليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال من أحبكما فهو عبيدي حقا . وقال سميط بن صجلان إن الدرهم والدينار أزمة الماعزين يقدون بها إلى النار ، وقال يحيى بن معاذ الدرهم عقوب فإن لم تحسن رقبته فلا تأخذه فإنه إن لدخلك قتلك سمع قيل وما رقبته قال أخذه من حله ووضعته في حقه . وقال العلاء بن زياد تمثلت في الدنيا وعليها من كل ربة فقلت أهو ذباله من شرك فقالت إن شرك أن يعينك الله منى فأبعض الدرهم والدينار وذلك لأن الدرهم والدينار هما الدنيا كلها إذا يتوصل بهما إلى جميع أصنافها فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا وبقي ذلك قيل :

إني وجعلت فلا تظنوا شهيرة ••• أن التصور عند هذا الدرهم  
فإذا فدت عليه ثم تركته ••• فاعلم إن تفكك تقوى المسلم  
وفي ذلك قيل أيضا :

لا يخرنك من المرء قميص رقع ••• أو إزار فوق عظم الساق منه رقع  
أو جبين لاح فيه أثر قد خلعه ••• أره الدرهم تعرف حبه أو ووجه

ويروى عن مسلمة بن عبد الملك أنه دخل على عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - عند موته ، فقال يا أمير المؤمنين صنعت صنعا لم يهنه أحد قبلك تركت أولادك ليس لهم درهم ولا دينار وكان له ثلاثة عشر من الولد فقال أقعدوني فأقعدوه فقال أما قولك لم أدع لهم دينارا ولا درهما ليس لم أصنعهم حقا لهم ولم أعطهم حبل لغيرهم إنما ولدي أحد رجلين إما مطيع لله فإله كافيي والله يتولى الصالحين وإما عاصي لله فلا أنالي على ما وقع .

وروي أن محمد بن كعب القرظي أصاب مالا كثيرا فقبل له لو ادخرته لوليك من بعدك قال لا ولكني أدخره لنفسى عند ربي وأدخر ربي لولدي .

ويروى أن رجلا قال لأبي عبدربه يا أحمى لا تلعب بشر وترك أولادك بخير فأخرج أبو عبد

ربه من ماله مائة ألف درهم ، وقال يحيى بن معاذ مصيبتان لم يسمع لأولون ولا حرد . ثم سجد لعبد في ماله عيسوته قبل وما عما قل يؤخذ منه كنه يسأل عنه كنه

### الباب التاسع والثلاثون

#### في الأعمال والعيزان وعذاب النار

يا أحمى لا تفعل من العكر في الميزان وتطير الكتب إلى الأيمان والشمال غير - - - من السؤالات ثلاث فرق فرقة ليس لهم حسنة ، فيخرج من النار حتى أسود فيلقطهم لقط التغيير الخب ويتطوى عليهم ويلقيهم في النار فتلتهم النار ويتدى عليهم شقاوة لا سعادة بملأها وقس آخر لا سينة لهم ، فيتأدى متأدى ليقم الحمدون لله على كل حال فيقومون ويرجون إلى الجنة ثم يتغير ذلك بأهل قيام الليل ثم بمن لم تشغله تجارة الدنيا ولا يبعها عن ذكر الله تعالى . ويتأدى عليهم سعادة لا شقاوة بعدها ويتقى قسم ثالث وهم الأكثرون خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وقد يخفى عليهم ولا يخفى على الله تعالى ، إن العايب حسنتهم أو سيئاتهم ولكن بأبي الله إلا أن يعرفهم ذلك ليبين فصله عند العفو وعذله عند العقاب فتطير الصحف والكتب منظورة على الحسنات والسيئات ، وينصب الميزان وتشخص الأبصار إلى الكتب أتقع في اليمين أو في الشمال ثم إلى لسان الميزان أهمل إلى جانب السيئات أو إلى جانب الحسنات وهذه حالة هائلة تطيش فيها عقول الخلاق .

روي الحسن : أن رسول الله ﷺ كان رأسه في حجر عائشة - رضي الله عنها - فنمر فلذكرت الآخرة فبكيت حتى سال فعمدا فنقط على صدر رسول الله ﷺ فأنثبه فقال ما يبكيك يا عائشة قالت ذكرت الآخرة هل تذكرون أهليكم يوم القيامة ، قال والذي نفسي بيده في ثلاث مواطن فإن أحدا لا يذكر إلا نفسه إذا وضعت الموازين ووزنت الأعمال حتى ينظر في أنه أيهم ميزانه أم يقل وعبد الصالح حتى ينظر أيهمته يأخذ كتابه أو بشماله وعند انصرافه

وعن أنس قال يؤتى بابي آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتي الميزان ويؤكل به صحت من تقى ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلاق : سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها - - - وإن خف ميزانه نادى بصوت يسمع الخلاق : شقى فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا . وبعد خفة الحسنات تقبل الزبانية ويأيد بهم مقامع من حديد عليهم ثياب من نار فيأخذون بحب النار . وقال رسول الله ﷺ في يوم القيامة : « أنه يوم يتأدى الله تعالى فيه - - - حبه الإسلام - يقول له قم يا آدم فابعث بعث النار ، فيقول وكم بعث النار فيقول من كل - - - سمعته وسمعه وتسمعون فلما سمع الصحابة ذلك أجلسوا حتى ما أوضحوها لحكمة ، فلما رأى رسول الله ﷺ

عند أحد ، فان اعلما وأشروا فوالذي نفس محمد بيده إن فيكم لخليقتين ما كانتا مع أحد قط إلا مع من هلك من بني آدم وبني نليس ، قالوا وما هما يا رسول الله قال بالأجور وما أوجع قال من عن القوم فقال اعلما وأشروا فوالذي نفس محمد بيده ما أنتم في الناس يوم القيامة إلا كالشاة في جنب البعير أو كالرقعة في فراخ الدابة . يا أيها العاقل عن نفسه المبرور بما هو فيه من شدة هذه الدنيا المشرفة على الانقضاء والروال ، دع التفكير فيما أنت مرعجل عنه وأصرف الفكر إلى موردك فإنك أخبرت بأن النار مورد للجميع لقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْكُمْ لُا وَادِعَا كَانَ عَلَىٰ ذِكِّكُمْ مَحْضًا ﴾ (٧٧) ثُمَّ نَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَنَشَرْنَا الظَّالِمِينَ فِيهَا جَنًّا (١) فَأَنْتَ مِنَ الْوَارِدِ عَلَىٰ بَقِيَّةٍ مِنَ السَّعَةِ فِي شَيْءٍ فَاسْتَشِرْ فِي بَقِيَّةِ هَؤُلَاءِ الْمُرْدِ فَسَاكَ تَسْتَعِدُّ لِلنَّجَاةِ مِنْهُ ، وَتَأْسُ فِي حَالِ الْخِلَاقِ وَقَدْ قَلَسُوا مِنْ دَوَاهِي الْقِيَامَةِ مَا فُلَسُوا فِيهَا مِنْهَا فِي كَرِيهَا وَأَهْوَالِهَا وَقَوْلَا يَتَطَرَّوْنَ حَقِيقَةَ أَنْبَاءِهَا وَتَشْفِيعَ شَعَائِلِهَا إِذَا أَحَاطَتْ بِالْمُجْرِمِينَ ظِلْمَاتُ ذَاتِ شَعْبٍ وَأُظْلِمَتْ عَلَيْهِمْ نَارُ ذَاتِ لَهَبٍ وَسَمِعُوا لَهَا زَفِيرًا وَجَرَجَرَةً تَصْخَعُ عَنْ شِدَّةِ الْغَيْظِ وَالْعُظْبِ فَعِنْدَ ذَلِكَ أَهْلُ الْجَهَنَّمَ بِالْمُطَفِّ وَجِثَتِ الْأُمُّ عَلَى الرُّكْبِ حَتَّى أَشْفَقَ الْبَرَاءُ مِنْ سُوءِ الْمُنْقَلَبِ وَخَرَجَ الْمُنَادِي مِنَ الرِّيَابَةِ قَائِلًا أَيْ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ الْمُسَوِّفُ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا يَطُولُ الْأَمَلُ الْمَضِيعُ عَمْرَهُ فِي سُوءِ الْعَمَلِ فَيُؤَدِّيهِ عِقَابُهُ مِنْ حَبِيدٍ وَيَسْتَقْبِلُونَهُ بِظُلُمَاتِ التَّهْدِيدِ وَيُسَوِّفُونَهُ إِلَى الْعَذَابِ الشَّدِيدِ وَيَتَكَسَّوْنَهُ فِي قَعْرِ الْجَحِيمِ وَيَقُولُونَ لَهُ دِقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ، فَاسْتَكْبَرُوا دَارًا ضَبِيقَةَ الْأَرْجَاءِ مَظْلَمَةَ الْمَسَالِكِ مَبْهَمَةَ الْمَهَالِكِ يَحْلِدُ فِيهَا الْأَسِيرُ وَيُولَدُ فِيهَا السَّيْرُ ، شَرَابُهُمْ فِيهَا الْحَمِيمُ وَمَسْتَقَرُّهُمْ الْجَحِيمُ الزَّبَانِيَّةُ تَقْمَعُهُمْ وَالْهَائِيَّةُ تَجْمَعُهُمْ أَمَانِيَهُمْ فِيهَا الْهَلَاكُ وَمَا لَهُمْ لَهَا فَنَكَلٌ قَدْ شَدَّتْ أَقْدَامُهُمْ إِلَى السَّوَاعِي وَاسْوَدَّتْ وَجُوهُهُمْ مِنْ ظُلْمَةِ الْمَعَامِي يَنَادُونَ مِنْ أَكْثَانِهَا وَيَصِيحُونَ فِي نَوَاحِيهَا وَأَطْرَافِهَا يَا مَالِكَ قَدْ حَقَّ عَلَيْنَا الْوَحِيدُ يَا مَالِكَ قَدْ أَقْلَنَّا الْحَنِيدَ يَا مَالِكَ قَدْ تَضَجَّتْ مَنَا الْجُلُودُ يَا مَالِكَ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا لَا نَعُودُ لِنَقُولَ الزَّبَانِيَّةُ هِيَ هَلَّتْ لَا تَحِينَ أَمَانٌ وَلَا خُرُوجٌ لَكُمْ مِنْ دَارِ الْهَوَانِ فَاحْسَبُوا فِيهَا وَلَا تَكْلُمُوا وَلَوْ أَخْرِجْتُمْ مِنْهَا لَكُنْتُمْ إِلَى مَا نَهَيْتُمْ عَنْهُ تَعُودُونَ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقْطَعُونَ وَعَلَى مَا غَرَطُوا فِي جَانِبِ اللَّهِ تَأْسَعُونَ وَلَا يَنْجِيهِمُ النَّدَمُ وَلَا يَعْصِيهِمُ الْأَسَفُ بَلْ يَكْبُورُ عَلَى وَجُوهِهِمْ مَعْلُولِينَ ، النَّارُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَالنَّارُ مِنْ تَحْتِهِمْ وَالنَّارُ مِنْ إِيْمَانِهِمْ وَالنَّارُ مِنْ شَمَائِلِهِمْ فَمَنْ غَرَّقَ فِي النَّارِ ، طَعَامُهُمْ نَارٌ وَشَرَابُهُمْ نَارٌ وَلِبَاسُهُمْ نَارٌ وَمَهَادُهُمْ نَارٌ فَمِنْ مَقْطَعَاتِ النَّيِّرَانِ وَسَرَابِيلِ الْعَطْرَانِ وَضَرْبِ الْمُقَامِعِ وَثَقْلِ السَّلَاسِلِ ، فَمَنْ يَجْلِبْجِلُونَ فِي مَضَائِقِهَا وَيَتَحَطَّوْنَ فِي فُرُكَانِهَا وَيَصْطَرِبُونَ بَيْنَ غَرَائِصِهَا تَغْلِي بِهِمُ النَّارُ كَغْلَى الْقُدُورِ وَيَهْتَفُونَ بِالرَّوْبِلِ وَالْمَرْوِلِ وَمِمَّا دَعَا بِالْثَبْوِ حَبِّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمْ الْحَمِيمُ يَصْهَرُ بِهِ مَا فِي بَطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ تَنْشَقُّ بِهَا جِبَاهَهُمْ فَيَنْعَجِرُ الصَّدِيدُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَتَقْطَعُ مِنَ السُّطْحِ أَكْبَادُهُمْ وَتَسِيلُ عَلَى

الجلود حداثتهم ويسقط من الوجنات خمومها ، وَيَسْقُطُ مِنَ الْأَطْرَافِ شُمُورُهَا بَلْ جُلُودُهَا وَكُلُّهُ يَضْجَعُ جَنُودُهُمْ يَدُلُّوا جِلْدُهَا خَيْرَهَا ، وَقَدْ حَرِيتُ مِنَ اللَّحْمِ عَذَابُهُمْ لِبَقِيَّةِ الْأَرْوَاحِ مَرْطَةٌ بِالْمَرْوِقِ وَعَلَاقِقُ الْمَصْبِ وَهِيَ تَنْشُ فِي لَمْعِ تِلْكَ النَّيِّرَانِ وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ يَتَمَنُّونَ الْمَوْتَ فَلَا يَمُوتُونَ كَيْفَ بَثُّ لَوْ مَطَرَتْ إِلَيْهِمْ وَقَدْ سَوَدَّتْ وَجُوهُهُمْ أَشَدَّ سَوَادًا مِنَ الْحَمِيمِ وَأَعْمِثَ أَبْصَارُهُمْ ، وَأَبْكَمَتِ أَلْسِنُهُمْ وَقَصَصَتْ مَهْوَرُهُمْ وَكَسَرَتْ عَظْمَهُمْ وَجَدَعَتْ أَدَانَهُمْ وَمَرَقَتْ جِلْدُهُمْ وَغَلَّتْ أَيْدِيَهُمْ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ ، وَجَمَعَ بَيْنَ نَوَاصِيهِمْ وَأَقْدَامِهِمْ وَهِيَ يَمْشُونَ عَلَى النَّارِ بِرُجُومِهِمْ وَيَطَاوُونَ حَسَكَ الْحَدِيدِ بِأَحْدَاقِهِمْ فَلَهَبُ النَّارِ سَارَ فِي يَوَاطِنِ أَحْرَانِهِمْ وَحَيَاتِ الْهَائِيَّةِ وَعَقَائِدِهَا مَتَشَبِّهَةٌ بِظَوَاهِرِ أَعْنَاقِهِمْ هَذِهِ بَعْضُ جَمَلَةِ أَحْوَالِهِمْ وَانْظُرْ الْآنَ مِنْ تَفْصِيلِ أَحْوَالِهِمْ وَتَعَكُّرِ أَيْدِيهِمْ أَوْدِيَّةُ جَهَنَّمَ وَشُعَابُهَا فَقَدْ قَالَ السَّيِّدُ ﷺ : إِنْ فِي جَهَنَّمَ سَبْعِينَ أَلْفَ وَادٍ مِنْ كُلِّ وَادٍ سَبْعُونَ أَلْفَ شَعْبٍ وَفِي كُلِّ شَعْبٍ سَبْعُونَ أَلْفَ ثَعْبَانٍ وَصَبْعُونَ أَلْفَ عَقْرَبٍ لَا يَتَبَيَّنُ الْكَافِرُ وَالْمُؤْمِنُ حَتَّى يَوَافِقَ ذَلِكَ كَنَّهُ وَقَالَ - كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَعُودُ بِاللَّهُ مِنْ جِبِ الْحَرِّ أَوْ وَادِي الْحَرِّ قَبْلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمِ وَادِي أَوْ جِبِ الْحَرِّ قَالَ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ تَعُودُ مِنْهُ جَهَنَّمَ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً أَعْلَمَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْقَرَاءِ الْمَرَاتِينَ ، مَهْلِكَةُ سَعَةِ جَهَنَّمَ وَانْشِمَاتُ لُودِيَّتِهَا وَهِيَ بِحَسَبِ هَدَدِ أَوْدِيَةِ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا وَهَدَدِ أَبْوَابِهَا بِعَدَدِ الْأَعْضَاءِ السَّبْعَةِ الَّتِي بِهَا يَحْصَى الْعَبْدُ ، بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ، الْأَعْلَى جَهَنَّمَ ثُمَّ سَقَرٌ ثُمَّ لَظَى الْخَطْمَةُ ثُمَّ السَّعِيرُ ثُمَّ الْجَحِيمُ ثُمَّ الْهَائِيَّةُ فَاَنْظُرْ الْآنَ مِنْ عَمَقِ الْهَائِيَّةِ فَإِنَّهَا لَا حَدَّ لِعَمَقِهَا كَمَا لَا حَدَّ لِعَمَقِ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا فَكَمَا لَا يَتَبَيَّنُ أَرْبَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا إِلَى أَرْبَ أَعْظَمَ مِنْهُ فَلَا تَنْتَهِي هَائِيَّةُ مِنْ جَهَنَّمَ إِلَّا إِلَى هَائِيَّةٍ أَعَمَقَ مِنْهَا ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَسَمًا رَجَا مَقَالَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْزَلُوا مَا هَذَا قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ هَذَا حَجَرٌ أُرْسِلَ فِي جَهَنَّمَ مِنْ سَبْعِينَ عَامًا الْآنَ انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا ، ثُمَّ انْظُرْ إِلَى تَفَاوُتِ الدَّرَجَاتِ فَإِنَّ الْأَخْرَجَ أَكْبَرَ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْصِيلًا ، فَكَمَا أَنَّ انْكَسَابَ النَّاسِ عَلَى الدُّنْيَا يَتَفَاوَتُ فَمِنْ مَسْجُوكٍ مَسْتَكْبِرٍ كَالْعَرِيقِ فِيهَا وَمِنْ خَائِضٍ فِيهَا إِلَى حَدِّ مَحْلُودٍ فَكُلُّكَ تَسَاوُلَ النَّارِ لَهُمْ مَتَاوَبٌ - مِنَ اللَّهِ لَا يَظُنُّ مِثَالَهُ دَرَجَةً فَلَا تَرَادِفُ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ عَلَى كُلِّ مَنْ فِي النَّارِ كَيْفَمَا كَانَ بِهِ لَكِنْ رَاحِدٌ حَدِّ مَعْلُومٍ عَلَى قَلْبٍ عَصِيْبَةٍ وَدَبِيَّةٍ ، أَلَا إِنَّ أَقْلَهُمْ عَذَابٌ لَوْ عَرَضَتْ عَلَيْهِ الدُّبِيَّةُ بِحَدَائِمِهَا لَا تَنْدِي بِهَا مِنْ شِدَّةِ مَا هُوَ فِيهِ - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَنْ أَدَى أَحَدٌ النَّارَ عِلْمًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَتَعَلَّقُ بِعَلِيٍّ مِنْ دَارٍ يَعْنِي دِمَاعَهُ مِنْ حَرَارَةِ عَلَيْهِ . فَاَنْظُرْ الْآنَ إِلَى مَنْ عَفَفَ عَلَيْهِ ، وَاعْتَبَرَ مِنْ شِدَّةِ عَلَيْهِ ، وَمِمَّا تَشَكَّكَتُ فِي شِدَّةِ عَذَابِ النَّارِ فَقَرَّبَ أَصْبَعَكَ مِنَ النَّارِ وَقَسَّ ذَلِكَ بِهِ ثُمَّ دَعَمَ أَنْتَ أَحْصَاةً مِنَ الْقَبْرِ فَإِنَّ دَارَ الدُّنْيَا لَا تَسْبِ دَارَ جَهَنَّمَ ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ أَشَدَّ عَذَابًا فِي الدُّبِيَّةِ عَذَابُ هَذِهِ النَّارِ عَرَفَ عَذَابَ جَهَنَّمَ بِهَا ، وَهِيَ هَاتِئُنَ وَحَدِّ أَهْلِ الْجَحِيمِ مِثْلُ هَذِهِ النَّارِ فَخَاصُهَا طَائِفَتَيْنِ هَرَبًا بِمَا هُمْ فِيهِ وَهِيَ هَذَا وَفِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ حَيْثُ قِيلَ إِنَّ نَارَ الدُّنْيَا غَسَلَتْ



بمعين ماء من مياه الرحمة حتى أطافها أهل الدنيا . بل صرح رسول الله ﷺ بصحة نار جهنم . فقال : « أمر الله تعالى أن يوقد على النار ألف عام حتى احمرت ، ثم أوقد عليها ألف عام حتى أبيضت ثم أوقد عليها ألف عام حتى أسودت ، فهي سواداء مظلمة » . وقال ﷺ : « اشتكت النار إلى ربها فقالت يا رب أكل بعضي بعضاً فأذن لها في نفسين في الشتاء ونفسين في الصيف فما شد ما تجذوه في الصيف من حرها ، وأشد ما تجذونه في الشتاء من زمهريرها » .

وقال أنس بن مالك يؤتى بأنعم الناس في الدنيا من الكفار . فيقال لهموه في النار خمسة ، ثم يقال له هل رأيت نعمياً قط فيقول لا ، ويؤتى بأشد الناس حرماً في الدنيا فيقال لهموه في الجنة خمسة ، ثم يقال له هل رأيت حرماً قط فيقول لا . وقال أبو هريرة لو كان في المسجد مائة ألف أريز يكون ثم تنفس رجل من أهل النار ماتوا ، وقد قال بعض العلماء في قوله « تلفح وجوههم النار » أنها لفحتهم لفحة واحدة فما أبت لحماً على عظم إلا ألفتته عند أعقابهم ، ثم نظر بعد هذا في تن الصدود الذي يسيل من أبدانهم حتى يترقون فيه وهو الغساق . قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ « لو أن دلوا من خفاق جهنم التي في الدنيا لانت أهل الأرض » فهذا شرابهم إن استمتعوا من العطش فسقى أحدهم من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يبيته ويأتي الموت من كل مكان وما هو بيت « وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه فبئس الشراب وصامت مرتفعاً <sup>(١)</sup> ثم انظر إلى طعامهم وهو الزقوم كما قال تعالى : « ثم إنكم أيها الناس آلون المكذوبون <sup>(٢)</sup> لا تكون من شجر من زقوم <sup>(٣)</sup> فما شقونها بها الطون <sup>(٤)</sup> فخلبون عليه من الحميم <sup>(٥)</sup> فشايدون شرب أهيم <sup>(٦)</sup> » . وقال تعالى : « فيها فجرة تخرج في أصل الجحيم <sup>(٧)</sup> طلوعها كأنه رؤوس الشياطين <sup>(٨)</sup> فإنهم لا يكون منها فاعلون منها الطون <sup>(٩)</sup> ثم إن لهم عليها نسياً من حميم <sup>(١٠)</sup> ثم إن مرجعهم لآلى الجحيم <sup>(١١)</sup> » وقال تعالى : « فصلن ناراً حامية <sup>(١٢)</sup> تسفن من حين آنية <sup>(١٣)</sup> » وقال تعالى « إن لدينا أنكالا وجحيماً <sup>(١٤)</sup> وطعاماً ذا هضبة وعذاباً أليماً <sup>(١٥)</sup> » وقال ابن عباس ، قال رسول الله ﷺ : « لو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا أفسدت على أهل الدنيا معاشهم فكيف من يكون طعامه ذلك » <sup>(١٦)</sup> وقال أنس : قال رسول الله ﷺ : « ارجعوا فيما رغبكم الله واحذروا أو حافوا ما عوقكم الله به من عذابه وعقابه ومن جهنم » فإنه لو كانت قطرة من الجنة معكم في دنياكم التي أنتم فيها طيبتها لكم ، ولو كانت قطرة من النار معكم في دنياكم التي أنتم فيها عتيتها عليكم . وقال أبو السرياء ، قال رسول الله ﷺ : « يلقى على أهل النار الحوق حتى يعدل ما هم فيه من العذاب ، فيستغيثون بالطعام من حريق لا

(١) آية (٢٩) سورة نكهف  
(٢) آية (٦٤-٦٨) سورة الصافات  
(٣) آية (١٢-١٣) سورة الزمل

(٤) آية (٥١-٥٢) سورة الواقعة  
(٥) آية (٤-٥) سورة المائدة  
(٦) صحيح (الترمذي) (٢٥٨٥)

بسم ولا يفتنى من جوع ، ويستغيثون بالطعام فيخاثون بطعام ذي عصة ، فيذكرون أنهم كانوا يجيزون العصص في الدنيا يشرب فيستغيثون بشراب فيرفع إليهم الجحيم بكلاليب الحديد ، وقد دنت من وجوههم شوت وجوههم ، فإذا دخل الشراب بطونهم قطع ما في بطونهم ، فيقولون ادعوا خزنة جهنم ، قال فيدعون خزنة جهنم أن ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب ، فيقولون أو لم نك تأتكم رسلكم بالبينات ؟ قالوا بلى قالوا مادعوا ومادع الكافرين إلا لي خلل ، قال فيقولون ادعوا مالكا فيدهون فيقولون يا مالك ليقتض علينا ربك ، قال فيجيبهم أنكم ماكثون . قال الأعمش أنبت أن بين دعائهم وبين إجابة مالك إليهم ألف عام ، قال فيقولون ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم فيقولون ربنا غيب علينا شقوتنا وكما قوما ضالين ربنا أخرج منها من حيث لا نعلم قال فيجيبهم « افسحوا فيها ولا تكلمون » قال فعند ذلك يسوا من كل خير وعند ذلك أحلوا في الرزق والحسرة والويل .

وقال أبو أمامة : قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى : « ويسقى من ماء حديد <sup>(١)</sup> يتجرعه ولا يكلا يسهقه » قال يقرب إليه فيكرهه فإذا أدنى منه شوى وجهه فوفعت فروة رأسه فإذا شربه قطع أمعاء حتى يخرج من دبره . يقول الله تعالى : « وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم » وقال تعالى : « وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه » فهذا طعامهم وشرابهم عند جوعهم وعطشهم فانتظر الآن إلى حيات جهنم وعقاربها وعقاربها وإلى شدة سؤمها وعظم أشخاصها وعظامة منظرها وقد سلطت على أهلها وأغريت بهم فهي لا تفر عن الهش واللذغ ساعة واحدة . قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ : من أتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له ريشتان يطرقه يوم القيامة ، ثم يأخذ بهاربه يمس أشداقه فيقول أنا مالك أنا كركك ، ثم تلا قوله تعالى . « ولا يحسن الذين يخفون بما آتاهم الله من فضله » الآية . . وقال رسول الله ﷺ إن في النار لحيات مثل أصاق البخت يلسن اللسعة فيجعد حموتها أربعين خريفاً وإن فيها العقارب كاليفال الموكمة يلسن اللسعة فيجعد حموتها أربعين خريفاً وهذه الحيات والعقارب إن تسلط على من سلط عليه في الدنيا البخل وسوء الخلق وإيذاء الناس ومن وقى ذلك وقى هذه الحيات فلم تمث له .

ثم تفكر بعد هذا كله في تعظيم أجسام أهل النار ، فإن الله تعالى يزيد في أجسامهم طولاً وحرماً حتى يتزايد عذابهم بسببه فيحسبون بلتع النار ولذخ العقارب والحيات من جميع أجزائها دعة وحده على السواي . قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ : « خرس لكافر في النار مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث » . وقال رسول الله ﷺ : شقته السفلى ساقة على صدره والعليا قاصدة قد عطب رجه ، وقال - عبه اسلام - إن الكافر ليحرق لسانه في سبعين يوم القيامة يتراءاه الناس ومع عظم الأجسام كذلك تحرقهم النار مرات فيجعد جلودهم ولحومهم . قال الحسن في

قوله تعالى ﴿ كَمَا بَغِثْتُمْ يَلُودًا فَذَرْهُمْ يَلُودًا غَيْرَهَا ﴾ قال تأكيدهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قبل لهم عودوا كما كانوا ، ثم تعكر الآن في بكاء أهل النار وشهيقهم ودعائهم بالويل والنبور ، فإن ذلك يسلط عليهم في أول إلقاتهم في النار . قال رسول الله ﷺ : « يؤتى بهم يومئذ له سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك » وقال أنس قال رسول الله ﷺ « يرسل على أهل النار الكهده فيكون حتى تنقطع الدموع ، ثم يبيكون الدم حتى يرى في وجوههم كهية الأعدود لو أرسلت فيها السفن لمرت » (١) وما دام يؤذون لهم في البكاء والشهيق والزفير والدعوة والويل والنبور فلهم فيه مستروح ولكنهم يمنعون أيضا من ذلك .

قال محمد بن كعب لأهل النار خمس دهرات يجيبهم الله هر وجرل في أربعة فإذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبدا فيقولون . ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِالْغَيْبِ وَأَحْبَبْنَا الْقَبِيحَ فَأَعْرَضْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِن سَبِيلٍ ﴾ . فيقول الله تعالى مجيبا بهم : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ يُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴾ ثم يقولون ربنا أبعرنا وسعنا فارجمنا نعمل صالحا فيجيبهم الله تعالى : ﴿ أَوْ لَمْ نَكُونُوا لَمْ نَكُنْ مِن قَبْلُ مَا لَكُمْ مِّن زَوَالٍ ﴾ فيقولون ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل . فيجيبهم الله تعالى : ﴿ أَوْ لَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يُدْكِرُ الْغَيْثُ مِن قَدْرٍ وَجَاءَكُمُ الْغَيْثُ فَذُوقُوا قَسَا لِنُظَاهِرٍ مِن نَّصْرِ ﴾ ثم يقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما غاليين ، ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون . فيجيبهم الله تعالى ﴿ اخْشَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُوا ﴾ فلا يتكلمون بعدها أبدا وذلك غاية شدة العذاب . قال مالك بن أنس - رحمه الله عنه - قال زيد بن أسلم في قوله تعالى : ﴿ سِرًّا عَلَيْهِمْ أَمْرُهُمْ أَمْ سِرًّا مَا لَنَا مِنْ مَّحَبٍّ ﴾ قال صبروا مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة ثم صبروا مائة سنة ثم قالوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا . وقال ﷺ : « يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كشي أملح يبيع بين الجنة والنار ويقال يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت » (٢) وعن الحسن قال يخرج من النار رجل بعد ألف عام وليتى كنت ذلك الرجل وروى الحسن - رحمه الله عنه - جالسا في زاوية وهو يكي فقبل له لم يكي فقال أحسنى أن يطرحني في النار ولا يبالي فهذه أصناف عذاب جهنم على الجملة وتفصيل مجموعها أحزانها ومصها وحسراتها لا نهاية له فاعظم الأمور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب حسرة فوت نعيم الجنة وفوت لقاء الله تعالى وفوت رضاه مع علمهم بأنهم بأعوار كل ذلك بشم حس دواهم معدودة إذ لم يبيعوا ذلك إلا بشهوات حقيرة في الدنيا أياما قصيرة وكانت غير صافية بل كانت مكدره منعصة ، فيقولون في أنفسهم وأحسرتاه كيف أهلكنا أنفسنا بصحيان ربما وكيف لم نكلف أنفسنا العسر أياما قلائل ولو صبرنا لكأننا قد انتقضت هنا أيامه وبقينا الآن في جوار رب العالمين مشعشين بالرضا والرضوان ، بل الحسرة هؤلاء وقد فاتهم ما فاتهم ويلواي بلواي به ولم يبق معهم

(١) (ضعف) ابن ماجه (٢٣٦٤) .

(٢) (صحيح) البخاري (٤٧٣٠) .

شيء من نعيم الدنيا ولذاتها ثم إنهم لو لم يشاهدوا نعيم الجنة لم تعظم حسرتهم لكنها تمرض عليهم . فقد قال رسول الله ﷺ : يؤتى يوم القيامة بناس من النار إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستشقوا رائحتها ويطروا إلى قصورها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها تودوا أن يصيروهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون والآخرون بمثلها . فيقولون يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن تربنا ما أربتنا من ثوابك وما أهددت فيها لأولياك كن أهون علينا . فيقول الله تعالى ذلك أردت بكم كنتم إذا خلوكم بارزوني بالعظام وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مسختين ترامون الناس بحلاف ما تعطوس من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني وأجلستم الناس ولم تلهوني وتركتم الناس ولم تتركوا لي فالיום أذيقكم العذاب الأليم مع ما حرمتكم من الثواب المقيم . قال أحمد بن حنبل إن أهدنا يؤثر الظل على الشمس ثم لا يؤثر الجنة على النار ، وقال عيسى - عليه السلام - كم من جسد صحيح ووجه صحيح ولسان فصيح فهدأ بين أطباق النار يصيح . وقال داود إلهي لا صبر لي على حر شمسك فكيف صبري على حر نارك ولا صبر لي على صوت رحمتك فكيف على صوت عذابك ، فانظر يا مسكين في هذه الأحوال واعلم أن الله تعالى خلق النار وأهلها وخلق لها أهلا لا يزدلون ولا يتقصون وأن ملا أمر قد قضى وفرغ منه . قال الله تعالى ﴿ وَأَنذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْحُسْرَى إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي خَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ولعمري لإشارة به إلى يوم القيامة بل في أزل الأزل ولكن أظهر يوم القيامة ما سبق به القضاء فاعجب منك حيث تصحك وتلهو وتشغل بمحقرات الدنيا ولست تدري أن القضاء بما سبق في حقا فإن قلت فليت شعري ماذا موردي وإلى ماذا مالي ومرجعي وما الذي سبق به القضاء لي حتى فلك علامة تستأنس بها وتصديق وجاهاك يسيبها وهو أن تنظر إلى أعمالك فإن كلا ميسر لما خلق له فإن كان قد يسر لك الخير فأبشر فإنك مبعود عن النار وإن كنت لا تقصد غيرا إلا وتحيط بك العواقب فتستغفم ولا تقصد شرأ ولا ويتيسر لك أسبابه فاعلم أنك مقصي عنيك فإن دلالة هذا على العاقبة كدلالة المطر على البسات ودلالة الدخان على النار . فقد قال الله تعالى ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ وإن الفجار ففي جهنم فاعرض نفسك على الآتين وقد عرفت مستقر من الدارين والله أعلم .

### باب الأبرار

#### في فضل الطاعة

أعلم أن طاعة الله سبحانه وتعالى جماع الخير كله وقد حث الله تعالى عليها في كتابه في آيات متعددة وبها أرسل الرسل ليخرج الناس من ظلمات الظلم إلى أنوار معرفة القديس ، ويتمتعون في دار النعيم التي أعدت للمتقين بما لا عين رأت ولا أدب سمعت ولا خطر على قلب



والأرض» (١) الآية . . وهذا يدل على أن البكاء ينبغي أن لا يتقطع أبدا . وإلى هذا السر يشير ما روى أنه مر بعض الأنبياء بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب منه فأطفئه الله تعالى فقال صد سمعت قوله تعالى . « وَتَوَدَّعَا النَّفْسَ وَالْجَسَادَ » (٢) فإنا أنكى من حوجه فسال الله به أن يجيره من النار فأجابه . « ثم أراه يصعد مدية على مثل ذلك فقال لم تبكى الآن فقال ذلك يكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور وقلب العبد كالخجالة أو أشد فسوة ولا يزول فسوته إلا بالبكاء في حال الخوف والشكر جميعا . وروى عنه ﷺ أنه قال : « ينادى يوم القيامة ليقيم الحمدادون قال الذين يشكرون الله تعالى على كل حال » وفي لفظ آخر : « الذين يشكرون الله على الرزق والضراء » وقال ﷺ : « الحمد لله الرحمن » (٣) . وأوحى الله تعالى إلى أيوب . عليه السلام . إني رفيت بالشكر مكافأة من أوليائي . . في كلام طويل . . وأوحى الله تعالى إليه أيضا في صفة الصابرين أن دارهم دار السلام إذا دخلوها أنهم هم الشكر وهو غير الكلام وعند الشكر استزيدهم وبالنظر إلى أنزدهم . ولما نزل في الكنوز ما نزل قال عمر . رضي الله عنه . أي المال تنشط . فقال . عليه السلام . « ليتخذ أحدكم لسانا ذا ذكرا وقلبا شاكرا » (٤) فأمر . باقتناء القلب الشاكر بدلا عن اللسان . وقال ابن مسعود الشكر نصف الإيمان .

وأعلم أن الشكر يتعلق بالقلب وباللسان وبالجوارح أما بالقلب فقصده الخير وإضمامه لكافة الخلق ، وأما باللسان فيظهر الشكر لله تعالى وبالتحميدات الدالة عليه ، وأما بالجوارح فاستعمال نعم الله تعالى في طاعته والتوقى من الاستعانة بها على معصيته ، حتى أن شكر العيين أن تستر بكل عيب تراه لحلم وشكر الآخرين أن تستر كل عيب تسمعه فيه ليدخل هذا في جملة شكر نعم الله تعالى بهذه الأعضاء ، والشكر باللسان لإظهار الرضا عن الله تعالى وهو مأمور به . فقد قال ﷺ لرجل : « كيف أصبحت قال بحير فأعاد ﷺ السؤال حتى قال في الثالثة بخير أحمد الله وأشكره فقال ﷺ هذا الذي أردت منك » .

وأعلم أن الشكر يتعلق بالقلب وباللسان وبالجوارح أما بالقلب فقصده الخير وإضمامه لكافة الخلق ، وأما باللسان فيظهر الشكر لله تعالى وبالتحميدات الدالة عليه ، وأما بالجوارح فاستعمال نعم الله تعالى في طاعته والتوقى من الاستعانة بها على معصيته ، حتى أن شكر العيين أن تستر بكل عيب تراه لحلم وشكر الآخرين أن تستر كل عيب تسمعه فيه ليدخل هذا في جملة شكر نعم الله تعالى بهذه الأعضاء ، والشكر باللسان لإظهار الرضا عن الله تعالى وهو مأمور به

(١) آية (١٦٤) سورة البقرة .

(٢) آية (٢٤) سورة البقرة

(٣) تحف السادة ٩ / ٤٨ .

(٤) صحيح (ابن ماجة ١٨٥٦) ، وصحيح الجامع (٥٣٥٥)

فقد قال ﷺ لرجل : « كيف أصبحت قال بخير فأعاد ﷺ السؤال حتى قال في الثالثة بخير أحمد الله وأشكره فقال ﷺ هذا الذي أردت منك » .

وكان السلف يستاءلون ويتنهي عن مستحراج الشكر لله تعالى ليكون الشاكر مطيع والمستطيق له به مطيعا وما كان قصدهم الرياء بإظهار التسوق وكل عيب مشل عن حال فهو بين أن يشكر أو يسكت . والشكر طاعة والشكرى معصية فيبحة من أهل الدين وكيف لا تفتح الشكرى من ملك الملوك ويبدى كل شيء إلى عبد مملوك لا يقدر على شيء فالأحرى بالعبد إن لم يحسن الصبر على البلاء والقضاء وأقصى به والصعق إلى الشكر أن تكون شكواه إلى الله تعالى فهو المبلى والقادر على إزالة البلاء ودل العبد لولاه عز والشكرى إلى غيره ذل وإظهار اللب للبيد مع كونه عبد مثله ذل فيسبح . قال الله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ يَتَعَبَّدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَنْفَعُونَكُمْ بِرِّقًا فَابْطُوا عَنِ اللَّهِ فَجُرِّدُوا وَأَعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ » وقال تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ جَهْلٌ أَبْدًا تَكْتُمُونَ » (١) فالشكر باللسان من جملة الشكر .

وقد روى أن وقدما قدموا على عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - فقام شاب ليتكلم فقال عمر الكبير الكبير ، فقال يا أمير المؤمنين لو كان الأمر بالسن لكان في المسلمين من أسمن منك فقال تكلم فقال لسا وفد الرقية ولا وفد الرقة أم الرقة فقد أوصلها إلينا فذلتك وأما الرقة فقد أمنتنا منها بذلك وإنما نحن وفد الشكر جئتكم بشرك باللسان وتصرف .

### باب الثاني والأربعون

#### في بيان عدم التكبر

قد دم الله الكبير في موضع من كتبه ودم كل جبار متكبر فقال تعالى : « مَا صَرَفَ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ » وقال عمر وجعل « كذلك يقع الله على كل قلب متكبر جبار » وقال تعالى « وَاسْتَغْفِرُوا وَحَابُ كُلِّ جَبَّارٍ عِندِي » وقد تعالى : « إِنَّهُ لَا يَهَبُ الْمُتَكَبِّرِينَ » وروى تعالى « قَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَفَوْا عَمَّا كَبُرَ » وقال تعالى . « إِنَّ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ » ودم الكبير في القرآن كثير . وقد قال رسول الله ﷺ : لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة خردل من كبر ، ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من حردل من إيمان . وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : يقول الله تعالى : « الْكِبَرِيَّةُ دَانِي وَالْعِظْمَةُ إِزْدَى لِمَنْ دَرَسَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ أَلْفَيْتَهُ فِي جَهَنَّمَ وَلَا آيَاتِي » وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال التقى عبد الله ابن عمرو وعبد الله بن عمر على الصفا فتوافقا .

نمسي ابن عمرو وأقام ابن عمر يركب فقالوا ما يركب يا أبا عبد الرحمن فقال هذا يعني عبد الله بن عمرو زعم أنه سمع رسول الله ﷺ يقول من كان في قلبه مثقال حبة من غرور لم يركب أكيه الله في النار على وجهه . وقال رسول الله ﷺ : لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في كتابه خير من يذهب ما أصابهم من العذاب . وقال سليمان بن داود - عليهما السلام - يوما لطيف والانس والجن واليهائم اخرجوا في مائتي ألف من الانس ومائتي ألف من الجن فرفع حتى سمع رجل الملائكة بالتسبيح في السموات ثم خفض حتى مست أقدامه البحر فسمع صوتا لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لحسنت به أبعد مما رجسته ، وقال ﷺ يخرج من النار حتى له أديان تسمعون وحياتان تبصران ولسان ينطق يقول وكلت بثلاثة يكمل جبار عتيد ، ويكل من دها مع الله الها آخر ، ويلصقون . وقال ﷺ لا يدخل الجنة بخيل ولا جبار ولا مسء للملكة . وقال ﷺ تحاجت الجنة والنار ، فقالت النار أوثرت بالتكبرين والمتجبرين ، وقالت الجنة مالي لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقاهم وحجزهم ، فقال الله للجنة إنما أنت رحمتي لو رحم بك من أشاء من عبادي ، وقال للنار إنما أنت عذابي أحطب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها . وقال ﷺ : ينس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الأهل ، ينس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الكبير المتعال ، ينس العبد عبد عنى وبغى ونسي المبدأ والمتهى ، وعن ثابت أنه قال بلغنا أنه قيل يا رسول الله ما أعظم كبر فلان فقال : أليس بعدة موت .

وقال عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال : « إن نوحا - عليه السلام - لما حضرته الوفاة دعا إليه بنوه ، وقال إني أمركما بالثنتين وأنهاكما عن اثنتين أنهاكما عن الشرك والكبر ، وأمركما بالإله إلا الله فإن السموات والأرضين وما فيهن لو وضعت في كفة الميزان وضعت لا إله إلا الله في الكفة الأخرى كانت أرجع منها ، ولو أن السموات والأرضين وما فيهن كانت حلفة موضعت لا إله الله عليها لقسمتهما وأمركما بسبحان الله وبحمده فإنها حلا كل شيء وبها يرزق كل شيء » . وقال المسيح عليه السلام طوبى لمن حسنه الله كتابه ثم لم يمت جبارا .

وقال ﷺ : « أهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع وأهل الجنة الضعفاء للفقول » وقال ﷺ : « إن أحبكم إلينا وأقربكم منا في الآخرة أحاسنكم أخلاقا ، وإن أبغضكم إلينا وأبعدكم منا الثرثارون المتشدقون المتصهقون قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون مما المتصهقون قال المتكبرون » . وقال ﷺ : « يحشر المتكبرون يوم القيامة في مثل صور الذر يطأهم الناس في مثل صور الرجال يملوهم كل شيء من الصغار ثم يساقون إلى سجن في جهنم يقال له بولس يملوهم ناز الأنهار يسقون إلى سجن في جهنم يقال له بولس يملوهم ناز الأنهار يسقون من طين الخليل عصارة أهل النار » . وقال أبو هريرة قال النبي ﷺ : « يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة في صور تطأهم الناس لهنهم على الله تعالى » . وعن محمد بن واسع

قال حدثت علي بن ملا ، بن أبي بردة فثبت له يا بلال إن أباك حدثني عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قال : إن في جهنم ناديا يقال له عيبس حق على الله أن يسكنه كل جبار فليراك يا بلال أن تكون عمر يسكنه . وقال ﷺ : « إن في النار قصورا يجعل فيه المتكبرون ويطلق عليهم » . وقال ﷺ : « ينس أعود بك من نفحة التكبر » . وقال « من فارق روحه جسده وهو يرى من ثلاث دخل حنة الكبر والدين والغلول » . وقال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - لا يحفرن أحد أحدنا من المسلمين فإن صغير المسلمين عند الله كبير . وقال وهب لما خلق الله الجنة عدن نظر إليها فقال أنت حرام على كل متكبر . وقال محمد بن الحسين بن علي ما دخل قلب أمريء شيء من الكبر قط إلا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل أو كثر ، وسئل سليمان عن السيدة لا تمتع معها حسنة فقال الكبر .

وقال النعمان بن بشير على المنبر إن للشيطان مصائد وفخوخا وإن من مصائد الشيطان وفخوخه البطر بأنعم الله والعتر بإعطاء الله والكبر على عباد الله واتباع الهوى في غير ذات الله نسأل الله تعالى العفو والعالية في الدنيا والآخرة بته وكرمه . وقال رسول الله ﷺ : « لا ينظر الله إلى رجل يجر إزاره بطرا » . وقال ﷺ : « بينما رجل يتخبط في برده إذ أصعبته نفسه فحسب الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة » (١) . وقال ﷺ : « من جر ثوبه خيلاء لا ينظر الله إليه يوم القيامة » . وقال زيد بن أسلم دخلت على ابن عمر فمر به عبد الله بن واقد وعليه ثوب جديد فسمعت يقول أي شيء أرفع أزارك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا ينظر الله إلى من جر إزاره خيلاء » (٢) .

وقال ﷺ : « إذا مشيت أمتي المظيئة وغسلتهم فارس والسرور من الله بعضهم على بعض » (٣) . وقال ابن الأعرابي هي مشية فيها لختيال ، وقال ﷺ : من تعظم في نفسه واحتال في مشيته لقي الله وهو عليه غضاب . وعن أبي بكر الهذلي قال بينما نحن مع الحسن إذ مر علينا ابن الأهنم يريد القصور وعليه جباب خر قد صعد بعضها فوق بعض على ساقه وانفرج عنها قبالة وهو يمشي يتجتر إذ نظر إليه الحسن نظرة ، فقال ألب أف شامخ بأنه ثاني عطفه مصرعه خده ينظر في عطفيه أي حميق ، أنت تنظر في عطفيك في نعم خير مشكورة ولا مذكرة خير مأجود يأمر الله فيها ولا مؤدى حق الله منها في كل عضو من أعضائه لله صفة وللشيطان به بقة والله لأن يمشي أحد طبيعته أو يتحلج تخلف للجوارح خير له من هذا . فسمع ابن الأهنم مرجع يعتذر

(١) (صحيح) البخاري (٥٧٨٩)

(٢) (صحيح) البخاري (٥٧٨٣) ، ومسلم (٢٠٨٥)

(٣) - - - - - عبادك ٥٢/٢ - - - - - وصحيح الجامع (٨٠١)

ربه ، فقد لا تعذر إلى وتدبيري ربك ، أما سمعت قول الله تعالى ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَأَنْتَ الْغَافِقُ الْأَرْضِ وَأَنْ تَبْتَغِ الْجِبَالِ طُولًا ﴾ (١) مر بالحسن شاب عليه بزة له حسنة فدهاء ، فقال له ابن آدم معجب بشيئك معجب لشمائلك كأن القير قد وارى بدتك وكأنك قد لاقيت حملك ، ويرى دأو قبلك فإن حاجة الله إلى العباد صلاح قلوبهم . ورأى محمد بن واسع ولده يستل فدهاء ، وقال أتدري من أنت أما أمك فاشتريتها بمائة درهم وأما أبوك فلا أكثر في المسلمين مثله ورأى ابن عمر رجلاً يجر إزاره فقال إن للشيطان إحواناً . يكررها مرتين أو ثلاثاً .

ويروى أن مطرف بن عبد الله بن الشخير رأى المهلب وهو يتجشتر في جبة عجز فقال يا عبد الله هذه مشية يبيخها الله ورسوله ، فقال له المهلب أما تعرفني فقال بلى أفرقت أولئك قطعة ملرة وأخرك جيفة قذرة وأنت بين ذلك تحمل العطرة فمضى المهلب وترك مشيته تلك وأنشوا في هذا المعنى .

عجبت من معجب بصورته ••• وكان بالأمس نطفة ملرة  
وفي غد بعد حسن هيئته ••• يصير في القبر جيفة قذرة  
وأشد خلف الأحمر :

لنا صاحب مولع بالخلاف ••• كثير الخطأ قليل الصواب  
أشد لجانجاس الخنفساء ••• وأزهي إذا ما مشى من خراب  
وقال آخر :

قلت للمعجب لما ••• قال مثلي لا يراجع  
بالتسرب العهد بالخير ••• ج لـم لا تتواضع  
ومثله لذا الرن المصري :

أبها الشلخ الذي لا يرام ••• نحن من طينة عليك السلام  
إنما هذه الحياة مناع ••• ومع الموت تستوى الأقدام  
وقال مجاهد في قوله ﴿ ثُمَّ ذَعَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى ﴾ أي يتجشتر والله تعالى أعلم

### الباب الثالث والأربعون

#### فصل التفكر في الإيمان ونعيمها

قد أمر الله تعالى بالتفكر والتدبر في كتابه العزيز في مواضع لا تحصى فقال تعالى : ﴿ إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فِي آيَةٍ مِمَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ أي تماقهما في الحجى والذعاب يختلف أحدهما صاحبه إذا ذهب أحدهما جاء الآخر خلفه أي بعده . قال تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ حِفْظًا ﴾ قال عطاء أراد اختلافهما في النور والظلمة والزيادة والنقصان وما أحسن قول القائل :

ياراقد الليل مسروراً بأوله ••• إن الحوادث قد تطرقن أسحاراً  
لا تفسرحن بليل طيب أوله ••• فسرب ففسر ليل أجمع النارا  
وقول آخر :

إن الليالي للإتنام متاعل ••• تطوى وتنشر انتهال الأهمال  
ففسرهم من الهوم طويلة ••• وطوالهن مع السرور نصار

وأبى الله على المتفكرين فقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهَا وَتَعْبُدُونََهُمْ وَتَقُولُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقَ هَذَا بَطْلًا ﴾ وقد قال ابن عباس - رضي الله عنهما - إن قوماً تفكروا في الله عز وجل ، وقال النبي ﷺ : تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله فإنكم لن تقدروا قدره (١) وعن النبي ﷺ أنه عرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال : ما لكم لا تتكلمون فقالوا نتفكر في خلق الله عز وجل ، قال فكذلك فافعلوا تفكروا في خلقه ولا تفكروا فيه فإن بهلنا القرب أرضاً يضاء نورها يياضها ويياضها نورها مسيرة الشمس أربعين يوماً بها خلق من خلق الله عز وجل ثم بعصوا الله طرفه حين قالوا يا رسول الله فابن لشيطان منهم ، قال ما يدرون خلق الشيطان أم لا قالوا من ولد آدم قال لا يدرون خلق آدم أم لا (٢) وعن عطاء قال انطلقت يوماً أنا وعبيد بن حمير إلى عائشة - رضي الله عنها - فكلمتنا وبيننا وبينها حجاب فقالت يا عبيد : ما يمنعك من ريارتنا ، قال قول رسول الله ﷺ ﴿ زُرْنَا تَزِدُّكُمْ حُبًّا ﴾ (٣) ، قال ابن حمير فأحبرتنا بأعجب شيء رايته من رسول الله ﷺ : قال : فيكيت وقالت كل من أمره كان عجيباً أتاني مرة في ليلتي حتى مس جلده جندي ثم قال فربني أتميد لربي عز وجل مقام إلى القرية فتوضأ منها ثم نام يصلي فيكي حتى بن لحيته ثم سجد حتى بل الأرض ثم

(١) صحيح (بخلاف السادة ١٠ / ١٨٠) وصحيح الجامع (١١٧٠)

(٢) صحيح (الطبراني ٤ / ٢٦) وصحيح الجامع (٣٥٦٨)

فصاحبه عيسى عليه حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح ، فقال يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فقال ويحك يا بلال وما يبكي أن أبكي وقد أنزل الله تعالى هذه الآية ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخِلْقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ ثم دل رجل من قرأه ولم يتفكر فيها ، فقبل بالأوراعي من عتبة التفكير فيهن ، قال ' يقرؤهن ويعفون ' وعن محمد بن واسع أن رجلا من أهل البصرة ركب إلى أم در بعد موت أبي در فسألها عن عبادة أبي ذر ، فقالت كان يهارة أجمع في ناحية البيت يتفكر . وعن الحسن قال تفكر ساعة خير من قيام ليلة . وعن الفضيل قال العكر مرأة تريك حسانتك وسيثاتك ، وقبل لإبراهيم أنك تطيل الفكرة فقال الفكرة مخ العقل ، وكان سفيان بن عيينة كثيرا ما ينش بقول العاتل :

إذا المرء كانت له فكرة ••• فمضى كل شيء له عسيرة

وعن طاووس قال : قال الجواريون لعيسى ابن مريم يا روح الله هل عني إلا من يومئذ فقال : نعم من كان منطلقه ذكرا وحسته ذكرا ونظيره عبرة فإنه متلى وقال الحسن من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ، ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو ، ومن لم يكن نظره اعتبرا فهو لغو ، وفي قوله تعالى ﴿ مَا أَصْرَفَ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ (٢) قال أمتع قلوبهم التفكير في أمري . وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ : أعطوا أعينكم حظها من العبادة ، فقالوا يا رسول الله وما حظها من العبادة قال النظر في المصنف والتفكير فيه ، والاعتبار عند عجائبه . وعن امرأة كانت تسكن البادية قريبا من مكة أنها قالت لو تطالعت قلوب المتفكرين بفكرها إلى ما قد ادخر لها في حجب الغيب من خير الآخرة لم يصف لهم في الدنيا عيش ولم تفر لهم في الدنيا عين . وكان لقمان يطيل الجلوس وحده فكان يمر به مولاة فيقول يا لقمان أنك تلوم الجلوس وحده فلو جلست مع الناس كان أنس لك فيقول لقمان أن طول الوحدة أدوم للتفكير وطول الفكر دليل على طريق الجنة . وقال وهب بن منبه ما طالت فكرة امرئ قط إلا علم وما علم امرئ قط إلا عمل . وقال عمر بن عبد العزيز الفكرة في نعم الله عز وجل من أفضل العبادة . وقال عبد الله بن المبارك يوما سهل بن عيسى ورأه سائها متفكرا أين أنت قال الصراط . وقال بشر لو تفكر الناس في عظمة الله ما عصوا الله عز وجل . وعن ابن عباس وكنتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة بلا قلب . وبينما أبو شريح يشي إذا جلس فتنع بكسائه فجعل يبكي فقبل له ما يبكي قال تفكرت في ذهاب عمري وذهاب عملي واقتراب أجلي وقال أبو سليمان هردوا أعينكم لكاء وقلوبكم اتفكر ، وقال أبو سليمان أيضا لمكر في الدنيا حجاب عن الآخرة يورث الحكمة ويحيي القلوب وقال حاتم من العبرة يزيد العلم ومن الذكر يزيد الحب ومن التفكير يزيد الخوف ،

وقال ابن هب من التفكير من حين يدعو به فاحذروه ، ثم قال يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فقال ويحك يا بلال وما يبكي أن أبكي وقد أنزل الله تعالى هذه الآية ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخِلْقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ ثم دل رجل من قرأه ولم يتفكر فيها ، فقبل بالأوراعي من عتبة التفكير فيهن ، قال ' يقرؤهن ويعفون ' وعن محمد بن واسع أن رجلا من أهل البصرة ركب إلى أم در بعد موت أبي در فسألها عن عبادة أبي ذر ، فقالت كان يهارة أجمع في ناحية البيت يتفكر . وعن الحسن قال تفكر ساعة خير من قيام ليلة . وعن الفضيل قال العكر مرأة تريك حسانتك وسيثاتك ، وقبل لإبراهيم أنك تطيل الفكرة فقال الفكرة مخ العقل ، وكان سفيان بن عيينة كثيرا ما ينش بقول العاتل :

إذا المرء كانت له فكرة ••• فمضى كل شيء له عسيرة

وعن طاووس قال : قال الجواريون لعيسى ابن مريم يا روح الله هل عني إلا من يومئذ فقال : نعم من كان منطلقه ذكرا وحسته ذكرا ونظيره عبرة فإنه متلى وقال الحسن من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ، ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو ، ومن لم يكن نظره اعتبرا فهو لغو ، وفي قوله تعالى ﴿ مَا أَصْرَفَ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ (٢) قال أمتع قلوبهم التفكير في أمري . وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ : أعطوا أعينكم حظها من العبادة ، فقالوا يا رسول الله وما حظها من العبادة قال النظر في المصنف والتفكير فيه ، والاعتبار عند عجائبه . وعن امرأة كانت تسكن البادية قريبا من مكة أنها قالت لو تطالعت قلوب المتفكرين بفكرها إلى ما قد ادخر لها في حجب الغيب من خير الآخرة لم يصف لهم في الدنيا عيش ولم تفر لهم في الدنيا عين . وكان لقمان يطيل الجلوس وحده فكان يمر به مولاة فيقول يا لقمان أنك تلوم الجلوس وحده فلو جلست مع الناس كان أنس لك فيقول لقمان أن طول الوحدة أدوم للتفكير وطول الفكر دليل على طريق الجنة . وقال وهب بن منبه ما طالت فكرة امرئ قط إلا علم وما علم امرئ قط إلا عمل . وقال عمر بن عبد العزيز الفكرة في نعم الله عز وجل من أفضل العبادة . وقال عبد الله بن المبارك يوما سهل بن عيسى ورأه سائها متفكرا أين أنت قال الصراط . وقال بشر لو تفكر الناس في عظمة الله ما عصوا الله عز وجل . وعن ابن عباس وكنتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة بلا قلب . وبينما أبو شريح يشي إذا جلس فتنع بكسائه فجعل يبكي فقبل له ما يبكي قال تفكرت في ذهاب عمري وذهاب عملي واقتراب أجلي وقال أبو سليمان هردوا أعينكم لكاء وقلوبكم اتفكر ، وقال أبو سليمان أيضا لمكر في الدنيا حجاب عن الآخرة يورث الحكمة ويحيي القلوب وقال حاتم من العبرة يزيد العلم ومن الذكر يزيد الحب ومن التفكير يزيد الخوف ،

### باب الزناج والاعتق

#### في بيان شدة الموت

عن الحسن أن رسول الله ﷺ ذكر الموت وغصته وأنه فقال : هو قتلوا لثمائة خربة بالسيف ومثل ذلك من الموت وشدة فقال أن أهون الموت بمنزلة حبة في صوف فهل تخرج الحبة من الصوف إلا ومعها صوف . ودخل عليه مريض ثم قال : أتى أعلم ما يلقى ما ته عرق إلا وبالم الموت على حدته . وكان على كرم الله وجهه يحض على القتال ويقول أن لم تقتلوا تموتوا والذي نفسي بيده لأتف خربة بالسيف أهون على من موتى على فراش . وقال الأوزاعي بلغنا أن الميت يجد ألم الموت ما لم يعم من قبره . وقال شبلد بن أوس الموت أمضع هول في الدنيا والآخرة على المؤمن وهو أشد من نشر بالمنشير وقرض بالمقارض وعلى في القدر ولو أن الميت بشر فأخبر أهل الدنيا بالموت ما انتفضوا بعيش ولا نلوا بنوم . وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال إذا بقى على المؤمن من درجاته شيء لم يبلغه يعلمه شدة هيب الموت لينبغ يسكرات الموت وكربه خرجته في الجنة وإذا كان للكافر معروف لم يحز به هون عليه في الموت ليستكمل ثوابه .

يمصر إلى النار . وهن معضهم أنه كان يسأل كثيرا من المرضى كيف يجهذون الموت فلما مرض قيل له فأنث كيف يجهذ فقال كأن السماوات مطيقة على الأرض وكان نفسى يخرج من ثقب ابرة . وقال ﷺ : « موت الفجأة راحة للمؤمن وأسف على الفاجر » (١) .

وروى عن مكحول عن النسي ﷺ أنه نال : لو أن شعرة من شعر الميت وضعت على أهل السموات والأرض لما تروا بإذن الله تعالى لأن من كل شعرة الموت ولا يقع الموت بشيء إلا مات .

وروى لو أن فطرة من ألم الموت وضعت على جبال الدنيا كلها للهابت .

وروى أن إبراهيم - عليه السلام - لما مات قال الله تعالى له كيف وجدت الموت يا إيليل ؟ قال كسوف جميل فى صوف وطب ثم جذب فقال أما أنا قد هونا عليك .

وروى عن موسى - عليه السلام - أنه لما صارت روحه إلى الله تعالى قال له وبه يا موسى كيف وجدت الموت ؟ قال وجدت نفسى كالصوفور حين يقلى على المقل لا يموت فاستريح ولا ينجو فيطير .

وروى عنه أنه قال وجدت نفسى كشاة حية تسلخ بيد القصاب .

وروى عن النسي ﷺ أنه كان عنده قدح من ماء عند الموت فجعل يدخل يده فى الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم هون على نفسى مكرات الموت و فاطمة - رضى الله عنها - تقول واكره لكربك يا أبتاه وهو يقول لا كرب على أيبك بعد اليوم . وقال عمر رضى الله عن لكعب الأحبار يا كعب حدثنا عن الموت فقال نعم يا أمير المؤمنين أن الموت كعصن كثير الشوك ادخل فى جوف رجل وأحدث كل شوكه يعرق ثم جلده رجل شديد الجذب فأخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى . وقال النسي ﷺ : « أن العبد ليأالج كرب الموت ومكراته وأن مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول عليك السلام تفارقنى وأمرقك إلى يوم القيامة » (٢) . فهذه مكرات الموت على أولياء الله وأحبابه لما جازنا ونحن المهمكون فى المعاصى وتولى علينا مع مكرات الموت بقية الدواهي فإن دواهي الموت ثلاث الأولى شدة التزع كما ذكرناه ، الداهية الثانية مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروح والخوف منه على القلب فلو رأى صورته التى يقبض عليها روح العبد المذنب أعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته .

فقد روى عن إبراهيم الخليل - عليه السلام - أنه قال لملك الموت هل تستطيع أن ترى صورتك التى تقبض عليها روح العاجر ؟ قال لا تطيق ذلك ، قال بلى قال فأعرض عنه ثم لفت

فإذا هو برجل أسود قائم الشعر مثق الريح أسود الثياب يخرج من فيه ومناخيره لهيب النار والدخان فغشى على إبراهيم - عليه السلام - ثم أمأق وقد هاد ملك الموت إلى صورته الأولى . فقال يا ملك الموت لو لم يلق العاجر عند الموت إلا صورة وجهك لكان حسبه .

وروى أبو هريرة عن النسي ﷺ أن داود - عليه السلام - كان رجلا غيوراً وكان إذا خرج خلق الأبواب فعلقها ذات يوم وخرج فأشرفت امرأته فإذا هى برجل فى النار ، فقلت من أدخل هذا الرجل لئن جاء داود ليلقى به عناء فجاء داود فرأه فقال من أنت فقال أنا الذى لا أحب الموت ولا يمنهم منى الحجاب ، فقال فأنث والله إذا ملك الموت وزمل داود عليه السلام مكانه .

وروى أن عيسى - عليه السلام - مر بهجمة فصر بها برجله فقال تكلمنى بإذن الله فقالت يا روح الله أنا ملك زمان كذا وكذا أنا جالس فى ملكى على تاجى وحولى جنودى وحشمى على سرير ملكى إذا بنا إلى ملك الموت فزل منى كل عضو على حiale ثم خرجت نفسى إليه ، فبالت ما كان من تلك الجموع كان فرقة وبالت ما كان من ذلك الإنس كان وحشة وهله داهية يلقاها المعصاة ويكفهاها المطيعون .

فقد حكى الأنبياء مجرد سكرة التزع دون الروعة التى يذركها من يشاهد صورة ملك الموت كذلك ولو رآها فى منامه ليلة لتفص عليه بقية حموه فكيف برؤيته فى مثل تلك الحال ، وأما المطيع فإنه يراه فى أحسن صورة وأجملها . فقد روى عكرمة عن ابن عباس أن إبراهيم - عليه السلام - كان رجلا غيوراً وكان له بيت يتعبد فيه فزاد خرج أغلقه فرجع ذات يوم فإذا برجل فى جوف البيت فقال من أدخلك دارى فقال أدخلتها وبها ، فقال أنا وبها ، فقال أدخلتها من هو أملك بها منى ومنك ، فقال من أنت من الملائكة قال أنا ملك الموت ، قال هل تستطيع أن ترى الصورة التى تقبض فيها روح المؤمن ؟ قال نعم فأعرض عنى فأعرض عنى ثم البقت فإذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه ، فقال يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت إلا صورته كان حسبه ومنها مشاهدة الملكين الحافظين قال وهيب بلغنا أنه ما من ميت يموت حتى يترأى له ملكاه الكاتبان عمله فزاد كان مطيعاً قال لا جزاك الله عنا خيراً فرب مجلس صدق أجلسنا وعمل صالح أحضرنا ، وأن كان فاجراً قال لا لا جزاك الله عنا خيراً فرب مجلس سوء أجلسنا وعمل غير صالح أحضرنا وكلام قبيح أسمعتنا فلا جزاك الله عنا خيراً فذلك شخص بصر الميت اليهما ولا يرجع إلى الدنيا أبداً .

لداية الناشئة مشاهدة المعصاة مواصمهم من النار وخوفهم تلك المشاهدة فإنهم فى حال لسكرات قد تحادلت قواهم واستسلمت للخروج لأرواحهم ولئ تخرج أرواحهم ما لم يسمعوا نعمة ملك الموت بإحدى البشرين أما أبشر يا عدو الله بالنار أو أبشر يا ولي الله بالخنة ومن هذه

(١) (هميف) أحمد ٣ / ٤٢٤ ، وضعف الجامع ٥٨٩٦ )

(٢) (موضوع) تزيه الشريعة ٣ / ٣٧٥



كأن خوف أرباب الآليات وقد قال النبي ﷺ : « لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة أو النار » (١).

### الباب الخامس والأربعون

#### في بيان القبر وسؤاله

قال رسول الله ﷺ : « يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يا ابن آدم ما هرك بي ألم تعلم أنني بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الندود ما هرك بي أذكنت لمرابي فلاناً ، فإن كان مصلحاً أجاب عنه مجيب للقبر أرأيت أن كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، فيقول القبر إني إذا تحول عليه خضرأ ويعود جسده نورا وتصعد روحه إلى الله تعالى والعاذ هو الذي يقدم رجلاً ويؤخر آخرى هكلنا فسرأ الراوي ، ولأن عبيد بن عمير الألباني : ليس من ميت يموت إلا نادته حفرته التي يدفن فيها أنا بيت الظلمة والوحدة والافتراق فإن كنت في حياتك الله مطيعاً كنت عليك اليوم رحمة ، وأن كنت عاصياً ما أنا اليوم عليك نعمة أنا الذي من دخلني مطيعاً خرج ومن دخلني عاصياً خرج مشوراً » (٢).

وقال محمد بن صبيح بلغنا أن الرجل إذا وضع في قبره فعليه أو أصاب بعض ما يكره ناداه جيرانه من المؤمنين أيها المتخلف في الدنيا بعد إخوانه وجيرانه أما كان لك فينا معتبراً أما كان لك في متفرداً إليك فكرة أما رأيت انقطاع أعمالنا وأنت في المهلة فهلا استدركت ما فات إخوانك . وتناديه من الأرض أيها المتفرد بظاهر الدنيا هلا اعتبرت بمن غيب من أهلك في باطن لأرض بمن غرته الدنيا قبلت ثم سبق به أجله إلى القبر وأنت تراه محمولاً لا تهاده أحبه إلى المنزل الذي لا بد له منه .

وقال يزيد الرقاشي بلغني أن الميت إذا وضع في قبره احتوشته أعماله ثم انطقها الله فقالت أيها العبد المنفرد في حفرته انقطع عنك الأخلاء والأهلون فلا أنيس لك اليوم عندما ، وقال كعب بن جعفر العبد الصالح في القبر احتوشته أعماله الصالحة الصلاة والصيام والركعة والجهاد والصدقة ، قال فتجني ملائكة الملائكة من قبل رجليه فتقول الصلاة اليكم عنه فلا سبيل لكم عليه فقد احتار في القيام لله عليهما ، فيأتونه من سر رأسه يقول الصيام لا سبيل لكم عبي فقد أطاب ظمأ الله في دار الدين فلا سبيل لكم عليه ، فيأتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد اليكم عنه فقد أصعب نفسه وأتعب يديه وحج وجاهد لله فلا سبيل لكم عليه قال فيأتونه من قبل يديه فتقول

(١) الجامع السادة ١٠ / ٢٦٦

(٢) حية الأولياء ٦ / ٩٠

الصدقة كموا عن صاحبي نكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت في يد الله تعالى ابتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه قال فيقال له حيث طبت ميتاً ، قال وتأتيه ملائكة الرحمة فتفرش له فراشاً من الجنة ودفناً من الجنة ويفسح له في قبره مد بصره ويؤتي بقشليل من الجنة يستضيء بنوره إلى يوم يبعث الله من قبره .

وقال عبيد الله بن سمي في جنازة بلغني أن رسول الله ﷺ قال : « أن الميت يقدم وهو يسمع حطير مشيعه فلا يكلمه شيء إلا قبرة يقول ويحك يا ابن آدم قد حطرتني وحطرت هيبلي وتنتي وهرني ودودي فماداً أعددت لي : » (١).

قال الجراء بن عارب خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فجلس رسول الله ﷺ على قبره متكساً وأسه ثم قال : اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ثلاثاً . ثم قال إن المؤمن إذا كان في قبل من الآخرة بحث الله ملائكة كان وجوههم الشمس معهم حنوطه وكفنه فيجلسون مد بصره فإذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء وفتحت أبواب السماء فليس منها باب إلا يحب أن يدخل بروحه منه فإذا صعد روحه قيل أي رب عبيدك فلان فيقول أرجعوه فأروه ما أعددت له من الكرامة فإني وعدته « منها خلقناكم وفيها نعيدكم » (٢) الآية . وأنه ليسمع حنق عاهلهم إذا ولوا مدبرين حتى يقال يا هلم من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله ودينى الإسلام ونبيى محمد ﷺ . قال فيتتهرته انتهازاً شديداً وهي آخر فتنة تعرض على الميت فإذا قال ذلك نادى ملائكة الله قد صدقت وهو معنى قوله تعالى : « يَحْيَى اللَّهُ الدُّنْيَا آمَنُوا بِتَقْوَى اللَّهِ الثَّابِتِ » (٢) الآية . ثم يأتيه آت حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول أبشر برحمة ربك وجنتات فيها نعيم مقيم فيقول وأنت فيشرك الله بخبر من أنت فيقول أنا عملك الصالح والله عملت أن كنت لسريعاً إلى طاعة الله تعالى بطيئاً عن معصية الله فجزاك الله خيراً . قال ثم ينادى مناد أن أفرشوا له من فرش الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة فيفرش له من فرش الجنة ويفتح له باب الجنة ، فيقول اللهم عجل قيام الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى قال وأما الكافر فإنه إذا كان في قبل من الآخرة وانقطع من الدنيا نزلت إليه ملائكة غلاظ شداد معهم ثياب من نار وعراييل من قطران فيحتوشونه فإذا خرجت نفسه لعنه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء ، وغلقت أبواب السماء فليس منها باب إلا يكره أن يدخل بروحه منه فإذا صعد بروحه نذ وقيل أي رب عبيدك فلان لم تقبله سماه ولا أرض ، فيقول عز وجل أرجعوه فأروه ما أعددت له من الشر إني وعدته : « منها خلقناكم وفيها نعيدكم » الآية .

(٢) آية (٥٥) سورة طه

(١) الجامع السادة ١٠ / ٣٩٧

(٢) آية (٢٧) سورة إبراهيم

## الباب السادس والأربعون

## ففي بيان علم اليقين وعين اليقين-

## والصّوال يوم العرض

قال الله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ يعني لو تعلمون أمر القيامة باليقين لألهاكم من ذلك أي من التكاثر والتعاضد والمعلم ما يتعمكم من الخير وترككم ما لا يفيكمكم ، ويقال حقا لو تعلمون عليم اليقين كما يعلمه الرسل أن المال والحساب في الفخر لا يفيكمكم يوم القيامة ما افتخرتم بالمال وكثرة العدد لتتروا الجميع . أقسم الرب أنكم لتتروا النار وشدة يوم القيامة هيأنا ثم لتترونها عين اليقين يعني لتتروا الجميع ، الرؤية التي هي نفس اليقين وهي المشاهدة والمعاينة التي لا شك فيها ، فإن قيل ما الفرق بين علم اليقين وعين اليقين قيل له علم اليقين كان للأنبياء بنوهم ، وعين اليقين للصلائكة لأنهم يصيرون الجنة والنار واللوح والقلم والعرش والكرسي فتكون لهم عين اليقين . إن شئت قلت علم اليقين علم الموت والقبور للأحياء لأنهم يعرفون بأن الأموات في القبور ولكن لا يدرون كيف حالهم فيها وعين اليقين للأموات لأنهم هابوا القبور ، إما روضة من رياض الجنة وأما حفرة من حفر النار . وإن شئت قلت علم اليقين علم القيامة وعين اليقين معاينة القيامة وأهوالها وإن شئت قلت عليم اليقين علم الجنة والنار وعين اليقين الرؤية ﴿ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ يعني لتسألن يوم القيامة عن نعيم الدنيا من صحة الأبدان والاسماع والأبصار والمكاسب وملاذ المأكول والمشروب وغير ذلك هل أدبتم شكرها لمولاهما وحرقتهم بها أم كفرتم بها .

أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن زيد بن أسلم عن أبيه قال قرأ رسول الله ﷺ : ﴿أَلْهَأَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ يعني عن الطاعة ﴿حَتَّى رُؤِثَ الْمَقَابِرُ﴾ يقول حتى يأتيكم الموت ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يعني لو قد دخلتم قبوركم ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يقول لو قد خرجتم من قبوركم إلى محشركم ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ قال لو قد وقفتم على أعمالكم بين يدي ربكم ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ وذلك لأن الصراط يوضع وسط جهنم فاح مسلم ومحدوش مسلم ومحدوش في نار جهنم ﴿ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ (١) يعني شح الطوبى وبارد اشراق وظلال المساكن وعتدل الخلق ولذة لوم . وعن علي - رضي الله عنه - قد النعيم العافية . وعن أبي قلابة عن النبي ﷺ في الآية قال : ناس من أمّتي يعتقدون السمن والعسل النقي فيأكلونه . وعن عكرمة قال لما نزلت هذه الآية قالت الصحابة يا رسول الله أي نعيم نحن فيه وإنما يأكل في انصاف بطوننا خبز الشعير فأوحى الله إلى نبيه ﷺ قل لهم ليس تحتلون النعمال وتشربون الماء البارد فهذا من النعيم . وروى الترمذي

وأنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مليرين حتى يقال له يا هذا من ربك ومن نبيك وما دينك فيقول لا أدري ، فساقط له لا أدريت ثم يأتيهات فيبع الجحيم من الربيع فيبيع الثياب فيقول أنا عملك الخبيث والله أن كنت لسريعا في معصية الله بطيئا عن طاعة الله فحراك الله شرا فيقول وأنت مجرأك الله شرا ثم يقبض له أصم أصم أيكم مربي مربية من حديد لو اجتمع عليها الشفلاء على أن يعلوها لم يستطيعوا لو ضرب بها جبل صار ترابا فيضربه ضربة فيصير ترابا ثم تعود يبه الروح فيضربه بها بين عينيه ضربة يسممها من على الأرضين . قال ثم ينادي متاد أن أفرشوا له لوحين من نار واقتحوا له بابا إلى النار فيفرش له لوحان من نار ويقتح له باب إلى النار .

وعن محمد بن كعب القرظي أنه كان يقرأ قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ (١) فَعَلَى أَعْمَلٍ مَّاتَ بِهِمَا فَمَا تَرَكْتَ ﴿١﴾ قال أي شيء تريد وفي أي شيء ترعأ أن تريد أن ترجع لتجتمع المال وتفرس وتبني البيات وتشقق الأنهار ، قال لا علمي أصالحا فيما تركت قال فيقول الحبار كلاً أنها كلمة هو قائلها أي لبقولتها عند الموت . وقال أبو هريرة قال النبي ﷺ : المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب له في قبره سبعون ذراعاً ويضي حتى يكون كالقمر ليلة البدر ، هل تدرون فيما أنزلت ؟ فإن له معيشة ضسكا قالوا الله ورسوله أعلم ، قال في عذاب الكافر في قبره تسلط عليه تسمة وتسعون تينا هل تدرون ما التين تسعة وتسعون حبة لكل حبة سبعة رؤوس يخلشونه ويخلصونه ويغفخون في جسمه إلى يوم يبعثون ، ولا ينبغي أن يتعجب من هذا العدد على الخصوص فإن عند هذه الحيات والعقارب بعدد الأخلاق المذمومة من الكبر والرياء والحسد والغفل والخذل ومائر للصفات ، فإن لها أصولاً معدودة ثم تشعب منها فروع معدودة ثم تنقسم فروعها بأقسام وتلك الصفات بأعيانها هي للهلكات وهي بأعيانها تنقلب عقارب وحيات هالقة منها يلدغ لدغ التين والضعيف يلدغ لدغ العقرب وما بينهما يؤدي إلهاء الحية وأرياب القلوب والبصائر يشاهدون بؤر البصيرة هذه الهلكات وانشعب فروعها إلا أن مقدار حنجرها لا يوقف عليه إلا بتور الثبوة ، فأمثال هذه الأخبار لها ظواهر صحيحة وأمرار غفيرة عبد أرباب الصنائع واصحة فمن لم تنكشف أي حقائقها فلا يسمى أن ينكر ظواهرها بل أقل درجات الإيمان التصديق والتسليم .

\*\*\*

وغيره أنه لما مرت ﴿ أَنهَاتُكُمْ الْكَافِرُ ﴾ فقرأ حتى بلغ التعميم قالوا يا رسول الله أي نعيم نسئل عنه وأنت هذا الأسودان الماء والنمر وسيوفنا على رقابنا والعدو حاضر فعن أي نعيم سأل . قال أما أن ذلك سيكون . وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « أن أول ما يسئل العبد عنه يوم القيامة من التعميم أن يقال له ألم نصبح لك جسدك وتروك من الماء البارود » (١) وروى مسلم وغيره عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال خرج النبي ﷺ لمذا هو بأبي بكر وعمر فقال : ما أخرجكما من بيوتكما الساحة قالوا الجوع يا رسول الله ، قال والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما فقوما فقاما معه ، فأتى رجلا من الأنصار فإذا هو ليس في بيته فلما رآته المرأة قالت مرحبا فقال النبي ﷺ أين فلان فقالت انطلق يستعذب لك الماء إذ جاء الأنصاري فطر إلى رسول الله ﷺ وصحاحيه فقال الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيفا مني ، فانطلق فجاء بمذق فيه بسر وتمر فقال كدوا من هذا وأخذ المذقة ، فقال له رسول الله ﷺ ليك والحروب فذبح لهم فاكلوا من الشاة ومن ذلك العلق وشربوا فلما شبعوا ورووا قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - : والذي نفسي بيده لتسألن عن حق التعميم يوم القيامة .

### كتاب السج والاربعون

### في فضل ذكر الله تعالى

قال الله تعالى : ﴿ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ (٢) قال ثابت البناني - رحمه الله - إنني أعلم متى يذكرني ربي عز وجل فمزعوا منه وقالوا كيف تعلم ذلك فقال إذا ذكرته ذكرني وقال تعالى : ﴿ اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا انْقَضَتْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ ﴾ وقال عز وجل : ﴿ فَإِذَا قُضِيَ مِنْكُمْ مَتَابِكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُسُودِهِمْ ﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَ مِنْكُمْ مَتَابِكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُسُودِهِمْ ﴾ (٤) قال ابن عباس - رضي الله عنهما - أي بالليل والنهار وبيد والبحر والسم والحصار والعس والعقر والمرص والصحة والسر والعلانية . قال تعالى في دم المفاقي : ﴿ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ وقد عز وجل : ﴿ وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ قال ابن عباس - رضي الله عنهما - له وجهان أحدهما أن ذكر الله تعالى لكم أعظم من ذكركم إياه . ولا حرج أن ذكر الله أعظم من كل عبادة سواه إلى غير ذلك من الآيات . وقال رسول الله ﷺ ذكر الله في

لغافلين كالشجرة الخضراء في وسط الهشيم . وقال ﷺ : ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل بين المارين . وقال ﷺ : يقول الله عز وجل أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت شفتاه بي . وقال ﷺ : ما عمل ابن آدم من عمل أحب له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل ، قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن تضرب بيمينك حتى يقطع ثم تضرب به حتى يقطع . وقال ﷺ : من أحب إن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل . ومثل رسول الله ﷺ أي الأعمال أفضل فقال : أن تموت ولسانك رطب بذكر الله تعالى عز وجل . وقال ﷺ : أصبح وأمس ولسانك رطب بذكر الله تصبح ومسي وليس عليك خطيئة . وقال ﷺ : لذكر الله عز وجل بالمساء والعشى أفضل من حطم السيف في سبيل الله ومن إعطاء المال سحبا وقال ﷺ : يقول الله تبارك وتعالى : « إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي وإذا ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير من مثله . وإذا تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا وإذا تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا وإذا مضى إلى هرولت إليه » يعني بالهرولة سرعة الإجابة . وقال ﷺ : سبعة يظلهم الله عز وجل في ظله يوم لا ظل إلا ظله من جعلتهم رجل ذكر الله غالبا ففاجت عينا من خشية الله » (١) ، وقال أبو الدرداء قال رسول الله ﷺ : « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الورق والذهب وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربون أعناقهم ويضربون أعناقكم . قالوا وما ذاك يا رسول الله قال ذكر الله عز وجل دائما . وقال ﷺ قال الله عز وجل : « من شغله ذكرى من مسغتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين » (٢) والعفيل بلغنا أن الله عز وجل قال : « يا عبدي أذكرني بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة أكفك ما بينهما » . وقال بعض العلماء إن الله عز وجل يقول : « أهما عبد أطلعت على قلبه لم رأيت العائب عليه التمسك بذكرى توليت سياسته وكنت جلبيه ومحاذاه وأتيسه » .

وقال الحسن الذكر ذكران ذكر الله عز وجل بين نفسك وبين الله عز وجل ما أحسنه وأعظم أجره وأفضل من ذلك ذكر الله سبحانه عند حرم الله عز وجل .

ويروى أن كل نفس تخرج من الدنيا عطشى إلا ذاكر الله عز وجل ، وقال معاذ بن جبل - رضي الله عنه - ليس يشعر أهل الجنة على شيء إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله سبحانه فيها . وقال رسول الله ﷺ : « ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله عز وجل الا حفت بهم الملائكة وخشيتهم الرحمة وذكروا الله تعالى فيمن عنده » (٣) . وقال ﷺ : ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يرددون بدئت إلا وجهه إلا ناداهم متاد من السماء قوموا مغفورا لكم قد بذلت لكم سيئاتكم حسبات . وقال ﷺ : ما قد قوم مقعدا لم يذكروا الله سبحانه وتعالى فيه ولم يصلوا على

(٢) (حسن) الترمذي (٢٩٢٦)

(١) (صحيح) البخاري (٦٦٠) .

(٣) (صحيح) أحمد (٤٩ / ٢) ، وصحيح الجامع (٥٦٠٨)

(١) الطبري ٣٠ / ١٨٦ ، والدر الثور ٦ / ٣٨٨ .

(٢) (أية) (٦٥٢) سورة البقرة .

(٣) (أية) (١٩١) سورة آل عمران .

أبى ﷺ إلا كدى عليهم حسرة يوم القيامة - وقال داود - عليه السلام - إلهي إذا رأيته أجلوز مجالس الذاكرين إلى مجالس العافلين فأكسر وجلى دونهم فإنهم نعمة تنعم بها على ، وقال ﷺ للمجلس الصالح يكفر عن كل مؤمن ألفي ألف مجلس من مجالس السوء .

وقال أبو هريرة - رضى الله عنه - : إن أهل السماء ليتراءون بيوت أهل الأرض التي يذكر فيها اسم الله تعالى كما تترامى النجوم - وقال سفيان بن عيينة - رحمه الله - إذا اجتمع قوم يذكرون الله تعالى اعتزل الشيطان والديب فيقول الشيطان للعنبا ألا ترى ما يصنعون فتقول الدنيا دهمهم فإنهم إذا تفرقوا أخذت بأعناقهم إليك .

وعن أبي هريرة - رضى الله عنه - أنه دخل السوق وقال أراكم هنا وميراث رسول الله ﷺ يقسم في المسجد فلذهب الناس إلى المسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثاً فقالوا يا أبا هريرة ما رأينا ميراثاً يقسم في المسجد قال فماذا رأيتم قالوا رأينا قوما يفكرون الله عز وجل ويقرأون القرآن قال فذلك ميراث رسول الله ﷺ .

وعن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري عنه ﷺ أنه قال : إن لله عز وجل ملائكة سياحين في الأرض فضلا من كتاب الناس فإذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تنادوا هلمروا إلى بغيثكم فيجيتون فيحفون بهم إلى السماء ، فيقول الله تبارك وتعالى أى شيء تركتم عبادتي يصنعونه ، فيقولون تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويسبحونك ، فيقول تبارك وتعالى وهل رأوني فيقولون لا فيقول جل جلاله كيف لو رأوني ؟ فيقولون لو رأوك لكانوا أشد تسبيحا وتمجيذا فيقول لهم من أى شيء يتعوفون ، فيقولون من النار فيقول تعالى وهل رأوها ، فيقولون لا ، فيقول الله عز وجل فكيف لو رأوها ، فيقولون لو رأوها لكانوا أشد هربا منها وأشد تقورا ، فيقول الله عز وجل وأى شيء يطلبون ، فيقولون الجنة ، فيقول تعالى وهل رأوها ؟ فيقولون لا ، فيقول فكيف لو رأوها ، فيقولون لو رأوها لكفروا أشد عليها حرصا ، فيقول جل جلاله إني أشهدكم أنني قد هفرت لهم ، فيقولون كان فيهم فلان ولم يردهم إنما جاء الحاجة ، فيقول الله عز وجل هم القوم لا يشقى جليسهم <sup>(١)</sup> . وقال ﷺ : أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وقال ﷺ : ما مناه من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كل يوم مائة مرة ، كانت له حرزا من الشيطان يومه وعدت له مائة حسنة ومحبت عنه مائة سيئة ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك . وقال ﷺ : ما من عبد توحا فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقل أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً - عبده ورسوله - إلا فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء .

(١) (صحيح) أحمد ١ / ٤٤ ، وصحيح الجامع (٢١٣٧)

### الباب الثامن والأربعون

#### في فضائل الصلوات

قال الله تعالى . ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَفَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ <sup>(١)</sup> وقال ﷺ خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عليه وإن شاء - دخله . وقال ﷺ مثل الصلوات الخمس كمثل بهر عذب غير يباب أحذكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك يبقى من دونه ؟ قالوا لا شيء ، قال ﷺ فإن الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن ، وقال ﷺ : إن الصلوات كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر . كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَحْسَنَ يَذْهَبِ السَّيِّئَاتِ ﴾ ومعنى يذهبها يكفرها حتى كأنها لم تكن . وأخرج البخاري ومسلم وأهل السنن وغيرهم عن ابن مسعود إن رجلا أصاب من امرأة قبلة فأتى النبي ﷺ فذكر له ذلك كأنه يسأل عن كمارتها فأزلت عليه ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي الْيُسْوَ ﴾ <sup>(٢)</sup> الآية . . فقال الرجل يا رسول الله إلى هنا قال هي لمن حمل بها من أمتي . وأخرج أحمد ومسلم وغيرهما عن أبي أمامة أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أقم في حد الله مرة أو مرتين فأعرض عنه ثم أقيمت الصلاة فلما فرغ قال أين الرجل قال أنا ذا قال أقممت الوضوء وصليت معنا أمنا ؟ قال نعم قال فإنك من خطيئتك كيوم وللتك أمك فلا تعد . وأنزل الله حيثل على ورسول الله : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ ﴾ الآية وقال ﷺ : « بينا وبين المأفقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونهما » . وقال ﷺ : « من لقي الله وهو مضيق للصلاة لم يصب الله بشيء من حسنته » <sup>(٣)</sup> وقال ﷺ : الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين . وسئل ﷺ : أى الأعمال أفضل ، فقال الصلاة لموافقتها . وقال ﷺ : من حافظ على الخمس بإكمال طهورها وموافقتها كانت له نورا وبرهان يوم القيامة ، ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان . وقال ﷺ : « مفتاح الجنة الصلاة » <sup>(٤)</sup> . وقال ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد أحب إليه من الصلاة ولو كان شيء أحب إليه منها لتعب به ملائكته فمنهم راقع ومنهم ساجد ومنهم قائم وقاعد . وقال النبي ﷺ : من ترك صلاة متعمدا فقد كفر . أى قارب أن ينخلع عن الإيمان بانحلال عروته وسقوط عمده كما يقال لمن قارب المدينة أنه يلعب ويدخلها . وقال ﷺ : « من ترك الصلاة متعمدا فقد برىء من دمة محمد - عليه السلام - » .

وقال أبو هريرة - رضى الله عنه - من توضأ فأحسن وضوءه ثم خرج حامدا إلى الصلاة فإنه

(١) به (٣) ، مسند - مسند -

(٣) (شعاب السادة) كتاب ٣ - ٤

(٢) به (١١٤) سورة مود

(٤) (صحيح) الترمذي (٤) ، وصحيح الجامع (٥٦٦٥)

في صلاة ما كان يعمد إلى الصلاة وأنه يكتب له بإحدى خطوبته حسنة ونعمى عنه بالآخرى سبباً ، وإذا سمع أحدكم الإقامة فلا ينبغي له أن يتأخر فإن أعظمكم أجراً أبعدكم داراً قالوا لم يا أبا هريرة ؟ قال من أجل كثرة الخطأ . وقال رسول الله ﷺ : ما تقرب العبد إلى الله بشيء أفضل من سجود خفى . وقال رسول الله ﷺ : ما من مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها سيئة

وروى أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ ادع الله أن يجعلني من أهل شفاعتك وأن يوزلني مراقبتك في الجنة فقال ﷺ أصي بكثرة السجود . وقيل أقرب ما يكون العبد من الله تعالى أن يكون ساجداً وهو معنى قوله عز وجل : ﴿ وَسُجِدُوا ﴾ (١) وقال عز وجل : ﴿ سَمِعْتُمْ فِي جُوهِهِمْ مِنْ أَمْرِ السُّجُودِ ﴾ (٢) فقل هو ما يلتصق بوجوههم من الأرض عند السجود ، قيل هو نور المحشور فإنه يشرق من الباطن على الظاهر وهو الأصح ، وقيل هي العبر التي تكون في وجوههم يوم القيامة من أثر السجود . وقال ﷺ إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان بيكي ولقوله يا ويله أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت أنا بالسجود فعضيت على النار .

ويروى عن علي بن عبد الله بن عباس أنه كان يسجد في كل يوم ألف سجدة وكانوا يسمونه السجدة .

ويروى أن حمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه - كان لا يسجد إلا على التراب ، وكان يوسف بن أسباط يقول يا معشر الشباب إذا رزقوا بالصحة قبل الرض لما بقي أحد أحمده إلا وجل يتم ركوعه وسجوده وقد حيل بيني وبين ذلك . وقال سعيد ابن جبيرة ما أسي على شيء من الدنيا ما أسي على السجود . وقال عتبة بن مسلم ما من غصلة في العبد أحب إلى الله عز وجل من وجل يحب لقاء الله عز وجل وما من ساعة العبد فيها أقرب إلى الله عز وجل منه حيث يفر ساجداً . وقال أبو هريرة - رضي الله عنه - أقرب ما يكون للعبد إلى الله عز وجل إذا سجد ، فأكثروا الدعاء عند ذلك

### الباب التاسع والأربعون

#### في بيان عقوبة تارك الصلاة

قال تعالى مخبراً عن أصحاب الجحيم : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴾ (١) فأما ما ثبت من أنفعلي (٢) ولم تتركوا نصيبكم من الدنيا (٣) وكما نصوص مع الغرضين (٤) .

(٢) آية (٢٩) سورة الفتح

(١) آية (١٩) سورة العلق  
(٣) آية (٤٢-٤٣) سورة النحر

وأخرج أحمد : « بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة » (١) ومسلم « بين الرجل وبين الشرك أو الكفر ترك الصلاة » وأبو داود والنسائي : « ليس بين العبد وبين الكفر إلا ترك الصلاة » والترمذي « بين الكفر والإيمان ترك الصلاة » وابن ماجه « بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة » وصح كما رواه . . . أنه ﷺ قال « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » والطبراني « . . . ترك الصلاة متعمداً فقد كفر جهاراً » وفي رواية : بين العبد والكفر أو الشرك . . . دمر وفي أخرى « ليس بين العبد والشرك إلا ترك الصلاة » . . .

عن عبيد بن حماد - رضي الله عنه - أوصاني جليلي ﷺ بسبع خلال ٤ قال لا تشركوا بالله شيئاً وإن قطعتم أو حرمتم أو صدتم ، ولا تتركوا الصلاة متعمداً فمن تركها متعمداً فقد خرج من الله ، ولا تركوا المعصية فإنها سخط الله ، ولا تشربوا الخمر فإنها رأس الخطايا كلها . . . الحديث والترمذي كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة . وصح خبر « بين العبد وبين الكفر والإيمان الصلاة فإذا تركها فقد أشرك » . . . والبزار : « لا سهم في الإسلام لمن لا صلاة له ، ولا صلاة لمن لا رضى له » (٢) والطبراني لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا صلاة لمن لا طهور له ، ولا دين لمن لا صلاة له ، إنما موضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد . وابن ماجه والبيهقي عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال « أوصاني جليلي ﷺ أن لا تشرك بالله شيئاً وإن قطعت وإن حرقت ، ولا تترك صلاة مكتوبة متعمداً فمن تركها متعمداً فقد برئت منه الذمة ، ولا تشرب الخمر فإنها باب كل شر » .

والبزار وغيره بسند حسن عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال لا قام بصري أي ذهب مع بقاء صحة الحدقة قبل مداويك وبدع الصلاة أبداً قلت لا إن رسول الله ﷺ قال « من ترك الصلاة نفى الله وهو عليه غضبان » (٣) .

والطبراني بسند لا بأس به في المتابعات « أتى رسول الله ﷺ وجل فقال يا رسول الله هل مني عملاً إذا أنا صليت دخلت الجنة قال لا تشرك بالله شيئاً وإن طهرت وحرقته ، وأطع وأطع وإن أخرجك من مالك ومن كل شيء هو لك ، ولا تترك الصلاة متعمداً فمن ترك الصلاة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله . . . الحديث .

وهي رواية سندها صحيح لكن فيه انقطاع : « لا تشرك بالله شيئاً وإن قطعت وحرقته ، ولا تعصى والديك وإن أمرك إن تخرج من أمرك وما لك ، ولا تترك صلاة مكتوبة متعمداً فإن من

(٢) (صحيح) مجمع الروايات / ١ / ٢٩٢

(١) (صحيح) أحمد / ٣ / ٣٨٩ .  
(٣) (صحيح) مجمع الروايات / ١ / ٢٩٥

ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله ، ولا تشربن خمرا فإنه أى شربها رأس كل فاحشة ، وإياك والمعصية فإن بالمعصية حل سحق الله ، وإياك والعرار من الزحف وإن هلك لباس وإن أصاب الناس موت فاثبت وأنفق على أهلك من طولك ولا ترفع عصاك عنهم أدبا وأحفظهم في الله .

وابن حبان في صحيحه : يكرهوا بالصلاة في يوم الغيم فإنه من ترك الصلاة فقد كفر .

والطبراني عن أئمة مولاة رسول الله ﷺ قال : كنت أصيب على رأس رسول الله ﷺ وضوءه فدخل رجل فقال أوصني فقال لا تشرك بالله شيئا وإن قطعت وحرقت بالنار ، ولا تعصى والدنياك وأن أمرك إن تحلى من أهلك ودينك فتخله ، ولا تشربن خمرا فإنها مفتاح كل شر ولا تترك صلاة متعمدا ، فمن فعل ذلك فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله . . . الحديث .

وأبو نعيم : من ترك الصلاة متعمدا كتب الله اسمه على باب النار من يدخلها والطبراني والبيهقي : من ترك الصلاة لما أمر الله وأمره وماله والحاكم بن علي أنه ﷺ قال : والله يا معشر قريش لتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة أو لا يمشن عليكم رجلا فيضرب أعناقكم على الدين . . . الحديث .

والبزار : لا سهم في الإسلام لمن لا صلاة له ، ولا صلاة لمن لا وضوء له .

وأحمد مرسل : أربع فرضهن الله في الإسلام فمن أتى بثلاث لم يثنى عنه شيئا حتى يأتي بهن جميعا ، الصلاة والزكاة وصيام رمضان وحج البيت .

والأصبهاني : من ترك صلاة متعمدا حبط الله عمله وبرئت منه ذمة الله حتى يرجع الله عز وجل قوته . والطبراني : من ترك الصلاة فقد كفر جهارا . . . وأحمد بسند صحيح لكن فيه انقطاع : لا تترك الصلاة متعمدا فإنه من ترك الصلاة متعمدا فإنه برئت منه ذمة الله ورسوله . وابن أبي شيبه والبحاري في تاريخه موقوف على علي - رضي الله عنه - قال : من لم يصل ، فهو كافر . ومحمد بن نصر وابن عبد البر موقوف على ابن عباس : من ترك الصلاة فقد كفر . وابن نصر موقوف على ابن مسعود قال : من ترك الصلاة فلا دين له . وابن عبد البر موقوف على جابر : من لم يصل فهو كافر . وابن عبد البر وغيره موقوف على أبي الدرداء قال : لا إيمان لمن لا صلاة له ، ولا صلاة لمن لا وضوء له .

وقال ابن أبي شيبه قال النبي ﷺ : من ترك الصلاة فقد كفر . وقال محمد بن نصر سمعت اسحق يقول سمعت عن النبي ﷺ : أن تارك الصلاة كافر . وكذلك كان رأى أهل العلم من لون النبي ﷺ أن تارك الصلاة عمدا من غير علم حتى يلحق وقتها كافر . وقد أبوب ترك الصلاة

كفر لا يختلف فيه . وقال تعالى : فحلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا (٥٥) إلا من تاب (١) .

فأين مسيود ليس معنى أضاعوها تركوها بالكلفة ولكن أضاعوها عن أوقاتها . وقال سعيد بن المسيب إمام التابعين : هو أن لا يصلى الظهر حتى تأتى العصر ، ولا يصلى العصر إلى المغرب ، ولا يصلى المغرب إلى العشاء ، ولا يصلى العشاء إلى الفجر ، ولا يصلى الفجر إلى طلوع الشمس ، فمن مات وهو مصر على هذه الحالة ولم يتب أو عهد الله بغيره وهو واد في جهنم بعيد فمره ، شديد عقابه . وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَلْهَوْا عَنْ صَلَاتِكُمْ أَنْتُمْ وَلَا أَوْلَادِكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ (٢) .

قال جماعة من المفسرين المراد بذكر الله هنا الصلوات الخمس فمن اشتغل عن الصلاة في وقتها بماله كبيعته أو صنعته أو ولده كان من الماهسين ، ولهذا قال ﷺ : أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن نقصت فقد شاب عمره . وقال تعالى : ﴿ فَرِيقٌ لِّلْمُعْسِكِينَ ﴾ الذين هم عن صلاتهم ساهون (٣) . قال ﷺ : هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها .

وأخرج أحمد بسند جيد والطبراني وابن حبان في صحيحه : أنه ﷺ ذكر الصلاة يوما لقال من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف .

قال بعض العلماء وإنما حشر مع هؤلاء لأنه إن اشتغل عن الصلاة بماله أشبه قارون فيحشر معه ، أو بملكه أشبه فرعون فيحشر معه ، أو بوزارته أشبه هامان فيحشر معه ، أو بتجارته أشبه أبي بن خلف تاجر كفار مكة فيحشر معه .

والبزار عن سعد بن أبي وقاص قال : سألت النبي ﷺ عن قول الله عز وجل : ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ قال هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها ، وأبو يعلى بسند حسن عن مصعب بن سعد قال قلت لأبي : يا أبا عبد الله رأيت قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ أين لا يسهر أب لا يحدث معه ، قال ليس ذلك إنما هو إضاعة الوقت . والمولى شدة العذاب وقيل واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لثابت من شدة حره فهو مسكين من يتهاون بالصلاة ويؤخرها عن وقتها إلا أن يتوب إلى الله ويندم على ما فرط .

(٢) آية (٩) سورة الماعون

(١) آية (٥٩) سورة مريم .

(٣) آية (٥٤) سورة الماعون

وابن حبان في صحيحه « من فاتته صلاة فكأنما وتر أهله وماله » . والشبخان والأربعة « الذين يعبون صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله »<sup>(١)</sup> ، رادى عن حرمته في صحيحه قبل مائت بمره ذهب الوقت ، والنسائي « من هذه الصلاة معنى فكأنما وتر أهله وماله معنى العصر » ومسلم والساني « أن هذه الصلاة معنى العصر عرضت على من كان فيكم فصيغوها فمن حافظ منكم اليوم عليها كان له أجره مرتين ولا صلاة بعدها حتى يطلع الشاهد » أي النجم . وأحمد والبخاري والنسائي « من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله » ، وأحمد بإسناد صحيح وابن أبي شيبة « من ترك صلاة العصر متعمدا حتى نفوته فقد حبط عمله » وابن أبي شيبة مرسل « من ترك العصر حتى تغيب الشمس من غير صلوة فقد حبط عمله » ، وعبد الرزاق « لأن يوتر أحدكم أهله وماله خير له من أن يفوته وقت صلاة العصر »<sup>(٢)</sup> . والطبراني وأحمد « من ترك صلاة العصر متعمدا حتى تغرب الشمس فكأنما وتر أهله وماله » ، والثاقبي والبيهقي « من فاتته الصلاة فكأنما أوتر أهله وماله » .

والبخاري عن صرة بن جندب - رضى الله عنه - قال « كان رسول الله ﷺ عما يكثر أن يقول لأصحابه من رأى أحد منكم رؤيا فيقص عليه ما شاء الله أن يقص وأنه قال لنا ذات غداة أنه أتاني الليلة أتيا كأنهما تبعنا بي وأنهما قالوا لي إنطلق وإني أتطلقت معهما وإنا أتينا على رجل مضطجع وإذا آخر قائم عليه بصخرة وإذا هو يهوى بالصخرة لرأسه فيبلغ رأسه فيشد منه الحجر ، أي فينخرج فيأخذه ، فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعله في المرة الأولى قالت قلت لهما سيحان الله ما هذا قالوا لي إنطلق إنطلق .

فأتينا على رجل مستلق على قفاه وإذا آخر قائم بكتوب من حديد إذا هو يأتى أحد شقي وجهه فيشرشش أي يشق شدة إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وحينئذ إلى قفاه . قال وربما قال أبو رجاء فيشق ، قال ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول ، قال فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح لك الجانب كما كان ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل في المرة الأولى ، قال قلت سيحان الله ما هذا قالوا لي إنطلق إنطلق .

فإنطلقنا فأتينا على مثل التنوير ، قال فأحسب أنه كان يقول فإذا فيه لفظ وأصوات قال ل صلنا عليه لما فيه رجال وساء حراة ، وإذا هم بأنهم لهب من أسفل منهم ، فإذا أتاهم ذلك الدبيب فوضووا أي يفتح المجمعين وسكون الواوين صياح مع انضمام وفرح . قال قلت ما هؤلاء قالوا لي إنطلق إنطلق .

(١) صحيح البخاري (٥٢٢) ، ومسلم (٦٢٦) (٢) الطبراني ١٩ / ٢٣٠ ، ومجمع الروايات ٣٠٨

قال فأنطلقنا فأتينا على نهر حسبت أنه كان يقول أحمر مثل الدم وإذا هو في النهر رجل سابح يسبح ، وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة فيلقمه حجرا فينطلق فيسبح ثم يرجع إليه كلما رجع إليه فمر أي بفاء لمعجمة مفتوحتين فتح فاء فلقمه حجرا . قلت لهما ما هذه قالوا لي إنطلق إنطلق

فإنطلقنا فأتينا على رجل كبره المرأة كأكبره ما أنت راء رجلا مرثيا وإذا عند نار يحثها (أي بمحلة مضمومة لمعجمة) يوقدها ويسمى حولها ، قال قلت ما هذا قالوا لي إنطلق إنطلق .

فإنطلقنا على روضة معتمة أي طوية النبات من أحتم إذا طل فيها من كل نور الريح وإذا بين ظهراني الروضة رجل طوال لا أكاد أرى رأسه طولا في السماء وإذا حول الرجل من أكثر ولسان رأبهم ، قال قلت ما هذا ما هؤلاء قالوا لي إنطلق إنطلق .

فإنطلقنا فأتينا على فوحة عظيمة لم أر فوحة قط أعظم ولا أحسن منها قالوا لي أرق فيها . فارتقتنا فيها إلى مدينة مبنية بطن ذهب ولبن فضة ، فأتينا باب المدينة فاستفتحنا ففتح لنا فدخلناها خلفنا رجال ، شطر من خلفهم مبنية كآحسن ما أنت راء وشطر منهم كأقبح ما أنت راء قالوا لهم ادعوا فقموا في ذلك النهر ، قال وإذا النهر معترض يجرى كأن مائه للحصى أي الخالص في البيضاء ، فلهبوا فوقوا ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في أحسن صورة ، قالوا لي هذه جنة عدن وهذا منزلك ، فسمعا أي ارتفع بصري صعدا بهمتين إلى فوق فإذا قصر مثل الرابية أي السحابة البيضاء قالوا لي هذا منزلك ، قال قلت لهما بارك الله فيكم فندرس فأدخله قالوا أما الآن فلا وأنت داخله ، قال قلت لهما فإني رأيت مثل الليلة عجبيا فما هذا الذي رأيت ، قال أنا متحرك .

أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلج رأسه بالحجر فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرطسه ويديم عن الصلاة المكتوبة .

وأما الرجل الذي أتيت عليه يشرشش شدة إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وحينئذ إلى قفاه فإنه الرجل يخذو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الأفاق .

وأما الرجل والساء المرأة الذين هم في مثل به التنوير فإنهم الردة والروس

وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجر فإنه أكل الربا .

وأما الرجل الكبره المرأة الذي عند النار يحثها ويسمى حولها فوه مائت خازن النار .

وأما الرجل الطوال الذي في الروضة فإنه إبراهيم ، أما لو ألدن الذي حوله فكل مؤلومات على العطرة

فقال بعض المسلمين يا رسول الله وأولاد المشركين فقال رسول الله ﷺ وأولاد المشركين .  
وأما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح فإنهم قوم خلطوا عملا صالحا  
وأخر سيئا نجاور الله عنهم .

وبى حديث البرار قال : لم أتى النبی ﷺ على قوم ترغيب رؤوسهم بالصخر كلما رضخت  
عادت كما كانت ولا يترهم من ذلك شيء . قال يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين تناقلت  
رؤوسهم عن الصلاة .

وأخرج الخطيب وابن الجار على ، الإسلام الصلاة فمن فرغ لها قلبه وحافظ عليها بعدها  
ووقتها وستبها فهو مؤمن . وابن ماجه قال : قال الله تعالى « افترضت على أمتك خمس  
صلوات وعهدت عندي عهدا أن من حافظ عليهن لوقتهن أدخلته الجنة ومن لم يحافظ عليهن فلا  
عهد له عندي » .

وأحمد والحاكم « من علم أن الصلاة عليه حق واجب وأجلها دخل الجنة » ، والترمذي وقال  
حسن غريب والنسائي وابن ماجه « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله الصلاة فإن  
صلحت فقد أفلح وإن فسدت فقد غاب وخسر وإنه انتقص من فريضته قال الرب انظروا  
هل لعبدى من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ثم يكون له ثم عمله على ذلك » والنسائي  
« أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة وأول ما يقضى به بين الناس فى السماء » .

وأحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة  
صلاته فإن كان أتمها كتبت له ثمانية وإن لم يكن أتمها قال ملائكته انظروا هل تحمدون لعبدى من  
تطوع فيكملون بها فريضته ، ثم التزكاة ثم تؤخذ الأعمال على حسب ذلك » (١) .  
والطبراني « أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة ينظر فى صلاته فإن صلحت فقد أفلح وإن فسدت  
فقد غاب وخسر » .

وأحمد وأبو داود والنسائي والحاكم « أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم  
الصلاة يقول ربنا عز وجل ملائكتك وهو أعم انظروا فى صلاة عبدى أتمها أم نقصها ، فإن كانت  
تامة كتبت ثمانية وإن كانت انتقص منها شيئا قال انظروا هل لعبدى من تطوع فإن كان له تطوع أتموا  
لعبدى فريضته من تطوعه ، ثم يأخذ الأعمال على ذلكم » .

واصطبل السى والطبراني . والضياء فى لاختاره . « أتانى جبريل من عند الله تبارك وتعالى  
فقال يا محمد إن الله عز وجل يقول إني افترضت على أمتك خمس صلوات فمن أوفى بهن على

وحسبهن وموافقتهن وركوعهن وسجودهن كأن له بهن عهد أن أدخله الجنة ، ومن لقبنى قد  
انتقص من ذلك شيئا فليس له عدى عهد إن شئت عندي وإن شئت رحمت » .

والبيهقى « الصلاة ميزان لمن لوى أسترى » (١) . والذهلى « الصلاة تسود وجه الشيطان  
والصدقة تكسر ظهره » ، والتحبيب فى الله والتوهد فى العلم يقطع دابر « فإذا فعلتم ذلك كبره  
منكم كمطلع الشمس من مغربها » (٢) . والترمذي وابن حبان والحاكم « اتقوا الله وصلوا  
خمسكم وصوموا شهركم وأدوا زكاة أموالكم وأطيعوا دوى أمركم تدخلوا جنة ربكم » .

وأحمد والشيخان وأبو داود والنسائي : « أحب الأعمال إلى الله الصلاة لوقتها ثم بر  
الوالدين ، ثم الجهاد فى سبيل الله » . والبيهقى عن عمر - رضى الله عنه - قال « جاء رجل إلى  
النبي ﷺ فقال يا رسول الله أى الأعمال أحب إلى الله فى الإسلام فقال الصلاة لوقتها ومن ترك  
الصلاة فلا دين له والصلاة عماد الدين » . ولذلك لما طعن عمر رضى الله عنه قيل له الصلاة يا  
أمير المؤمنين قال نعمت أما أنه لاحظ لأحد فى الإسلام أضاع الصلاة ، وصلى - رضى الله عنه -  
وجرحه يجرى دمه .

وروى الذهلبى أنه ﷺ قال : « إذا صلى العبد الصلاة فى أول الوقت صعدت إلى السماء  
ولها نور حتى تنتهى إلى العرش فتستخفر لصاحبها إلى يوم القيامة وتقول له حفظك الله كما  
حفظتني ، وإذا صلى العبد الصلاة فى غير وقتها صعدت إلى السماء وعليها ظلمة فإذا انتهت إلى  
السماء تلف كما يلف الثوب الخلق ويضرب بها وجه صاحبها » .

وأخرج أبو داود أنه ﷺ قال « ثلاث لا يقبل الله منهم صلاتهم وذكر منهم من أتى الصلاة  
دبارا أى بعد أن نفوته » .

قال بعضهم وورد فى الحديث « أن من حافظ على الصلاة أكرمه الله بخمس خصال ، يرفع  
عنه ضيق العيش ، وعذاب القبر ، ويمطيه الله كتابه يمينه ، ويمر على الصراط كالبرق ،  
ويدخل الجنة بغير حساب . ومن تهان من الصلاة عاقبه الله بخمس عشرة عقوبة خمس فى  
الدنيا ، وثلاث عند الموت ، وثلاث فى قبره ، وثلاث عند خروجه من القبر .

فأما اللواتى فى الدنيا فالأولى تنزع البركة من عمره ، والثانية تحو سبيلها لصالحين من  
وجهه ، والثالثة كل عمل يسمه لا بأجره الله عليه ، والرابعة لا يرفع له دعاء إلى السماء ،  
والخامسة ليس له حظ فى دعاء الصالحين .

(١) (معجم) كبر العمال (١٨٨٩٢) ، وضعيف الخاتم (٢٥٧٣) .

(٢) (معجم) جنى كثر العمال (١٨٨٩٣) ، وضعيف الخاتم (٢٥٦٠) .



وأما التي تصيبه عند الموت فله يومان ، والثانية يموت جافاً ، والثالثة يموت عطشاناً ولو سبق بحذر الدنيا ما روى من عطشه .

وأما التي تصيبه في قبره فالأولى يضيق عليه القبر حتى تختلف أصلاعه ، والثانية يوقد عليه القبر نار فيقلب على أجبر ليلاً ونهاراً ، والثالثة يسقط عليه في قبره ثعبان سمه الشجاع الأقرع عيبه من نار وأظفاره من حديد طرل كل طفر مسيرة يوم ، يكلم الميت فيقول أن الشجاع لأقرع وصوته مثل الرعد القاصف يقول أمرني رب أن أضربك على تضبيع صلاة الصبح إلى طلوع الشمس ، وأضربك على تضبيع صلاة الظهر إلى العصر ، وأضربك على تضبيع العصر إلى المغرب ، وأضربك على تضبيع صلاة المغرب إلى العشاء ، وأضربك على تضبيع صلاة العشاء إلى الفجر ، فكلما ضرب به ضربة يفوق في الأرض سبعين فراساً ، فلا يزال في القبر معذب إلى يوم القيامة .

وأما التي تصيبه عند خروجه من القبر في موقف القيامة فتشدة الحساب ، وسخط الرب ، ودخول النار .

وفي رواية فإنه يأتي يوم القيامة وعلى وجهه ثلاث أسطر مكتوبات ، السطر الأول يا مضيق حق الله ، السطر الثاني يا مخصوماً بفضب الله ، السطر الثالث كما ضيقت في الدنيا حق الله فأيس اليوم أنت من رحمة الله .

وما ذكر في هذا الحديث من تفصيل العدد لا يطابق جملة الخمس عشرة لأن الفصل أربع عشرة فقط . فلعل الراوى نسى الخامس عشر .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال إذا كان يوم القيامة يؤتى برجل فيوقف بين يدي الله عز وجل فيأمر الله به إلى النار ، فيقول يارب عذابي ، فيقول تعالى بتأخيرك الصلاة عن أوقاتها وحلمك بي كاذباً .

قال بعضهم أيضاً وعن رسول الله ﷺ أنه قال يوماً لأصحابه : « قولوا اللهم لا تدع بيننا شقياً ولا محروماً » ثم قال ﷺ : أتدرون من الشقى المحروم قالوا بئس هو يا رسول الله قال تارك صلاة .

قال أيضاً يروى أنه أول ما تسود يوم القيامة وجوه تارك الصلاة وأن في جهنم وادياً يقال له سم فيه حياض كل حية يشحن رقة للبحير طولها مسيرة شهر تلمع تارك الصلاة فيخلو سمها في حمة سبعين سنة ثم ينهرى حمة

قال وروى أيضاً أن امرأة من بنى إسرائيل جاءت إلى موسى - صلى الله عليه وآله وسلم - وبنينا وعليه

وعلى سائر انبياء . فقالت يا ربى الله أحببت دنيا عظيماً وقد تبت إلى الله تعالى فادع الله أن يعصر لي دسب ويشوب على ، فقال لها موسى وم دسك ، قالت يا ربى الله رنت وولدت ولد فقتلته ، فقال لها موسى - صلى الله عليه وآله وسلم - عليه أفضل الصلاة والسلام - أخرجني بما جرة لا تزل نار من السماء فتحرقك شؤمك فخرجت من عنده مكسرة القلب فزل جبريل - عليه السلام - وقال يا موسى الرب تعالى يقول لك لم رددت الثانية يا موسى أما وجدت شراً منها قال موسى يا جبريل ومن شر منها قال من ترك الصلاة عاملاً بتعمدا .

وقال أيضاً روى عن بعض السلف أنه دفن أخاً له مات فسقط منه كيس فيه مال في قبرها ولم يشعر به حتى انصرف عن قبرها ثم تذكره فرجع إلى قبرها فنيش بعد ما انصرف الناس فوجد القبر يشتعل عليها ناراً فرد التراب عليها ورجع إلى أمه باكياً حزناً فقال يا أمه أخوك يني عن أخى وما كنت تعمل قلت وما سؤالك عنها قال يا أمه رأيت قبرها يشتعل عليها ناراً قال فبكت وقالت يا ولدى كانت أحبك تنهاون بالصلاة وتؤخرها عن وقتها فهذا حال من يؤخر الصلاة عن وقتها فكيف حال من لا يصلي فنسال الله تعالى أن يحسا على المحافظة عليها بكلماتها إنه جواد كريم رؤوف رحيم .

### باب الخمس

#### في بيان عوصات جهنم وعذابها

قال الله تعالى ﴿ لَهَا سِتْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْصُومٌ ﴾ (١) والمراد بالجزة هنا الحزب والطائفة والعريق ، وقيل المراد بالأبواب الأطباق طبق فوق طبق . قال ابن جرير الباز سبع دركات وهي جهنم ، ثم لظى ، ثم الحطمة ، ثم السعير ، ثم مقر ، ثم الجحيم ، ثم الهاوية ، فأهلها للموحدين ، والثانية لليهود ، والثالثة للنصارى ، والرابعة للصابئين ، والخامسة للمجوس ، والسادسة للمشركين ، والسابعة للمتأففين ، فجهنم أعلى الطبقات ثم ما يعلوها تحتها . ثم كذلك .

قيل والمعنى أن الله تعالى يجرى أتباع إبليس سبعه أجزاء فيدخل كل جزء وقسم دركة من النار والسبب فيه أن مراتب الكفر والمعاصي مختلفة فذلك اختلقت مراتبهم في النار ، وقيل جعلت سبعة على وفق الأعضاء السبعة من العين والأذن واللسان والبطن والعرج واليد والرجل لأنها مصادر السيئات فكانت مواردها الأبواب السبعة

رضي الله عنه - قال أطيان جهنم مبيعة بعضها فوق بعض ليملا الأول ثم الثاني  
ولا كلها .

الخاري في تاريخه والترمذي عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ : « جهنم  
منها لمن حمل السيف على أمي . » وروى الطبراني في الأوسط أن جبريل جاء إلى  
من غير حية التي كان يأتيه فيه . فقام إليه رسول الله ﷺ فقال يا جبريل مالي  
أون فقال ما جئتك حتى أمر الله عز وجل بفتح النار ، فقال رسول الله ﷺ يا  
أون النار أو أنعت جهنم ، فقال جبريل إن الله تبارك وتعالى أمر بجهنم فأوقد عليها  
أبيضت ، ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ، ثم أوقد عليها ألف عام  
فهي سوداء مظلمة لا يهدأ شررها ولا يطأ لها والذي يمشي بالحق نبياً لو أن قدر  
تسميهم من جهنم مات من في الأرض كلهم جميعاً ، والذي يمشي بالحق لو أن خازناً من  
جهنم مر إلى أهل الدنيا مات من في الأرض كلهم جميعاً ، من قبض وجهه وثقل ربحه ،  
والذي يمشي بالحق لو أن حلقة من خلق سلسلة أهل النار التي نعت الله في كتابه وضعت على  
الدنيا لارتطفت وانفارت حتى تنتهي إلى الأرض السفلى .

فقال رسول الله ﷺ حسبي يا جبريل لا يتصدع قلبي فأمرت ، قال فنظر رسول الله ﷺ إلى  
أون وهو يركب فقال تبكي يا جبريل وأنت من الله بالمكان الذي أنت به ، فقال ومالي لا أرى  
أنا أحد بالمرءة لعلني أكون في علم الله على غير الحالة التي أنا عليها وما أدرى لعلني أبني بما  
أبني ، فقد كان من الملائكة وما أدرى لعلني أبني بما أبني به هاروت وماروت ، قال  
رسول الله ﷺ ويكي جبريل ، فصار لا يبيكان حتى نودي أن يا جبريل ويا محمد إن الله  
أمر أن تمصياه فارتفع جبريل وخرج رسول الله ﷺ فمر بقوم من الأنصار يصيحون  
أصيحون ووراءكم جهنم ، فلو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً وبنيتكم كثيراً وما  
نشراب وخرجتم إلى الصعدات فجأروا إلى الله عز وجل . فنودي يا محمد لا  
تعتك مبشراً ولم أبعث عميراً . فقال ﷺ سدوا وقاربوا .

أمرهم أحمد أنه ﷺ قال لجبريل : « مالي لا أرى ميكايل ضاحكاً قط قال ما ضحك  
من النار » (١) . وروى مسلم أن رسول الله ﷺ قال : يؤتى بجهنم يوم القيامة  
مأم مع كل زمان سبعون ألف ملك يجرونها .

\*\*\*

### الباب الواحد والخمسون

#### فمن بيان عذاب جهنم أيضاً

روى أبو داود والنسائي والترمذي وصححه وما معناه لما خلق الله تعالى الجنة والنار أرمِل  
جبريل إلى الجنة ، فقال انظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها فجاء ونظر إليها وإلى ما أعد الله  
لأهلها فيها فرجع إليه فقال وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها ، فأمر بها فحُفَّت بالكلية فقال  
إني خشيت ألا يدخلها أحد فقال ارجع إلى النار فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها فإذا هي يركب  
بعضها بعضها فرجع إليه . فقال وعزتك لا يسمع أحد قيدخلها ، فأمر بها فحُفَّت بالشهوات ،  
فقال ارجع إليها فقال وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها .

والبيهقي يستدل بأمر به عن ابن مسعود - رضي الله عنه - في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي  
بشروع كالفصل (١) أب أني لست أقول كالشجر ولكن كالخسوف والملائكة » وأحمد وابن ماجه  
وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه : « ويل واد في جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفاً  
قبل أن يبلغ قعره » (٢) والترمذي « ويل واد بين جبلين يهوى فيه الكافر سبعين خريفاً قبل أن يبلغ  
قعره » . وابن ماجه واللفظ له والترمذي تعوذوا بالله من جب الحزن قالوا يا رسول الله وما جب  
الحزن قال واد في جهنم تعوذ منه جهنم كل يوم أربعين مرة ، قيل يا رسول الله من يدخله قال  
أعد للفراة المراتين بأعمالهم وإن من أبغض القراء إلى الله الذين يزورون الأمراء ، الجورة .  
والطبراني أن في جهنم لودايا تشيع جهنم من ذلك الوادي كل يوم أربعين مرة أعد للمرائين  
من أمة محمد ﷺ . وابن أبي الدنيا : إن في النار سبعين ألف واد في كل واد سبعون ألف شعب  
في كل شعب سبعون ألف حجر في كل حجر حية تأكل وجوه أهل النار . والخاري في تاريخه  
يستدل فيه نكارة أن في جهنم سبعين ألف واد في كل واد سبعون ألف شعب ، في كل شعب  
سبعون ألف دار ، في كل دار سبعون ألف بيت في كل بيت سبعون ألف بئر في كل بئر سبعون  
ألف ثعبان في شقوق كل ثعبان سبعون ألف ضرب لا ينتهي الكافر أو الماتق حتى يواقع ذلك كله  
والترمذي يستدل فيه انقطاع أن الصحرة العظيمة لتلقى من شعير جهنم فتتهوى فيها سبعين  
خريفاً وما تفضي إلى قرارها .

وكان عمر - رضي الله عنه - يقول أكثر وأذكر النار فإن حرها شديد وإن قعرها بعيد وأن  
مقامها حديد . والبراء وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه والبيهقي لو أن حجراً قذف به في  
جهنم لتهوى بها سبعين خريفاً قبل أن يبلغ قعرها . ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال

(١) آية (٢٢) سورة المزلاب  
(٢) ضعيف - حمد ٦٥ ، والرمذي (٣١٦٤) ، وصحيف الجامع (٦١٤٨)

الله سبحانه وبجبه فقال النبي ﷺ أتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا  
 من جهنم منذ مبينين غريباً فالأن حين انتهى إلى فصرها . والطيراني عن أبي  
 صبي الله عنه قال سمع رسول الله ﷺ صوتاً هاله فأثابه جبريل . عليه السلام .  
 ﷺ : ما هذا الصوت يا جبريل ، فقال هذه صخرة هوت من شعير جهنم من  
 حين يلبث فيها فاحبب الله تعالى أن يسمعك صوتها . فما روى رسول الله  
 ﷺ فيه حتى قبضه الله عز وجل . وأحمد والترمذي وحسنه لو أن وصاصة مثل هذه  
 منحة أرسلت من السماء إلى الأرض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبغلت الأرض  
 منها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين غريباً الليل والنهار قبل أن تبلغ  
 . أحمد وأبو يعنى والحاكم وصححه لو أن مقعماً من حديد جهنم وضع في الأرض  
 لفلان ما أقلوه من الأرض ، والحاكم وصححه لو ضرب الجبل بمقمع من حديد من  
 جهنم لفلان ما أقلوه من الأرض ، والمقمع المطرق ونيل السوط ) وابن أبي الدنيا أن الحجر الواحد منها  
 لو أنه في جبل الدنيا لذببت منه وأن مع كل انسان منهم حجراً وشيطاناً . والحاكم وصححه  
 أن السبع بين كل أرض ، والتي تليها مسيرة خمسمائة عام فالعالميا عليها على ظهر حوت  
 قد انشور هو في السماء والحيوت على صخرة والصخرة بيد ملك والثابتة مسجن الرياح فلما أراد  
 الله تعالى أن يهلك عاداً أمر خازن الرياح أن يرسل عليهم ريحاً تهلكهم قال يارب أرسل عليهم من  
 الرياح ، فخرقوا ، قال له الجبار تبارك وتعالى إذ تكلم الأرض ومن عليها ولكن  
 أرسلهم بقلوب ختمت فهي التي قال الله في كتابه العزيز ﴿ مَا تَقْرَأُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَهُ كَالظَّهِيرِ ﴾<sup>(١)</sup> والثالثة فيها حجارة جهنم ، والرابعة فيها كبريت جهنم ، قالوا يا رسول الله النار  
 كبريت . نعم والذي نفسي بيده إن فيها لأودية من كبريت لو أرسل فيها الجبال الرواسي  
 لماء . الخامسة فيها حيات جهنم أن أمواتها كالأودية تلعب الكافر اللسعة فلا يلقى منه لحم  
 عا . واللسعة فيه عقارب جهنم أن أدنى عقرب منها كالبحال للوكفة تضرب الكافر  
 من حيث لا يشك . والسادسة فيها إيليس مصعد بالخيل يد أماله ويد خلفه فإذا أراد  
 أن يمشي .

والضري وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه أن في النار حيات كأمثال  
 نسيج أحدهن اللسعة فيجدها حرها سبعين غريباً ، وأن في النار عقارب كأمثال  
 نسيج أحدهن اللسعة فيجدها حموها أربعين سنة . والترمذي وابن حبان في  
 صحيحه وصححه عنه ﷺ في قوله تبارك وتعالى : ﴿ كَالْمِئَلِ ﴾ قال كعكر الزيت فإذا  
 به سعة مروء وجهه فيه والترمذي وقال حسن غريب صحيح أن الحميم ليحب على

رأس الكافر فيبعد الحميم حتى يحسن إلى جوفه فيست ما في جوفه حتى يحرق من قدميه وهو  
 الصهر ثم يبعد كما كانت الحميم الماء ابحار الذي يحرق . وقال الضحك الحميم يعلى منذ خلق الله  
 تعالى الأرض إلى يوم يسقونه ويصب على رؤوسهم . وقيل هو ما يجتمع من دموع أعينهم في  
 حياض النار فيسقونه ، وقيل غير ذلك وهو المذكور في قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا  
 فَقَطَّعَ أَمْعَاهُمْ ﴾<sup>(١)</sup> . وأحمد والترمذي وابن حبان وصححه وقال صحيح على شرط مسلم عنه  
 ﷺ في قوله تعالى : ﴿ وَسُقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ﴾<sup>(٢)</sup> يجره زلاً يكاد يسبغه<sup>(٣)</sup> قال يقرب إلى فيه  
 فيكرهه فربما دنا منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فإذا شربه قطع أمعاه حتى يخرج من دبره  
 وقال الله عز وجل : ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاهُمْ ﴾ وقال جل ذكره : ﴿ وَإِنْ يَسْأَلُوكَ بِالنَّارِ  
 بَعْدَ كَيْفَ تَبَدَّلَ فِيهَا الْوُجُوهُ بَلَى أَشْرَبُ ﴾ . وأحمد والحاكم وصححه لو أن دلوا من شياق يهرق  
 في الدنيا لأتت أهل الدنيا والغسق وهو المذكور في قوله تعالى : ﴿ فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾<sup>(٤)</sup>  
 وقوله تعالى : ﴿ إِلَّا خَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾ واختلف فيه لعند ابن عباس . رضي الله عنهما . هو ما يسيل  
 من جلد الكافر ونحوه وعند آخرين هو صليلهم ، وقال كعب هو عين في جهنم يسيل إليها حمة  
 كل ذات حمة من حبة أو عقرب أو غير ذلك فيستقع فيوتى بالأدنى فيخمس فيها خمسة واحدة  
 فيخرج وقد سقط جلده ولحمه عن العظام ويتعلق جلده ولحمه في عقيه وكعبه فيجر لحمه كما  
 يجبر المرء ثوبه . والترمذي وقال حسن صحيح أنه ﷺ قرأ هذه الآية ﴿ أَتَقْرَأُ اللَّهُ شَيْءًا تَلْكِهِ وَلَا  
 تَمُوتُ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ فقال ﷺ لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على  
 أهل الدنيا معاشهم فكيف بمن يكون طعامه ، وفي رواية فكيف بمن ليس له طعام غيره ، وصح  
 عن ابن عباس . رضي الله عنهما . في قوله تعالى : ﴿ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ ﴾<sup>(٥)</sup> شوك يأخذ بالخلق  
 لا يدخل ولا يخرج ، والشيخان ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب السريع ، والمكب  
 مجميع رأس الكتف والمضد ، وأحمد ضرر الكافر مثل أحد ، وخصنه مثل الياء أي وهو جبل  
 ومقدمه من النار كما بين قديد ومكة أي نحو ثلاثة أيام وكشافة جلده اثنان وأربعون ذراعاً يتراع  
 الجبار أي ملك باليمن له ذراع معروف للقتل . كلما قال ابن حبان وغيره . وقيل ملك بالمعجم .  
 وروى مسلم ضرر أن قال باب الكافر مثل أحد وغلف جلده مسيرة ثلاث . والترمذي ولفظه  
 قال رسول الله ﷺ : « ضرر الكافر يوم القيامة مثل أحد وفحلده مثل البيضاء ومقدمه من النار  
 مسيرة ثلاث من الريلة أي كما بين المدينة والريلة »<sup>(٦)</sup> . وأحمد بسند جيد : ضرر الكافر يوم  
 القيامة مثل أحد وعرض جلده سبعون ذراعاً وعرضه مثل البيضاء وفحلده مثل ورقان ومقدمه من  
 النار ما بين وبين الريلة . وفي رواية ومقدمه من النار مسيرة ثلاث مثل الريلة . وأحمد

(١) آية (١٦ - ١٧) سورة إبراهيم  
 (٢) (حسن) الترمذي (٢٥٧٨)

(١) سورة محمد  
 (٢) سورة الرعد (١٣)



يسهوا ولا مروءة لكدوب ولا راحة لحسود ، ولا إغناء لملوك ، ولا مؤددة لسي الخلق ، يا ابن رسول الله ردى ، قال يا سفيان كعب عن محارم الله تكن علينا وأرض بما قسم الله لك تكن مسلماً ، وأصحاب الناس بما تحب أن يصحبوك به تكن مؤمناً ، ولا تصحب الفاجر فيعلمك من مجوره أى الحديث المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل وشاور فى أمرك الدين يحثون الله ، قلت يا ابن رسول الله ردى ، قال يا سفيان من أراد عربلاً عشرة وعية بلا سلطان عليخرج من معصية له إلى طاعة الله . قال يا ابن رسول الله ردى ، قال أديبى أبى بثلاث قال لى أى بنى إن من يصحب صاحب سوء لا يسلم ، ومن يدخل مدخل السوء يتهم ، ومن لا يملك لسانه يندم . وقال ابن المبارك سألت وهيب بن الورد أيجد طعم العبادة من معصى الله تعالى ، قال لا ولا من يهيم بمعصية الله تعالى . وقال الإمام أبو الفرج بن الجوزى الخوف هو النار المحرقة للشهوات فإذا مضيك يقدر ما يحرق من الشهوة ويقدر ما يكف من المعصية ويحث على الطاعة وكيف لا يكون الخوف إذا هو فضيلة وه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة والأعمال العاقلة التى يتقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى كما علم من الآيات والأخبار كتسوله تعالى : ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِأَرْبِهِمْ يُوقِنُونَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَخَالِفُوا إِذْ تَقُولُ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ فَخْلًا ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَلَمَنْ خَلَفَ مِنْكُمْ فِي الْغَنَاءِ ﴾ وقال تعالى : ﴿ مَذْكُورٌ مَنْ يَخْفَى ﴾ وكل مدله من الآيات والأحاديث على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف لأن الخوف ثمرة العلم . وأخرج ابن أبى الدنيا أنه عليه السلام قال : إذا أقشمت جسد العبد من محبة الله عز وجل ثمانمائة عه خطايا كما يتحات من الشجرة اليابسة ورقها .

وقال عليه السلام قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ وقال أبو سليمان الداراني كل قلب ليس فيه خوف الله فهو خراب وقد قال الله تعالى : ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ .

### الباب الثالث والخمسون

#### فى بيان فصل التوبة

جاء فى فصل التوبة آيات كثيرة كقوله تعالى ﴿ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَكُمْ تَفُتُّونَ ﴾ وقوله - ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَنُفِثْ إِلَى الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَحُلِدْ فِيهِ مُهْلًا ﴾ (٣٤) إلا من تاب وآتى وعسى عملاً صالحاً فما أولئك يدُلُ اللَّهُ صِيغَتَهُمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٣٥) ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً ﴿

والأحاديث من ذلك كثيرة أخرج مسلم : وأن الله يسطر به بالليل ليطوب من الهار ويسطر به بالنهار ليطوب من الليل حتى تطلع الشمس من مغربها (١) . والترمذى وصححه أن من قبل المغرب ليأبى مسيرة عرصة أربعون عاماً أو سبعون سنة فتحمه الله عز وجل للتوبة يوم خلق السموات والأرض فلا يفلقه حتى تطلع الشمس منه . وصحح أيضاً أن الله تعالى جعل بالمغرب باباً عرصة مسيرة سبعين عاماً للتوبة لا يملئ ما لم تطلع الشمس من قبله . وذلك قوله تعالى ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ أُمَّةٍ بِبَعْضٍ رُبِّكَ لَا يَفْعَلُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا ﴾ (٢) الآية . قبل وليس فى هذه الرواية ولا الأولى تصحيح برلمه كما صرح به البيهقى . انتهى . ويجاب بأن مثل هذا لا يقال من قبل الرأى منه حكم المرفوع ، والطبرانى يستند جيد لدجنة ثمانية أبواب مبيعة مغلقة وباب مقترح للتوبة حتى تطلع الشمس من نحره ، وابن ماجه يستند جيد لو أخطأتم حتى قيلغ غطايكم السماء ثم تبتم لقلب الله عبيكم والحاكم وصححه : من سعادة المرء أن يطول عمره ويرزقه الله الإنباء (٣) والترمذى وابن ماجه والحاكم وصححه : كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون ، والشيطان أن عبداً أصاب ذنباً فقال يارب إني أذبت ذنباً فاغفره لى فقال له ربه علم عبدي أن له ربا يغفر الذنوب ويأخذ به يغفر له ، ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنباً آخر فقال يارب إني أذبت ذنباً آخر فاغفره لى فقال له ربا يغفر الذنوب ويأخذ به يغفر له ، ثم مكث ما شاء الله تعالى ثم أصاب ذنباً آخر وربما قال أذبت ذنباً آخر فاغفره لى فقال يارب إني أذبت ذنباً آخر فاغفره لى فقال له ربا يغفر الذنوب ويأخذ به ، فقال ربه غفرت لعبدي فليعمل ما شاء . قال المنذرى قوله فليعمل ما شاء معناه والله أعلم أنه ما دام كلما أذنب ذنباً استغفر وتاب منه ولم يعد إليه بدليل قوله ثم أصاب ذنباً آخر فليعمل إذا كان هذا ما شاء لأنه كلما أذنب كانت توبته واستمراره كفارة لذنبه فلا يضره لا أن الممتنى أنه أذنب الذنوب فيستغفر منه بلسانه من غير إقلاع ثم يعاوده فإن هذه توبة للكافرين .

وروى جماعة وصححوه إن المؤمن إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء فى قلبه فإن تاب وتزع واستغفر صقل منها وإن زاد زادت حتى يملأ بها قلبه هنالك الزلل الذى ذكره الله فى كتابه : ﴿ كَلَّا بَلْ رَأَىٰ مَلَكَيْنِ مُّسْتَوِينَ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ والترمذى وحسنه أن الله يقبل توبة العبد ما لم يفرح أن تبلغ روحه حلقومه . والطبرانى يستند حسن لكن به انقضاء . والبيهقى يستند فيه مجهول عن معاذ قال أخذ بيدى رسول الله ﷺ فمضى ميلاً ثم قال يا معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووهاء العهد وأداء الأمانة وترك الخيانة ورحمة المشيم وحفظ الحوار وكظم الغيظ ولين الكلام

(١) صحيح (مسند) (٢٧٥٩)

(٢) آية (١٥٨) سورة الأعراف

(٣) صحيح (الحاكم) ٢ / ٢٤٠



عمل أهدب فلا شك في توثق ، فاطلق يريدها حتى إذا كان بين القريتين أفرقه الموت ، فسالت الملائكة وبها عنه فقال انظروا إلى أي القريتين كان أقرب فاكثروا من أهلها فوجدوه أقرب إلى بصرة فبد أمه فكتب من أهلها

### الساب الرابع والخمسون

#### في بيان النهي عن الظلم

قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ ظَلَمَ لِنَفْسٍ أَنْ يَنْفَلِتْ مِنْ مِقْدَارٍ فَلْيَقْضِ الْيَوْمَ الَّذِي يَخْلَقُ فِيهِ النَّفْسَ ظُلْمًا ۖ سَاءَ مَا يَحْكُمُ الْقَوْمَ الَّيْمُونَ ﴾ (١) وقال ﷺ : الظلم ظلمات يوم القيامة . وقال ﷺ : « من ظلم شبرا من أرض طوفه الله من سبع أرضين يوم القيامة . وفي بعض الكتب يقول الله تعالى : اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد له ناصرا غيري » (٢) .

ما أحسن قول بعضهم :

لا تظلمن إذا ما كتكت مقشرا • • • فالظلم يرجع عقباه إلى الدم  
تنام حينك والمظلوم منتصب • • • يدعو عليك وعين الله لم تتم  
وقول الآخر :

إذا ما الظلوم استوطأ الأرض مركبا • • • ولـجـجـ خلوا قبيح اكتسابه  
فكـله إلى صرف الزمان طرئة • • • سوري فـه ما لم يكن في حـسابه

وقال بعض السلف لا تظلم الصعفاء فتكون من شرار الأقوياء . وقال أبو هريرة - رضي الله عنه - أن الجباري لتموت هولا في وكرها من ظلم ظالم . وقيل مكتوب في التوراة ينادي مناد من وراء الحشر يعني الصراخ ، يا معشر الجبابرة الطغاة وبمعشر المترفين الأشقياء إن الله سيحلف بعزته أن لا ينجو هذا الحشر اليوم ظلم ظالم . وعن جابر - رضي الله عنه - قال لما رجعت مهاجرة الحبشة إلى رسول الله ﷺ قال ألا تحبروني بأعجب ما رأيتم في أرض الحبشة فقال قتيبة وكان معهم على يا رسول الله يسما يحي يوما جبوس إذا مرت بنا عجور من عجائرهم يحمل على رأسها قنة من ماء ، فمرت فمضى منهم مجمل إحدى يديه بين كفيها ثم دفعها فحرت المرأة على ركبتها وانكسرت قننها ، فلما قامت انفتحت إليه ثم قالت سوف تعلم يا فرد إذا وضع الله الكرسي لجميع الأولين والآخرين وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون سوف تعلم ما

(١) آية (٢٢٧) سورة القمر

(٢) (ضعيف) الدر المنثور ١ / ٣٥٣ ، وضعيف الجامع (٨٦٦)

أمرى وأمرك عنده غدا . قال فقال رسول الله ﷺ ما معناه كيف يرحم الله قوما ضاع الحق بينهم أو كما قال ، وقال ﷺ خمسة غضب الله عليهم إن شاء أمضى غضبه عليهم في الدنيا والآخرة بهم في الآخرة إلى النار : أمير قوم يأخذ حقه من رعيته ولا ينصفهم من نفسه ولا يدفع الظلم عنهم ، وزعيم قوم يطعمونه ولا سوى بين القوي والضعيف ويتكلم بالهوى ، ورجل لا يأمر أهله وولده بطاعة الله ولا يعمهم أمر دينهم ، ورجل استأجر أجيرا فاستعمله ولم يوفه أجره ، ورجل ظلم امرأة في صداقتها ، وعن عبد الله بن سلام - رضي الله عنه - أنه قال أن الله تعالى لا يخلق الخلق واستوتوا على أنفسهم رفعوا رموسهم إلى الله وقالوا يا رب مع من أنت ، قال مع المظلوم حتى يؤدي إليه حقه .

وعن وهب بن عتبة - رضي الله عنه - : بنى جبار من الجبابرة قصرا وشيده فجاءت صجور مقبرة فينت إلى جانبه شيئا تأتي إليه فركب الجبار يوما وطاف حول القصر فرأى بناءها ، فقال لمن هذا فقيل لامرأة فقيرة تأتي إليه فأمر بهدمه ، فجاءت الصجور فرأته مهذوما فقالت من هدمه فقيل لها لذلك رأته فهدمه ، فرفعت للصجور رأسها إلى السماء وقالت يا رب أنا لم أكن حاضرة فأتت أين كنت ، قال فأمر الله عز وجل أن يقلب القصر على من فيه فقلبه .

وقيل لما حبس بعض البرامكة وولده قال يا أبت بعد المعز صرنا في القيد والحبس ، قال يا بني دعوة مظلوم سرت ليبل خلفك عنها ولم يخف الله عنها . وكان يزيد بن حكيم يقول ما هبت أحدا قط هبتي رجلا ظلمته وأن أعلم أنه لا ناصر له إلا الله يقول في حسيب الله ، الله بيني وبينك

وعن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال يحيى لظالم يوم القيامة حتى إذا كان على جسر جهنم ملقيه المظلوم وحرف ما في ظلمه بما يجرح الذين ظلموا بالذين ظلموا حتى ينزعوا ما بأيديهم من الحسنات فإن لم يجدوا لهم حسنات حملوا من سيئاتهم مثل ما ظلموهم حتى يردوا الدرك الأسفل من النار . وعن عبد الله بن أنيس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : يحشر العباد يوم القيامة حفاة عراة غرلا بها فيناديهم مناد بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب ، أنا الملك الديان لا يهفي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولا يهفي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وعند مظنة حتى التهمة فما فوقها ولا يظلم ريك أحدا ، قلت يا رسول الله كيف وإنما ماني حفاة عراة غرلا بهما ؟ قال بالحنسات والسيئات جزاء وفا ولا يظلم ريك أحدا . وعنه ﷺ أنه قال : من ضرب موطأ ظلم ، اقتضى منه يوم القيامة

وعا ذكر أن كسرى اتخذ مؤذيا لولده يذمه ويؤذيه فلما بلغ العاية في الفضل والأدب استحضره المؤذبه يوما وضمه خربا وجيما من غير جرم ولا سب ، فعقد الولد على المعلم إلى

أن كرم ومات أبوه فتولى حديث بعده ، فاستحضر المعلم وقال له ما حدثك على أن تصرى من يوم كذا صبراً وحجماً من غير جرم ولا سب ، فقال له المعلم أعلم أيها الملك أنك لما بلغت العتبة في المصل والادب علمت أنك تملك الملك بعد أبيك فأردت أن أذهبك طعم الصرب وألم الظلم حتى لا تعلم أحد بعد فقال له جزاك الله خير ثم أمر له بجائزة وصرفه .

### أبواب الخافض والحسنون

#### فى النفس عن ظلم اليتيم

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۖ ﴾ (١) قال قتادة نزلت في رجل من غطفان ولى مال ابن أخيه وهو صغير يتيم فأكله وقوله ظلماً أى لأجل أو حال كونهم ظالمين خرج به أكلها بحق كأكلي الولي بشرطه المقررة في كتب الفقه . قال تعالى : ﴿ وَمَنْ كَانَ فِتْنًا فَلْيُتْلَفْ وَمَنْ كَانَ فَظِيْرًا فَلْيُكَلِّمْ بِالْمَعْرُوفِ ۖ ﴾ (٢) أى بمقتل الحاجة فحسب أو بأن يأخذ قرضاً أو بقدر أجره عمله أو إن اضطر فإن أسرو قضاؤه وإلا فهو في حل . وقد نه تعالى على تأكيد حق الأيتام ومزيد الاعتناء به بقوله قبل هذه الآية : ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ فَرَغُوا مِنْ ظُلْمِهِمْ فُرْيَةً مِمَّا خَالَفُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَتَقَرُّوْا قَوْلًا مِّنْهُ يَدُلُّ ۖ ﴾ (٣) إذا المراد بشهادة السياق خلافاً لمن حمل الآية على أنها في الوصية يأكثر من الثلث أو نحو ذلك الحمل لمن كان في حجة يتيم على أنه يحسن إليه حتى في الخطأ فلا يخاطبه إلا ينحو . يا بنى ، مما يخاطب به أولاده ، ويفعل معه من البر والمعروف والإحسان والقيام في ماله ما يجب أن يفعل بماله ويلزمه من بعده فإن الجراء من جنس المصل ﴿ نَبَأَكَ يَوْمَ الَّذِينَ ﴾ أى الجراء كما تدعى تدان أى كما تفعل يفعل معك يمس الإنسان آمن متصرف في مال العير وعلى أولاد غيره وإذا بالموت قد حل به فيجبره الله تعالى في ماله وذريته وحياله رسائر تعلقاته بنظير ما فعل مع غيره إن خيراً أو خيراً وإن شراً فليحش العاقل ربه ويتصرف على الأيتام الذين في حجره بما يجب أن يتصرف ولى أولاده لو كانوا أيتاماً عليهم في ماله .

وجاء أن الله تعالى أوحى إلى داود صلى الله على نبيته وعليه وسلم . يا داود كن لليتيم كلاب الرحيم ، وكى للأرملة كالزوج الشقيق واعلم أنك كما تزرع كذا تحصد أى كما تعمل يعمل معك إذ لا يدان تموت ويبقى لك ولد يربى وامرأة أرملة . وجاء في التشديد في أموال اليتامى والظلم فيها أحاديث كثيرة موافقة لما في الآية من ذلك الوعد الشديد تعديراً للناس عن هذه

(١) آية (٦٠) سورة الباء  
(٢) آية (٩) سورة النساء .

(٣) آية (٦) سورة النساء

العامحة الوخيمة المهلكة ، أخرج مسلم وغيره : أنها ذر لرك ضعيفاً وإنى أحب لك ما أحب نفسي لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال اليتيم . والشيخان وغيرهما : اجتنبوا السبع الموبقات أى المهلكات قالوا يا رسول الله وما هن ، قال الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم . . الحديث واليزار : الكبار سبغ الإفتراك بالله ، وقتل النفس بغير حق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم . . الحديث ، والحاكم وصححه أربع سنن على أنه أن لا يدخلهم الجنة ولا يذهبهم نعيمها : فمن خمر ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم بغير حق ، والعاق لوالديه . وابن حبان في صحيحه أن من جملة كتابه ﷺ الذى أرسله مع عمرو بن حزم إلى أهل اليمن وأن أكبر الكبار عند الله يوم القيامة الإشتراك بالله ، وقتل النفس المولعة بغير حق ، والفرار في سبيل الله يوم الزحف ، وعقوق الوالدين ورمى للمحصة ، وتعلم السحر ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم .

وأبو يعلى يبعث يوم القيامة قوم من قبورهم تاجع أرواهم ناراً ، فقبل من هم يا رسول الله . ألم تروا أن الله يقول . ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ ﴾ وفى حديث المصراع عبد مسلم فإذا أنا برجال قد وكل بهم رجال فيكون لحاهم ، وأخرون يجيئون بالصخور من النار فيشقونها في أرواهم فتخرج من أديارهم ، فقلت يا جبريل من هؤلاء قال الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً ، وفى تفسير القرطبي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال : رأيت ليلة أسرى من قوم لهم مشافر كمشافر الإبل وقد وكل بهم من يأخذ مشافهم ثم يجعل في أرواهم صخوراً من نار تخرج من أسفلهم ، فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هم الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً .

### أبواب السادس والخمسون

#### فى بيان ذم الكبر

ذكر عما ورد في ذم الكبر زيادة ما تقدم لشوبه وسوء عاقبته فهو أول معصية وقعت من إبليس فلعنه الله وطرده من جنة عرضها السموات والأرض إلى عذاب السمير . وفى الحديث القدسي : الكبرياء رهائن ، والعظمة إزارى ، فمن نازعنى في واحد منهما نصمت ولا أبالي . وورد يحشر المتكبرون أمثال الذر في صور الرجال يشاهدون الدل من كل مكان ويسقون من طينة حبال وهى عصارة أهل النار . وقال ﷺ : ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم ، شيخ زان وملك جائر ، وعائل مستكر . وعن عمر - رضى الله عنه - أنه رأى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ تَقَى اللَّهَ أَهْدَقَ الْعَرَةَ بِالْإِثْمِ ﴾ فقال إنا لله وإنا إليه راجعون . قام رجل يأمر



معرفة من قدم حر فقات تقتلون الذئب بأمر من المعروف فقتل المتكبر الذي خافه والذي أمره كرس من مسعود كمن بالرجل إثم إذا قيل له اتق الله ، قال عليك مسكت ، وقال ﷺ لرجل كى يبيت قال لا استطيع ، فقال النبي ﷺ لا استطعت فما منته إلا كبره قال مما رفعها بعد ذلك إلى فيه أى اعتلت يده ، وروى أن ثابت بن قيس بن شماس قال يا رسول الله إني أمرت جيب إلى من أحمال ما ترى أنتم الكبر هو ؟ فقال ﷺ لا ولكن الكبر بطن الحق وغمض الناس أى اذرائهم واستحقاقهم وهم عباد الله أمثاله أو غير منه .

قال وهب بن ميه لما قال موسى - عليه السلام - لعمرو بن أميرون ملكك ، قال حتى أشاور همام مشاور همام ، فقال همام يسمي أنت رب تعبد إذا أنت عبد تعبد فاستنكف عن عبوديته وعن اتباع موسى فأمره الله .

وقالت قريش فيمما أخبر الله عنهم : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْشِ عَظِيمٍ ﴾ قال قتادة عظيم القريش هو الوليد بن المغيرة وأبو مسعود الثقفي طليبا من هو أعظم رئاسة من النبي ﷺ إذ قالوا غلام يتيم كيف بعث الله الياسا فقال تعالى : ﴿ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ ثم أخبرهم الله عن تعجبهم حين دخروا النار إذ لم يرو فيها الذين ازدوهم كأهل الصفة ، فقالوا ما لنا لا نرى رجلا كنا نعلمهم من الأشرار ، قيل يمتنون عصارا ويلالا وصهيا والمقداد - رضى الله عنهم - ، قال وهب - رضى الله عنه - العلم كالغيث ينزل من السماء حارا صافيا فتشربه الأشجار بفروعها فتحوله على قدر طعموها فيرداد المر مرارة والحلو حلالة ، فكذلك العلم يحفظه الرجال على قدر هممها وأمرائها فيريد التكبر كبرا والتواضع تواضعا وذلك لأن من كانت همته الكبر وهو جاهل فزاد حبط العلم وجد ما يتكبر به فزاد كبرا وإذا كان الرجل خائفا مع جهله فزاد علما علم أن الحجة قد تأكدت عليه فيرداد خوفا واشفاقا وتواضعا ولذلك قال ﷺ فيما رواه العباس - رضى الله عنه - يكون قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن أقرأ منا ، ومن أعلم منا ، ثم انفت إلى أصحابه وقال أولئك منكم أيها الأمة أولئك هم وقود النار .

وروى أن رجلا ذكر بخير للنبي ﷺ فأقبل ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذي ذكرناه لك فقال إني أرى في وجهه سعة من الشيطان فسلم ووقف على النبي ﷺ فقال له نبي ﷺ أسألك بالله حديث مسكت أن ليس في القود أعص منك ، قال اللهم نعم قرأى رسول الله ﷺ بنور النبوة ما استكن في قلبه سعة في وجهه . قال الحارث بن جزء الزبيدي صاحب رسول الله ﷺ يمجى من القراء كل مضحك فأما الذي للقاء يشر ويلقاك ببوس يمن عليك بعلمه فلا أكثر الله في المسلمين مثله

روى عن أبي ذر - رضى الله عنه - أنه قال قبلت رجلا عند النبي ﷺ فقلت له يا ابن السوداء فقال النبي ﷺ : « يا أبا ذر طيب الصنع ، لم الصانع ليس لابن أبيصاء على من السوداء فضل » (١) . فقال أبو ذر رحمه الله فاضجعت وقلت للرجل قم لطا عي خدي . وقال كرم الله وجهه من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الدار فليتنظر إلى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام . قال أنس لم يكن شخص أحب إلى أصحابه من رسول الله ﷺ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كرامته لذلك . وكان رسول الله ﷺ في بعض الأوقات يمشي مع بعض الأصحاب فيأمرهم بالتقدم ويمشون فيهم ، إما لتعليم غيره أو ليفتن من نفسه وساوس الشيطان بالكبر والعجب .

### الباب السابع والخمسون

#### فصل فضل التواضع والقناعة

قال رسول الله ﷺ : ما زاد الله عبدا بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفعه . وقال ﷺ : طوبى لمن تواضع في غير مسكنة ، أنفق مالا جمعه في غير معصية ورحم أهل المال والمسكنة ، خالطوا أهل العفة والحكمة » (٢) . وروى أن النبي ﷺ كان في نفر من أصحابه في بيته يأكلون ، فقال سائل على الباب وبه زمارة يتكره منها فادن له فلما دخل أجلسه رسول الله ﷺ على فخذه ثم قال له أطعم فكان رجلا من قرش اشعأذ منه وتكرهه فما مات ذلك الرجل حتى كانت به زمارة . وقال ﷺ : خيرني دى بين أمرين أن أكون عبداً رسولاً أو ملكاً نبياً فلم أدر أيهما أحلر وكان صفى من الملائكة جبريل فرفعت وأسى إليه ، فقال تواضع لربك فقلت عبداً رسولاً . وأوحى الله تعالى إلى موسى - عليه السلام - إنما أقبل صلاة من تواضع لعظمى ولم يتعظم على خلقه وألزم خوفى . وقال ﷺ : « الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى » (٣) .

وقال المسيح - عليه السلام - : طوبى للمتواضعين في الدنيا هم أصحاب النابر يوم القيامة ، طوبى للمصلين بين الناس في الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة ، طوبى لمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون إلى الله تعالى يوم القيامة . وقال بعضهم بلغنى أن النبي ﷺ قال إذا هدى الله عبداً للإسلام وحسن صورته وجعله في موضع غير شائن له ووزقه مع ذلك تواضعا فذلك من صفوة الله . وقال ﷺ أوسع لا يعطيه الله إلا من أحب ، الصمت وهو أول العبادة ، والتوكل على الله ، والتواضع ، والزهد في الدنيا .

(١) مشكل لأثر ٤ / ٣٦٣ - ٣٦٥

(٢) صيف ١ / ١٨٢ ، وصيف الجامع (٣٦٨٢)

(٣) صيف ٨ / ٣٥٢ ، وصيف الجامع (١٢٩٩) .

ويرى أن رسول الله ﷺ كان يطعم لجهاء ويحل أسوديه جذري قد قشر فجعل لا يحمل إلى أحد إلا قام من جبهه ، فأجلسه إليه النبي ﷺ إلى جبهه ، وقال ﷺ إنه لمعجبى أن يحمل الرجل الشيء في يده يكون مهنة لأهله يدفع به الكبر عن نفسه . وقال ﷺ لأصحابه يوماً ما لي لا أرى عبيكم حلاوة العباد ، قالوا ما حلاوة العباد ، قال التواضع وقال ﷺ : « إذا رأيتم المتواضعين من أمتي فتواضعوا لهم ، وإذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فإن ذلك مذلة لهم وصغار » (١) . ومن أحسن ما قيل شعراً :

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر \* \* \* على صفحات الماء وهو رفيع  
ولا تك كالدهان يعلو بنمه \* \* \* على طبقات الجو وهو وضع

وعما جاء في فضل القناعة زيادة على ما تقدم

قال ﷺ عز والمزمن استعازه من الناس لعمى الفاقة الحرية والعز ولذلك قيل استمن عمن شئت تكن نظيره ، واحتج إلى ما شئت تكن أسيره ، وأحسن إلى من شئت تكن أميره ، قليل يكفيك خير من كثير يطعبك . وقال بعضهم ما ريت في الفضل من القناعة ولا فقر أشد من الرغبة وأنشد :

أفادتني القناعة ثوب عز \* \* \* وأبى غنى أمز من القناعة  
فصيرها لنفسك رأس مال \* \* \* وصير بعدها التقوى بضاعة  
تجسد ويحين تمنى عن خليل \* \* \* وتعم في الجنان بصبر ساعة  
وقال آخر :

تنبع النفس بالكفاف وإلا \* \* \* طلبت منك فوق ما يكفيها  
إثما أنت طموح حمرك ما \* \* \* عمرت في الساعة التي أنت فيها  
وقال آخر :

إذا الرزق عنك نأى فاصطبر \* \* \* ومنه انتفع باللى قد حصل  
ولا تنسب النفس في تحصيله \* \* \* فإن كان ثم نصيب وصل  
وقال آخر :

(١) المراتل للجمعة ( ٢٥٣ ) ، وتذكرة للخواص ( ١٩١ )

إذا أعطشتك أكف اللثام \* \* \* كفنتك القنعة شبعاً ودياً  
مكن رجلاً رجله في الثرى \* \* \* وهامته همته في الثرى  
وقال آخر :

يا طالب الرزق الهني بقوة \* \* \* تقيها أنت يبطل مشغوف  
رعت الأسود بقوة جيف الملا \* \* \* ورعى الذباب الشهد وهو ضعيف

كان رسول الله ﷺ إذا أصابته خصاصة قال لأهله : قوموا إلى الصلاة . ويقول أمرت بهذا ويقراً : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ (١) الآية . . .  
وأنشدوا :

دع التهاات في الدنيا وزيتها \* \* \* ولا يفرتك الإكثار والجشع  
والنع بما قسم الرحمن وزعه به \* \* \* إن القناعة مال ليس يخطع  
وحل ربك فغبول العيش أجمعها \* \* \* ليس فيها إذا حققت متنع

ومن كلام الحكماء ليست العزة في حسن البزة فإن التعم باليس الثياب والتجمل بحسن الزي يشغل العبد حتى لا يعبأ بشيء من أمر دينه ميلاً لذياه وقلماً يخلو صاحبه من العجب . وأنشد بعضهم :

رغبت من الدنيا بلقمة بالنس \* \* \* وليس عباء لا أن سد سواهما  
لأنى رأيت الدهر ليس بلقمة \* \* \* فدهرى وعمري فتيان كلاهما

### الباب الثامن والخمسون

#### في بيان غرور الدنيا

جميع أحوال الدنيا مصروفة إلى ما يسوء وير فليست مساهنة لجميع أهلها وإنما هي متلوة على ما اقتضته حكمة الحكيم . قال سبحانه : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْطِئِينَ ﴾ (٢) إلا من رحم ربك (٣) قال بعض الفسرين مختلفين في الرزق يريد اختلافهم في الغنى والفقر فمن الواجب على من ساعدته دنياه وأغنىها له مولاه أن يتلقى ذلك بشكره ويتوجه إليه بصناعة

(٢) آية ( ١١٨ - ١١٩ ) سورة هود

(٣) آية ( ١٣٢ ) سورة طه

المعروف فإياها تقى مصارع السوء ولا يخترب بئنها وكفى بقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَفْرُقُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَلَا تَفْرُقُوا مَا لِلَّهِ الْغُرُورُ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنَكُمْ أَنْفُسُكُمْ وَتُؤْتِكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا لَافِيَةٌ ﴾ الآية . . تنصيرا من الغرور بها . وقال ﷺ : « حيلنا نوم الأكليس وفطرهم كيف يفتطون سهر الحمقى ولجهادهم ولشغال ذرة من صاحب نقوى ويقين أفضل من ملء الأرض من المعترين » (١) وقال ﷺ لكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمل .

وقال الشاعر :

ومن يحمى الدنيا لشئ يسره ••• فسوف لعمري عن قليل يلومها  
إذا أدبرت كانت على المرء حرة ••• وإن أتيت كفت كثيرا همومها  
وقال آخر :

تالله لو كانت الدنيا بأجمعها ••• تبقى علينا وبأنى وزئها رغدا  
ما كان في حق حمر أن يذل لها ••• فكيف هى متاع يفسد هذا  
وأشد ابن بسام :

أف الدنيا ولا يسهل ••• فاتها المحزون مطرقة  
غمومها لا تنفخ سامة ••• حسن ملك فيها ولا موقرة  
يا حجابا منها ومن شأنها ••• مدوة الناس معشوقة  
وأشد آخر :

وقد للة أرى الأيام تعطى ••• لنام النفس من رزق حشيت  
ونعم من له شرف وفضل ••• فقلت لها على أصل الحديث  
رأت جمل المكاسب من حرام ••• فجادت بالحديث على الحديث  
وأشد آخر أيضا :

سئل الأيام ما فعلت بكسرى ••• وقبصر وفتصور وساكنها  
أما استبدتكم للبين طرا ••• فلم تدع الخليم ولا السفىها

وحكى أعرابيا تزل يقوم فقدموا إليه طعام فأكل ثم نام فى ظل خيمتهم فاقبلوا الخيمة فأصابه حر الشمس فارتجفت فارتجعت وهو يقول .

الا إنما الدنيا كظل بنيمته ••• ولا بد يوما أن ظلك زائل  
وقال أيضا :

الا إنما الدنيا مثيل لراكب ••• قضى وطرا من منزل ثم هجر

وقال بعض الحكماء لصاحب له : قد أسعك الدناى . وأطرد إليك الطالب ولا أحد أعظم رزية من ضيق اليقين واخطاه العمل . وقال ابن مسعود كفى بخشية الله علما وكفى بالاختلال بالله جهلا . وقال رسول الله ﷺ : من أحب الدنيا وسر بها ذهب خوف الآخرة من قلبه . وقال بعضهم إن العبد يحاسب على التحرن على ما داته من الدنيا ويحاسب لفرجه فى الدنيا إذا قدر عليها ولقد كان السلف الصالح فيما أحل لهم أزهد منكم فيها حرم عليكم أن الذى لا بأس به عندكم كان من الموبقات عندهم ، وكان عمر بن عبد العزيز كثيرا ما يمثل بهذه الأبيات وهى لمسعين كدام :

نهلك يا مغرور نوم وغفلة ••• وليلتك نوم والردى لك لازم  
ينرك ما يعنى وتفرح بالنوى ••• كما غر باللدات فى اليوم حالم  
وشغلك فيها سوف تتركه حبه ••• كذلك فى الدنيا تعيش البهائم

الرب اسمع وانصت

### فى بيان ذم الدنيا والتحذير منها

روى عن أبي أمامة الباهلي أن ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا . قال يا ثعلبة قليل تؤذي شكره خير من كثير لا تلقىه . قال يا رسول الله ادع أن يرزقني مالا ، قال يا ثعلبة أما لك فى أسوة أما ترضى أن تكون مثل نبي الله تعالى أما والذي نفسى بيده لو شئت أن تسير معي الجبال ذهباً وفضة لسلوت . قال والذي بعثك بالحق نبيا لئن دهوت الله أن يرزقني مالا لأعطين كل ذي حق حقه ولا أعلن ولا أعلن .

قال رسول الله ﷺ : اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ بها فميت كما ينمو الدود ، فهاقت عليه المدينة فتتحي عنها منزل وأديا من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر فى الجماعة ويدع سواهما ، ثم مات وكثرت فتنتي حتى ترك الجماعة إلا الجمعة وهى تنمو كما ينمو الدود حتى

حتى ترك الجمعة وطلق يلقى الركبان يوم الجمعة يسألهم عن الأخبار في المدينة . وسأل رسول الله ﷺ عنه وقال : ما فعل ثعلبة بن حاطب ؟ فقيل يا رسول الله اتحد غصبا مضائق عليه المدينة وأحبروه بأمره كله فقال يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة قال وأنزل الله تعالى : ﴿ خذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ وأنزل الله تعالى قرأ الصلوة الصدقة طبعث رسول الله ﷺ رجلا من جبيته ورجلا من بني سليم على الصدقة وكتب لهما كتابا بأخذ الصدقة وأمرهما أن يخرجاهما أخذ الصدقة من المسلمين . وقال : مرا بـثعلبة بن حاطب وبفلان رجل من بني سليم وغدا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله ﷺ . فقال ما هذه الاجرية ما هذه إلا جرية ما هذه إلا تحت الجزية انطلقا حتى تفردا ثم تصردا إلى ، فانطلقا نحو السليم فسمع بهما فقام إلى غيل أسنان أبله فعزلهما للصدقة ثم استقبلهما بهما فلما رأياها قال لا يجب عليك ذلك وما نريد أن تأخذ هذا منك . قال بلى خذها نفسى بها طيبة وإنما هي لتأخذها فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بـثعلبة فسألاه الصدقة فقال أرياني كتابكما فتظر فيه ، فقال هذه تحت الجزية انطلقا حتى أرى رأيي ، فانطلقا حتى أتيا النبي ﷺ فلما رآهما قال يا ويح ثعلبة قبل أن يكلماه ودعا للسليم فأخبراه بالذي صنع ثعلبة وبالذي صنع السليم . فأنزل الله تعالى في ثعلبة : ﴿ وَهُمْ مِنْ عِندِ اللَّهِ فِي آثَانٍ مِنْ عَذَابِهِ لَنُصَنَّفَنَّ وَلَنَكُونُ مِنَ الْمُنْجَيْنِ ﴾ ﴿٢٥﴾ فلما أتاهم من فعله بخلوا به وتولوا وهم مغرورون ﴿٢٦﴾ فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ﴿٢٧﴾ وعند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة فسمع ما أنزل الله فيه فخرج حتى أتى ثعلبة ، فقال لا أم لك يا ثعلبة قد أنزل الله عليك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي ﷺ فسأله أن يقبل منه صدقته . فقال إن الله صمى أن أقبل منك صدقتك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال له رسول الله ﷺ هذا عملك أمرتك فلم تطعني فلما أبى أن يقبل منه شيئا رجع إلى مرله فلما قبض رسول الله ﷺ جاء بها إلى أبي بكر الصديق - وعرض الله عنه - فأبى أن يقبلها منه ، وجاء بها إلى عمر بن الخطاب - وعرض الله عنه - فأبى أن يقبلها منه ، وتوفي ثعلبة بعد خلافة عثمان .

وفد ووي عن جرير عن ليث قال صحب رجل عيسى بن مريم - عليه السلام - فقال أكون معك وأصحبك ، فانطلقا فأتتهما إلى شط نهر فجلب بتمديان ومعهما ثلاثة أرعفة مأكلا رعيين

(١) آية (٧٥-٧٧) سورة التوبة .

ورقي رعيث ثالث ، فقال عيسى - عليه السلام - إلى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد الرعيث ففر للرجل من أخذ الرعيث فقال لا أدري ، قال فانطلق ومعه صاحبه فرأى طيبة ومعهما خشمان نه . قال فدعا أحدهما فأناه فطبخه فاشتوى منه فأكل هو وبناك الرجل ، ثم قال للخشفت قم بإذن الله فقام فذهب ، فقال للرجل أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرعيث فقال لا أدري ثم أتتها إلى وادي ماء فأخذ عيسى بيد الرجل فمشيا على الماء جاوزاه ، قال له أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرعيث ، فقال لا أدري فأتتها إلى مفازة فجلسا فأخذ عيسى - عليه السلام - بجمع ترابا وكتيبا ثم قال كن فها يادن الله تعالى فصار فها قسمه ثلاثة أثلاث ، ثم قال لك لي وثلاث لك وثلاث لم أخذ الرعيث ، فقال أنا الذي أخذت الرعيث ، فقال كله لك وفارقه عيسى - عليه السلام - ، فأتته إلى رجلا في المفازة ومعه المال فأرخا أن يأخذاه منه ويقتلاه ، فقال هو بيننا أثلاث فابعدوا أحدهم إلى القرية حتى يشتري لنا طعاما تأكله ، قال فبشوا أحدهم ، فقال الذي بعث لأي شيء أقاسم هؤلاء هذا المال لكنني أضع في هذا الطعام سمعا فأقتلهم وأخذ المال وحدي ، قال ففعل وقال ذاك الرجل لأي شيء نجعل لهذا ثلث المال ولكن إذا رجعت قتلنا واقتسمنا المال بيننا ، قال فلما رجع إليهما قتلاه وأكلا الطعام فماتا بقيت ذك في المفازة وأولئك الثلاثة عنده قتلى ، فمهر بهم عيسى - عليه السلام - على تلك فقال لأصحابه هذه الدنيا فاحفروها .

وحكى أن ذا القرنين أتى على أمة من الأمم ليس بأبديهم شيء عما يستمتع به الناس من دنياهم قد احتجروا قبورا فإذا أصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها وصلوا عندها وروحوا اليقل كما تروح الهائم وقد قبض لهم في ذلك معاش من نبات الأرض ، وأرسل ذو القرنين إلى ملكهم فقال له أجب ذا القرنين فقال مالي إليه حاجة وإن كان له حاجة فليأتني : فقال ذو القرنين صدق فأقبل إليه ذو القرنين وقال له أرسلت إليك لتأتني فأيت بها أد قد جئت ، فقال لو كان لي إليك حاجة لأتيك فقال له ذو القرنين مالي أراكم على حالة لم أر أحدا من الأمم عليها ، قال وما ذاك قال ليس لكم دنيا ولا شيء أفلا أتخذكم الذهب والفضة فاستمتعتم بهما ، قال إنما كرهناهما لأن أحدا لم يطمع منهما شيئا إلا تافقت نفسه ودعته إلى ما هو أفضل منه ، فقال ما بالكم قد احتجروا قبورا فإذا أصبحتم تعهدتموها فكنتستموها وصليتم عندها ، قال أردنا إذا نظرنا إليها وأملنا الدنيا منتنا قبورا من الأمل ، قال وأراكم لا طعام لكم إلا البقل من الأرض أفلا تتخذكم البهائم من الأنعام فاحتجبتموها وركبتموها فاستمتعتم بها ، قال كرهنا أن نجعل بطونا قبورا لها ورأينا في نبات الأرض بلاعا وإنما يكنى ابن آدم أدنى العيش من الطعام وإلى ما جاوز الحنك من الطعام لم نجد له

طعما كائنا ما كان من الطعام ، ثم بسط ملك تلك الأرض يده خلف ذي القرنين فتناول جمجمة فقال يا ذا القرنين أتدري من هذا قال لا ومن هو قال ملك من ملوك الأرض أعطاه الله سبطانا على أهل الأرض فغشم وظلم وعتا فلما رأى الله سيحانه فلك منه حسمه بالموت فصار كالخجر الملقى وقد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه في آخرته ، ثم تناول جمجمة أخرى بالية فقال يا ذا القرنين هل تدري من هذا قال لا أدري ومن هو قال هذا ملك ملكه الله بعفه قد كان يرى ما يصنع الذي قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع وخشع لله عز وجل وأمر بالعدل في أهل مملكته فصار كما ترى قد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في آخرته ، ثم أهوى إلى جمجمة ذي القرنين فقال هذه الجمجمة قد كانت كهذين فانظرا يا ذا القرنين ما أنت صانع فقال له ذو القرنين هل لك في صحبتي فاتخذك أخا ووريرا وشريكا فيما أنأتى الله من هذا المال ، قال ما أصلح أنا وأنت في مكان ولا أن تكون جميعا ، قال ذو القرنين . ولم . قال من أجل أن الناس كنهم لك عدو ولي صديق ، قال ولم . قال بما دونك لما في يديك من الملك والمال ولا أجد أحدا يهاديني لرفضى لذلك ولما عتدى من الحاجة وقلة الشيء قال فأنصرف عنه ذو القرنين متحجبا منه ومتعتلا به .

وما أحسن قول القائل :

يا من جمع بالخيال وزينتها ••• ولا تام من اللذات حينه  
شغلته نفسك فيما ليس تدركه ••• تقول لله ماذا حين تلقاه  
وقول آخر :

حتبت علي الدنيا لرفعة عجايل ••• وتأخير ذي فضل فقلت خذ العدا  
بنو الجهل أبنائي لهذا رفعتهم ••• وأهل التقى أباء غررتي الأخرى  
وقول محمود الباهلي :

ألا إنما الدنيا على المرء فتنة ••• على كل حال أقبلت أو تولت  
فإن أقبلت فاستقبل الشكر دائما ••• ومهما تولت فاصطبر وتبت

\*\*\*

### الباب الستون

#### في فضل الصدقة

قال ﷺ : من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا طيبا وإن الله يقبلها بيمينه أي متبسة بيمينه ويركته ثم يريها لصاحبها كما يرى أحدكم مهره حتى أن اللقمة لتصير مثل أحد وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَطْمِئِنَّا بِاللَّهِ حَتَّى يَقْبَلَتِ الْتُّوبَةَ مِنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذَ الصَّدَقَاتِ ﴾ (١) ﴿ يَمْشِقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيَرِي الصَّدَقَاتِ ﴾ (٢).

ما مقصود صدقة من مال وما راد الله عبدا يمشق إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله عز وجل . وفي رواية للطبراني ما تصدقت صدقة من مال وما مد عبدا يده لصدقة إلا ألقيت في يد الله أي إلا قبلها الله تعالى ورفض بها قبل أن تقع في يد السائل ، وما فتح عبدا باب مسئلة له عنها حتى إلا فتح الله له باب يقر يقول العبد مالى مالى وإنما له من ماله ثلاث ما أكل فأنتى ، أو ليس فأنتى ، أو أعطى فأنتى ، وما سوى ذلك فهو فاهب وتاركه للناس .

وفي الخبر ما منكم من أحد ألا سيكلمه الله ليس بيه وبيته ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر أشام منه فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاه وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة . وقال ﷺ : « الصدقة تطفى الخبيثة كما يطفى الماء النار » (٣) .

يا كعب بن عجرة إن لا يدخل الجنة لحم ودم نبشأ على مسحت النار أولى به . يا كعب بن عجرة الناس عاديان فناد في فكاك نفسه فمعتقها وغدا فموبقها يا كعب بن عجرة الصلاة قربات والصوم جنة والصدقة تطفى الخبيثة كما يلهب الحديد عن الصفا . وفي رواية كما يطفى الماء النار .

إن الصدقة تطفى غضب الرب وتدفع ميتة السوء . وفي رواية أن الله ليس بأى يدلع بالصدقة سبعين بلجا من ميتة السوء . وفي الحديث كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس . وقيل يا رسول الله أى الصدقة أفضل ، قال جهد المقل وبدأ بمن نمود ، وقال ﷺ سبق درهم مائة ألف درهم فقال كيف يدرك ذلك يدركه الله فقال رجل له مال كثير أخذ من هرشه أى جانبته مائة ألف درهم وتصدق بها ورجل ليس له إلا درهمان أخذ أحدهما فتنصق به ، وقال ﷺ لا ترد سائلك ولو بظلف هو للبقر والعمم بمرة الجافر لعمرس .

سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله إلى أن قال رجل تصدق بصدقة فأحضاها حتى لا تعلم

(٢) آية (٢٧٦) سورة البقرة .

(١) آية (٩٠٤) سورة التوبة .  
(٣) حسن (الترمذي) (٦١٤)

شأنه ما نعت يمينه .

صائع المعروف تقى مصارع السوء وصدقة السر تطفى غضب الرب وصلته الرحم تزيد في العمر . وفي رواية للطبراني : صنائع المعروف تقى مصارع السوء والصدقة خفيا تطفى غضب الرب وصلته الرحم تزيد في العمر وكل معروف صدقة وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة ، وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة وأول من يدخل الجنة أهل المعروف . وفي أخرى له ولاحمد ما في الصدقة يا رسول الله أهداف مضاعفة وعند الله المزيدي ، ثم قرأ ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة ﴾ (١)

فيل يا رسول الله أي الصدقة أفضل قال : سرأ إلى فقير أو جهداً من مغل ثم قرأ : ﴿ إن تئذوا الصدقات فيما هي وإن تظفروا وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ﴾ (٢) الآية .

أيما مسلم كما مسلماً ثوباً على هري كساه الله تعالى من خضر الجنة ، وأيما مسلم أطمع مسلماً على جوع أطمعه الله من ثمار الجنة ، وأيما مسلم سقى مسلماً على ظمأ سقاه الله تعالى من الرحيق المختوم .

الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم أتان صدقة وصلته .

أي الصدقة أفضل قال على ذي الرحم الكاشح أي للظفر لعلاتك في كشحه أي خصمه كناية عن باطله .

ومن منح مبيحة لبن أي بأن أعطى لبوا لم يأكل لبنها ثم يردّها أو ورق أي أقرض دراهم أو هدى وفاقاً أي إلى الطريق كان له مثل حتى رقية .

كل غرض صدقة وفي رواية عند جماعة رأيت ليلة أسرى على باب الجنة مكتوباً الصدقة بعشر أمثالها والقرض بشماية عشر . ومن يسر على مصسر الله عليه في الدنيا والآخرة . أي الإسلام خير ؟ قال تطعم الطعام وتقرئ السلام على من عرفت ومن لم تعرف . أتيتني عن كل شيء قال كل شيء خلق من الماء ، فقلت أخبرني بشيء إذا عملته دخلت الجنة ، قال أطعم الطعام وأفش السلام وصل الأرحام وصل بالليل والناس نيام تفعل الجنة بسلام . أعبدوا الرحمن وأطعموا الطعام وأفشوا السلام تدخلوا الجنة بسلام . ومن موجبات الرحمة إطعام المسلم المسكين . من أطمع أخاه حتى يشبعه وسقاه من الماء حتى يرويه بأعده الله من النار يسبح خادق ما بين كل خدقين مسيرة خمسمائة عام . إن الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال كيف أهوذك وأنت رب العالمين ، قال علمت أن عبيد فلان مرض فلم تعده أما

(١) آية (٢٤٥) سورة البقرة

(٢) آية (٢٧١) سورة البقرة

علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده يا ابن آدم فلم تطعمني ، قال يا رب وكيف أطمعك وأنت رب العالمين قال أما علمت أنه استطعمك عبيد فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطمعته لوجدت ذلك عندي ، يا ابن آدم استغفرك فلم تغفرني ، قال يا رب وكيف أسفك وأنت رب العالمين ، قال استغفرك عبيد فلان فلم تسقه أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي .

### الباب الحادي والستون

#### في قضاء حاجة أخيه المسلم

قال تعالى : ﴿ ولما تروا على البر والتقوى ﴾ (١) وقال ﷺ من مشى في عون أخيه ومنعته لله ثواب المجاهدين في سبيل الله . وقال رسول الله ﷺ : إن الله خلق خلقهم لقضاء حوائج الناس إلى على نفسه أن لا يمتدحهم بالنار فإذا كان يوم القيامة وضعت لهم منابر من نور يجلسون الله تعالى والناس في الحساب . وقال رسول الله ﷺ من سعى لأخيه المسلم في حاجة فقصيت له أو لم تقض غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكتب له براءة من النار وبراءة من النفاق .

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « من مشى في حاجة أخيه المسلم كتب الله له بكل خطوة سبعين حسنة وكفر عنه سبعين سيئة فإن قضيت حاجته على يديه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فإن مات في حلال ذلك دخل الجنة بغير حساب » (٢) وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : من مشى مع أخيه المسلم في حاجة فناصره فيها جعل الله بينه وبين النار سبعة خنادق ما بين الخندق والخندق كما بين السماء والأرض . وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : إن لله عند أقوام بما يقرأها عندهم ما قاموا في حوائج الناس ما لم يملوا فإذا ملوا نقدها إلى غيرهم . وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : أتدرون ما يقول الأسد في رثيه ، قلوا اله أعلم ، قال يقول اللهم لا تسلط على أحد من أهل المعروف .

وعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يرفعه : إذا أراد أحدكم الحاجة فليكر لها يوم الخميس ، وليقرأ إذا خرج من منزله آخر سورة آل عمران ، وآية الكرسي ، وإذا أنزلها في الليلة القدر ، وأم الكتاب فإن فيها حوائج الدنيا والآخرة . وعن عبد الله بن الحسن - رضي الله تعالى عنهم - قال : أتيت باب عمر بن عبد العزيز في حاجة ، فقال إذا كانت لك حاجة إلى فارسل

به (٢) سورة البقرة  
١٦ / ٢

رسولاً أو اكتب لي كتاباً فإني لا أستحي من الله أن يراك يباهي . وعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أنه قال والذي وسع سمعه الأصوات ما من أحد أودع قلباً سروراً إلا خلق الله تعالى من ذلك السرور لطفاً ، فإذا نزلت به نائبة جرى إليها كداه في انقطاعه حتى يطرد عنها كما تطرد عربة الإبل . وقال أيضاً فوت الحاجة أمون من طلبها إلى غير أهلها ، وعنه أيضاً قال لا تكثر على أخيك الخواص فإن العجل إذا فرط في مص ثدي أمه نطحته . وما أحسن قول الشاعر :

لا تقطن منادة الإحسان عن أحد ••• ما دمت تقبدر والأيام تارات  
وذكر فضيلة صنع الله إذ جعلت ••• إليك لا لك عند الناس حاجات  
وقول آخر :

أقضى الخواص ما استطع ••• ت وكن لهم أخيك فلارج  
فلخير أيام الفتي ••• يوم نفس فيه الخواص

### الباب الثاني في فضل الوضوء

قال رسول الله ﷺ : من توضأ فأحسن الوضوء صلى ركعتين لم يحدث نفسه فيها بشيء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه . وفي لفظ آخر ولم يسه فيهما غفر ما تقدم من ذنوبه . وقال ﷺ أيضاً : ألا أنبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع الدرجات إسباغ الوضوء على المكاره ، ونقل الأقدام إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط ثلاث مرات . وتوضأ مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به ، وتوضأ مرتين مرتين وقال من توضأ مرتين مرتين ، أنه الله أجره مرتين ، وتوضأ ثلاثاً ثلاثاً وقال هذا وضوءي ووضوء الأنبياء من قبلي ووضوء خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام .

وقال ﷺ من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله ، ومن لم يذكر الله لم يظهر منه إلا ما أصاب الماء . وقال ﷺ : من توضأ على طهر كتب الله له به عشر حسنات <sup>(١)</sup> . وقال ﷺ : الوضوء على الوضوء نور على نور <sup>(٢)</sup> . وهذا كله حث على تجديد الوضوء . وقال - عليه الصلاة والسلام - : إذ توضأ لعبد المسلم تمضمض خرجت الخطايا من فمه وإذا استنثر خرجت

الخطايا من أنفه ، فإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أظفار عيبيه ، فإذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفاره ، فإذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه وإذا غسل رجله خرجت الخطايا من رجله حتى تخرج من تحت أظفار رجله ثم كان مشياً إلى المسجد وصلاته نافذة له .

ويروى أن الطاهر كالحصان وقال - عليه الصلاة والسلام - : من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء <sup>(١)</sup> . وقال عمر - رضي الله عنه - أن الوضوء الصالح يطرد عنك الشيطان . وقال مجاهد من استطاع أن لا يبيت إلا طاهراً ذاكراً مستغفراً فليقبل فإن الأرواح تبعث على ما قبضت عليه .

ويروى أن عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - وجه رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ من مصر لكسوة الكعبة ، فنزل الرجل بعض أرض الشام إلى جانب صومعة حبر من الأحرار ولم يكن حبر أعلم منه فأحب رسول عمر أن يلقاه فيسمع منه علمه فأثاء واستفتح باب داره فلم يفتح له طريقاً ، ثم دخل على الحبر فسأله لسمع منه فأعجبه علمه فشكى إليه حبيبه على باب ، فقال له الحبر إذا كنا رأيك حين عدلت اليأس على هيئة السلطان فتخوفناك ، وإنما حبناك على الباب لأن الله تعالى قال لموسى إذا تخوفت سلطاناً فتوضأ وأمر أهلك بالوضوء فإن من توضأ كان في أمان مما يتخوف فأغلقتنا دونك الباب حتى توضأنا وتوضأ جميع من في الدار وصلينا فأمنك بذلك ثم فتحنا لك الباب

### الباب الثالث في فضل الطلوات

لما كانت الصلاة أفضل العبادات كررنا الحديث عليها اقتداء بكتاب الله العزيز . فمما ورد في فضلها ريادة على ما تقدم قوله ﷺ ما أعطى عبد عطاء خيراً من أن يؤد له في ركعتين يصليهما .

قال محمد بن سيرين - رحمه الله تعالى - لو خبرت بين ركعتين وبين الجنة لاخترت الركعتين على أجرة لأن في الركعتين رضا الله تعالى وفي الجنة رضا الله تعالى ، ويقال أن الله تعالى لما خلق سبع سموات حشاها باللائكة وتعددهم بالصلاة لا يفترون ساعة فجعل لكل أهل سماه ركع ، وأهل سماه قيام على أرجلهم إلى نمغة الصور ، وأهل سماه نوحاً من العبادة ، فأهل سماه سجد ، وأهل سماه مريحة لأجحة من هيئته تعالى ، وأهل عيسى وأهل العرش وقوف يطوفون

(١) (ضعيف) ابن ماجه (٥١٢) ، والترمذي (٥٩) ، وضعيف الجامع (٥٥٣٦)  
(٢) (موضوع) يعقوب بن حمزة (١) ، وذكر في المعجم في طريق الإحياء ، لم أجد فيه

﴿ اقْرَأْ ﴾ ، والعاشرة الركوع لقوله عز وجل ﴿ وَارْكُوعَا ﴾ والحادية عشر السجود لقوله عز وجل ﴿ وَاسْجُدُوا ﴾ والثاني عشر القعود لقوله ﴿ إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ رَأْسَهُ مِنْ أَخِرِ السُّجُودِ ﴾ وقعد قدر التشهد فقد تمت الصلاة ، فإذا وجدت هذه الإثنا عشرية يحتاج إلى الختم وهو الإخلاص لتمام هذه الأشياء لأن الله تعالى قال : ﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ دِينَكَ ﴾ .

وأما العلم فعلى ثلاثة أوجه ، أولها أن يعرف الفريضة من السنة ، والثاني أن يعرف ما في الوضوء من الفريضة والسنة أيضا فإن ذلك من تمام الصلاة ، والثالث أن يعرف كيد الشيطان في محاربهه بالجهد ، وأما الوضوء فتتضمن في ثلاثة أشياء ، أولها أن تطهر قلبك من العمل والحسد والعش ، والثاني أن تطهر البدن من الذنوب ، والثالث أن تغسل الأعضاء غسلا سابغا يغير إصراف في الماء . وأما اللباس فتتضمن بثلاثة أشياء ، أولها أن يكون أصله من الحلال ، والثاني أن يكون طاهرا من النجاسات ، والثالث أن يكون موافقا للسنة ولا يكون ليسه على وجه الفخرف والخيلاء . وأما حفظ الوقت ففي ثلاثة أشياء ، أولها أن يكون بصرك إلى الشمس والقمر والنجوم تتعاهد به حضور الوقت ، والثاني أن يكون سمعك مع الأذان ، والثالث أن يكون قلبك متفكرا متعاهدا للوقت ، وأما استقبال القبلة فتتضمن في ثلاثة أشياء ، أولها أن تستقبل بوجهك ، والثاني أن تقبل على الله بقلبك ، والثالث أن تكون خاشعا ذليلا . وأما الية فتتضمن في ثلاثة أشياء ، أولها أن تعلم أي صلاة تصلي ، والثاني أن تعلم أنك تقوم بين يدي الله تعالى وهو يراك فتقوم بالهيئة ، والثالث أن تعلم أنه يعلم ما في قلبك فتفرغ قلبك من أشغال الدنيا . وأما التكبير فتتضمن في ثلاثة أشياء ، أولها أن تكبر تكبيرا صحيحا جزما ، والثاني أن ترفع يديك حذوا أدنيك ، والثالث أن يكون قلبك حاضرا فكبر مع التعظيم . وأما تمام القيام ففي ثلاثة أشياء ، أولها أن تجعل بصرك في موضع سجودك ، والثاني أن تجعل قلبك إلى الله ، والثالث أن لا تلتفت يمينا ولا شمالا . وأما تمام القراءة ففي ثلاثة أشياء ، أولها أن تقرأ فاتحة الكتاب قراءة صحيحة بالترتيل بغير حزن ، والثاني أن تقرأ بالتمكيد وتتعاهد معانيها ، والثالث أن تعمل بما قرأ . وأما تمام الركوع ففي ثلاثة أشياء ، أولها أن تبسط ظهرك ولا تنكسه ولا ترفعه ، والثاني أن تضع يديك على ركبتيك وتخرج بين أصابعك ، والثالث أن تطمئن واكعا وتسبح التسبيحات مع التعظيم والوقر . وأما تمام السجود ففي ثلاثة أشياء ، أولها أن تضع يديك بحذاء أدنيك ، والثاني أن لا تبسط ذراعيك ، والثالث أن تطمئن فيه وتسبح مع التعظيم . وأما تمام الحنوس ففي ثلاثة أشياء ، أولها أن تقعد على وجلك اليسرى وتنصب اليمين نصبا ، والثاني أن تشهد بالتعظيم وتدعو لنفسك وللمؤمنين ، والثالث أن تسلم على التمام . وأما التمام السلام فإن يكون مع النية الصادقة من قلبك إن سلامك على من كان من يمينك من الحطة والرجال والنساء ، وكذلك عن يسارك ولا تجاوز بصرك عن منكبيك . وأما تمام الإخلاص ففي ثلاثة أشياء ، أولها أن تطلب

حول العرش يسبحون بحمد ربهم ويستعفرون له في الأرض ، فجمع الله كله في صلاة واحدة كرامة للمؤمنين حتى يكون لهم حظ من عيادة أهل كل سماء . ورادهم القرآن يتلوه فيها فطلب منهم شكرها ، وشكرها إقامتها بشرائطها وحدودها ، قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُؤْتُونَ بِأَفْئِيهِمْ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ وقال ﴿ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ﴾ وقال ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ﴾ وذكر المقيمين الصلاة ﴿ فَلَمْ يَجِدْ ذِكْرَ الصَّلَاةِ فِي مَوْضِعٍ مِنَ التَّوْرَةِ إِلَّا مَعَ ذِكْرِ إِقَامَتِهَا فَلَمَّا بَلَغَ ذِكْرَ الْمَقِيمِينَ قَالَ : ﴿ فَرَأَيْتُ لِمُقِيمِيهَا ﴾ الذين هم عن صلاتهم متفكرون ﴿ فَنَسَاهُمْ الْمُصَلِّينَ ﴾ وسمى المؤمنين المقيمين الصلاة وذلك ليعلم أن المصلين كثير ، والمقيمين للصلاة قليل ، فأهل الغفلة يحملون الأعمال على الترويح ولا يذكرون يوم تعرض على الله فضل أم تره .

وروى عن النبي ﷺ أنه قال : أن منكم من يصلي الصلاة فلا يكتب له من صلاته إلا ثلثها أو ربعها أو خمسها أو سدسها حتى ذكر عشرها يعني أنه لا يكتب من صلاته إلا ما عقل منها . وروى عن النبي ﷺ أنه قال من صلى ركعتين مقبلا على الله قبله خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، وإنما عظم شأن صلاة العبد بإقبال العبد على الله فإذا لم يقبل على صلاته ولها بحديث النفس كأن بمنزلة من وقت إلى باب ملك معتذر من خطيئته وزلته ، فلما وصل إلى باب الملك قام بين يديه وأقبل عليه للملك فجعل الواقف يلتفت يمينا وشمالا فلم يقض الملك حاجته وإنما يقبل للملك عليه على قدر حاجته ، فكذلك الصلاة إذا دخل العبد فيها ولها عنها لا تقبل منه .

واعلم أن مثل الصلاة كمثل وليمة اتحدك ملك وهيا فيها ألوانا من الأطعمة والأشربة لكل لون لذة وفي كل لون منفعة ودعا الناس إليها ، فكذلك الصلاة ودعا الرب إليها وهيا لهم فيها أفعالا محمدا وأذكارا متنوعة فتعبد بهم بها ليلندهم بكل لون من العبودية فالأفعال كالأطعمة والأذكار كالأشربة .

وقد قيل أن في الصلاة اثني عشرة ألف خصلة ، ثم يتعاهد هذه الإثني عشرة ألف في اثني عشرة خصلة ، فمن أراد أن يصلي فلا بد أن يتعاهد هذه الإثني عشرة خصلة لتتم صلاته فستة قبل الدخول في الصلاة وستة فيها : أولها العلم بأن البس ﷻ قال : عمل قليل من علم خير من عمل كثير في جهل ، والثاني الوضوء لقوله ﷻ : لا صلاة إلا بطهور ، والثالث اللباس لقوله تعالى ﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِدَا كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ يعني البسوا ثيابكم عند كل صلاة ، والرابع حفظ الوقت لقوله عز وجل ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ يعني فرضا موقوتا ، والخامس استعانة القية لقوله عز وجل ﴿ قُلْ وَجْهِي لِلدِّينِ الْمُحَرَّمِ وَجْهِي مَا كُنْتُ فَرَاغًا وَجْهِيكُمْ شَعْرَةً ﴾ يعني نحوه ، والسادس النية لقوله ﷻ : إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى والسابع التكبير لقوله ﷻ : تحريمها التكبير وتحليلها التسليم ، والثامن القيام لقوله عز وجل ﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ يعني صلوا قائمين ، والتاسع المنة لقوله تعالى ﴿ فَافْرُغُوا مَنَاسِكَرًا ﴾



بصلواتك ورحمة الله تعالى ولا تطلب رخصاً لاسيما والثاني أن ترى التوفيق من الله تعالى ، والثالث أن تجعلها حتى تذهب بها يوم القيامة لأن الله تعالى قال : ﴿ من جاء بالحسنة ﴾ (١) ولم يقل من عمل بالحسنة .

### الباب الرابع والستون

#### في بيان أهوال القياس

وروي أن عائشة - رضي الله عنها - قالت : يا رسول الله هل يذكر الحبيب حبه يوم القيامة ؟ قال أما عند ثلاث مواضع فلا عند الميزان حتى يعلم أما أن يخف وأما أن يشغل ، وعند تطاير الصحف إما أن يعطى كتفيه يمينته وإما أن يعطاه بشماله وحين يحرج عتق من النار فينطوي عليهم ، ويقول وكلت بثلاثة : وكلت بين دعا مع الله إلهها وأخر ويكل جبار عنيد ويكل من لا يؤمن بيوم الحساب فينطوي عليهم الصراط عليه كلاب وحسك والناس يمرون عليه كالبرق الجياط وكالريح العاصف . الحديث .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : لما فرغ الله تعالى من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضع على فيه شاخصاً بصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر قال : قلت يا رسول الله وما الصور ؟ قال قرن من نور ، قلت يا رسول الله كيف هو ، قال عظيم الدرة والذي يعنى بالخلق نيباً لعظم دارته كمرض السماء والأرض يتبع فيه ثلاث نفحات - نفخة للفرج ، ونفخة للصلح ، ونفخة للبعث فتخرج الأرواح كأنها المحل قد ملأت ما بين السماء والأرض فتدخل في الأجساد من الحياشيم . ثم قال النبي ﷺ : أنا أول من تنشق عنه الأرض ، وفي خبر آخر إذا أحيى الله تعالى جبريل وميكائيل وإسرافيل فينزلون إلى قبر النبي ﷺ ومعهم البراق وحلل من الجنة فتششق عنه الأرض فينظر النبي ﷺ إلى جبريل فيقول يا جبريل ما هذا اليوم فيقول له هذا يوم القيامة هذا يوم الحاقة هذا يوم القارعة : فيقول يا جبريل ما فعل الله بأمتي فيقول له جبريل أبشر فإنت أول من تنشق عنه الأرض - وروي أبو هريرة أنه ﷺ قال إن الله تعالى يقول يا معشر الجن والإنس إني نصحت لكم فأنما هي أعمالكم في صحفكم فمن وجد خيراً فليحمد الله تعالى ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه .

وذكر عيسى يحيى بن معاذ الزاوي أنه فرى في مجلسه : ﴿ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً ﴾ (٢) أي ركبنا ﴿ وسوق المجرمين إلى جهنم وفداً ﴾ (٣) معنى مشاة عطاشاً فقال أيها

(١) يه ( ٨٤ ) سورة القصص  
(٢) أي ( ٨٦ ) سورة

(٣) يه ( ٨٥ ) سورة مريم

الناس مهلاً مهلاً عداً تحشرون إلى الموقف حشراً وتأثرون من الأطراف فوجاً فوجاً ، وتقعون بين يدي الله فرداً ، وتسألون عما فعلتم حرفاً حرفاً ، وتقاد الأليط إلى الرحمن وفداً وفداً ، ويرد العاصون إلى عذاب الله ورداً ورداً ، ويدخلون جهنم حزواً حزواً : إنعوائاً أماكم يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون يوم الرجفة يوم الألفة يوم يقوم الناس لرب العالمين يوم الحسرة والندامة يوم المناقشة يوم للحاسبة يوم المسألة يوم الصيحة يوم الحاقة يوم القارعة يوم النشور يوم ينظر المرء ما قدمت يداه يوم التعانين يوم تبيض وجوه وتسود وجوه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم يوم لا يتبع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار . وقا ل مقاتل بن سليمان تقب الخلائق يوم القيامة مائة سنة لا يتكلمون ، ومائة سنة في الظلمة متحبرون ومائة سنة يموج بعضهم في بعض عد ربهم يختصمون ، وأن يوم القيامة على طوله خمسين ألف سنة مما تعدون ليمضي على المؤمن المخلص كأخف صلاة مكتوبة . وقال ﷺ : لا تزول قدما عبد حتى يسئل عن أربعة أشياء ، عن عمره فيم أذناه ، وعن جسده فيم أبلاه ، وعن علمه فيم عمل به ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفق . وروي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ أنه قال : لم يكن نبي قط إلا كانت له دعوة مستجابة فجعلها في الدنيا وإنى خبات دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة : اللهم شفعه فينا بجاهه عندك - صلى الله عليه - وعلى آله وصحبه وسلم .

### الباب الخامس والستون

#### في صفة جهنم والميزان

لا بأس بذكر ذلك وإن تعلم التنبيه على بعض تميمها للفائدة لعل تتكرر المواظف توقظ لقلوب الغافلة لا سيما وقد عظم الله سبحانه وتعالى هول جهنم وأحوال القيامة في كتبه في غير موضع بما يقع في قلوب العقالين أعظم موقع تنبيهها على أن ما سوى ذلك هين والآخرة خير وأبقى ، أما صفة جهنم أعاد الله منها بجنة وكرمه لقد روي في الحديث أن جهنم سوداء مظلمة لا ضوء لها ولا لهيب ، لها سبعة أبواب على كل باب سبعون ألف جيل ، في كل جيل سبعون ألف شعبة من نار ، وفي كل شعبة سبعون ألف شق من نار ، وفي كل شق سبعون ألف واد من نار ، وفي كل واد سبعون ألف قصر من نار ، وفي كل قصر سبعون ألف بيت من نار ، وفي كل بيت سبعون ألف حبة وسبعون ألف عتق ، لكل عتق سبعون ألف ذئب ، لكل ذئب سبعون ألف مفار ، في كل مفار سبعون ألف قلة من سم فإذا كان يوم القيامة كشف عنهما العطاء فيطير منهما سراقق من يمين الثقلين وسراقق آخر على يسارهم وسراقق من فوقهم وآخر من ورائهم فإذا نظر لثقلان إلى ذلك جثوا على الركب وصاروا ينادون كلهم رب سلم .

وروى مسلم أن رسول الله ﷺ قال : يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها . وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال : في عظم غرنة جهنم المشار إليهم بقوله تعالى : ﴿ غُلَظٌ شَدِيدٌ ﴾ كل ملك ما بين ستة ولكل واحد منهم قوة لو أنه ضرب بالمقمع الذي في يده جبلا لصار دكا فيدفع بكل ضربته سبعين ألفا في قعر جهنم . وأما قوله تعالى ﴿ عَنِهَا ثَمَرَةٌ غَشِيَةٌ ﴾ فإثر ثمرتهم رؤساء البرماتية وإلا لملائكة النار لا يعلم عددهم إلا الله تعالى : ﴿ وَمَا يَظُنُّ جَنُودُ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ .

وسئل ابن عباس - رضي الله عنهما - عن سعة جهنم فقال والله ما أدري ما سعتها ولكن بلغنا أن بين شحمة أفن كل واحد من الزبانية وبين عاتقه مسيرة سبعين خريفاً يعني سبعين سنة وأنها تجري فيها لودية الفحيح والدّم . وفي حديث الترمذي أن كثافة كبر سرادق من سرادقات النار أي كثافة جداره مسيرة أربعين سنة . وروى مسلم أن رسول الله ﷺ قال إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم قالوا يا رسول الله إن كانت لكافية فقال إنها فضلت عليها بتسعة وسعين جزءاً كلها مثل حرها . وقال ﷺ لو أن جهنميا من أهل جهنم أخرج كفه إلى أهل الدنيا لا احترقت الدنيا من حرها ، ولو أن خازناً من خزنة جهنم أخرج إلى أهل الدنيا حتى يصروه مات أهل الدنيا حين يصرونه من غضب الله تعالى الذي عليه .

وروى مسلم وغيره أن رسول الله ﷺ كان جالسا مع أصحابه إذ سمع وجبة فقال النبي ﷺ : أتدرون ما هذا ؟ قلنا الله ورسوله أعلم : قال هذا حجر رمي به في نار جهنم منذ سبعين خريفاً فهو يهوى في النار الآن حين انتهى إلى قعرها ، والوجبة هي الهدة وهي صوت وقع النسيء الثقيل .

وكان عمر بن الخطاب يقول أكثروا ذكر النار فإن حرها شديد وقعرها بعيد وأن مقامها من حديد . وكان ابن عباس يقول إن النار تلتقط ألعها كما يلتقط الحمار الحب ، وسئل - رضي الله عنه - عن قوله تعالى ﴿ إِذَا رَأَيْتَهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّغًا وَزَفِيرًا ﴾ فهل للنار عيان ؟ فقال نعم أما سمعتم قوله ﷺ : من كذب على متعمداً فليتبوأ جزاءه جهنم مقعلاً ، قيل يا رسول الله ولها عيان ، أما سمعتم قوله تعالى : ﴿ إِذَا رَأَيْتَهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ . . الحديث . وروى حديث يخرج عنق من النار له عيان يصيران ولسان ينطق به ، فيقول إلى وكلت اليوم بمن جعل مع الله ألقا آخر فهو أبصر بهم من الطير بحب السمسم ملتقطهم .

وأما صفة الميزان فقد ورد في الحديث أن كفة الحسنة من نوع وكفة السيئات من ظلام . وروى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال : إن الجنة توضع عن يمين العرش والنار عن يساره وكفة الحسنة من يمينه وكفة السيئات من يساره فتكون الجنة مغلفة بالحسنة والنار مقابلة السيئات

وكان ابن عباس - رضي الله عنهما - يقول توزن الحسنة والسيئة في ميزان له كفتان ولسان وكان يقول إذا أراد الله وزن أعمال العباد قلبها أجساماً تيربها يوم القيامة .

### الباب السادس والستون

#### ففي بيان ذم الكبر والعجب

إعزم أرشدني الله وإنيك خير الدنيا والآخرة أن الكبر ولا عجب يسلبان الفضائل ويكسبان الرذائل ، وحسبك من رذيلة تمنع سماع النصيحة وقبول التأديب ولذلك قالوا العلم يضيع بين الحياة والكبر العلم حرب للمعالي كما أن السيل حرب للبناء العالني . قال ﷺ : لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر . قال ﷺ : من جرت به غيلاه لا ينظر الله إليه . وقال الحكماء لا يدوم الملك مع المتكبر وقد قرى الله سبحانه وتعالى الكبر بالفساد ، فقال تعالى ﴿ فَبَكَرَ الْفُكْرُ الْآخِرَةَ يَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ مَا ضَرَفَ عَنْ أَنَاثَى الْبُيُوتِ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ (٢) قال بعض الحكماء ما رأيت متكبراً إلا تحول ما به من معنى أتكبر عليه .

قال الجاحظ المشهورون بالكبر من قرين بن مقرم ، وبنو أمية ، ومن العرب بنو جعفر بن كلاب ، وبنو ذرارة بن عدي ، وأما الأكاسرة فكانوا لا يعدون الناس إلا هيبيداً وأنصهم إلا أرباب . وقيل لرجل من بني عبد النضر ألا تأتي الخليفة فقال أخاف أن لا يحمل الجسر شرفي . وقيل للحجاج بن أوطاة مالك لا تحضر الجماعة ؟ قال أعشى أن يراحمني اليقالون . وقيل أتى وائل بن حجر إلى النبي ﷺ فأقطعهم أرضاً وقال معاوية أعرض هذه لأرض عليه واكتسبها له فخرج معاوية إلى هجرة سليمة ومضى حلف باقة فأحرقت الشمس ، فقال له أريدني خلعك على ما فتك . قال لست من أراذل الملوك قال فأعطى معاوية قال ما يتحل يسمي يا ابن أبي سفيان ولكن أكره أن يلغ أقبال اليمن أنك لست نعلي ولكن أمش في ظل نافتي محسبك بها شرفي . وقيل أنه لحق زمن معاوية ودخل عليه فأقعده معه على السرير وحده . وقال السور بن هد لرجل أتمرني ؟ قال لا قال أنا السور بن هند قال ما أهرقت قال فصالح لا يعرف القمر .

وفي مثله يقول الشاعر :

فولا لأحق بلوى التيبة أحدهم ••• لو كنت تعلم ما في التيبة لم تنه

(١) آية (٨٣) سورة القصص

(٢) آية (١٤٦) سورة الأعراف

لبه معصده، لديه مقصدة \* \* \* للعقل مهلكة للعرض فاشبه

يوقب لا يكبر إلا كل وصيغ ولا يتواضع إلا كل رفيع . وقال ﷺ : ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى مع وإعجاب المرء بنفسه (١) . وعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال : أن يوحى ﷻ له حصرت الوعدة دعا إليه وقال إني أمر كما يائستين وأنا كما عن اثنتين أنها كما عن الشرك والكبر ، وأمر كما بلا إله إلا الله فإن السموات والأرض وما فيهن لو وضعت في كفة الميزان ولا إله إلا الله في الكفة الأخرى كانت لا إله إلا الله أرجح منهما ، ولو أن السموات والأرض كانتا في حلقه فوضعت لا إله إلا الله عليهما لتصتتهما ، وأمر كما يسبحان الله ويحمده فأنها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء . وقال عيسى عليه السلام : طوبى لمن علمه الله كتابه ولم يست جيارا . وعن عبد الله بن سلام : رضى الله عنه - أنه مر في السوق وعليه حرمة من حطب فقبل له ما يحملك على هذا وقد أعفك الله من هذا ، قال أردت أن أدفع الكبر عن نفسي . وفي تفسير القرطبي في قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَلَا يَضُرُّهُنَّ أَشْرُهُنَّ ﴾ (٢) ، إن فعلته تيرجا وتعرضا للرجال حرم وكذا من ضرب بطنه من الرجال هجبا حرم لأن المعجب كبير .

### الباب السابع والسبعون

### فصل الأحسان إلى اليتيم واجتناب الظلم

أخرج البخاري : أنا وكافل اليتيم في الجنة كهذين وأشار بأصبعه السبابة والوسطى وفرج بينهما ، ومسلم : كافل اليتيم له أو لغيره أن وهو كهاتين في الجنة وأشار مالك بالسبابة والوسطى والبيزوري : من كفل يتيما له ذو قرابة أو لا قرابة له فأنما وهو في الجنة كهاتين وضام بأصبعيه . ومن سعى على ثلاث بنات فهو في الجنة وكان له كأجر مجاهد في سبيل الله صالما قائما . وابن ماجه من عال ثلاثة من الأيتام كان كمن قام ليلة وصام بهاره وغدا أو راح شهرا سعيه في سبيل الله أنا وهو في الجنة أخوين ، كما أن هاتين اختان والصل بأصبعيه السبابة والوسطى . والترمذي وصححه : من قبض يتيما من بين المسلمين إلى طعامه وشرابه أدخله الله الجنة أبنة إلا أن يعمل دنيا لا يعرف له . وفي رواية سلمها حسن حتى يستمعي عنه ووجبت له الجنة أبنة . وابن ماجه حبر بيت في المسلمين بيت فيه يتيمن يحسن إليه ، وشر بيت في المسلمين بيت يتيمن يساء إليه . وأبو يعلى بسند حسن : أنا أول من يفتح باب الجنة إلا أنى أرى امرأة تبارني . مأثور منك ومن أنت تقول أن امرأة قعدت على أبيهم لي . والضرابي سند رواه ثقات إلا واحدا ، ومع ذلك ليس

(١) (ضعيف) الحلية ٢ / ٣٤٣ ، وكشف الخفاء ١ / ٣٨٦

(٢) آية (٣٦) سورة النور

بالشرك : والذي يعيش باحق لا يعذب الله يوم القيامة من رحم اليتيم لأن له في الكلام ورحم يتيمة وصمعه ولم يتناول على جواره بفضل ما آتاه الله . وأحمد وغيره من مسح على رأس يتيمن لم يمسحه إلا الله كاتبة له في كل شعره مرت عليها يد حسنة ، ومن أحسن إلى يتيمن أو يتيمة عنده كنت أنا وهو في الجنة كهاتين . (الحدديث . وأخرج جماعة وصححه الحاكم : أن الله تعالى قال ليحسب أن سبب دهاب بصره وانحناء ظهره وفعل أخوه يومئذ به ما فعلوا أنه آتاه يتيمن مسكين صائم جائع وقد ذبح هو وأهله شاة فأكلوها ولم يطعموه ثم أعلمه الله تعالى بأنه لم يجب شيئا من خلقه حب اليتامى والمساكين ، وأمره أن يصنع طعاما ويدعو المساكين لفعل . والشيخان من أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله تعالى وأحسبه قال وكالفاتح لا يفتر وكان صلواته لا يفتر » (١) ، وابن ماجه : الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد سبيل الله وكالذي يقرم الليل ويصوم النهار .

قال بعض السلف كنت في هذه أمري سكران مكيا على المعاصي فرأيت يوما يتيما فأكرمته كما يكرم الولد بل أكثر ثم عثت فرأيت الزبانية أدخلوني أحدا مزحجا إلى جهنم وإذا باليتيم قد احترقني فقال : دعوه حتى أراجع ربي فيه فأبوا . فإذا التفتاء . خلوا عنه فقد وهبنا له ما كان منه بإحسانه إليه ، فاستيقظت وبالقت في أكرام اليتامى من يومئذ . وكان لبعض مياسير العلويين بنات من علوية فماتت واشتد بهن الفقر لي أن رحلن عن وطنهن خوف الشماتة فدخلن مسجد بلد مجهورا فتركتهن أمهن فيه وخرجت تحتال لهن في القوت فمركبهن البلد وهو مسلم فشرحت له حالها فلم يصدقها ، وقال لابد أن تتجعي عندي البيعة بذلك فقالت أنا غريبة فأعرض عنها ، ثم مرت بجوسي فشرحت له ذلك فصدق وأرسل بعض نسائه فأتت بها وبيتها إلى داره ليبلغ لي أكرامهن ، فلما مضى نصف الليل رأى ذلك المسلم القيامة قد قامت والنبي ﷺ معقودا على رأسه لواء الحمد وهذه قصر عظيم فقال ﷺ أقم عندي البيعة بذلك فتحير فقصر له ﷺ خبر العلوية فأتته الرجل في غاية الحزن والكآبة إذ ردها ثم بالغ في الفحص عنها حتى دل عليها بدار للجوسي فطلبه منه فأبى ، وقال قد لحقني من بركاتهن ، فقال خذ ألف دينار وسلمهن إلى فأبى : فأراد أن يكرهه ، فقال الذي ترهبه أنا أحق به والقصر الذي رأيته في النوم خلق لي أتصخر عنى بإسلامك فوالله ما نمت أنا وأهل دارى حتى أسلما كلنا على يد العلوية ورأيت مثل ما نمت ، وقال لي رسول الله ﷺ : العلوية وسأتها عندك قلت نعم يا رسول الله فقال القصر لك ولأهل دارك ، فانصرف المسلم وبه من الكآبة والحزن ما لا يعلمه إلا الله تعالى .

\*\*\*

(١) (صحيح) البخاري (٥٣٥٣) ، ومسلم (٢٩٨٢)

## الباب الثامن والستون

## في تحريم أكل الحرام

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ۝ ﴾ (١).  
 واحتموا في المأذون ، فقبل الربا والفساد والنصب والسرقة والخيانة وشهادة الزور وأخذ المال باليمين الكاذبة . وقال ابن عباس هو ما يؤخذ من الإنسان بغير حوص ، وعليه قيل لما نزلت الآية نهرجوا من أن يكلوا عند أحد شيئا حتى نزلت آية النور : ﴿ وَلَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُرْتَكُمْ أَوْ بُرْتِ آبَائِكُمْ . . . ﴾ إلى آخرها وقيل هو المقود الفاسد والوجه قول ابن مسعود أنها محكمة ما سحبت ولا تنسخ إلى يوم القيامة انتهى . وذلك لأن الأكل بالباطل يشمل كل ما غرر به غير حق سواء كان على جهة الظلم كالنصب والخيانة والسرقة أو الهزل واللعب كالماخوذ بالتمسار والملاهي ، وسبب ذلك كله أو على وجهه المكر والخديعة كالماخوذ بعقد فاسد ويولد ما ذكرته قول بعضهم الآية تشمل كل الإنسان حتى مال نفسه بالباطل بأن ينفقه في محرم ، ومال غيره به كالأمثلة المذكورة وقوله تعالى : ﴿ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً ﴾ استثنائه منقطع لأن التجارة ليس من جنس الباطل بأي معنى أريد به وتأويله بالسبب ليكون متصلا ليس في محله ، والتجارة وإن اختصت بعقود المعاوضات إلا أن نهر القرض والهبة ملحق بأدلة أخرى وقوله تعالى : ﴿ عَنْ قَرَابَتِكُمْ ﴾ أي طيب نفس على الوجه المشروع وتخفيض الأكل فيه بالذكر ليس للتقليد به بل لكونه أغلب وجوه الانتفاعات على حد ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالِ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾ وأدلة هذا المبحث والتعليقات الواردة فيه من السنة كثيرة فلنقتصر على بعضها .

أخرج مسلم وغيره عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا وأن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾ وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أعبر يمد يده إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك » : والطبراني بإسناد حسن طلب الحلال واجب على كل مسلم والطبراني والبيهقي ، طلب الحلال فريضة بعد العرائض والترمذي وقار حسن صحيح غريب وإحكام وصححه من أكل حبيبا وعمل في سنة وأمس الدس موافقه دخل الجنة قالوا يا رسول الله إن هذا في أمك اليوم كثير ، قال وسيتكون في قرون بعدى . وأحمد وغيره بإسناد حسن أربع إذا كنت فلا عليك ما فاتك من الدنيا ، حفظ أمانه ، وصديق حديث ، وحسن خلق ، وعفة في طعمة . والطبراني : طوبى لمن طاب كسبه وصلحت سريرته

(١) آية (٢٩) سورة النساء

وكرمت علاقته وهزل عن الناس شره ، طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ، والطبراني بإسناد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، والذي حس محمد بيده أن العبد ليقدف لقمه الحرام في جوفه ما يتقبل منه عمل أربعين يوما ، وأما عبد نيت لحمه من سحت فالتار أولى به . والجزا وفيه تكلوة أنه لا دين لمن لا أمانة له ، ولا صلاة ولا زكاة أنه من أصاب مالا من حرام فليس جلبابا يعنى قميصا لم تقبل صلاته حتى ينهي ذلك الجلباب عنه ، أن الله تبارك وتعالى أكرم وأجل من أن يقبل حمل رجل أو صلاته وعليه جلباب من حرام . وأحمد عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفيه درهم من حرام لم يقبل الله عز وجل له صلاة ما دام عليه ، ثم أدخل أصبح في أذنيه ثم قال حسنتا إن لم يكن الله سمعته يقول : والبيهقي : من اشترى سرقة وهو يعلم أنها سرقة فقد اشترك في عارها وانها .

قال الحافظ المنذرى في استاده احتمال للتصحيح ويشبه أن يكون وقوفا ، وأحمد يستند جيد : والذي يمس بيده لأن يأخذ أحدكم حيله فيلعب به إلى الجبل فيحتطب ثم يأتي فيحمله على ظهره فيأكل غير له من أن يجعل في فيه ما حرم الله عليه ، ولينا خزيمة وابن حبان في صحيحيهما وإحكام : من جمع مالا حراما ثم تصدق به لم يكن فيه أجر وكان أصره عليه ، والطبراني : من كسب مالا حراما فاهتق منه ووصل منه رحمه كان ذلك إصرا عليه ، وأحمد وغيره يستند حسن بعضهم أن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم ، وإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطي الدين إلا لمن يحب من أعطاه الله الدين فقد أحبه والذي نفسى بيده لا مسلم أولا مسلم عبد حتى مسلم أو مسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى يأمن جلوه بوائقه ، قالوا وما بوائقه يا رسول الله ، قال غشه وظلمه . ولا يكسب عبد مالا من حرام فيتصدق منه ولا ينفق منه فيبارك له فيه ولا يتركه غلب ظهره إلا كان زاده إلى النار . إن الله تعالى لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن ، إن الحديث لا يمحو الحديث . والترمذي وقال حسن صحيح غريب مثل ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس النار ، قال الفم والفرج . ومثل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال تقوى الله وحسن خلق . والترمذي وصححه : ما تزول قلما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه وعن علمه ماذا عمل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وبما أنفقه أو كما قال

والبيهقي : الدنيا خضرة حلوة من اكتسب فيها مالا من حله وأنفقه حقه أثناءه الله عليه وأورده جنته ، ومن اكتسب فيها مالا من غير حله وأنفقه في غير حقه أورده الله دار الهوان ، ورب متحوش في مال الله ورسوله له البار يوم القيامة .

يقول الله تعالى : ﴿ كُلَّمَا قَتَلَ دَنَاهُمْ مَعْرًا ﴾ وابن حبان في صحيحه لا يدخل الجنة لحم

ودم بيتا من سحت إلا كانت النار أولى به ، والسحت يضم فسكون أو هم الحرام وقيل الخيث من المكاسب وفي رواية بسند حسن : لا يدخل جسد غدي بحرام .

### الباب التاسع والسعون

#### في النهي عن الربا

الآيات في النهي عن الربا كثيرة ومن الأحاديث ما رواه البخاري وأبو داود ١٠٠٠٠ عن رسول الله ﷺ الواسعة والمستوشمة وأكل الربا وموكله (٢) والحاكم وصححه : « أربع حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم عيمها ، ممن الخمر ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم بغير حق ، والعاق لو الله » (٣) . والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين . الربا ثلاثة وسبعون بابا أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه . والبرار بسند ورواه الصحيح ، الربا يضح وسبعون بابا والشرك مثل ذلك ، واليهي الربا سبعون بابا أدناها مثل الذي يقع على أمه ، والطيراني في الكبير عن عبد الله بن سلام - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله من ثلاث وثلاثين زنية يربّيها في الإسلام وفي سنه انقطاع ، وروى ابن أبي الدنيا والبخاري وغيرهما موقوفا على عبد الله وهو الصحيح وهذا موقوف في حكم المرفوع لأن كون الدرهم أعظم وزرا من هذا العدد المخصوص من الربا لا يدرك إلا بوحى فكانه سمعه منه ﷺ ، ولفظ الموقوف في أحد طرقه . قال عبد الله : الربا ثمان وسبعون حوبا أي يضم المهمل ويفتحها إنما أصحها حوبا كمن أتى أمه في الإسلام ، ودرهم من الربا أشد من يضح وثلاثين زنية ، قال ويأذن الله للبشر والعاجز بالقيام يوم القيامة إلا أكل الربا فإنه لا يقوم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس

وأحمد بسند صحيح والطيراني أنه ﷺ قال : « درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ست وثلاثين زنية » (٤) ، وابن أبي الدنيا واليهي خطبا رسول الله ﷺ فذكر أمر الربا وعظم شأنه وقال إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يربّيها - حسن - والطيراني في الصغير والأوسط من أعاد طالما باطل ليحضر به حقا فقد برى من دمه - وفيه رسول الله ﷺ ومن أكل درهما من ربا فهو مثل ثلاث وثلاثين زنية ومن ثبت لحمه من سحت فأنار أولى به . وابن ماجة واليهي عن أبي معشر وقد وثق عن أبي سعيد المقرئ عن أبي

١ . صحيح البخاري (٥٩٣٩ و ٥٩٤٧) ، وأبو داود (٣٣٣٣)

٢ . ضعيف جدا (الحاكم ٣٧ / ٢ ، وضعيف الجامع ٧٤٨)

٣ . ضعيف (أحمد ٢ / ٢٢٥ ، وضعيف الجامع (٢٩٧٠)

هريرة قال : قال رسول الله ﷺ الربا سبعون حوبا أيسرها أن ينكح الرجل أمه . والحاكم وصححه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال نهى رسول الله ﷺ أن تشتري الثمرة حتى تعظم وتقال إذا ظهر الربا في قرية بعد أخذوا بأنفسهم هذب الله . وأحمد بإسناد له بضر : ما من قوم يظهر بهم الربا إلا أخذوا بالثمة وما من قوم يظهر فيهم الرشا إلا أخذوا بالرحب والسنه العام المقحط رب فيه عت أم لا . وأحمد في حديث طويل وابن ماجة مختصرا والأصبهاني رأيت ليلة أمري بي لما انتهينا إلى السماء السابعة فنظرت فإذا أنا برعد ورووق ولواصف قال فأبيت على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم قست يا جبريل من هؤلاء ؟ قال هؤلاء أكلة الربا . والأصبهاني عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « ما عرج بي إلى السماء نظرت في سماء الدنيا فإذا رجال بطونهم كأمثال البيوت العظام قد مالت بطونهم وهم متضدين على سبالة آل فرعون موقوفون على النار كل خلدة وعشى يقولون ربنا لا تقم الساعة أبدا نلت يا جبريل من هؤلاء ، قال هؤلاء أكلة الربا من أمتك لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ، قال الأصبهاني قوله متضدون أي مطروحون أي طرح بعضهم على بعض والسبالة المارة أي يطوهم آل فرعون الذين يعرضون على النار كل غداة وعشى ، والطيراني بسند صحيح بين يدي الساعة يظهر الزنا والربا والخمر . والطيراني بسند لا بأس به عن القاسم بن عبد الله الوراق قال رأيت عبد الله بن أبي أوفى - رضي الله عنه - فيسوق الصيارفة فقال يا معشر الصيارفة أشيروا قالوا أشرك الله بالحنطة يشرها يا أبا محمد قال : قال رسول الله ﷺ للصيارفة أشيروا بالنار . والطيراني ليك والذنوب التي لا تغفر الغفول فمن خل شيئا أتى به يوم القيامة وأكل الربا ممن أكل الربا بعث يوم القيامة مجنوننا يتخبط ثم قرأ ﷺ : « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس » (١) الأصبهاني يأتي أكل الربا يوم القيامة مجنونا مجنونا بجر شقيه ، ثم قرأ : « لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس » وابن ماجة والحاكم وصححه : « ما أحد أكثر من الربا إلا كان حاقبة أمره إلى قلة » (٢) . والحاكم وصححه أيضا الربا وإن كثر فإن حاقبه إلى قل وأبو داود وابن ماجة كلاهما عن الحسن بن أبي هريرة واختلف في سماعه والجمهور على عدمه ليأتين على الناس زمان لا يبقى منهم أحد إلا كل الربا فمن لم يأكله أصابه من غيابه ، وعبد الله بن أحمد في زوائد المستد : والذي نفسي بيده ليبقى أبا من أمتى على أشرف ويطر ولهو ولعب فيصبحوا فرقة وغنازير باستحلالهم مختصرا واليهي وللعظ له بيت قوم من هذه الأنة عن طعم وشرب ولهو ولعب فيصبحون قد مسحوا نردة وخدائر وليصيتهم خسف وغدق حتى يصبح الناس فيقولون خسف الليلة بيتي فلان وخسف الليلة بداد فلان وترس عنهم حجارة من السماء كما أرسلت على قوم لوط على قبائل

(١) به (سورة البقرة)

(٢) صحيح (ابن ماجة (٢٢٧٩) ، والحاكم ١ / ٣١٨)

منها وعلى دور بشرهم الحمر وليسهم الحمر واتخاذهم القبات وتكلمهم الربا وتطبعتهم الرحم . وخصلة نسيها روليه . القينات جمع قينة وهي المغنية .

### الباب السابعون

#### ففي حقوق العبد

هي أن تسلم عليه إذا لقيته ، ونجيبه إذا دعاك ، وتشمته إذا عطس ، وتعوذه إذا مرض ، وتشهد جوارته إذا مات . وتبرئ نفسه إذا أقم عليك ، وتنصح له إذا استنصحك ، وتحفظه بظهر العيب إذا غاب عك ، وتحب له ما تحب لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك ، ورد جميع ذلك في أخبار وأثر .

وقد روى أنس - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ أنه قال أربع من حق المسلمين عليك : أن تعين محتسبهم ، وأن تستغفر لمظنهم ، وأن تدعو لمديرهم وأن تحب قائمهم ، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - في معنى قوله تعالى : ﴿ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (١) قال يدعو صالحهم طالحهم وطالحك لصالحهم فإذا نظر الطالح إلى الصالح إلى أمة محمد ﷺ قال اللهم بارك فيما قسمت له من الخير وثبتته عليه وأمنعنا به ، وإذا نظر الصالح إلى الطالح قال اللهم اهده وتب عليه واغفر له عثرته ومنها أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لنفسه .

قال النعمان بن بشير سمعت رسول الله ﷺ يقول مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى سائر أعضاه بالحق والسهر .

وروى أبو موسى عن النبي ﷺ أنه قال : المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، ومنها أن لا يؤدي أحدا من المسلمين بفعل ولا قول . قال ﷺ : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده (٢) وقال ﷺ في حديث طويل يأمر فيه بالعصائل فإن لم تقف فذبح الناس من الشر فإنها صدقة تصدقت بها على نفسك ، وقال أيضا أفضل المسلمين من سلم للمسلم من لسانه ويده ، وقال ﷺ أتفرون من المسلم فقالوا الله ورسوله أعلم ، قال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، قالوا فمن المؤمن قال من أمته المؤمنون على أنفسهم وأموالهم ، قالوا فمن المهاجر ، قال من هجر السوء واجتبه . وقال رجل يا رسول الله ما الإسلام قال أن يسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك . وقال مجاهد يسلط على أهل النار الجرب فيحتكون حتى يملو عظم أحدهم من جلده

(١) آية (٢٩) سورة الفتح

(٢) (صحيح البخاري) (٦٤٨٤)

فيتأذى يا فلان هل يؤذيك هذا فيقول نعم فيقول هذا بما كنت تؤذي المؤمنين ، وقال ﷺ : لقد رأيت رجلا يقف من الخة في شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين ، وقال أبو هريرة - رضي الله عنه - يا رسول الله علمني شيئا أنتفع به ، قال اهزل الأذى عن طريق المسلمين وقال ﷺ : من زحزح عن طريق المسلمين شيئا يؤذيهم كتب الله له به حسنة ومن كتب الله له حسنة أوجب له الجنة . وقال ﷺ لا يحمل مسلم أن يشير إلى أخيه بنظرة تؤذيه ، وقال ﷺ : لا يحمل مسلم أن يروع مسلما (١) . وقال ﷺ إن الله يكره أذى المؤمنين . وقال الربيع ابن خيثم الناس رجلان مؤمن فلا تؤذه وجاهل فلا تجهله ، ومنها أن يتواضع لكل مسلم ولا يتكبر عليه فإن الله لا يحب كل مختال فخور . وقال رسول الله ﷺ : إن الله تعالى أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ثم إن تفاخر عليه غيره فليتحمل قال الله تعالى لئن لم يكن ﷺ : ﴿ خذ النفر وأمر بالعرف وأعز من الجاهلين ﴾ (٢) .

وعن ابن أبي أوفى كان رسول الله ﷺ يتواضع لكل مسلم ، ولا يأنف ، ولا يتكبر أن يش مع الأرملة والمسكين فيقضى حاجته ، ومنها أن لا يسمع بلاغات الناس بعضهم على بعض ، ولا يبلغ بعضهم ما يسمع من بعض . وقال ﷺ لا يدخل الجنة قتات . وقال الخليل بن أحمد من غم لك ثم عليك ، ومن أخبرك بخبر غيرك أخبر غيرك بخبرك ، ومنها أن لا يزيد في الهجر لمن يعرفه على ثلاثة أيام مهما غضب عليه .

قال أبو أيوب الأنصاري قال رسول الله ﷺ : لا يحمل مسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام ، وقد قال ﷺ من أقال مسلما عثرته أقاله الله يوم القيامة ، وقال عكرمة قال الله تعالى ليوسف بن يعقوب يعقوبك من أخوتك رفعت ذكرك في الدارين ، قالت عائشة - رضي الله عنها - ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم الله . وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - ما عا رجل عن مظلمة إلا زاده الله بها عزا ، وقال ﷺ ما نقص مال من صدقة ، وما زاد الله رجلا يحقر إلا عزا ، وما من أحد تواضع لله إلا زاده الله .

### الباب الواحد والستون

#### ففي ذم اتباع الهوى وفي بيان الزهد

قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَا جَاءْتُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَأَجَعَلْتُ الْهَدْيَ عَلَى السَّبِيلِ ﴾ (٣) الآية . . قال ابن عباس ذلك الكافر اتبعه فيه بغير هدى من الله ولا برهان والمعنى هو مطواع لهوى النفس يتبع ما تدعوه

(١) (صحيح) أبو داود (٥٠٠٤) . وصحيح الجامع (٧٦٥٨)

(٢) آية (١٩٩) سورة الأعراف . (٣) آية (٢٣) سورة الجاثية

إليه ولا يعمل بكتب الله فكأنه بعد هواء وقال تعالى ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ (١) وقال تعالى ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (٢) ولذلك استعاهد الله به بقوله اللهم إني أعوذ بك من هوى مطاع وشح متبع ، وقال : ثلاث مهلكات هوى مطاع وشح متبع وإعجاب المرء بنفسه (٣) وذلك لأن كل معصية سببها هوى النفس فهو يعود على آثار أعادها الله به . قال بعض المارفين إذا بدلك أمران لا تدري في أيهما الصواب فانظر أيهما أقرب إلى هلاك فاحلله ، وفي هذا المعنى قال الشافعي - رضي الله عنه - :

إذا حال أمرك في معنيين ••• ولم تدرك حيث الخطأ والصواب

فخالف هوك فإن الهوى ••• يقود أنفوس إلى ما يصاب

وقال العباس إذا اشتبه عليك رأيان فدع أحبهما إليك وخذ أثقلهما عليك ، وأصله أن الأمر الخفيف يسهل عليك موقعه ويقرب موضعه وتخف مؤنته وتلبي معرفته فيشره المرء إليه وتغرم النفس عليه ، والأمر الثقيل يصعب موقعه ويعد موضعه وتبطئ معرفته فتكسل النفس به وتكره التعب به .

روى عن عمر - رضي الله عنه - أنه قال أقدموا هذه الأنفس فإنها طليعة تنزع بكم إلى شر غاية ، إن هذا الحق ثقيل مري . وإن الباطل خفيف ويرى وترك الخطيئة أيسر من معالجة التوبة ، وروى نظرة زرعت شهوة ولذة ساعة أودت حزنا طويلا . وقال لقمان لابنه أول ما أحذرك من نفسك فإن لكل نفس هوى وشهوة فإن أعطيتها شهوتها غادت وطلبت سواها ، فإن الشهوة كامة في القلب كمن النار في الحجر إن قدح أودى وإن ترك تولد .

قال بعضهم :

إذا ما أجببت النفس في كل دعوة ••• دهنتك إلى الأمر القبيح المحرم

وقال آخر :

إذا أتت لم تعص الهوى فادك الهوى ••• إلى كل ما فيه حبيك مقال

وقال غيره :

واعلم بأنك لن تسود ولن ترى ••• طرق الرشاد إذا اتبعت هوك

(١) آية (٤٨) سورة المائدة

(٢) آية (٢٦٦) سورة ص .

(٣) سبق تحريجه .

وقال :

إذا شئت أتيت الحمامد كلها ••• ونيل الذي ترجوه من رحمة الرب

فخالف هوى النفس الميثة إنه ••• لأعدى وأردى من هوى الحب

هما سببا حتف الهوى غير أن في ••• هوى الحب مهما عطف بمد عن اللئب

وجل المعاصي في هوى النفس فاحتمد ••• خلاف الذي تهواه إن كنت قاذب

وقد

إنارة العقل مكسوف بطرق هوى ••• وحقل حاصي الهوى يزداد تنويرا

وقال الفضل بن العباس :

لقد ترفع الأيام من كان جامعلا ••• ويردى الهوى ذا الرأي وهو لبيب

وقد محمد الناس الفنى وهو مخطئ ••• ويعلم في الإحسان وهو مصيب

وقال الله : خلق الله العقل وقال له أتقبل فأقبل وقال له أدير فأدير فقال وعزتي وجلالي لا ركبك إلا في أحب الخلق إلى ، وخلق الحق فقال له أقبل فأقبل وقال له أدير فأدير فقال وعزتي وجلالي لا ركبك إلا في أبغض الخلق إلى . . . ورواه الترمذى .

ولله در من قال :

وقد أصاب رأيه عين الصواب ••• من استشار عقله في كل باب

وقد رأى أن الهوى مهما يجب ••• يدعو إلى سوء المواقف والعقاب

وأشد آخر :

إذا شئت أن تحظى وأن تبلغ المنى ••• فلا تسعد النفس المطيعة للهوى

وخالف بها من مقتضى شهواتها ••• وإياك أن تحفل بمن ضل أو هوى

ودعها وما تدعو إليه فإنها ••• لأمر بالسوء من هم أو مدى

لعلمك أن تنجو من النار إنها ••• لقاطعة الأمعاء نزاهة الشوى

ومأثورهم الهوى مركب ذميم يسير بك في ظلمات الفتن ومرتع وغيم يغمك في مواطن النجس فلا تحدث شهوة نفس على ركوب لذات والقعود في مواطن الخطيئة ، قيل لبعضهم لو تزوجت قال لو قدرت أن أطلق نفسي لطفتها وأشد .

تجرد من الدنيا فباتت إنما •• سقطت إلى الدنيا وأنت مجرد

نفساً نوم والأخرة يقظة والنوسيط بينهما الموت ونحن في أضغاث أحلام من نظر معين  
جوز حار ومن حكم على الهوى جار ومن أطال النظر لم يدرك الغاية وليس لناظر نهاية .

وقد رحمه : خير دينكم الورع وقال كن ورعاً تكن أعبد الناس وكن  
مع نكر أشكر الناس ، وقال رحمه : من لم يكن له ورع يصده عن معصية الله إذا حلا لم يعبا  
به شيء من علمه (١) . قال إبراهيم بن أدهم الرهد ثلاثة مقامات فزهد فرض وهو الكف عن  
محرم ، وزهد سلامة وهو ترك الشبهات ، وزهد فضل وهو الزهد في الجسد ، وهذا تفسير  
حسن . قال ابن المبارك الرهد إخفاء الزهد إذا عرب الزاهد من الناس لاطلبه وإذا طلب الناس  
فلهرب منه .

وما أحسن قول القائل :

أتى وجدت فلا تظن غير •• إذا التورع عند هذا الدرهم  
فإذا قطرت عليه لم تركه •• فاعلم بأن تلك تقوى المسلم  
وليس الزاهد من زهد في الدنيا وقد أضرحت عنه وإنما الزاهد من أقبلت عليه  
فجوى عنها وجهه وأثر الفلور منها كما قال أبو ناس .

إذا المرء لم يزهد وقد صبغت له •• بمصفرها الدنيا فليس بزاهد  
وقال بعض الحكماء :

تباً لطلب دنيا لا يقبأ لها •• كأنما هي في تصرفها حلم  
صفاءها كندر سرائها ضرر •• أمانتها ضرر أبوارها ظلم  
شيابها هرم راحتها سقم •• لذاتها ندم وجدها علم  
لا يستفيد من الأنكاد صاحبها •• لو كان يملك ما قد ضمنت لوم  
محل عنها ولا ترك لزهرتها •• فرائها ندم في طيها نغم  
واعمل لدار نعيم لا تضاد لها •• ولا يخالف بها موت ولا هرم

ومن حكم يحيى بن معاذ ليكن نظرك إلى الدنيا اعتباراً ، ورمضك لها اختصاراً ، وسبب  
باعتبارها وطلبك الآخرة ابتداراً .

### الباب الثاني والسبعون

#### في صفة الجنة ومراتب أهلها

اعلم أن تلك الدار التي عرفت عمومها وخصوصها وهي النار تقابلها دار أخرى فتأمل نعيمها  
ومرورها فإن من يعد من إحداها استقرار لا محالة في الأخرى لاستأثر الخوف من قلبك بطول  
الفكر في أهوال الجحيم واستأثر الرجاء بطول الفكر في النعيم المقيم الموعود لأهل الجنة ، وسق  
نفسك بسوط الخوف وقدها بزمام الرجاء إلى الصراط المستقيم فبذلك تنال الملك العظيم وتسلم  
من العذاب الأليم ، فتتمكو في أهل الجنة وفي وجوههم نظرة النعيم يسفون من رحيق مختوم  
جالسين على منابر الياقوت الأحمر في خيام الدؤلؤ الرطب الأبيض فيها بسط من العبقري  
الأخضر متكئين على الأرائك منصوبة على أطراف أنهاره ومطرقة بالحرير والعمل محفوظة  
بالعلماء والولدان مزينة بالخور العين من الخيرات الحسن كأنهن الياقوت والمرجان ، لم يطمئن  
أنس قلبهم ولا جان ، يمشين في درجات الجنان إذا اختالت إحداها في مثيها حمل أعطافها  
سيمون ألف من الولدان ، عليها من طرائف الحرير الأبيض ما تتحير فيه الأبصار متوجات  
بالتيجان المرسعة باللؤلؤ والمرجان شكلات ضجات عطرات أمات من الهرم واليؤس مقصورات  
في الخيام في قصور من الياقوت ، يثبت وسط روحيات الجنان ، قاصرات الطرف عين ، لم  
يطاف عليهم وعليهن بأكواب وأباريق وكأس من معين يضاء بنة للشاربين ، ويطرف عليهم  
خدام وولدان كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون في مقام أمين في جنات وعيون في  
جنات وبهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

وينظرون فيها إلى وجه الملك الكريم وقد أشرقت في وجوههم نظرة النعيم لا يرمقهم قتر  
ولا ذل بل عباد مكرمون وبأنواع المنح من ربهم يتمتعون ، فهم فيما اشتته أنفسهم جالسون  
، لا يخافون فيها ولا يحزنون وهم من رب الجنات آمنون ، فهم فيها يتمتعون ويأكلون من  
أطعمتها ويشربون من أنهارها لبناً وحماً وحسلاً وماء غير آسن ، أراغبها من فضة وحسابها  
مرجان وتربها مسك أذهر ونباتها زعفران ، ويمطرون من سحب فيها من ماء النسيم على كثبان  
الكافور ويؤتون بأكواب من فضة مرصعة بالدر والياقوت والمرجان ، كوب فيه من الرحيق المختوم  
مخرج به السلسبيل العذب وكوب يشرق نوره من صماء جوهرة يبدو الشراب من ورائه برفقه  
وحمرته لم يصنعه آدمي ، فيقصر في تسوية صنعه وتحسين صنعه على كف خدام يحكي ضياء  
وجهه الشمس في إشراقها ، ولكن من أين للشمس مثل حلاوة صورته وحسن أصداؤه وملاحاة  
أحداقه ، فيها هجاب في يوم يدار هذه صنعتها ويوقن بأنه لا يموت أهلها ولا تحل الضجائع من نزل  
صناتها ولا تنتظر الأحداث بعين التغيير إلى أهلها ، كيف يأتس يدار قد أدن الله في خرابها وتها  
يعيش نوبها ، والله لو لم يكن فيها إلا سلامة الأبدان مع الأمن من الموت والجوع والمطش ••



في خدينان كان جديراً بأن يهجر الدنيا بسببها وأن لا يؤثر عليها ما التصبر والتعصم من  
 . كيف وأهلها ملوك آمنون وفي أنواع السرور متعمدون لهم في كل ما يشتهون هم في  
 . م معاء العرش يحضرون وإلى وجه الكريم ينظرون ويتناولون بالنظر من الله ما لا ينظرون معه  
 . من نعم الحنان ولا يلتفتون وهم على الدوام بين أصناف هذه النعم يترددون ومن زوالها

قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ : ينادي مناد يا أهل الجنة أت أنتم أن تصحوا فلا تسقموا  
 . وإن لكم أن تحبوا فلا تموتوا أبداً وأن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً وأن لكم أن تعملوا  
 . تساموا أبداً فذلك قوله عز وجل : ﴿ وَتُؤْتُوا أَنْ تَلْكُمْ الْجَنَّةُ أَوْ تَقْتُلُوا بِهَا أَنْفُسَكُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١) ،  
 . مهم أريدت أن تعرف صفة الجنة فاقرا القرآن فليس وراء بيان الله تعالى بيان والقرأ من قوله  
 . ﴿ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ (٢) إلى آخر سورة الرحمن ، وقرأ سورة الواقعة وغيرها من  
 . الصور ، وإن أريدت أن تعرف تفصيل صفاتها من الأخبار فتأمل الآن تفصيلها بعد أن اطلعت على  
 . جملتها وتأمل أولاً ( عند الجنان ) .

قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى : ﴿ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ قال جنتان من فضة  
 . أنبجها وما فيها ، وجنتان من ذهب أنبجها وما فيها ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم  
 . إلا هذه الكبرياء على وجهه في جنة عدن ، ثم انظر إلى أبواب الجنة فإنها كثيرة بحسب أصول  
 . الطاعات كما أن أبواب النار بحسب المعاصي . قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ : « من  
 . أتى زوجين من ماله في سبيل الله دعى من أبواب الجنة كلها والجنة ثمانية أبواب ، فمن كان من  
 . أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الصيام ، ومن كان من  
 . أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد . فقال أبو بكر  
 . رضي الله عنه : والله ما على أحد من ضرورة من أيها دعى فهل يدعى أحد منها كلها قال نعم  
 . أ ، جر أن تكون منهم » (٣) .

وعن عاصم بن صبرة عن علي - كرم الله وجهه - أنه ذكر النور فخطب أمرها ذكر ألا أحاطه ثم  
 . قال : ﴿ وَسَيُقَالُ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِنَّ الْجَنَّةَ زُمَرٌ ﴾ (٤) حتى إذا انتهوا إلى باب من أبوابها وجدوا عنده  
 . جنة يصرح من تحت ساقها عينان تجريان فعمدوا إلى إحدهما كما أمروا به فشرى منها فأذهبت  
 . من أيها دعى ثم عمدوا إلى الأخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة العليم فلا

(١) آية (٤٣) سورة الأعراف .

(٢) آية (٤٦) سورة الرحمن .

(٣) صحيح البخاري (٢٨٤١ ، ٣٢١٦) ، ومسلم (١٠٢٧) .

(٤) آية (١٣١) سورة الزمر .

تعبير أشعارهم بعدها أبداً ولا شعث رؤوسهم كأنما دعوا بالدخان ثم انتهوا إلى الجنة ، فقال  
 . لهم حرسها ﴿ سلام عليكم طينتم مدحلوها حناندي ﴾ ثم تلقاهم الولد ، يطعمون بهم كما  
 . تطيف ولد من أهل الدنيا بالحبيب يقدم عليهم من عبية يقولون له أبشر أحد الله بك من الكرامة  
 . كذا ، وقال فينتطلق غلام من أولئك الولدان إلى بعض أزواجه من الحور العين يقول قد جاء فلان  
 . باسمه الذي كان يدعى به في الدنيا ، فتقول أنت رأيته فيقول أنا رأيته وهو بأثرى فيستحمها المرح  
 . حتى تقوم إلى أسكفة بأنها فإذا انتهى إلى منزلة نظر إلى أساس بنيانه فإذا جدد اللؤلؤ فوقه صرح  
 . أحمر وأخضر وأصفر من كل لون ثم يرفع رأسه فينظر إلى سقفه فإذا هو مثل البرق ولولا أن الله  
 . تعالى أقدره لألم بأن يذهب بصره ثم يطأ رأسه فودا أزواجه وأكواب موضوعة ومارق مصفونة  
 . وورابي مشوطة . ثم اتكأ فقال الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، ثم  
 . ينادي مناد تحبون فلا تموتون أبداً وتقيمون فلا تظعون أبداً وتصحون فلا تمضون أبداً .

وقال رسول الله ﷺ : أتى يوم القيامة باب الجنة فاستفتح فيقول الحازن من أنت فأقول  
 . محمد فيقول بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك .

ثم تأمل الآن في ضرب الجنة واختلاف درجات العلو فيها فإن الآخرة أكبر درجات وأكبر  
 . تمجيلاً ، وكما أن بين الناس في الطاعات الظاهرة والأخلاق الباطنة للمعمودة تفاوتاً ظاهراً  
 . فكذلك فيما يجازون به تماوت ظاهر ، فون كست تطلب أعلى الدرجات فاجتهد أن لا يسبقك  
 . أحد بطاعة الله تعالى فقد أمر الله بالسابقة والمداومة فيها فقال تعالى ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ  
 . رَبِّكُمْ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَبِئْسَ ذَلِكَ فَلْتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ والعجب أنه لو تقدم عليك أقرانك أو  
 . جيرانك بزيادة درهم أو بعلو بناء فقل عليك ذلك أو ضائق به صدرك وتنفص بسبب الحسد  
 . عيشك ، وأحسن أحوالك ، أن تستقر في الجنة وأنت لا تسلم فيها من أقوام يسبقونك بلطائف لا  
 . توازيها الدنيا بحداقيرها .

فقد قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ : أن أهل الجنة ليشربون أهل الغرف فوقهم  
 . كما تشربون الكوكب الغائر في الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم ، قالوا يا رسول الله  
 . تلك منازل الأنبياء لا ينبغي غيرهم ، قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا  
 . المرسلين وقال أيضاً إن أهل الدرجات للعلو ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق من  
 . أفاق السماء وإن أنا بكر وعمر لمهم ، وأنعم ، وقال جابر قال لنا رسول الله ﷺ : ألا أحدثكم  
 . بعرف الجنة قال قلت بلى يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت وأما قال : إن في الجنة عرفاً من  
 . أصناف الجواهر كله يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وفيها من الثعيب واللدات والسرور  
 . مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال قلت يا رسول الله ولم هذه العرف قال



على ما أنتم عليه أحب إلي من أن يراني كل امرئ منكم يمثل عمل جميعكم ، ولكنني أخاف أن تفتح عليكم الدنيا فيفكر بعضكم بعضاً وينكركم أهل السعادة عند ذلك ، فمن صبر واحتسب ظفر بكامل ثوابه ، ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ مَا عِدَّتُمْ يَمَعُدْ وَمَا عَدَّ اللَّهُ بَاقِيَ وَلِتَجْعَلَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ ﴾ الآية .

وروي جابر أنه - مثل ﷺ - عن الإيمان فقال : الصبر والسماحة . وقال أيضا : الصبر كثر من كور الجنة <sup>(١)</sup> وسئل مرة ما الإيمان فقال الصبر . وهذا يشبه قوله ﷺ الخبز عرفة معناه معظم الخبز عرفة ، وقال أيضا ﷺ : أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النعمس <sup>(٢)</sup> ، وقيل أوحى الله تعالى إلى داود - عليه السلام - تخلق بأخلاق وإن من أخلاقه أني أنا الصبور . وفي حديث عطاء عن ابن عباس لما دخل رسول الله ﷺ على الأنصار فقال : أؤمنون أنتم ؟ فسكتوا فقال عمر نعم يا رسول الله ، قال وما علامة إيمانكم قالوا نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء وترضى بالقضاء . فقال ﷺ : مؤمنون ورب الكعبة . وقال ﷺ : في الصبر على ما تكره خير كثير . وقال المسيح - عليه السلام - إنكم لا تتركون ما تحبون إلا يصبركم على ما تكرهون . وقال رسول الله ﷺ : لو كان الصبر رجلا لكان كريما والله يحب الصابرين والأخيار في هذا لا تحصى ، وقال ﷺ : عسر من قنع ودل من طمع ، وقال ﷺ : القناعة كنز لا يفنى ونقدم الكلام على القناعة مرارا .

### الباب الرابع والسبعون

#### في فضل التوكل

من الآيات قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ <sup>(٣)</sup> وأعظم بمقام موسوم بحبة الله تعالى صاحبه ، ومضمون بكفاية الله تعالى ملاجه ، فمن الله تعالى حسيه وكافييه ومحييه وراحيه بعد ناز العز العظيم فإن المحبوب لا يعذب ولا يبعد ولا يحجب ، ومن الأخبار قوله ﷺ : فيما رواه ابن مسعود رأيت الأم في الموسم فرأيت أمي قد ملأوا السهل والجبل فأعجبتني كثرتهم وهيئتهم فقيل لي أرشيت قلت نعم قليل ومع هؤلاء سبعون ألف يدخلون الجنة مغفرة حساب قيل من هم يا رسول الله قال الذين لا يكتوون ، ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون ، فقام عكاشة وقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال رسول الله ﷺ اللهم اجعله منهم فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال ﷺ سبقك به عكاشة . وقال

(١) (مروض) كشف الخفاء ٢ / ٢٧

(٢) تخلف السادة ٩ / ٦ و ٢٥٥

(٣) آية (١٥٩) سورة آل عمران .

ﷺ : لو أنكم تتوكلون على الله حتى توكله لرزقكم كما يرزق الطير تعدو خميصا وتروح بطنا . وقال ﷺ : من انقطع الله عز وجل كساه الله تعالى كل مؤونة ورزقه من حيث لا يحتسب ، ومن انقطع إلى الدنيا وكفه الله إنيها . وقال ﷺ : من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أولئ منه بما في يديه .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا أصاب أهله خصاصة قال : قوموا إلى الصلاة ويقول هذا أمرى ربى عز وجل . قال عز وجل : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ الآية . . وقال ﷺ لم يتوكل من استرقى واكتوى .

وروي أنه لما قال جبريل لإبراهيم - عليهما السلام - وقد رمى النار بالمنجنيق لك حاجة قال أما إنيك فلا وفاء بقوله حمسى الله ونعم الوكيل إذ قال ذلك حين أحس ليرمى فأمر الله تعالى : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَلى ﴾ ، وأوحى الله تعالى إلى داود - عليه السلام - يا داود ما من عبد يعتصم بى دون خلقي فتكفيه السموات والأرض إلا جعلت لها صخرجا . وقال سعيد بن جبيرة لدغتي عقرت فأقسمت على أمي لتسترين فتناولت الراقي يدي التي لم تلدغ وقرأ الخواص قوله تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوت ﴾ إلى آخرها فقال ما ينفع للعبد بعد هذه يلجأ إلى أحد غير الله تعالى . وقيل لبعض العلماء في منامه من وثق بالله تعالى فقد أحرز قوته .

وقال بعض العلماء لا يشعلك للمضمون لك من الرزق عن اللغرض عليك من العمل فتضيع أمر آخرتك ولا تنال من الدنيا إلا ما قد كتب الله لك . وقال يحيى بن معاذ في وجود العبد الرزق من غير طلب دلالة على أن الرزق مأمور بطلب العبد . وقال إبراهيم بن أدهم سألت بعض الرهبان من أين تأكل فقال لي ليس هذا العلم عندي ولكن من ربي من أين يطعمس . وقال بعضهم متى رغبت بالله وكيلا وجدت إلى كل خير سبيلا . . نسأل الله الأبد .

### الباب الخامس والسبعون

#### في فضل المسجد

قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يُعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ <sup>(١)</sup> وقال ﷺ : من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطرة بنى الله له قصرا في الجنة <sup>(٢)</sup> ، وقال ﷺ : من ألب المسجد أئمة الله تعالى ، وقال ﷺ : إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس .

(١) آية (١٨) سورة التوبة

(٢) (ضعيف) أحمد ١ / ٢٤١ ، ومجمع الروائد ٢ / ٧

وقال ﷺ : « لا صلاة لحار مسجد إلا في المسجد » (١) وقال ﷺ : « الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي فيه تقول اللهم صل عليه اللهم ارحمه اللهم اغفر له ما لم يحدث أو يعرج من المسجد » وقال ﷺ : يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد فيفقدون فيها حلقاً حلقاً ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا يبالونهم فليس لله بهم حاجة . وقال ﷺ : قال الله عز وجل في بعض الكتب إن بيوتى في أرضي المساجد وإن روارى فيها عمارها يطوى لعبد تطهر في بيته ثم رارى في بيته فحق على المروء أن يكرم رآته . وقال ﷺ : إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان ، وقال سعيد بن المسيب من جلس في المسجد فإنما يجالس فيه فما حقه أن يقول إلا غيراً

ويروى في الآثار أو الخبر : الحديث في المسجد يأكل الحسنة كما تأكل البهائم الحشيش وقال السجعي كانوا يرون أن المشي في الليلة المظلمة إلى المسجد موجب للجنة . وقال أنس بن مالك من أسرج في المسجد سراجاً لم تزل الملائكة وحمة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد خضوه . وقال علي كرم الله وجهه إذا مات العبد يركب عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء ثم قرأ : ﴿ فَمَا يَكُنْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مِنْهَا ﴾ (٢) وقال ابن عباس تبنى عليه الأرض أربعين صباحاً . وقال عطاء الخراساني ما من عبد سجد لله سجدة في بقعة من بقاء الأرض إلا شهدت له يوم القيامة ويكتب عليه يوم يموت . وقال أنس بن مالك ما من بقعة يذكر الله تعالى عليها بصلاة أو ذكر إلا انتشرت على ما حولها من البقاع وانتشرت بذكر الله عز وجل إلى منهاها من سبع أرضين وما من عبد يقدم صلى إلا تزخرت له الأرض . ويقال ما من منزل يتزل فيه قوم لا أصبح فلك المنزل يصلي عليهم أو يلعنهم .

### الباب السادس والسبعون

#### في الرياضة وفصل أهل الكرامة

أعلم أن الله عز وجل إذا أراد بعبد خيراً أبصره بعيوب نفسه فمن كانت بصيرته نادرة لم تحف عنه عيوبه فإذا عرف العيوب أمكنه العلاج ولكن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم يرى أحدهم لقى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه ممن أراد أن يعرف نفسه هذه أربعة طرق ( الأولى ) أن يجلس بين يدي شيخ يصبر بعيوب النفس مطلع على حقائق الآفات ويحكمه في نفسه وينشع إشارته في مجاهدته وهذا شأن المريء مع شيخه والتلميذ مع أستاذه فيعرفه أستاذه

(١) صحيح ( البيهقي ٣ / ٢٥ ) وصحيح الجامع ( ٦٢٩٧ )

(٢) آية ( ٢٩ ) سورة النحل

وشيخه يوب نفسه ويعرفه طريق علاجه وهذا عز في هذا الزمان وجوده ، ( الثاني ) أن يطلب صديق بصيراً متديباً فيصبره رفيق على نفسه ليلاحظ أحواله وأفعاله مما كره من أفعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة يسهه عليه فهكذا كان يعمل الأكياس والأكابر من أئمة الدين .

كان حمير - رضي الله عنه - يقول رحمه الله امرأ أهدي إلى هيوبي وكان يسأل سلمان عن هيوبي فلما قدم عليه قال ما الذي بلغك حتى ما تكرهه فاستمعى فأخبر عليه فقال بلغني أنك جمعت بين إدامين على مائدة وأن لك حنتين حلة بالنهار وحلة بالليل ، قال وهل بلغك غير هذا قال لا ، فقال أما هذان فقد كميتهما . وكان يسأل حذيفة ويقول له أنت صاحب مر رسول الله ﷺ في المنافقين فهل ترى على شيئا من آثار التعاق فهو على جلالة قدره وهو متصبه هكذا كانت تهمته لنفسه - رضي الله عنه - فكل من كان أوفر عقلاً وأعلى متصباً كان أقل إعجاباً وأعظم اتهاماً لنفسه إلا أن هذا أيضاً قد عز قل في الأصدقاء من يترك الملاحظة فيخبر بالعيوب أو يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا تخلو في أصدقائك من حسود أو صاحب فرح يرى ما ليس بهيب هيباً أو من مذهبي يحصى عنك بعض عيوبك ، ولهذا كان فاود الطائي قد اعتزل الناس فقيل له لم لا تخلط الناس فقال ومذا أصنع بأنهم يخفون عني هيوبي . فكانت شهوة قوى الدين أن يتبها لعيوبهم بتبهم غيرهم وقد آل الأمر في أمثالنا إلى أن أبغض الخلق إلينا من يتصحننا ويعرفنا هيوبينا ويكاد هذا أن يكون مفصلاً من ضعف الإيمان فإن الأخلاق السيئة حيات وعقارب لناغة فلو نبهنا عنه على أن تحت ثوبنا عقرباً لتقلنا منه مة وفرحتا به واشتغلنا بإزالة العقرب وإعدادها وقتها وإنما تكايتها على البدن ويدوم معها يوماً فما دونه ونكاد الأخلاق الرديئة على صميم القلب نخشى أن تلوم بعد الموت أبنا أو الأقا من الستين ثم لنا لا نفرح بمن نبهنا عليها ولا نشغلنا بارتها بل شغل بمقابلة الناصح بمثل مفاصلته فنقول له وأنت أيضاً تصعب كبت وكبت وتشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه ويشبه أن يكون ذلك من قساوة القلب التي أخرتها كثرة التوب . وأصل كل ذلك ضعف الإيمان فنسأل الله عز وجل أن يلهمنا رشدنا ويصبرنا ويشغلنا بمداومتها ويعزنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا منه وفصله :

الطريق ( الثالث ) أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من السنة أعدائه فإن حين السخط تبدل ولعل انتفاع الإنسان بمثل عشاخن يذكره عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق ملأه من يثنى عليه ويمدحه ويحصى عيوبه إلا أن الطبع مجبول على تكذيب المدح وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول أعدائه فإن مساوئه لا يد وأن تنتشر على ألسنتهم .

الطريق ( الرابع ) أن يحاطب الناس فكل ما رآه مذموماً فيها بين الخلق فليطالب نفسه بها ويسبها إليه فإن المؤمن مرآة المؤمن فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم أن الطبع متقاربة في

اتبع الهوى ، فما يتصف به واحد من الأقران لا ينفك القرن الآخر عن أصله أو عن أعظم منه أو عي شيء منه فليتمد نفسه ويظهرها من كل ما يذمه من غيره ، وباهيك يهتد تأديبا فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لا يستعنوا عن الأدب .

واعلم أن ما ذكرناه إن تأملته بعين الاعتبار انفتحت بصيرتك وانكشفت لك علل القلوب وأمر أصها وأدويتها بوز العلم واليقين فإن عجزت عن ذلك فلا يبق أن يعوتك التصديق والإيمان على سبيل التلقى والتقليد لمن يستحق التقليد لأن للإيمان درجة كما أن العلم درجة ولعلم يحصل بعد الإيمان وهو وراءه قال الله تعالى : ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هُمْ أَوْتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ فمن صدق بأن مخالفه الشهوات هو الطريق إلى الله عز وجل ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين آمنوا ، وإذا اطلع ما ذكرناه من أعوان الشهوات فهو من الذين أوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى والذى يقتضى الإيمان بهذا الأمر فى القرآن والسنة وأقاويل العلماء أكثر من أن يحصر ، قال الله تعالى : ﴿ وَبَنَى الْفَرْسَ عَنِ النَّهْرِ ﴾ فَإِنَّ الْفَرْسَ هُوَ الْفَأْوَى ﴿ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَلِقَائِهِ إِذْ قَامُوا ظُهُورَ الْبَيْتِ ﴾ فَبَدَّلَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى ﴾ فَبَدَّلَ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى . وقال ﴿ الْمُؤْمِنُ بَيْنَ خَمْسٍ شِدَادٍ مَوْثِقٍ يَحْسِنُهُ وَمُطَاقٍ يَخْضَعُهُ وَكَافِرٍ يَقَاتِلُهُ وَشَيْطَانٍ يَهْلِكُهُ وَنَفْسٍ تَنَازَعُهُ ﴾ (١) . فبين أن النفس حلو نازع يجب عليه مجاهدتها .

ويروى أن الله تعالى أوحى إلى داود - عليه السلام - يا داود حذر وأندر أصحابك أكل الشهوات فإن القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عن محبوبة ، وقال عيسى - عليه السلام - طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لم يعود غائب لم يره . وقال نبينا ﷺ لقوم قدموا من الجهاد : مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ، قيل يا رسول الله وما الجهاد الأكبر قال جهاد النفس . وقال ﷺ : « المحاهد من جاهد نفسه بى طاعة الله عز وجل » (٢) . وقال سفيان الثوري ما عالجت شيئا أشد على من نفسه مرة لى ومرة على ، وكان أبو العباس الموصلى يقول لنفسه يا نفس لا ملى الدنيا مع أرباب الملوك تسعين ولا لى طلب الآخرة مع العباد مجتهدين كائى بك بين الحله والنار تحسبن يا نفس ألا تسعين . وقال الحسن م الدانة المصوح بأخوج إلى النجاشيد من نفسك . وقال يحيى بن معاذ الرازى جاهد نفسك بأسياف الرياضة الرضائية والرياضة على أربعة أوجه القوت من الطعام والمحض من سام وإحاجة من الكلام وحمل الأذى من جميع الأنام فيولد من فنه الطعام موت الشهوات وموت له انهم صغر الإرادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الأذى البلوغ إلى الغايات

وقال أيضا أعداء الإنسان ثلاثة دنياه وشيطانه ونفسه فاحترس من الدنيا بالزهد فيها ومن

الشيطان بمحالفته ومن النفس بترك الشهوات وقال بعض الحكماء من استولت عليه النفس صار أسيرا فى حب شهواتها محصورا فى سجن هواها متهورا معلولا زمامه فى يدها تجره حيث شاءت فتنتع قلبه من الموالد . وقال جعفر بن حميد أجمعت العلماء والحكماء على أن النعيم لا يدرك إلا بترك النعيم . وقال أبو يحيى الوران من أرض الجوارح بالشهوات فقد خرس فى قلبه شجر الندامات . وقال وهيب بن الورد ما زاد على الحيز فهو شهوة ، وقال أيضا من أحب شهوات الدنيا دلبتها للذل .

ويرى أن امرأة العزيز قالت ليوسف - عليه السلام - بعد أن ملك خزائن الأرض وتعدت له على رابية الطريق فى يوم موكب وكان يركب فى زهاء اثنى عشر ألف من عظماء مملكته سبحانه من جمع الملوك عبيدا بالمعصية وجعل العبيد ملوكا بطاعتهم له إن احرص والشهرة صبرا الملوك عبيدا وذلك جزاء القسطين وأن الصبر والتقوى صبرا العبيد ملوكا . فقال يوسف كما أخبر الله تعالى عنه . ﴿ إِنَّهُ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الضَّالِّينَ ﴾ (١) . وقال الجليل أرقت ليلة لقيت إلى وردى فلم أجد الحلاوة التى كنت أجدها فأردت أن أنام فلم أقدر فجلست فلم أطق الجلوس فخرجت فإذا رجل يلتفت فى عساء مطروح على الطريق ، فلما أحس بى قال يا أبا القاسم إلى الساعة فقلت يا سيدى من غير موعد ، فقال بلى سألت الله عز وجل أن يحرك لى قلبك فقلت قد فعل فما حاجتك قال : فمتى يصير داء النفس دواها فقلت إذا خالفت النفس هواها فأقبل على نفسه فقال إسمعى فقد أجبتك بهذا سبع مرات نأيت أن تسمعنى إلا من الجنيد ها قد سمعتنى ثم اتصرف وما صرفته . وقال يزيد الرقاشى إليكم عنى الماء البارد فى الدنيا لعلى لا أحرمه فى الآخرة . وقال وجعل لعمر ابن عبد العزيز - رحمه الله تعالى - متى أتكلم قال إذا اشتبهت الصمت قال متى أصمت قال إذا انتهت الكلام . وقال على - رحمه الله عنه - من أشتد إلى الجنة سلا من الشهوات فى الدنيا .

### الباب السابع والسبعون

### فى الإيمان والنفاق

إسم أن كمال الإيمان الذى هو التصديق بوحدة الله تعالى وبما جاءت به الرسل - صلوات الله عليهم - بزيادة الأفعال . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَمْ يَأْتُوا بِاللَّهِ بِشَيْءٍ جَدِيدٍ ﴾ . وقال الله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ قَلِيلٌ مِنْهُمْ ﴾

بانه و يوم لاخر و الملائكة و الكتاب و النبيين ﴿ شرط عشرين وصفا كالوفاء بالعهد والصبر على شدة بدنه من تعالى : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ وقد قال تعالى : ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ وقال تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلَ ﴾ الآية .  
 وقد قال تعالى ﴿ هُمُ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ وقال ﴿ الْإِيمَانُ عَزَازٌ وَلِبَاسُهُ انْتِفَازٌ ﴾ الحديث .  
 وقد ﴿ إيمان يصح و سيمون بابا أدناها إماعة الأدي عن الطريق ، فهذا ما يدل على ارتباط كمال الإيمان بالأعمال و أما ارتباطه بالبراءة عن النفاق و : ك الحصى فقولہ ﴿ أربع من كن فيه فهو منافق خالص وإن صام وصلى وزعم أنه مؤمن من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اتهم خان وإذا خامس فجر . وفي بعض الروايات وإذا صاحد فخر . وقال - عليه السلام - أكثر منافق هذه الأمة قراؤها . وفي الحديث الشرك أخفى في أمتي من هييب النمل على الصفا . وقال حذيفة - رضي الله عنه - كان الرجل يتكلم الكلمة على عهد رسول الله ﷺ يصير بها منافقا إلى أن يموت واني لأسمعها من أحدكم في اليوم عشر مرات .

وقال بعض العلماء أقرب الناس من النفاق من يروي أنه يرى من النفاق . وقال حذيفة الملقون اليوم أكثر منهم على عهد النبي ﷺ فكانوا إذ ذاك يخفون وهم اليوم يظهرهون وهذا النفاق يضاد صدق الإيمان وكماله وهو عفى وأبعد الناس منه من يتخوفه وأقربهم منه من يرى أنه يرى من فقد نيل للحسن البصري يقولون : إنه لا نفاق اليوم فقال يا أخى لو هلك الملقون لا ستوحشتم في الطريق : وقال هو لو غيره لو ثبتت للمنافقين أذنان ما قبلنا أن نطأ على الأرض بأقدامنا وسمع ابن عمر - رضي الله عنه - رجلا يتعرض للحجاج فقال أرايت لو كان حاضرا يسمع أكنت تتكلم فيه فقال لا ، فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله ﷺ ، وقال ﷺ من كان ذا لسانين في الدنيا جعله الله ذا لسانين في الآخرة . وقال أيضا ﷺ شر الناس ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه ، وقيل للحسن إن قوما يقولون إننا لا نخالف النفاق فقال والله لأن أكون أهمل أنى يرى من النفاق أحب إلى من تلال الأرض ذهباً ، وقال الحسن إن من النفاق اختلاف اللسان والقلب والسر والعلانية والمدخل والمخرج . وقال رجل لحذيفة - رضي الله عنه - إني أخاف أن أكون منافقا فقال لو كنت منافقا ما خفت النفاق إن المنافق قد آمن من النفاق وقال ابن أبي مليكة أدركت ثلاثين وفاة ، وفي رواية خمسين ومائة من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخافون النفاق .

وروى أن رسول الله ﷺ كان جالسا في جماعة من أصحابه فذكروا رجلا وأكثروا الشاء عليه فبينا هم كذلك إذ طلع عليهم الرجل ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء وقد علق بعله بيده وبين عينيه أثر السجود فقالوا يا رسول الله هو هذا الرجل الذي وصفناه ، فقال ﷺ أرى على وجهه سمعة من الشيطان فجاء الرجل حتى سلم وجلس مع القوم ، فقال النبي ﷺ شدت الله

هل حدثت نفسك حين أشرت على القوم أنه ليس فيهم خير منك ، فقال اللهم نعم ، فقال ﷺ في دعائه اللهم إني أستعيرك لما عمت ولما لم أعلم فقبل له أتخاف يا رسول الله ، فقال وما يؤمنى والقلوب بين إصمين من أصبح أثر حسن يعلب كيف يشاء - وهذا قال سبحانه وتعالى ﴿ وهذا لهم من الله ما لم يكتوبوا يحسبون ﴾ قيل في التعبير عمرو أعمالا طرأ أنها حسبت فكانت في كفة السيئات . وقال سرى السفطى لو أن إنسانا دخل بستانا فيه من جميع الأشجار عليها من جميع الطيور فخطبه كل طير منها بلعة فقال السلام عليك ، ولي الله فسكتت نفة إلى ذلك كان أسرا في يديها . فهذه الأخبار والآثار تمرعك خطر الأمر بسبب دقائق النفاق والشرك الخفى وأنه لا يؤمن منه حتى كان عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - يسأل حذيفة عن نفسه وأنه هل ذكر في المنافقين . وقال أبو سليمان النخعي سمعت من بعض الأمراء شيئا فأردت أن أنكره فخعت أن يأمر بقتلى ولم أحب من الموت ولكن خشيت أن يعرض نقبي للتحق عند خروج روعي فكفمت وهذا من النفاق الذي يضاد حذيفة الإيمان وصدقه وكماله وصمالة لا أصله ، فالتناق نفاقان أحدهما يخرج من الدين ويعلق بالكافرين ويسلك في زمرة المخلدين في النار والثاني ينصى يصاحبه إلى النار مدة أو ينقص درجات عليين ويحط من رتبة الصديقين .

### الباب الثامن والسبعون

### في النهي عن الغيبة والنميمة

أما العيبة فقد نص الله سبحانه على ذمها في كتابه وشبه صاحبها بأكل لحم الميتة ، فقال تعالى ﴿ وَلَا يَتَّبِعْ بَعْضُكُم بَعْضًا أَنُحْبِ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مِمَّا فُكِّرَ عَلَيْهِ ﴾ وقال - عليه السلام - كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه والغيبة تتناول العرض وقد جمع الله بينه وبين المال والدم . وقال أبو هريرة قال - عليه السلام - لا تجاسلوا ولا تهاضلوا ولا تتأجلشوا ولا تدابروا ولا يفتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله إخوانا . وعن جابر وأبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ - إياكم والعيبة فإن العيبة أشد من الرماح فإن الرجل قد يرئى ويتوب فيتوب الله سبحانه عليه وأن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه . وقال أنس قال قال رسول الله ﷺ : مررت ليلة أسرى بي على أقوام يخمشون وجوههم بأظفارهم فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يفتابون الناس ويقعون في أعراضهم . وقال سليمان بن جابر أتيت النبي - عليه الصلاة والسلام - فقلت عدسي حيرا أنتع به ، فقال لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن نصب من دلوك في إياه لمستقى وأن تلقى أحاك ببشر حسن وإن أدبر فلا تقته .

وقال البراء حطينا رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق في بيوتهن فقال : يا معشر من آمن

.. لم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عورتهم فإنه من تتبع عورة أخيه تتبع الله .. من تتبع الله عورته يفضحه في جوف بينه .

.. روى الله إلى موسى - عليه السلام - : من مات ثانيا من العيبة فهو آخر من يدخل الجنة .. روى مصراً عليها فهو أول من يدخل النار . وقال أنس أمر رسول الله ﷺ الناس يصوم يوم النحر ، لا يطرون أحد حتى أخذ له فصار الناس حتى إذا أمسوا جعل الرجل يجره فيقول يا رسول الله طالت صائماً فأذن لي لأفطر فيأذن له والرجل حتى جاء رجل فقال يا رسول الله فتانان من الناس طنت صائمتهين وأنها يستحيان أن يأتيتن فأذن لهما أن يطرأ فأعرض عنه ﷺ ثم حاولوه فمضى عنهما ثم حاولوه فقال إنهما لم يصوما وكيف يصوم من ظل تهاره يأكل لحوم الناس إذهب عنه هما إن كنتما صائمتهين أن يستحيين فرجع ليهما فأخبرهما فاستغفرتا فقامت كل واحدة منهما من دم فرجع إلى النبي ﷺ فأخبره ، فقال والذي نفسي بيده لو يقيتا في بطونهما لأكلتهما النار ، وفي رواية أنه لما عرض عنهما بعد ذلك وقال يا رسول الله إنهما قد ماتتا أو كادتا أن تموتا ، فقال ﷺ اتزنى بهما فجاءتا فدعا رسول الله ﷺ بقدر فقال لإحداهما قيش فقامت من قبح فمضى وصلي حتى ملأت القدر وقال للأخرى قيش فقامت كذلك فقال إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأنطرتا على ما حرم الله عليهما جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس .

وقال أنس خطبنا رسول الله ﷺ مذكر الربا وعظم شأنه فقال إن الدرهم يصيبه الرجل من أرباب أعظم عبد الله في الخطيئة من ست وثلاثين زبية يرتيها الرجل وأرى الربا عرض الرجل المسلم .

وأما السبيمة فهي خصلة دميمة فقال الله تعالى : ﴿ هَافِرٌ شَاءَ يَمِيمٌ ﴾ (١) ثم قال ﴿ عَقْلٌ مَعْدُ ذَلِكَ زَيْمٌ ﴾ (٢) قال عبد الله بن المبارك الزنيم ولد الربا الذي لا يكتف الحديث ومشى بالنميمة .. قال أنه ولد زناً ، مستطاباً من قوله عر وجعل . ﴿ عَقْلٌ مَعْدُ ذَلِكَ زَيْمٌ ﴾ (٣) والريميم هو الهميم .. وقال تعالى ﴿ وَيَلْكَرُ هُمُورٌ لَمُورٌ ﴾ (٤) قيل الهمزة السام ، وقال تعالى ﴿ حَبَالَةُ الْعَصَلِ ﴾ (٥) قيل أنها كانت نعمة حسانة للحديث ، قال تعالى : ﴿ فَعَانَتْهُمَا فِيمَ بَغْيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ ﴾ (٦) قيل كبت امرأة لوط تحب بالصبهان وامرأة موح تخبر أنه مجنون ، وقد قال ﷺ لا .. (٧) وفي حديث آخر لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من الكفر والفسق . وقال أبو هريرة

(١) سورة النجم (١١) آية (١٣) سورة القلم .  
(٢) الآية السابقة  
(٣) سورة النجم (٤) سورة النجم  
(٤) سورة النجم (٥) سورة النجم  
(٦) سورة النجم (٧) الإيمان (١٠٥)

قال رسول الله ﷺ أحبكم إلى الله أحبكم أخلاقاً الموطنون أكفاهم الدين يأمنون ويؤمنون وأن أبعضكم إلى الله لشاؤون بالمدينة المفرقون بين الإخوان الملتصقون للبراء العثرات وقال ﷺ ألا أخبركم بشراكم قالوا بلى قال المشاؤون بالمدينة المفسدون بين الأخية السافرون للبراء العيب وقال أبو ذر قال رسول الله ﷺ من أشاع على مسلم كلمة ليشتبه بها بغير حق شاته الله بها في النار يوم القيامة

وقال أبو الدرداء قال رسول الله ﷺ : أبا رجل أشاع على رجل كلمة وهو برئ ليشتبه بها في الدنيا كن حق على الله أن يشينه بها يوم القيامة في النار (١) . وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ : من شهد على مسلم شهادة ليس لها بأهل فليتب مقعده من النار ويقال أن ثلث عذاب القبر من النميمة ، وعن ابن عمر عن النبي ﷺ إن الله لما خلق الجنة قال لها تكلمي فقالت سعد من دخلني فقال الجبار جل جلاله وعزتي وجلالي لا يمكن فيك ثمانية نعر من الناس . لا يسكنك مدمن خمر ولا مصر على الزنا ولا قتلت وهو السام ولا حيوت ولا شرطي ولا محنت ولا قاطع رحم ولا الذي يقول على الله إن لم أفعل كنا وكلنا ثم لم يف به .

وروى كعب الأحبار أن بني إسرائيل أصابهم قحط فاستنق موسى - عليه السلام - مرات . فقاموا فاستنقوا ما أوحى الله تعالى إليه أن لا أستجيب لك ولن معك وبكم غام قد أصر على النسيمة ، فقال موسى يارب من هو ذلتي عليه حتى أخرجني من بيننا قال يا موسى أنهاكم عن النسيمة وأكون غام فتابوا جميعاً فسقوا . ويقال أتبع رجل حكيماً سبعاً فرسح في سبع كلمات فلما قدم عليه قال إن جنتك للذي أتاك الله تعالى من العلم أخبرني عن السماء وما أتقن منها وعن الأرض وما أوسع منها وعن الصخر وما أفسى منه وعن النار وما أحر منها وعن الزمهرير وما أبرد منه وعن البحر وما أعسى منه وعن الينيم وما أدل منه فقال له الحكيم البهتان على البرئ أثقل من السموات والحق أوسع من الأرض والقلب القانع أغنى من البحر والحرص والحسد أحر من النار والحاجة إلى «نقير» أدايم تنجح أبعد من الزمهرير ونف الكفار أفسى من الحجر والحمام إن كان أمره أدل من لينيم .

وما أحسن قول الشاعر :

من غم في الناس لم تؤمن عقاره ••• على الصديق ولم تؤمن أفعاه  
كالسبل بالليل لا يدري به أحد ••• من أين جاء ولا من أين يأتيه  
الويل لمنعه منه كيف ينقضه ••• والويل للود منه كيف يمجيه

وقول الآخر :

يسى عليك كما يسمى إليك فلا ••• تأمن غوائل ذى وجهين كيهاد

## الباب التاسع والسبعون

## ففي بيان عداوة الشيطان

قال رحمه الله : في القلب لثان لثة من الملك لإبعاد الخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وليحمد الله وله من العدو إبعاد بالشر وتكليب بالحق ونهي عن الخير فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثم تلا قوله تعالى : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ ﴾ الآية . . وقال الحسن إنما هما ممان يجولان في القلب هم من الله تعالى وهم من العدو فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان من الله تعالى أمضا وما كان من عدوه جامدا ، وقال جابر بن عبيدة العدوي شكوت إلى العلاء بن زياد ما أبعد في صفري من الرسوسة فقال إنما ذلك مثل البيت الذي يمر به اللصوص لأن كان فيه شيء حاجوه ولا مضوا وتركوه يعني إن القلب الخالي من الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ فكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك لا يدخله الشيطان وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَا أَعْزَازُهُ هَوَاهُ ﴾ وهو إشارة إلى أن الهوى إلهه ومعبوده فهو عبد الهوى لا عبد الله ، ولذلك قال حمرو بن العاص للنبي صلى الله عليه وآله وسلم يا رسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقرآتي فقال ذلك شيطان يقلل له شرب فإذا أحسسته فتموّد بالله منه واتفل عن سارك ثلاثا قال فعلت ذلك فأذهب الله صني .

وفي الخبر أن لئوضوه شيطانا يقال له الولهان فاستعملوا بالله منه ، ولا يمحو وسوسة الشيطان من القلب إلا ذكر ما سوى ما يوسوس به لأنه إذا خطر في القلب ذكر شيء انعدم منه ما كان فيه من قبل ولكن كل شيء سوى الله تعالى وسوى ما يتعلق به يمحو أيضا أن يكون محالا للشيطان وذكر الله وهو الذي يؤمن جانيه ويعلم أنه ليس للشيطان فيه مجال ولا يعالج الشيء إلا بصدده وضد جميع وسوس الشيطان ذكر الله بالاستعانة والتبري عن الحول والقوة وهو معنى قولك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وذلك لا يقدر عليه إلا المتقون العائب عليهم ذكر الله تعالى وإن الشيطان يطوف عليهم في أوقات الغلطات على سبيل الخلسة . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ أَتَوْا إِذَا فَتَنُوهُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا إِذْ هُمْ يُنْهَوْنَ ﴾ وقال سجاد بن معمر قوله تعالى ﴿ مَنْ شَرَّ الْوَسْوَاسِ الْخَاسِ ﴾ عد هو مسيطر على القلب وهذا ذكر الله تعالى غنى وانقبض وإذا غفل انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله تعالى

ووسوسة الشيطان كالتصارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار ولتصادهما قال الله تعالى : ﴿ استعِذُوا بِهِمْ شَيْطَانُ فَتَنَاهُمْ ذَكَرَ اللَّهُ ﴾ وقال أسد بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشيطان وضع خرطومه على قلب ابن آدم فإن هو ذكر الله تعالى خمس وإن سى الله تعالى التغم قلته ، وقال ابن عباس : وضاح في حديث ذكره إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يشب مسح الشيطان وجهه بيده وقال بأبي وجهه وجه من لا يقلح وكما أن الشهوات مختزجة بلحم ابن آدم وحمه فسلطنة الشيطان أيضا صارية في لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه .

ولذلك قال رحمه الله : إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لأن الجوع يكسر الشهوة ويجري الشيطان الشهوات ولا أجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه ، قال الله تعالى يخيارا عن إريس : ﴿ لَا تَعْدُ لَهُمْ حِرَاطُكَ الْمُسْتَبِيمِ ﴾ ثم لا تبهم من بين أيديهم ومن خلفهم ومن أيماهم ومن شمائلهم . وقال رحمه الله : إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرفة فقعده له بطريق الإسلام فقال أتسلم وتترك دينك ودين آبائك فعصاه وأسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال أتهاجر وتدع أرضك وسعائك فعصاه وهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال أتجاهد وهو تلف النفس والمال فتقاتل متقاتل فتكبح نساؤك ويقسم مالك فعصاه وجاهد ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله أن يدخله الجنة .

## الباب الثامنون

## ففي بيان المحبة ومحاسبة النفس

قال سفيان المحبة اتباع رسول الله صلى الله عليه وآله وقال غيره دوام الذكر وقال غيره إثبات المحبوب وقال بعضهم كراهية البقاء في الدنيا وهذا كله إشارة إلى ثمرات المحبة فأما نفس المحبة فلم يتعرضوا لها وقال بعضهم المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب عن إدراكه وتمتع الألسن عن عبارته ، وقال الجليلي حرم الله تعالى المحبة على صاحب العلاقة وقال كل محبة تكون بمحوى فإذا رآه المحوى رآته المحبة ، وقال ذو النون قل لمن أظهر حب الله إظهار أن تذل لغير الله . وقيل للشبلي رحمه الله صف لنا الماوف والمحبة فقال الماوف إن تكلمت هلك والمحبة إن سكنت هلك وأنشد الشبلي رحمه الله :

يا أيها السيد الكريم ••• حبك بين الحبس مقيم

يا رافع السنوم عن جفوني ••• أنت بمسامري هديم

وقالت رابعة العدة به ما عدا ••• حب ففالت عادمة لها حسبا معا ولكن الدنيا



قطعتا عنه ، وقال ابن الجلاء - رحمه الله تعالى - أوحى الله تعالى إلى عيسى - عليه السلام - إنني إذ أعلمت على سر عبيد فلم أجده فيه حب الدنيا والآخرة ملائمة من حبي وتوحيته بحفظي ، وقبل تكلم سمعون يوماً في المحبة فإذا بطائر تزل بين يديه فلم يزل يتنقر بمنقاره الأرض حتى سال الدم منه صمات ، وقال إبراهيم بن أدهم إني إنك تعلم أن الجنة لا تزن عندى جناح بعوضة في جنب ما أكرمتني من محبتك وأنستني بذكرك وغرقتني لشكر من عظمتك ، وقال السري رحمه الله من أحب الله عاش ومن مال إلى الدنيا طاش والأحمر يقدو ويروح في لاش والعافل عن عيوبه تناش .

وأما محاسبة النفس فقد أمر الله بها بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا انظُرُوا إِلَهُكُمْ فَتُحْشَرُوا لَكُمْ لَذُنُوبِكُمْ ﴾ (١) وهذه إشارة إلى المحاسبة على ما مضى من الأعمال ولذلك قال عمر - رضي الله تعالى عنه - حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوها ، وفي الخبر أنه عليه السلام جاءه رجل فقال يا رسول الله أوصني فقال أمتش من أنت فقال نعم قال إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته فإذا كان رشداً فامضه وإن كان غيماً فامتنعه منه وفي الخبر وينبغي للعافل أن يكون له أربع مساعات منها ساعة يحاسب فيها نفسه قال تعالى : ﴿ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَكُمْ نُظُوفٌ ﴾ (٢) والتوبة ينظر في الفعل بعد الفراغ منه بالندم عليه وقد قال النبي ﷺ إني لأستغفر الله تعالى وأتوب إليه في اليوم مائة مرة ، وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ خُلُوفٌ مِنْ الثَّيِّبَاتِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْهَرُونَ ﴾ (٣) .

وعن ميمون بن مهران أنه قال لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شركه والشرك كان يحاسبان بعد العمل .

وروي عن عائشة - رضي الله عنها - أن أبا بكر - رضوان الله عليه - قال لها عند الموت ما أحد من الناس أحب إلى من هموم قال لها كيف قلت فأعادت عليه ما قال فقال لا أحد أعز علي من عمر فانظر كيف ينظر بعد الفراغ من الكلمة فتدبرها وأبدلها بكلمة غيرها ، وحديث أبي طلحة حين شمله الطائر في صلاته فتدبر ذلك فجعل حائطه صدقة لله تعالى ندماً ورجاء للمرضى بما فاتته ، وفي حديث ابن سلام أنه حمل حزمة من حطب فقيل له يا أبا يوسف قد كان في بيتك وغلمانك ما يكفيك هذا فقال أردت أن أجرب نفسي هل تنكره . وقال الحسن المؤمن فوام على نفسه يحاسبها الله وإنما يخف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا وإنما شق الحساب يوم

(١) آية (١٨) سورة الحشر

(٢) آية (٣١) سورة النور .

(٣) آية (٢٠١) سورة الأعراف

القبعة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة ثم فسر المحاسبة فقال إن المؤمن يعجزه الشيء يعجزه فيقول والله إنك لتعجبني وإنك لمن حاجتي ولكن هيهات حبل بيني وبينك هذا حسلب قبل العمل ثم قال ويصير من الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول ماذا أردت بهذا والله لا أعذر بهذا والله لا أعذر لهذا أبداً إن شاء الله .

وقال أنس بن مالك سمعت عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يوماً وقد خرج وخرجت معه حتى دخل حائطاً فسمعتة يقول ويصير جدار وهو في الحائط عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بنح بنح والله لتتقين الله أو ليعلينك . وقال الحسن في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُقْسِمُ بِاللَّهِ الْوَكُوفُ ﴾ (١) قال لا يلقى المؤمن ألا يمات نفسه ماذا أردت بكلمتي ماذا أردت بأكلتي ماذا أردت بشربتي والفاجر يمضي قدماً لا يعاقب نفسه ، وقال مالك بن دينار - رحمه الله تعالى - رحم الله عبداً قال لنفسه ألسنت صاحبة كذا ألسنت حاسبة كذا ثم دعها ثم خطمها ثم ألزمها كتاب الله تعالى فكان له قالدا وهذا من معاتبة النفس ، وقال ميمون بن مهران التقى أشد محاسبة لنفسه من سلطان غاشم ومن شريك شحيح ، وقال إبراهيم التيمي مثلت نفسي في الجنة أكل من ثمارها وأشرب من أنهارها وأعانت أبنائها ثم مثلت نفسي في النار أكل من زقومها وأشرب من صديدنها وأعانت من سلاسلها وأعانت أبنائها فقلت لنفسي يا نفس أي شيء تريدان فقالت تريد أن أورد إلى الدنيا فأحمل صالحاً قلت فأنت في الأمانة فأعصلي . وقال مالك بن دينار سمعت الحجاج يخطب وهو يقول رحم الله امرأ حاسب نفسه قبل أن يصير الحساب إلى غيره ، رحم الله امرأ أخذ يعتان عمله فنظر ماذا يريد به ، رحم الله امرأ ينظر في مكياله ، رحم الله امرأ ينظر في ميزانه فمارال يقول حتى أبتكفي وحكي صاحب للأحرف بن قيس قال كنت أصعبه فكان عامة صلاته بالليل الدهاء وكان يجيء إلى المصباح فيضع فيه إصبعه فيه حتى يحس بالنار ثم يقول لنفسه يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا ما حملك على ما صنعت يوم كذا .

### الباب الحادي والثمانون

#### في بيان تلبيس الحق بالباطل

قال رسول الله ﷺ فيما رواه معقل بن يسار : يأتي على الناس زمان يحلق فيه القرآن في قلوب لرجال كم تحلق الشياطين على الأبدان أمرهم كله يكون طمعاً لا حور معه إن أحسن أحدهم قال يقتل مني وإن أساء قال يعمر لي فأحير أنهم يصعدون لطمع مرضع الخوف لجهلهم

(١) آية (٣) سورة الصافات

بشهرات القرآن وما فيه ، وبمثله أخبر أنهم النصارى ، إذ قال تعالى : ﴿ لَعَلَّكَ مِنْ بَيْنِهِمْ خَلْفٌ وَرُوِيَ الْكِتَابُ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيُقَالُ لَهُ سَعْفُورٌ لَنَا ﴾ (١) . ومعه أنه ورثوا الكتاب أى هم عساه وياخذون عرض هذا الأدنى أى شهراتهم من الدنيا حراما كان أو حلالا ، وقد قال تعالى : ﴿ وَلَمْ يَخَفْ مَطَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ (٢) ، ﴿ لَنْ يَخَافَ عُقَابِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ (٣) والقرآن من أوله تحذير وتحذير لا يتعكر فيه متعكرا إلا وطول حزنه وعظم خوفه إن كان مؤمنا بما فيه وترى الناس يهدونه هذا يخرجون الحروف من محارجها ويتناظرون على خفضها ورفعها ونصبها وكانهم يفرقون شعرا من أشعار العرب لا يهمهم الالتفات الى معانيه والعمل بما فيه وهل فى العالم ضرر يزيد على هذا وقرب منه فرور طوائف لهم طاعات ومعاصى إلا أن معاصيهم أكثر وهم يتوقعون المغفرة ويظنون أنهم ترجع كفة حسنتهم مع أن ما فى كفة السيئات أكثر هذا غاية الجهل فترى الواحد يتصدق بلواهم معبوده من الحلال والحرام ويكون ما يتناول من أموال المسلمين والشبهات أضعافه ولعل ما تصدق به هو من أموال المسلمين وهو يتكل عليه ويظن أن أكل ألف درهم حرام يقاومه التصدق بعشرة من الحرام أو الحلال وما هو إلا كمن وضع عشرة دراهم فى كفة ميزان وفى الكفة الأخرى ألف وأراد أن يرفع الكفة الشفيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية جهله ومنهم من يظن أن طاعاته أكثر من معاصيه لأنه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه وإذا حمل طاعة حسنها واعتد بها كالذى يستغفر الله بلسانه أو يسبح الله فى اليوم مائة مرة ثم يقتاب المسلمين ويمزق أعضائهم ويتكلم بما لا يرضاه الله طول النهار من غير حصر وعند ويكون نظره إلى عدد سبحته أنه استغفر الله مائة مرة وعمل من هباته طول نهاره الذى لو كتبه لكان مثل تسبيحه مائة مرة أو ألف مرة وقد كتبه الكرام الكاتبون وقد أوعد الله بالعقاب على كل كلمة فقال ﴿ مَا يَنْفُذُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدُنْهِ رَبِّهِ عَوْدٌ ﴾ فهذا أيضا يتأمل فى فصائل التسييمات والتهديدات ولا يلتفت إلى ما ورد من عقوبة اعتائين والكذابين والنامسين والمنافقين الذين يظهرون من الكلام مالا يضرهم إلى غير ذلك من آلات اللسان وذلك محض الغرور ، ولعمري لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه أجره النسخ لما يكتبونه من هباته الذى زاد على تسبيحه لكان عد ذلك يكفى لسانه حتى من جملة من مهماته وما نطق به لى قراته كان يعلم ويحسب ويوازن بتسييماته حتى لا يعضل عليه أجره نسخها فيا عجبا لمن يحاسب نفسه ويحسب خوفا على قيراط بقوته فى الأجرة على النسخ ولا يحسب خوفا من فوت الفردوس الأعلى ونعيمه ما هذه إلا معصية عظيمة لمن تمكر فيها فقد دعبا إلى أمر أن شككا فيه كنا من الكفرة الخالدين وأن صدقنا به كنا من الحمقى المغرورين ، فما هذه أعمال من يصدق بما جاء به القرآن ولما نبهنا إلى الله أن تكون من أهل الكفران فسيحان من صدنا عن التنبيه واليقين مع هذا البيان .

الباب الثاني والثمانون

في فضل صلاة الجمعة

قال ﷺ : صلاة الجماعة تفضل صلاة الذايع وحشرين درجة . همت أن أمر رجال يصلي بالناس ثم اتعالف إلى رجال يتخفون عنها فأمر بهم فحرق عليهم بيوتهم بحزم الحطب ولو علم أحدكم أنه يجد عظما ميتا أو مرماتين لشهدا . . يعنى صلاة العشاء .

وقال عثمان - رضي الله عنه - مرفوعاً من شهد الغشاء تكاثراً قام نصف ليلة ومن شهد لصبح تكاثراً قام ليلة . وقال عطاء : « من صلى صلاة من جماعة فقد ملأ بجره عبادة » (١) وقال سعيد بن المسيب ما أريد مؤذن منذ عشرين سنة إلا وأنا في المسجد . وقال محمّد بن واسع ما أشتى من الدنيا إلا ثلاثة : أخا أن تموت قومي وقوتنا من الرزق هموا بغير تبعه وصلاة مع جماعة يرفع عني سهوها ويكتب لي فضلها .

وروي أن أبا حيدة بن الجراح أم قوما فلما انصرف قال ما زال الشيطان يبي أنا حتى رأيت أن لي فضلا على غيري لا أؤم أبدا . وقال الحسن لا تصلوا خلف رجل لا يحتمل إلى العلماء . وقال النخعي مثل الذي يؤم الناس يغير علم مثل الذي يكيل الماء في البحر لا يدرى زيادته من نقصانه . وقال حاتم الأصم فانتسب الصلاة في الجماعة ففتراس أبو إسحاق البخاري وحده وثو مات في بلد لم يبي أكثر من عشرة آلاف لأن مصيبة الدين أمون هند الناس من مصيبة الدنيا . وقال ابن عباس رضي الله عنهما من سمع المتأدي فلم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به خيرا . وقال أبو هريرة - رضي الله عنه - لأن عملا أدب ابن آدم وصاحبا مذبا خير له من أن يسمع الفناء ثم لا يجيب .

وروي أن ميمون بن مهران أتى المسجد فقبل له إن الناس قد اتصفوا فقال إنا لله وإنا إليه راجعون لأفضل هذه الصلاة أحب إلى من ولاية العراق . وقال **عنه** : « من صلى أربعين يوماً الصلوات في جماعة لا فوته فيها تكبيرة الإحرام كتب الله له براءتين براءة من النفاق وبرائة من النار » <sup>(٢)</sup> . وقال أنه إذا كان يوم القيامة يحشر قوم وجوههم كالنكوك البدرى فنقول لهم الملائكة ما كنتم أعمالكم فيقولون ك إذا سمع لأذاناً فمأ إلى الطهارة لا يشعب غيرهم ثم تحشر طائفة وجوههم كالأنعام فيقولون بعد السؤال كنا تنوعاً قبل الوقت ثم تحشر طائفة وجوههم كالشمس فيقولون كنا نسمع الأذان في المسجد .

(٦) الخراف المزدحم ١٤ / ١٥ .

(٢) المدخل الثاني: ١ / ٢٥٤

وروي أن السلف كانوا يحزرون أنفسهم ثلاثة أيام إذا فاتتهم التكبيرة الأولى ويعززون سبعا إذا فاتتهم الجماعة

### الباب الثالث والنمازون

#### فصل صلاة الليل

أما من الآيات فقوله تعالى : ﴿ إِنْ رَمَكَ ظُلُمٌ أَدْبَىٰ مِنْ ظُلْمِ اللَّيْلِ ﴾ (١) الآية . وقوله تعالى : ﴿ إِنْ نَاشَأَ اللَّيْلُ مِنْ أَشَدِّ وَطْأٍ وَالنُّومُ قَبْلًا ﴾ ، وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ تَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ أَمِنْ هُوَ فَاثَتْ آفَاءَ اللَّيْلِ ﴾ الآية . . وقوله عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ يَبُوءُونَ بِرَبِّهِمْ سَجُودًا وَقِيَامًا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ قيل هي قيام الليل يستعان بالصبر على مجاهدة النفس .

ومن الأخبار : قوله ﷺ : « يعقد الشيطان على قافية أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة : عليك ليل طويل فارقد فإن استيقظ وذكر الله تعالى انحلت عقدة فإن توضأ انحلت عقدة فإن صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان (٢) . وفي الخبر أنه ذكر عند رجل ينام كل الليل حتى يصبح فقال ذلك رجل بال الشيطان في أذنه . وفي الخبر أن للشيطان سموطا ولعوقا ودورا فإذا أمسط العبد ساء خلقه وإذا أيقظه ذرب لسانه بالشر وإذا ذوره نام الليل حتى يصبح . وقال ﷺ : « ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل حبر له من الدنيا وما فيها ولو أن أشق على أمتي لمرغبتها عليهم » (٣) . وفي الصحيح عن جابر أن النبي ﷺ قال : إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرا إلا أعطاه إياه ، وفي رواية يسأل الله خيرا من الدنيا والآخرة وذلك في كل ليلة . وقال المغيرة : من شعبة قام رسول الله ﷺ حتى تقطرت قدماء قليل له أما قد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال : أفلا أكون عبدا شكورا . ويظهر من معناه أن ذلك كثافة من زيادة القرينة فإن الشكر سبب المزيد . قال تعالى : ﴿ فَمَنْ شَكَرْتُمْ لَا يَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (٤) وقال ﷺ : يا أبا هريرة أتريد أن تكون رحمة الله عليك حيا وميتا ومقبورا ومبعوثا قم من الليل فصل وأنت تريد رضا ربك يا أبا هريرة صل في زوايا بيتك يكن نور بيتك في السماء كنور الكواكب والنجم عند أهل الدنيا . وقال ﷺ : « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم فإن قيام الليل قربة إلى الله عز وجل وتكفير للذنوب ومطرقة للداء من

(١) آية (٢٠) سورة المزمل

(٢) صحيح البخاري (١١٤٢) ، ومسلم (٧٧٦)

(٣) صحيح البخاري (١١٤٢) ، ومسلم (٧٧٦) ، وصحيح الجامع (٣١٣٧) .

(٤) آية (٧) سورة إبراهيم

الحسد ومنهارة عن الإثم (١) . وقال ﷺ : ما من امرئ تكون له صلاة بالليل فعليه عليه النوم إلا كتب له أجر صلاته وكان ثمره صدقة عليه . وقال ﷺ لأبي ذر : لو أردت سقرا أصعدت له حدة قبل بمع قد فكيف سمر طريق القيامة ألا أبيتك يا أبا ذر عما ينفعك ذلك اليوم قال بلى أبيت وأمي قال صم يوما شديد الحر ليوم الشور وصل ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور وحج حجة لمعظائم الأمور وتصدق بصدقة على مسكين أو كلمة حق تقولها لو كلمة شر تسكت عنها .

وروي أنه كان على عهد النبي ﷺ رجل إذا أخذ مضاجعهم وهذأت العيون قام يصلي ويقرأ القرآن ويقول يا رب النار أجرني منها ، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال : إذا كان ذلك فادنوني فأتاه فاستمع فلما أصبح قال يا معلان هلا سألت الله الجنة قال يا رسول الله إني لست هناك ولا يبلغ عملي ذلك فلم يلبث إلا يسيرا حتى برز جبرائيل - عليه السلام - وقال أخبر فلانا أن الله قد أجاره من النار وأدخله الجنة . ويروي أن جبرائيل - عليه السلام - قال للنبي ﷺ : نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلي بالليل فأجبره النبي ﷺ بذلك فكان يداوم بعده على قيام الليل قال نافع كان يصلي بالليل ثم يقول يا نافع أسحرتنا فأفرك لا فيقوم لصلاته ثم يقول يا نافع أسحرتنا فيقول نعم فيقعد فيستعفر الله تعالى حتى يطلع الفجر . وقال علي بن أبي طالب شيع يحيى بن زكريا - عليهما السلام - ليلة من حبز شعير فنام عن ورده حتى أصبح فأوحى الله تعالى إليه يا يحيى أوجدت دارا خيرا لك من داري أم وجدت جوارا خيرا لك من جوارى فوعزتي وجلالي يا يحيى لو اطلعت على المردوس إطلاعة لذاب شحمك ولزهدت نفسك إشتياقا ، ولو اطلعت إلى جهنم إطلاعه لذاب شحمك ولبكيت الصديد بعد الدموع ولبست الجلود بعد المسوح . وقال رسول الله ﷺ رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم أبغض امرأته فصلت فإن أبغضت نضح في وجهها الماء وقال ﷺ رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ثم أبغضت زوجها فصلت فإن أبغضت نضحت في وجهه الماء . وقال ﷺ من استيقظ من الليل وأبغض امرأته فصلت ركعتين كتبنا من الذاكريين الله كثيرا والناكرات . وقال ﷺ : أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل . قيل كان الإمام البخاري - رحمه الله عنه - كثيرا ما يمثل بهذين البيتين

احتنمت في الفراغ فضل ركوع \* \* \* فحسب أن يكون موتك بقنفة

كم صحيح رأيت من غير سم \* \* \* خرجت نفسه الصحيحة فتنة

\*\*\*

(١) (ضعيف) الترمذي (٢٥٤٩) ، وصحيح الجامع (٣٧٨٩)

**فلسفة عقوبة علماء الدنيا**

عجبت لمتاع الفلاحة بالهدى      \* \*      ومن يشتري فيها بالدين أعجب  
وأعجب من هدين من باع دينه      \* \*      بلعيا سواء فهو من ذين أعجب

باب الخمس والثمانون  
في فضل حسن الخلق

(١) آية (١٢٥) سورة النساء  
(٢) آية (٤) سورة القلم

(١٧) آية (١٧٨) - سورة الأعراف  
(٤) - الميثاق ١٠ / ١٩٢

يطعمه سر . وقال المغيرة قيل لرسول الله ﷺ إن ملائكة تصوم النهار وتقوم الليل وهي ميثقة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها قال لا خير فيها هي من أهل النار . وقال أبو الدرداء سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أول ما يروى في الميزان حسن الخلق والسخاء » (١) . ولما خلق الله الإيمان قال اللهم فوئى هؤلاء يحسن الخلق والسخاء . ولما خلق الله الكفر قال اللهم فوئى هؤلاء بالبخل وسوء الخلق . وقال ﷺ : إن الله استخلص هذا الذي لنفسه ولا يصلح لدينكم إلا السخاء وحسن الخلق ألا مرموا دينكم بهما . وقال عليه السلام - حسن الخلق خلق الله الأعظم . وقيل يا رسول الله أي المزمين أفضل إيماناً قال أحسنهم خلقاً . وقال ﷺ : إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسموهم ببسط الوجه وحسن الخلق . وقال أيضاً ﷺ : سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخلل العمل . وعن جرير بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : إنك امرؤ قد حسن خلقك فحسن خلقك .

وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً . وعن أبي سعيد الخدري قال كان رسول الله ﷺ يقول في دعائه اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى . وعن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - قال كان رسول الله ﷺ يكثر الدعاء فيقول اللهم إني أسألك الصحة والعافية وحسن الخلق ، وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال كرم المؤمن دينه وحسن خلقه ومروءته عقله . وعن أسامة بن شريك قال شهدت الأعراب يسألون النبي ﷺ يقولون ما خير ما أعطى العبد قال خلق حسن . وقال ﷺ : إن أحبكم إلى وأقربكم منى مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً . وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ ثلاث من لم يكن فيه أو واحدة منهن فلا تعتقوا بشيء من عمله تقوى تحجروه عن معاصي الله وحلم يكف به السفه أو خلق يعيش به بين الناس . وكان من دعائه ﷺ في استئذان الصلاة اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت . وقيل فيم التجميل ؟ قال في لطف الكلام وإظهار الشر والابتسام فمن لقي الناس بالإحسان وعاملهم بالأخلاق الحسان فهو الذي يحف عليهم جنبه ويحمد إخاؤه كما قال

إذا حسيت خصال الخير أجمعها •• فضلاً وعاملت كل الناس بالحسن  
لم تعدم الخير من ذي العرش تحرز •• والشكر من خلقه في السر والعلن

\*\*\*

### الباب السادس والثمانون

#### في الضحك والبكاء واللباس

قال بعض المفسرين في قوله تعالى : ﴿ آمِنَ هَذَا الْحَدِيثَ لَمَجُورٌ ﴾ في القرآن « تعجبون » منه تكديماً « وتضحكون » منه استهزاء مع كونه من عند الله تعالى « ولا تكون » خوفاً وانزعاجاً لما فيه من الوعيد « وأنتم سامعون » لا هون عاقلون عما يطلب عنكم . قال لما نزلت هذه الآية فما ضحك النبي ﷺ بعد ذلك إلا أن يبتسم . وفي لفظ فما روى النبي ﷺ ضحكاً ولا مبتسماً حتى ذهب من الدنيا . وعن ابن عمر - رضى الله عنه - قال خرج النبي ﷺ ذات يوم من المسجد فإذا قوم يتحدثون ويضحكون موقف ومعلم عليهم ثم قال أكثرنا ذكر هادم اللذات ثم خرج بعد ذلك مرة أخرى فإذا قوم يضحكون فقال أما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً . ولما أراد الخضر أن يفارق موسى عليهما السلام قال له عظمي قال يا موسى إياك والمجاجة ولا تمسني بخير حاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير الخطأتين يتخطاهاهم وإياك على خطيئتك . وقال ﷺ : كثرة الضحك تغيث القلب . وقال ﷺ : من ضحك لشبهه بكى لهرمه ومن ضحك لعناء بكى لفقره ومن ضحك لحياته بكى لموته وقال ﷺ : اقرأوا القرآن فإن لم تتكروا لمباكوا . وعن الحسن في قوله تعالى : ﴿ لَبِضْضَكُمْ قَلِيلًا ﴾ أي في الدنيا « وليبكوا كثيراً » في الآخرة « جزاء بما كانوا يكسبون » وقال أيضاً ما عجباً من ضحك ومن ورائه النار ومن مسرور ومن ورائه الموت . ومرو - رضى الله عنه - بشاب يضحك فقال له يا بني هل جزأت على الصراط قال لا قال هل تبين لك أنك تصير إلى الجنة قال لا قال فعبم الضحك فما روى الشاب ضاحكاً بعد ذلك . وعن ابن عباس رضى الله عنهما من أذب ذنباً وهو يضحك دخل النار وهو يبكى . وملك الله تعالى أقواماً بالبكاء فقال تعالى : ﴿ وَتَخْرُونَ لِلذُّقَانِ يَكُونُ ﴾ وعن الأوزاعي في قوله تعالى ﴿ مَا لَهَذَا الْكِتَابِ لَا يَقْرَءُ صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا إِلَّا أَحْصَا ﴾ قال الصغيرة التيسم والكبيرة التفهنة وقال ﷺ : كل حين يأكية يوم القيامة إلا ثلاثاً عينا بكيت من حشية الله وعجب فضت عن معارم الله وعينا سهرت في سبيل الله تعالى . ويقال ثلاثة أشياء تقسى القلب الضحك من غير عجب والأكل من غير جوع والكلام في غير حاجة وكان رسول الله ﷺ يلبس من الثياب ما وجد من إزار أو رداء أو قميص أو جبة أو غير ذلك وكان يعجبه الثياب الخضراء وكان أكثر لباسه البياض ويقول ألبسوها أحياءكم وكفتموها فيها موتاكم . وكان له ﷺ ثياب مئتمن فيبسه فتحسن خضرته على بياض لونه وكان ثيابه كلها مشمرة فرق الكعبيين ويكون الأرو فوق ذلك إلى نصف الساق ولقد كان له كساء أسود فوهبه فقالت أم سمية بأبي أنت وأمي ما فعل ذلك الكساء الأسود فقال كسوته فقالت ما رأيت شيئاً قط كان أحسن من بياضك على سواده . وكان ﷺ إذا لبس ثوباً لبسه من قبل ميامه ويقول الحمد لله الذي كساني ما أوارى به عورتى وأجمل به في الناس وإذا

نزع ثوبه أخرجته من ميامره وكان إذا لبس جديدا أعطى خلق ثيابه مسكينا ثم يقول ما من مسلم يكسو مسلما من سمل ثيابه لا يكسوه إلا الله لا كان في ضمان الله وحرزه وخبره ما واره حيا وميتا . وكانت له عتبة هبادة تفرش له حينما تنقل تنس طافين تحته وكان يتم على الحصر ليس تحته شيء غيره .

### الباب السابع والثمانون

#### في فضل القرآن وفضل العلم والعلماء

قال عليه السلام : « من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أوتى أفضل مما أوتى فقد استصغر من عظمة الله تعالى <sup>(١)</sup> » . وقال عليه السلام : ما من شئ أفضل منزلة عند الله تعالى من القرآن . وقال عليه السلام : أفضل عبادة أمتي تلاوة القرآن وقال عليه السلام : خيركم من تعلم العلم وعلمه وقال عليه السلام : إن القلوب لتعصدا كما يصعد الحديد فقليل يا رسول الله وما جلاؤها فقال تلاوة القرآن وذكر الموت ، وقال الفضيل بن عياض حامل القرآن حامل راية الإسلام فلا ينبغي أن يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلهو مع من يلهو تعظيما لحق القرآن . قال أيضا من قرأ عاتقة سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه عظم له بطابع الشهداء ومن قرأها حين يمسي ثم مات من ليته عظم له بطابع الشهداء .

وأما فضل العلم والعلماء فالأحاديث الواردة في ذلك كثيرة قال عليه السلام : من يرد الله به خيرا يلقه في الدين ويلهمه رشده . وقال عليه السلام : العلماء ورة الأنبياء . ومعلوم أنه لا رتبة فوق رتبة النبوة ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة . وقال عليه السلام : أفضل الناس للمؤمن العالم الذي إذا احتجج إليه بمع وإن استغنى عنه أغنى نفسه . وقال عليه السلام : أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد ، أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل . وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيا ففهم على ما جاءت به الرسل . وقال عليه السلام : « مات قبيلة أيسر من موت عالم <sup>(٢)</sup> » وقال عليه السلام : « يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء <sup>(٣)</sup> » . وقال عليه السلام : لا يشيع عالم من علم حتى يكون منه الجنة . وقال عليه السلام : هلاك أمتي في شيئين ترك العلم وجمع المال . وقال عليه السلام : كن عالما أو متعلما أو مستمعاً أو محباً ولا تكن الخامسة أي مبخساً فتهلك . وقال عليه السلام : أفة العلم الخيلاء . ومن أمثال الحكماء من طلب العلم للرئاسة فقد هدم الترفيق والسيادة ، قال تعالى : « فأصرفهم أباي الذين يكفرون في الأرض بين الحق <sup>(٤)</sup> » وقال الشافعي - رضي الله عنه - من تعلم القرآن عظمت قيمته ومن تعلم الفقه جل مقلده ومن تعلم الحديث قويت حججه ومن تعلم الحساب جزل رأيه

(١) اختلاف السادة ٤ / ٦٣

(٢) اختلاف السادة ١ / ٦٣

(٣) (مروء) اختلاف السادة ١ / ٤١ ، وضميم الجامع (٦٤٤٧)

ومن تعلم المهرية وق طبعه ومن لم يعز نفسه لم ينعمه علمه . وقال الحسن بن علي - رضي الله عنهم - من أكثر مجاسبة العلماء أعلس عقل لسانه وفتح مراقي دهره وسره ما وجد من الرياسة في نفسه وكانت له ولاية لما يعلم والمادة لما تعلم . وقال عليه السلام : اذود الله عبدا حظه عليه العلم . وقال عليه السلام : لا فقر أشد من الجهل .

### الباب الثامن والثمانون

#### في فضل الصلاة والزكاة

إعلم أن الله تعالى جعل الركاة إحدى مبادئ الإسلام وأردف بذكرها الصلاة التي هي التي أعلی الأعلام فقال تعالى « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » وقال عليه السلام : بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة . الحديث وشدد الوعيد على المتقصرين فيها فقال تعالى « قِيلَ لِلْمُتَكَبِّرِينَ <sup>(١)</sup> الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ » وتقدم الكلام على ذلك مستوفى ، وقال تعالى « وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَبْخَسُوهُمْ بَعْدَ أَيْمِهِمْ » . ومعنى الإفاق في سبيل الله إخراج الزكاة .

(مائدة) يستحب أن يطلب لصدقته أئمة الفقهاء المتفرجين عن الدنيا المتجردين لتجارة الآخرة من ذلك يربو به المال . قال عليه السلام : لا تأكل إلا طعام نقي ولا يأكل طعامك إلا نقي . وذلك لأن النقي يستعين به على التقوى فتكون شريكا له في طاعته باعنتك إياه . وكان بعض العلماء يؤثر بالصدقة فقراء الصوفية دون غيرهم فقليل له لو عمت بمعروفك جميع الفقراء لكان أفضل فقل لا هؤلاء قوم همهم الله سبحانه فإذا طرقتهم فافقه نشت همهم أحدهم فلا أرد همهم واحد إلى الله عز وجل أحب إلى من أن أعطى ألفا من همته الدنيا مذكر هذا الكلام الجيد فاستحسسه وقال هذا ولي من أولياء الله تعالى وقال ما سمعت من رمان كلاما أحسن من هذا ثم حكى أن هذا الرجل اختل حاله وهم يتركوا خاتورت قبعت إليه الجنيح صالا وقال أجمعه بضاعتك ولا تترك الخاتورت فإن التجارة لا تضر مثلك وكان هذا الرجل بقلا لا يأخذ من الفقراء شئ ما يتناحونه وكان ابن ابرك يحضن بمعروفه أهل العلم فقليل له لو عمت فقد إنى لا أعرف بعد مقام النبوة أفضل من مقام العلماء فإذا اشتغل قلب أحدهم بحاجته لم يتمرغ للعلم ولم يقل على التعلم فتمريهم بعلوم أصل وأن يحضن ذوي معاهات لا سيما ذوي لأرحام والأقارب فتكون صدقة وصلة ورحم وفي صلة لأرحم ما لا يحصى من الأجر كما هو في باب وأن يخرج الصدقة سرا ليس من شوم لرياء ومن دلل بعض بني المال عليه السلام : صدقة لسر بعضي عصب الرب <sup>(١)</sup> وذكر

(١) (صحيح) المعجم الصغير ٢ / ٩٦ ، وصحيح الجامع (٢٧٤٩)

في حديث السبعة الذين يظلم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا يعلم شئها ما أعطت يمينه نعم إن كان في أظهار الصدقة خير كان كان يقتدى به غيره فلا بأس إن سئم من الرياء وتجنب الامتنان كما قال تعالى ﴿ لَا تَبْلُغُوا حُدُودَكُمْ بِالْعَمَى وَالْأَذَى ﴾ (١) دعة لمعرف لمن يل يؤثر كتمانها ويستعمل نسيانها كما يجب على من تمتع به معروف شره ويتعين عليه شكره كما في الحديث لا يشكر الله من لا يشكر الناس .

وما أحسن قول القائل :

يد المصروف خم حيث كانت ••• تحملها كفسور من شكور  
ففى شكر الشكور لها جزاء ••• وعند الله ما كفر الكفور

### الباب التاسع والستون

#### في بر الوالدين وحقوق الآلهة

لا يخفى أنه إذا تأكد من حق القرابة والرحم فأقصى الأرحام وأسمى الولادة فيضاعف تأكيد الحق فيها . وقد قال ﷺ : « لن يجزى ولد والد حتى يجده مملوكا فيشتره فيعتقه » (٢) . وقد قال ﷺ : بر الوالدين أفضل من الصلاة والصدقة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله . وقد قال ﷺ : « من أصبح مرغيا لأبيه أصبح له بايان مفتوحان إلى الجنة ومن أمسى فمثل ذلك وإن كان واحدا فواحد وإن ظلما وإن ظلما وإن ظلما . ومن أصبح مسخطا لأبيه أصبح له بايان مفتوحان إلى النار ، ومن أمسى فمثل ذلك وإن كان واحدا فواحد وإن ظلما وإن ظلما » (٣) . قال ﷺ : أن الجنة يوجد ربحها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ربحها حاق ولا فاطع رحم . قال ﷺ : بر أمك وأباك وأخطك وأخاك ثم أدناك فأدناك .

يروى : أن الله تعالى قال لموسى - عليه السلام - يا موسى إنه من بر والديه وعفى كتبه بارا من برنى وعق والديه كتبه حاقا . وقيل لما دخل يعقوب على يوسف - عليهما السلام - لم يمش له فأوحى الله إليه أن تعظم أن تقوم لأبيك وعزى وجلالى لا أخرجت من صلبك نيا . وقال ﷺ : ما سمى أحد إذا أراد أن يتصدق بصدقة أن يجعلها لوالديه إذا كانتا مسلمين فيكون لوالديه أجرها ويكون له مثل أجورهما من غير أن ينقص من أجورهما شيء . وقال مالك بن ربيعة بينما نعى رسول الله ﷺ إذ جاء رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله هل بقي على من بر أبوى شيء

(٢) سبق تحريجه .

(٣) سورة البقرة ٢٦١ .

(١) صحيح (المجلد السادسة ٦ / ٣١٤ ، وضعيف (المجلد ٥٤٢٧) .

أبرهما به بعد وفائهما قال نعم الصلاة عليهما ولاستعمار لهما واعاد عهدهما وإكرام صديقيهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما . وقال ﷺ : إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي الأب وقال ﷺ : بر الوالدة على الولد على ضمان . وقال ﷺ : دعوة الوالدة أسرع إجابة قيل يا رسول الله ولم ذلك قال هي أرحم من الأب ودعوة الرحم لا تسقط وسأله رجل فقال يا رسول الله من أبر فقال بر والديك فقال ليس له والدان فقال بر ولدك كما أن لو اليك عليك حقا كذلك لو لك عليك حق . وقال ﷺ : رحم الله والدا أعلان ولده على بره أى لم يحمله على العقوق بسوء عمله . وقال ﷺ : ساووا بين أولادكم في العطية وقد قيل ولدك ورحلتك تشمها سبعا وخادمك سبعا ثم هو عندك أو شريكك . وقال أنس - رضى الله عنه - قال النبي ﷺ : العلام يعنى عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الأذى فإذا بلغ ست سنين أدب فإذا بلغ تسع سنين لفزول فرائضه فإذا بلغ عشرة سنين لم يرب على الصلاة فإذا بلغ ست عشرة سنة زوجة أبوه ثم أخذ بيده وقال قد أدبتك وعلمت أنك أعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخرة . قال ﷺ : من حق الولد على الوالد أن يحسن أدبه ويحسن اسمه . وقال - عليه السلام - كل غلام رهين أو رهينة بعقيقة تدب عنه يوم السابع ويحلق رأسه وقال قتادة إذا ذبحت العقيقة أخلعت صروقة منها فاستقبلت بها أو داجها ثم توضع على فافوخ الصبي حتى يسيل منه مثل الخيط ثم يغسل رأسه ويحلق بعد . وجاء رجل إلى عبد الله بن المبارك فشكا إليه بعض ولده فقال هل دعوت عليه قال نعم قال أنت أمهله ويستحب الرفق بالولد . رأى الأقرع بن حابس السبي ﷺ وهو يقبل ولده الحسن فقال إن لى عشرة من الولد ما قبلت أحد منهم فقال - عليه السلام - إن من لا يرحم لا يرحم . وقالت عائشة - رضى الله عنها - قال لى رسول الله ﷺ يوما أغسل وجه أمامة فجعلت أغسله وأنا أنفة فضرب بدى ثم أخذه فغسل وجهه ثم قبله ثم قبله ثم قال قد أحسب ب إذ لم تكن له جارية . وتعث الحسن والنبي ﷺ على مبره فبرل فحملة وقرأ قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتْنَةٌ ﴾ وقال عبد الله بن شداد يسما رسول الله ﷺ بالناس لما جاءه الحسن فركب عتقه وهو ساجد فأطال السجود بالناس حتى ظنوا أنه قد حدث أمر علما فعسى صلاته قالوا قد أطلت السجود يا رسول الله ﷺ حتى ظننا أنه قد حدث أمر فقال أن ابني قد أرنحش فكرهت أن أصجله حتى يقضى حاجته . وفي ذلك فوائد أحداها القرب من الله تعالى فإن العبد أقرب ما يكون من الله تعالى إذا كان ساجدا وفيه الرفق بالولد والبر وتعليم لأمته . وقال ﷺ : « ربح الولد من ربح الجنة » (١) . وقال يزيد ابن معاوية أرسل أبى إلى الأصم بن قيس فلما وصل إليه قال له يا أبا بدر ما تقول في الولد قال يا أمير المؤمنين ثمار قلوبنا وعساد ظهورنا ونحن لهم أرض ذليلة وسماء ظليمة وبهم نصول على كل خطيئة فإن طلبوا فأعطهم وإن غضبوا عارضهم يحسوك ودهم ويحسوك

(١) (ضعيف) (المجلد السادسة ٦ / ٣٢٠ ، وضعيف (المجلد ٣١٤٥)

جهنم ولا تكن عندهم تقلا تقبلا فيملوا حياتك ويودوا وفاتك ويكرهوا غريك فقال له معاوية الله أنت يا أحنف لقد دخلت على وأنا مله غصبا وغيظا على يزيد فلما خرج الأحنف من عنده رضى عن يزيد وبعث إليه بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب فأرسل يزيد إلى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب فقامه أباه على الشر .

### الباب التاسعون

#### في حقوق الجوار والإحسان للمساكين

اعلم أن الجوار يقتضى حقا وراء ما تقتضيه أخوة الإسلام فيستحق الجوار المسلم ما يستحقه كل مسلم وزيادة إذ قال النبي ﷺ : « الجيران ثلاثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق فالجار الذي له ثلاثة حقوق الجوار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم وأما الذي له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الإسلام وأما الذي له حق واحد فالجار المشرك » (١) فانظر كيف أثبت للمشرك حقا بمجرد الجوار . وقد قال ﷺ أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما . وقال النبي ﷺ مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه . وقال ﷺ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره . وقال ﷺ لا يؤمن من هب حتى يأمن جاره بوائقه وقال ﷺ أول خصمين يوم القيامة جاران . وقال عليه السلام : إذا أنت وميت كلب جارك فقد أدبته .

ويروى أن رجلا جاء إلى ابن مسعود - رضى الله عنه - فقال له إن لى جاراً يؤذيني ويشتمي ويضيق على فقال اذهب فإن هو عصى الله بك فأطع الله فيه . وقيل لرسول الله ﷺ إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذى جيرانها فقال ﷺ هي في النار وجاء رجلا إليه - عليه السلام - يشكو جاره فقال له النبي ﷺ اصبر ثم قال له في الثالثة والرابعة أطرح متاعك في الطريق قال فجعل الناس يمشون به ويقولون مالك فيقال أذاه جاره قال فجعلوا يقولون لعنه الله فجاء جاره فقال له رد متاعك فوالله لا أعود .

وروى الزهري أن رجلا أتى النبي - عليه الصلاة والسلام - فجعل يشكو جاره فأمر النبي ﷺ أن ينادى عنى باب المسجد ألا إن أريسين دارا جارا قال الزهري أريسون هكذا وأريسون هكذا وأريسون هكذا وأريسون هكذا وأريسون هكذا وأريسون هكذا . وقال - عليه السلام - أليمن واليمنى في المرأة والسكن والقرى ليمن المرأة خفة مهرها ويسر نكاحها وحسن خلقها ، وشؤمها خلاء مهرها

وعسر نكاحها وسوء خلقها ، ويمن السكن سعة وحسن جوار أهله ، وشؤمها سعة وسوء خلقها .

واعلم أنه ليس حق الجوار كحق الأذى ففقط بل احتمال الأذى أيضا بين الجوار إذا عطف أذاه وليس في ذلك قضاء حق ولا يكفى احتمال الأذى بل لابد من الفرق وإسداء الخير والمعروف إذ يقال إن الجار الفقير يتعلق بجاره العنى يوم القيامة فيقول يارب صل هذا لم تمنعني معروفه وسد بابي دوني وشكا بعضهم كثرة العار في داره فقيل له لو اقتنيت هرا فقال أخشى أن يسمع العار صوت الهر فيهب إلى دور الجيران فأكون قد أحيت لهم ما لا أحب لنفى .

وجملة حق الجار أن يبداه بالسلام ولا يطيل معه الكلام ولا يكثر عليه الشكوال ويعوده في المرض ويحزيه في المصيبة ويقوم معه في العزاء ويهتبه في الفرح ويظهر الشركة في السرور معه ويصفح عن زلاته ولا يتطلع من السطح إلى عوراته ولا يضليقه في وضع الجذع على جملته ولا يصب الماء في ميزابه ولا يطرح التراب في فائه ولا يضيق طريقه إلى النار ولا يتبعه النظر فيما يحمله إلى داره ويستتر ما يتكشف له من عوراته ويتعشبه من صرخته إذا نابتة نابتة ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ولا يسمع عليه كلاما يخص بصره عن حرمة ولا يدهم النظر إلى خادمته ويتلفظ بولده في كلمته ويرشده إلى ما يحمله من أمر دينه ودنياه هذا إلى جملة الحقوق التي لعامة المسلمين . وقد قال ﷺ أتدرون ما حق الجار إن استعان بك أمته وإن استنصرك نصرته وإن استقرحك أقرضته وإن افتقر عدت عليه وإن مرض هدته وإن مات تبع جنازته وإن أصابه محير هأته وإن أصابه مصيبة هزته ولا تستغل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه ولا تؤذنه وإذا اشترت فاكهة فأهد له فإن لم تفعل فأدخلها سرا ولا يخرج بها ولدك فيغيظ بها ولده ولا تؤذنه بقتار قدرك إلا أن تعرف له منها ثم قال أتدرون ما حق الجار والذي نفسي بيده لا يبلغ حق الجار إلا من رحمه الله . .

هكذا رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ . قال مجاهد كنت عند عبد الله بن عمر وغلّام له يسلم شاة فقال يا غلام إذا سلخت الشاة فايدا بجارنا اليهودى حتى قال ذلك مرارا فقال له كم تقول في هذا فقال إن رسول الله ﷺ لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أنه سيورثه . وقال هشام كان الحسن لا يرى بأسا أن تطعم الجار اليهودى والنصرانى من أضحيتك . وقال أبو ذر - رضى الله عنه - أوصانى خليلي ﷺ وقال إذا طبخت قدرا فأكثر ماءها ثم انظر بعض أهل بيت في جيرائك فاعرف لهم منها

\*\*\*



## الباب الواحد والتسعون

## ففي عقوبة شارب الخمر

فقد أنزل الله في الخمر ثلاث آيات الأولى قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ﴾ (١) الآية . . .  
 في الصلاة مخرج فزول قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ﴾ (٢) الآية . . .  
 فشربها من شربها من المسلمين وتركها من تركها حتى شربها عمر - رضي الله عنه - فأخذ لمحي  
 بعمر وشج بها رأس عبد الرحمن ابن عوف ثم قعد يروح على قتلى بدر فبلغ رسول الله ﷺ فخرج  
 معصبا بجر رداءه فرفع شيئا كان في يده فصر به به فقال أعود بالله من غضبه وغضب رسوله فأمر  
 الله تعالى ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْمِرِ ﴾ (٣) الآية . . .  
 فقال عمر - رضي الله عنه - انتهيتا انتهيتا .

ومن الأخبار المتفق على تحريمها قول سيدنا رسول الله ﷺ : لا يدخل الجنة منمن  
 خمر (٤) وقوله ﷺ أول ما نهيتي ربي بمد عبادة الأوثان عن شرب الخمر وملاحاة الرجال ،  
 وقوله ﷺ ما من قوم اجتمعوا على مسكر في الدنيا إلا جمعهم الله في النار فيقبل بعضهم على  
 بعض يتلاومون يقول أحدهم للأخر يا فلان لا جزاك الله حتى تحبوا فأنت أوردتني هذا المورد  
 ليقول له الآخر مثل ذلك .

وعنه ﷺ أنه قال من شرب الخمر في الدنيا سقاء الله من سم الأسود شرة يتساقط منها لحم  
 وجهه في الإناء قل أن يشربها فإذا شربها يتساقط لحمه وجلده ويتأذى به أهل النار إلا أن شاربها  
 وحاصرها ومعصرها وحاملها والمحمولة إليه وأكل ثمها شركاء في إثمها لا يقبل الله منهم صلاة  
 ولا صوما ولا حجا حتى يتوبوا فإن ماتوا قبل التوبة كان حقا على الله أن يستقيهم بكل جرعة  
 شربوها في الدنيا من صدهد جهنم وأن كل مسكر حرام وكل خمر حرام .

ذكر ابن أبي الدنيا أنه مر بسكران وهو يبول في يده ويغسل به يده كهية المتوضأ ويقول الحمد  
 لله الذي جعل الإسلام نورا والماء طهورا .

وعن العاصم بن مرداس أنه قيل له في الجاهلية لم لا تشرب الخمر فإنها تزيد في حرارتك  
 فقال ما أنا بأخذ بهلبي يبدى فأدخله في جوفى ولا أرضى أن أصبح سيد قومي وأمسى سفيهم .

(١) آية (٢١٩) سورة البقرة .

(٢) آية (٤٣) سورة النساء .

(٣) آية (٩١) سورة المائدة .

(٤) (صحيح) ابن ماجه (٣٣٧١) ، وصحيح الجامع (٧١٧٣)

وروى البيهقي عن ابن عمر - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال اجتنبوا أم الحباب فإنه  
 كان رجلا من كان قبلكم يتعبد ويعتزل الناس وملقته امرأة فأرسلت إليه عندما أن تدعوك لشهادة  
 لدخول فطعنت كلما دخل بابا أغلقته فوجه حتى إذا أفضى إلى امرأة وضيفة جالسة وعندها غلام  
 وناطية فيها خمر فقالت أنا لم يدعك لشهادة ولكن دعوتك لتقتل هذا الغلام أو تقع على أو  
 تشرب كأسا من الخمر فإن أبيت صحت بك وفحصتك فلما رأى أنه لا بد له من ذلك قال اسقني  
 كأسا من الخمر فسقته قال زيدني فلم يزل حتى وقع عليها وقتل النفس فاجتنبوا الخمر فإنه والله لا  
 يجتمع لإيمان وإيمان في الخمر في صدر رجل أبدا يوشكن أحدهما يخرج صاحبه .

وروى أحمد وابن حبان في صحيحه عن ابن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إن آدم لما  
 أعبط إلى الأرض قالت الملائكة أي رب : ﴿ أَنْجَلْ فِيهَا مَنْ يَفِيدُ فِيهَا وَيَسْئَلُ النَّعَاءَ وَتَحْنُ نَسِيجُ  
 بِحَمْلِكَ وَنَفْسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ قالوا ريتنا نحن أطوع لك من بنى آدم قال الله تعالى  
 للملائكة هلموا ملكين من الملائكة فنظر كيف يعملان قالوا ريتنا هاروت وماروت قال فاعبطا إلى  
 الأرض فتمثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر فجاءها فسألاها نفسها فقالت : لا والله حتى  
 تتكلما بهله الكلمة من الإشراف قال لا والله لا نشارك بالله أبدا . فلعبت عنهما ثم رجعت إليهما  
 ومعهما صبي تحمله فسألاها نفسها فقالت : لا والله حتى تقتلا هذا الصبي فقالا لا والله . فقالت  
 حتى تشربا هذه الخمرة فشربا فسكرا فوقعما عليها وقتلا الصبي فلما أفاقا قالت المرأة ما تركتما  
 من شيء أبيتما على إلا فعلتما حين سكرتما ، فحبرا عند ذلك بين غضاب الدنيا وغضاب الآخرة  
 فاختارا غضاب الدنيا .

وروى عن أم سلمة - رضي الله عنهما - قالت اشتهت بنت لي فنبذت لها في كوز لدخل  
 على رسول الله ﷺ وهو يملئ قال ما هذا يا أم سلمة فذكرت له أنى أأذى به ابنتي فقال ﷺ إن  
 الله لم يجعل شفاء أمي فيما حرم عليها . وروى أن الله تعالى لما حرم الخمر سلب بها المنافع .

## الباب الثاني والتسعون

## ففي سبأ النبي - صلى الله عليه وسلم -

روى البخاري عن قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة أن نبي الله ﷺ حدثهم عن  
 ليلة أسرى به قال بينما أنا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجعا إذا أنأتى أت فقد قال وسمعت  
 يقول فسق ما بين هذه إلى هذه فقلت للجارود وهو إلى جنبى ما يعنى به قال من شجرة بحره إلى  
 شعرته فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا فعسل قلبي ثم حشى ( ثم أعيد ) ثم

أتيت بداية دون البعل وفوق الخمار أبهى فقال له الجارود هو البراق يا أبا حمزة قال أنس نعم يضح خطوه عند أقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبا به فنعيم المجيء جاء ففتح فلما خلعت فيها آدم فقال هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والابن الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الثانية فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبا به فنعيم المجيء جاء ففتح . فلما خلعت إذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت عليهما فردا . ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والابن الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الثالثة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبا به فنعيم المجيء جاء ففتح فلما خلعت إذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والابن الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبا به فنعيم المجيء جاء ففتح فلما خلعت إذا إدريس قال هذا إدريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والابن الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبا به فنعيم المجيء جاء ففتح فلما خلعت فإذا هارون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والابن الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبا به فنعيم المجيء جاء ففتح فلما خلعت فإذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والابن الصالح فلما تجاوزت بكى قيل له ما يبكيك قال أبكي لأن غلاما يمضي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي ثم صعد بي حتى أتى السماء السابعة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبا به فنعيم المجيء جاء ففتح فلما خلعت فإذا إبراهيم قال هذا أبوك إبراهيم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام فقال مرحبا بالابن الصالح والابن الصالح ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فإذا بقها مثل قلال الهجر وإذا ورعها مثل ذن القيلة قال هذه سدرة المنتهى وإذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذان يا جبريل قال أما الباطن مهران في الجنة وأما الظاهران فالليل والنهار ثم رفعني إلى معصوم يدحمه كل يوم مسمون ألف ملك ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل فأخذت اللبي فقال هي العطرة التي أنت عليها وأمتك ثم فرغت علي الصلوات خمسين صلاة كل يوم قال فرجعت فمررت على موسى فقال عن أمرت قال فقلت أمرت بخمسين صلاة كل يوم

قال إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم وإني والله قد جريت الناس قبلك فهاجرت بني إسرائيل أشد الحاجة فأرجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك فرجعت فوضع عني عشراً فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشراً فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت إلى موسى فرجعت فأمرت بحمض صلوات كل يوم فرجعت إلى موسى فقال بم أمرت قلت أمرت بحمض صلوات كل يوم قال إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم وإني قد جريت الناس قبلك فهاجرت بني إسرائيل أشد الحاجة فأرجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك قال سألت ربي حتى استجبت منه ولكن أرفض وأسلم قال فلما تجاوزت نادى مناد أمضيت فربطتني وغصفت عن عبادي

### الباب الثالث والتسعون

#### في فضل الجمعة

إعلم أن هذا يوم عظيم عظم الله به الإسلام وحسن به المسلمون قال الله تعالى : ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ (١) فحرم الاشتغال بأمور الدنيا وبكل عاروف عن السعي إلى الجمعة وقال ﷺ إن الله عز وجل فرض عليكم الجمعة في يومي هذا في مقامى هذا وقال ﷺ من ترك الجمعة ثلاثاً من غير عذر طبع الله على قلبه وفي لفظ آخر فقد تبدد الإسلام ورواه طهره .

واختلف رجل إلى ابن عباس يسأله عن رجل مات لم يكن يشهد الجمعة ولا جماعة فقال في النار فلم يتردد إليه شهراً يسأله عن ذلك وهو يقول في النار .

وفي الخبر أن أهل الكتابين أعطوا يوم الجمعة فاحتلموا فيه صبروا عنه وهدانا الله تعالى له وآخره لهذه الأمة وجعله عيداً لهم فهم أولى الناس به سيقاً وأهل الكتابين لهم تبع .

وفي حديث أنس عن النبي ﷺ أنه قال أنبي جبرائيل عليه السلام . في كعبه امرأة يهشاه وقال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيداً ولأمتك من بعدك قلت فما لنا فيها قال لكم فيها خير ساعة من دعا فيها بخير قسم له أعطاه الله سبحانه إياه أو ليس له قسم دخر له ما هو أعظم منه أو تعود من شر هو مكتوب عليه إلا أعد الله عز وجل من أعظم منه وهو عيد الأيام عندما ونحن ندهره في الأخرة يوم المزيد قلت ولم قال أن ربك عز وجل اتخذ في الجمعة وادها أفصح من

المسك أبهى فإذا كان يوم الجمعة نزل تعالى من هليين على كرميه فينجلي لهم حتى ينظروا إلى وجهه الكريم وقال ﷺ طمعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط إلى الأرض وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم الميزد كذلك تسميه الملائكة في السماء وهو يوم النظر إلى الله تعالى في الجنة . وفي الخبر أن الله عز وجل في كل جمعة ستمائة ألف عقيق من النور .

وفي حديث أنس - رضي الله عنه - أنه ﷺ قال : « إذا سلمت الجمعة سلمت الأيام » (١) وقال ﷺ : « إن الجحيم تسمر في كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس في كبد السماء فلا تصلوا في هذه الساعة إلا يوم الجمعة فإنه صلاة كله وإن جهنم لا تسمر فيه . وقال كعب بن الأشرف : « فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الأيام الجمعة ومن الليالي ليلة القدر . وقال ابن الطير والهوام يلتقي بعضها بعضا في يوم الجمعة فتقول سلام سلام يوم صالح . وقال ﷺ من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة كتب الله له أجر شهيد ورفاهة ثمة القبر .

### باب الرابع . في حق الزوجة على الزوج

حقوق الزوجات على الأزواج كثيرة منها حسن الخلق معهن واحتمال الأدنى مشهن ترحمنا لقصور عقولهن ، قال الله تعالى : ﴿ وَغَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (٢) وقال في تعظيم حقهن ﴿ وَأَحْلَنَ مِنْكُمْ مِيقَاتَ غِلَظٍ ﴾ (٣) وقال : ﴿ وَالصَّاحِبُ بِالْجَنِّبِ ﴾ (٤) قيل هي المرأة وآخر ما وصي به رسول الله ﷺ ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه وخفى كلامه جعل يقول الصلاة وما ملكت أيمانكم لا تكلموهن ما لا يطيرون الله في النساء فإنهن عوان في أيديكم يعني أسراء أحذقوهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله . وقال - عليه السلام - من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلاته ومن صبر على سوء خلق زوجها أعطاه الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون .

واعلم أنه ليس حسن الخلق معها كعب الأدنى منها بل احتمال الأدنى منها وإحلم عند طيشها وخضبها اقتداء برسول الله ﷺ فقد كانت أرواحه تراجعته الكلام وتهجره الواحدة منهن يوما إلى

الليل . وراجعت امرأة عمر رضي الله عنه عمر في الكلام فقال أترجعيني بالكعباء فقالت إن أزواج رسول الله ﷺ يراجعته وهو خير منك فقال عمر خابت حفصة وخسرت إن راجعته ثم قال حفصة لا تعترى بابة من أبي فحاشا فإنها حب رسول الله ﷺ وخولها من المراجعة .

وروي أنه دفعت إحدى من في صدر رسول الله ﷺ فزجرتها أمها فقال - عليه الصلاة والسلام - دعيتها فإنهن أكثر من ذلك وجري بينه وبين عائشة كلام حتى أدخلها بينهما أبا بكر - رضي الله عنه - حكما واستشهده فقال لها رسول الله ﷺ تكلمين أو أتكلم فقالت بل تكلم أنت ولا تقل إلا حقا فلطمها أبو بكر حتى دمي فوها وقال يا عدوة نفسها أو يقول غير الحق فاستجارته برسول الله ﷺ وقعدت خلف ظهره فقال له النبي ﷺ لم تدعك لهذا ولا أردنا بك هذا . وقالت له مرة في كلام غضبت عنده أنت الذي ترعهم أنك بيني الله فتبسم رسول الله ﷺ واحتمل ذلك حلما وكرما وكان يقول إني لأعرف غضبك من غضبك فقالت وكيف تعرفه قال إذا غضبت قلت لا وإله محمد وإذا غضبت قلت لا وإله إبراهيم قالت صدقت إنما أعجز سمك . ويقال إن أول حب وقع في الإسلام حب النبي ﷺ لعائشة - رضي الله عنها - وكان يقول لها كنت لك كأي زرع لأم زرع خير أني لا أظفك وكان يقول لسانه لا تؤذيني في عائشة فإنه والله ما نزل على الوحي وأنا في خلاف امرأة متكن غيرهما .

وقال أنس - رضي الله عنه - كان رسول الله ﷺ أرحم الناس بالنساء والصبيان ومنها أن يزيد على احتمال الأذى بالمداينة والزرع والملاعبة من التي تطيب قلوب النساء وقد كان رسول الله ﷺ يمزح معهن وينزل إلى درجات عقولهن في الأعمال والأخلاق حتى روي أنه ﷺ كان يسابق عائشة في العدو فسبقت يوما وسبقها في بعض الأيام فقال - عليه السلام - هذه بتلك .

وفي الخبر أنه كان ﷺ من أفكاه الناس مع نسائه . وقالت عائشة - رضي الله عنها - سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون في يوم عاشوراء فقال لي رسول الله ﷺ أتخمين أن ترى لعبهم قالت قلت نعم فأرسل إليهم فجاءوا وقال رسول الله ﷺ بين البابين فوضع كعبه على الباب ومد يده ووضع ذنبي على يده وجعلوا يلعبون وانظر وجعل رسول الله ﷺ يقول حسبك وأقول أسكت مرتين أو ثلاثا ثم قال يا عائشة حسبك فقلت نعم فأشار إليهم فانصرفوا فقال رسول الله ﷺ أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وألطهم بأهلهم . وقال - عليه السلام - خيركم خيركم نسائه وإتاخيركم لنسائي .

وقال عمر - رضي الله عنه - مع خشوته يبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي فإذا التمسوا ما عنده وجد رجلا . وقال لقمان - رحمه الله - يبغي للعاقل أن يكون في أهله كالصبي وإذا كان في القوم وجد رجلا .

(١) (موضوع) الحاكم ٢ / ٥٩ ، وضميف الجامع ٥١٩ .

(٢) آية (١٩) سورة الباء .

(٣) آية (٢١) سورة النساء .

(٤) آية (٣٦) سورة النساء .

ولى تفسير الخير المروى أن الله ينفذ الجمظرى الجواظ قىل هو الشدق على أهله المتكبر فى معه وهو أحد ما قىل فى موسى قوله تعالى : ﴿ عتل ﴾ قىل العتل هو العظ اللسان الغلىظ القلب على أهله . وقال - عليه السلام - لجابر هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك .

ووصفت أعرابىة زوجها وقد ماتت فثالت والله لقد كان ضحوكا إذا ولج ، سكىفا إذا خرج ، أكلا ما وجد ، خىر مسائل عما فقد ، ومنها أن لا ىنسط فى العناية وحسن الخلق والموافقة باتباع هواها إلى حد يفسد خلقها وسقط بالكلىة هبته عند ما بل ىراضى الاعتدل فبه فلا ىدع الهىة والاتباعىض مهما وراى مكرأ ولا ىفتح باب المساعدة على المنكرات البتة .

قال الحسن والله ما أصبح رجل ىطبع امرأته فبما تهوى إلا كبه الله فى النار وقال عمر - رضى الله عنه - خالعاوا النساء فأن خلفهن البركة وقد قىل شاوروهن وخالفوهن . وقد قال - عليه السلام - تصى عبد الزوجة وإنما قال ذلك لأنه أطاعها هواها فهو عبدها وقد تعس فإن الله ملكه المرأة فملكها نفسه فقد عكس الأمر وقلب القضية وأطاع الشيطان لما قال : ﴿ ولأمرئهم قللهمون خلق الله ﴾ (١) إذ حق الرجل أن ىكون متبوعا لا تابعا وقد سى الله الرجال قوامىن على النساء وسمى الزوج سىفا فقال تعالى : ﴿ وألقها سىفا فنه قلب ﴾ (٢) .

قال الشافعى - رضى الله عنه - ثلاثة إن أكرمتهم لماتوك وإن أهنتهم أكرموك المرأة والخدام ولبطى . وأراد به إن محضت الإكرام ولم تخرج خلقك ىلنك ونفاظك ىرفقت .

### الباب الخامس والمستعوى

#### فى حق الزوج على الزوجة

والقول الشافى فى أن الكاح نوع رفى هى رقىة ملحقا طاعة الزوج مطلقا فى كل ما طلبت منها فى نفسها عما لا معصية فبه .

وقد ورد فى تعظم حق الزوج عليها أخبار كثيرة قال ﷺ : « أبى امرأة ماتت وروجاها عى راضى دخلت الجنة » (٣) . وكان وجل قد خرج إلى سفر وعهد إلى امرأته أن لا تتزل من العلوا إلى السمل وكان أبوها فى الأسفل معرض فأرسلت المرأة إلى رسول الله ﷺ تستأذن فى المزل إلى أبىها فقال ﷺ : أطعى زوجك فماتت فاستأمرته فقال أطعى زوجك فمات أبوها فأرسل رسول الله ﷺ لىها ىحرمها أن الله قد عمر لأبىها بطاعها لزوجها . وقال ﷺ : إذا صلت المرأة حمىها

(١) آية (١١٩) سورة النساء .

(٢) آية (٢٥) سورة يوسف .

(٣) (ضعیف) ابن ماجة (١٨٥٤) ، وضعیف الجامع (٢٢٢٧) .

وصامت شهرها وحضت فرجاها وأدعت زوجها دخلت الجنة وبها . فأضاف الزوج إلى مبانى الإسلام .

وذكر رسول الله ﷺ السىة فقال حاملات والذات مرضعات وحمىات بأولادهن لولا ما ىأتى إلى أروجهن دحى مصلىتهن الجنة وقال ﷺ : أطلعت فى النار فإذا أكثر أهلها النساء فقلن لم ىا رسول الله قال ىكثرن البعن وىكثرن العشىیر ىمنى الزوج للمعاشرة . وفى خبر آخر أطلعت فى الجنة فإذا أقل أهلها النساء فقلن آبن النساء قال شغلهن الأحمران الذهب والزعفران . ىمنى الحلى ومصلىعات الثباب . وقالت عائشة - رضى الله عنها - أتت فتاة إلى النبى ﷺ فقالت ىا رسول الله إنى فتاة أعطب فأكره التزویج فما حق الزوج على المرأة قال لو كان من قوة إلى قده صلد فمحصته ما أدبت شكره قالت فلا أتزوج قال بلا تزوجى فإنه خیر .

وقال ابن عباس أنت امرأة من عشم إلى رسول الله ﷺ فقالت إنى امرأة أهم وأرى أن أتزوج فما حق الزوج قال إن من حق الزوج على الزوجة إذا أرادها فراودها عن نفسها وهى على ظهر بعیر لا تمنعه ومن حقه أن لا تعطى شىئا من بینه إلا ىأذنه لأن فعلت ذلك كان الوزر عليها والأجر له ومن حقه أن لا تصوم تطوعا إلا ىأذنه فإن فعلت جماعت وعطشت ولم ىقبل منها وإن خرجت من بینه بعیر إذنه لعتها الملائكة حتى ترجع إلى بینه أو تتوب . وقال ﷺ : لو أمرت أحدا أن ىسجد لأحد لأمرت المرأة أن ىسجد لزوجها من عظم حقه عليها . وقال ﷺ : قرب من تكون المرأة من وجه ربها إذا كانت فى قعر بینه وإن صلاتها فى صحن دارها أفضل من صلاتها فى المسجد وصلاتها فى بینه أفضل من صلاتها فى صحن دارها وصلاتها فى مخدعها أفضل من صلاتها فى بینه . والمخدع بىة فى بىة . وذلك للنستر . ولذلك قال - عليه السلام - للمرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان وقال أيضا للمرأة عشر عورات . فحقوق الزوج على الزوجة كثيرة وأهمها أمران أحدهما الصيانة والنستر والآخر ترك المظالب بما وراء الحاجة والتعفف عن كسبه إذا كان حراما ، وهكذا كانت عادة النساء فى السلف كان الرجل إذا خرج من منزله يقول له امرأته أو إبنه إياك وكسب الحرام فإما يصبر على الجوع والضر ولا يصبر على النار . وهم رجل من السلف على السر فكره جيرانه سره فدلوا المزوجة لم ترضى بسره ولم ىدع لك نفقة فقالت زوجى منذ عرفته عرفته أكالا وما عرفته رزاقا ولى رب رزاق ىذهب الأكال وبقى الرزاق .

ومن الواجبات عليها أن لا تغرط فى ماله بل تحفظه عليه قال رسول الله ﷺ : لا ىحل لها أن تطعم من بینه إلا ىأذنه إلا الرطب من الطعام الذى ىحاف لسانه فإن أطعمت عن رضاه كان لها مثل أجره وإن أطعمت بعیر إذنه كان له الأجر وعليها الوزر .

ومن حقاها على الوالدین تعلیمها حسن المعاشرة وآداب العشرة مع الزوج كما روى أن أسماء

بت حارجه الراري قالت لا يبتها عبد التزويج إنك خرجت من العرش الذي فيه درجت فصرت إلى مواس لا سرفيه وقريب لم تألميه فكوس له أرض بكس لك سماء وكوس له مهادا بكس لك همادا وكوس له أمة يكن لك عبدا ولا تلحقى به فيقلاك ولا تباحدى عنه فينماك إن دنا منك فاقربى منه وأن نأى فابعدى عنه واحفظى أمته وسمعه وعيه فلا يضمن منك إلا طيبا ولا يسمع إلا حسنا ولا ينظر إلا جميلا .

- خذى العفو مني فتدبني مدني ●● ولا تطغى في سورتى حين أغضب
- ولا تنظروني نقر الدف مرة ●● فلو أنك لا تدبني كيف المغيب
- ولا تكثري الشكوى فتذهب بالهوى ●● ويأبك قلبي والقلوب تقلب
- ماني رأيت الحب في القلب والأذى ●● إذا اجتمعا لم يلبث الحب يلعب

### باب السادس في تسخير

#### في فضل الجهاد

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ وعن النعمان بن بشير - رضى الله عنهما - قال كنت عند منبر رسول الله ﷺ فقال رجل ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الإسلام إلا أن أمسى الحاج وقال آخر لا أبالي أن لا أعمل عملا بعد الإسلام إلا أن أهرم المسجد الحرام . وقال آخر للجهاد فضل مما قلتم فزجرهم عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ وهو يوم الجمعة ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستعيت فيما اختلفتم فيه فأنس الله عز وجل : ﴿ اجتمع سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يسترون عهد الله والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ (١) .

وعن عبد الله بن سلام - رضى الله عنه - قال فعدوا معرا من أصحاب رسول الله ﷺ فخرج عليا مقرا : ﴿ يا أيها الناس آمنوا بما تقولون ما لا تقولون ﴾ (٢) كثير مفا عند الله أن تقولوا ما لا تقولون (٣) إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم ببان مرفوض ﴾ (٤) إلى آخرها فقرأها عليا رسول الله ﷺ

(١) آية (١٩) سورة التوبة

(٢) آية (٢٠) سورة البقرة

وروى أن رجلا قال يا رسول الله دلني على عمل يعدل الجهاد قال لا أجده ثم قال هل تستطيع إذا خرج للجهاد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تقتر وتصوم ولا تفطر فقال ومن يستطيع ذلك

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال مر رجل من أصحاب النبي ﷺ بشعب فيه هيئة من ماء عذبة فقال لو اعتزلت الناس فأقمت في هذا الشعب ولن أفعل حتى أستاذن رسول الله ﷺ فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلته في بيته سبعين عاما ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة أهزوا في سبيل الله تعالى من فاتل في سبيل الله تعالى موق ناقة وجبت له الجنة فإذا كان الصحابي الجليل لم يأذن له رسول الله ﷺ في العزلة مع اجتهداه في الطاعات وتعالجه من الطيبات بل أرشده ﷺ إلى الجهاد فكيف يليق بنا تركه مع قلة طاعنا وكثرة سيئاتنا وتعاظينا ما جهل حله من الأقوات وفساد العزائم والبيات . وقال رسول الله ﷺ إن مثل المجاهد في سبيل الله والله أعلم بمن يجاهد في سبيله كمثل الصائم القائم الخائض الرائع الساجد . وقال رسول الله ﷺ : من رضى بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولا وجبت له الجنة فمجب لها أبو سعيد الخدري فقال أهدنا على يا رسول الله فأهدانا عليه ثم قال وأخرى يرفع الله بها للعبد مائة حجة ما بين كل حجتين كما بين السماء والأرض قال وما هي يا رسول الله قال الجهاد في سبيل الله (١) .

### الباب السابع والسبعون

#### في مكرو الشيطان

قال رجل للحسن يا أبا سعيد أينما الشيطان فتبسم وقال لو نام لاسترحنا فإنا لا خلاص للمؤمن منه نعم له ميسيل إلى دفعه وتضعيف قوته قال ﷺ إن المؤمن ينضى شيطانه كما ينضى أحدكم بعيره في سفره . وقال ابن مسعود شيطان المؤمن مهزول . وقال عيسى بن الحجاج قال لي شيطاني دخلت فرك وأنا مثل الجزور وأنا الآن مثل المعصوق قلت ولم ذاك فقلني بذكر الله تعالى . فأهل التقوى لا يتعلم عليهم سد أبواب الشيطان وحفظها بالحراسة أحصى الأبواب الظاهرة والطرق الخفية التي تقصى إلى المعاصي الظاهرة وإنما يتعشرون في طرقه العاصية فإنهم لا يهدون إليها فيحرسونها لأن الأبواب المفتوحة إلى القلب للشيطان كثيرة وباب الملاذكة باب واحد وقد التبس ذلك الباب الواحد بهذه الطرق عاصية السالك في ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم الطريق إلا

بصيره وحلوع شمس مشرقة والعين البصيرة هما هي القلب المصفى بالتقوى والشمس  
تشرقه هو العلم العبرير المستعاد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فيما يهتدى به إلى غوامض  
طرقه وبلا طرقه كثيرة وغامضة .

قال عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - خط لنا رسول الله ﷺ يوما خطا وقال هذا سبيل  
الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله ثم قال هذه سبيل على كل سبيل منها شيطان يدعو  
إليه ثم تلا ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا سَبِيلَ تَفَرُّقٍ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ وقد ذكرنا  
مثالا للصريق العاصم من طرقه وهو الذى يخضع به العلماء والعباد المالكين لشهواتهم الكافين عن  
المعاصى الطاهرة فلندكر مثالا لطريقه الواضح الذى لا يخفى إلا أن يضطر الأدمى إلى سلوكه  
وذلك كما روى عن النبى ﷺ أنه قال كان راهب فى بنى إسرائيل فعمد الشيطان إلى جارية فحتمتها  
وألقى فى قلوب أهلها أن دواها عند الراهب فأتوا بها إليه فأبى أن يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها  
فلما كانت عنده ليعالجها أتاه الشيطان فربى له مقاربتها ولم يزل به حتى واقمها فحملت منه  
فوسوس إليه وقال الآن تفتضح يأتك أهلها ماقتلها فإن سألك فقل ماتت فقتلها ودفعها فأتى  
الشيطان أهلها فوسوس إليهم وألقى فى قلوبهم أنه أحبلها ثم قتلها ودفعها فأتاه أهلها سألوها عما  
لها قال ماتت فأخذوه ليقتلوه بها فأتاه الشيطان فقال أنا الذى ختمتها وأنا الذى ألقيت فى قلوب  
أهلها فأطعننى تنح وأخلصك منهم قال بماذا قال أسجد لى سجدتين فسجد له سجدتين فقال له  
الشيطان إني يرى منك . فهو الذى قال الله تعالى فيه ﴿ كَذَّبَ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا  
كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ ﴾ .

وروى أن إبليس سأل الإمام الشافعى - رضى الله عنه - ما قولك فيما خلقتنى كما اختار  
واستعملتنى فيما اغتار وبعد ذلك إن شاء أدخلتنى الجنة وإن شاء أدخلنى النار أعدل فى ذلك أم  
جار ؟ فنظر فى كلامه ثم قال يا هذا إن كان خلقك لما تريد أنت فقد ظلمك وإن كان خلقك لما يريد  
هو فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون فاصمحل إلى أن صغر لا شيء ثم قال والله يا شافعى لقد  
أخرجت بمسألتى هذه سبعين ألف عابد من ديوان العبودية إلى ديوان الرندقة

وروى أيضا أن إبليس لعنه الله تمثل لعيسى ابن مريم - عليهما السلام - فقال له قل لا إله إلا  
الله عفا كلمة حق ولا أقولها بقولك أى لأن له تليسات فى الخير كما أن له تليسات فى الشر  
تناهى وبها يهلك العباد والرهاد والأعياء وأصناف الخلق إلا من جمعه الله ، اللهم احفظنا من  
مكائده حتى نلقاك مهتدين .

\*\*\*

### الباب الثامن والتسعون

#### فى بيان الصماح

حكى القاضى أبو الطيب الطبرى عن الشافعى ومالك وأبى حنيفة وسفيان وجماعة من  
العلماء ألقاظا يستدل بها على أنهم رأوا تحريمه . وقال الشافعى - رحمه الله - فى كتاب آداب  
القضاء أن الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفیه ترد شهادته . وقال القاضى  
أبو طالب استماعه من المرأة التى ليست بمحرم له لا يجوز عند أصحاب الشافعى - رحمه الله -  
بحال سواء كانت مكشوفة أو من وراء حجاب وسواء كانت حرة أو مملوكة وقال : قال الشافعى -  
رضى الله عنه - صاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها فهو سفیه ترد شهادته . وقال وحكى عن  
الشافعى أنه كان يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة ليشتغلوا عن القرآن . وقال  
الشافعى - رحمه الله - ويكره من جهة الخبر اللعب بالفرد أكثر مما يكره اللعب بشيء من الملاهى  
ولا أحب اللعب بالشطرنج وأكره كل ما يلعب به الناس لأن اللعب ليس من صنعة أهل الدين ولا  
المروءة .

وأما مالك - رحمه الله - فقد نهى عن الغناء ولعل إذا اشترى جارية فوجدتها مغنية كان له  
وجها . وهو ملحق سائر أهل المنية إلا إبراهيم بن سعد وحفص وأما أبو حنيفة - رضى الله عنه -  
فإنه كان يكره ذلك ويجعل سماع الغناء من الذنوب . وكذلك سائر أهل الكوفة سميان الثورى  
وحمد وإبراهيم والشمى وغيرهم . فهنا كله نقله القاضى أبو الطيب الطبرى .

ونقل أبو طالب المكى لإباحة السماع عن جماعة فقال سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر  
وعبد الله بن الزبير والمغيرة بن شعبة ومعاوية وغيرهم . وقال قد فعل ذلك كثير من السلف  
الصالح صحابى وتابعى بإحسان وقال لم يرل المجزبون عندنا بمكة يسمعون السماع فى أفضل  
أيام السنة وهى الأيام الممعدودات التى أمر الله عبده فيها بذكره كأيام التشريق ولم يرل أهل المدينة  
مواظبين كأهل مكة على السماع إلى زماننا هذا فأذكرنا أبا مروان القاضى وله جوارى يسمعن الناس  
التلحين قد أعدهن للصوفية . قال وكان لعطاء جارتان يلحنان فكان إخوانه يستمعون إليهما .  
قال وفيه لآبى الحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيح وسرى السقطى وخو النون  
يستمعون فقال وكيف أنكروا السماع وقد أجازوه وسعه من هو خير منى فقد كان عبد الله بن جعفر  
لطيار يسمع وإذا أنكر اللهو واللعب مع السماع .

وروى عن يعقوب بن معاذ أنه قال فقدنا ثلاثة أشياء فما نراها ولا أراها تزفاد إلا فلة حسن  
الوجه مع الضيافة وحسن القول مع الديانة وحسن لإخاء مع الوفاء . ورأيت فى بعض الكتب

هذا محكيًا بمبته عن الحارث المحامسي وبه ما يدل على تجويزه السماع مع زهده وتصاوته وجله من الدين وتشهيره .

قال وكان ابن مجاهد لا يجيب دهوة إلا أن يكون فيها سماع وحكى غير واحد أنه قال اجتمعنا في دهوة ومعنا أبو القاسم ابن بنت منيع وأبو بكر بن داود وابن مجاهد في نظرهم محضر سماع فجعل ابن مجاهد يحرض ابن بنت منيع على ابن داود في أن يسمع فقال ابن داود حدثني أبي عن أحمد بن حنبل أنه كره السماع وكان أبي يكرهه وأنا على مذهب أبي فقال أبو القاسم ابن بنت منيع أما أحمد فحدثني عن صالح بن أحمد أن أباه كان يسمع قول ابن الخيازة فقال مجاهد لابن داود دعني أنت من أبيك وقال لا بن بنت منيع دعني أنت من جنتك أي شيء تقول يا أبا بكر فيمن أشد بيت شعر أمو حرام فقال ابن داود لا قال فإن كان حسن الصوت حرم عليه إنشاده قال لا قال فإن أشده وطوله ونصرته المملود ومد منه المقصور أبهرم عليه قال أنا لم أقو لشيطان واحد فكيف أقوى لشيطانين .

قال وكان أبو الحسن العسقلاني الأسود من الأولياء يسمع ويؤله عند السماع وحنف فيه كتابا ورد فيه على منكره وكذلك جماعة منهم صغوا في الرد على منكره .

وحكى عن بعض الشيوخ أنه قال رأيت أبا العباس الخضر - عليه السلام - فقلت له ما تقول في هذا السماع الذي اختلف فيه أصحابنا فقال هو الصفو الزلال الذي لا يثبت عليه إلا أقدام العلماء .

وحكى عن معشاد الديوري أنه قال رأيت النبي ﷺ في النوم فقلت يا رسول الله هل تكر من هذا السماع شيئا فقال ما أنكر منه شيئا ولكن قل لهم يقتحمون قبله بالقرآن ويختمون بعده بالقرآن .

وحكى عن ظاهر بن بلال الهمداني الوراق وكان من أهل العلم أنه قال كنت محتكفا في جامع جدة على البحر فرأيت يوما طائفة يقولون في جلقب من قول ولا يستمعون فأنكرت ذلك بقلبي وقلت في بيت من بيوت الله يقولون الشعر قال فرأيت النبي ﷺ تلك الليلة وهو جالس في ذلك الناحية وإلى جنبه أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - وإذا أبو بكر يقول شيئا من القول والنبي ﷺ يستمع إليه ويصيح يده على صدره كالمرءة بذلك فقلت في نفسي ما كان ينبغي لي أن أنكر على أولئك الذين كانوا يستمعون وهذا رسول الله ﷺ يستمع وأبو بكر يقول فالتفت إلى رسول الله ﷺ وقال هذا حق أو قال حق من حق أنا أشك فيه . وقال الحنيد تترل الرحمة على هذه الطائفة في ثلاثة مواضع عند الأكل لأنهم لا يأكلون إلا عن لافقة وهذا المذاكرة لأنهم لا يتحاورون إلا في مقامات الصديقين وعند السماع فإنهم يسمعون بوجود ويشهدون حقا .

وعن ابن جريح أنه كان يرخص في السماع فبذل له أيوني به يوم لقيامته في حملة حسباتك أو حسباتك فقال لا في الحسبات ولا في السبقات لأنه شبيه بالنعو وقال الله تعالى . ﴿ لا يؤخركم الله بالنعم في أنعامكم ﴾ (١) وهذا ما نقل من الأناويل ومن طلب الحق في التقليد فمهما استقصى تعارضت عنده هذه الأناويل بقيت متحيرة أو مائلة إلى بعض الأناويل بالتشبه وكل فلتك قصور بل ينبغي أن يطلب الحق بطريقة وذلك بالبحث عن مدارك الخطر والإباحة .

### الباب التاسع والتسعون

#### فصل النهي عن البدعة واتباع الهوى

قال ﷺ إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وقال ﷺ من أحدث في أمر ديننا هذا ما ليس منه فهو رد ، وقال ﷺ عليكم بستي وستة الخلفاء الراشدين من بعدي فمعلم من هذه الأحاديث أن كل ما عاين الكتاب والسنة وإجماع لأئمة فهو بدعة مردودة . وقال ﷺ : من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة (٢) . وقال قتادة - رضي الله عنه - في قوله تعالى : ﴿ وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾ (٣) الآية . . . أعلموا أن السبيل واحد جماعة الهدى ومصره الجنة وأن إبليس استبدع سبلا متفرقة جماعها الضلالة مصيرها إلى النار .

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال خطبنا رسول الله ﷺ خطبا بيده ثم قال هذا سبيل الله مستقيما ثم خط خطوطا عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال هذه سبيل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ثم قرأ هذه الآية . وعن ابن عباس هذه السبيل الضلالات .

وقال ابن عطية هذه السبيل نعم اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر أهل الملل وأهل البدع والضلالات من أهل الأهواء والشذوذ في المروء وغير ذلك من أهل العشق في الجدل والتخوض في الكلام وهذه كلها عرضة للزلل ومظنة لسوء العقيد . وقال ﷺ من رعب عن مستي فليس مني . وقال ﷺ ما من أمة ابتدعت بعد نبيها في دينها بدعة إلا أضاعت مشيها من السنة (٤) وقال ﷺ أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل

(١) آية (٢٢٥) سورة البقرة .

(٢) (صحيح) أحمد ٤ / ٣٦١ ، وصحيح الجامع (٣٦٠٥) .

(٣) آية (١٥٣) سورة الأنعام .

(٤) (ضعيف) الطبراني ١٨ / ٩٩ ، وضعيف الجامع (٥١٥٥) .

محدثه بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وإنما أخشى عليكم شهوات الفس في بطونكم ومروجكم ومضلات الهوى ، إياكم ولحديثات فإن كل محدثة ضلالة ، وقال ﷺ : « إن الله يحب التوبة من كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته » (١) . وقال ﷺ لا يقبل الله لصاحب البدعة صوما ولا حججا ولا عمرة ولا جهادا ولا صرفا ولا عدلا يخرج من الإسلام كما تخرج الشعرة من العجين لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك لكل عمرة شرة ولكل شرة فترة فمن كانت شرته إلى مستى فقد اعتدى ومن كانت شرته إلى غير ذلك فقد هلك إلى أخاف على أمتي من ثلاث من زلة عالم وهوى متبع وحكم جائر . رواه الترمذي وحسنه في مواضع وصححه في أخرى . والشرية بكسر الشين وفتح الراء مشددة الشاط والهمة .

### فصل في النقص من آفة اللهم

روى البخاري أنه ﷺ قال من قال لصاحبه تعالى أقامرك فليصدق . وروى مسلم وأبو داود وابن ماجه : « من لعب بترد أو تردشين فكأنما خمس يده في لحم خنزير ودمه » (٢) .

وروى أحمد وغيره أنه ﷺ قال : « مثل الذي يلعب بالرد ثم يقوم يصلي مثل الذي يتوضأ بالقيح ودم الخنزير ثم يقوم ف يصلي أي فلا تقبل له صلاة كما صرح به رواية أخرى .

وأخرج البيهقي عن يحيى بن كثير قال : « مر رسول الله ﷺ على قوم يلعبون بالترد فقال : قلوب ، لاهية وأيد عاملة وألسنة لاهية » (٣) .

وأخرج الديلمي أنه ﷺ قال : إذا مررتم بهؤلاء الذين يلعبون بهذه الأزام والشرطج والرد وما كان من هذه أي وما شابه ذلك من كل لهو محرم فلا تسلموا عليهم وأن سلموا عليكم فلا تردوا عليهم . وقال ﷺ ثلاث من الميسر : القمار والغرب بالكعب والصغير بالحمام

ومر على - رضي الله عنه - يقوم يلعبون الشرطج فقال ما هذا التماثيل التي أنتم لها حاكفون لأن يمس أحدكم جمر حتى يلطغا غيرا له من أن يمسها ثم قال والله لغير هذا خلقتكم . وقال أيضا - رضي الله عنه - صاحب الشرطج أكثر الناس كذبا يقول أحدهم قتل وما قتل مات وما مات . وقال أبو موسى الأشعري - رضي الله عنه - لا يلعب بالشرطج إلا خاطي

واعلم أن الملاهي إما حرام كمود وطبور ومعزفة وطبل ومزمار وما إنهي بصوت مطرب إذ

تعد ، أو مكروه وهو ما يزيد به الماء طربا ولم يطرب متفرقا كالصبح ولغصب فيكره مع الماء لا وحده ، أو مباح وهو ما حرج عن آلة الطرب إلى إضرار كالنوق وطبل الحرب أو لمجدعة إعلان كالدف في الكاح .

### الباب المائة

#### في فضائل رجب

رجب مشتق من الترجيب وهو التعظيم ويقال له الأصب لأن الرحمة تصب فيه على التائبين وتقضى أنواع القبول على العاملين ، ويقال له الأصم لأنه لم يسمع فيه حسن قتال وقيل رجب اسم نهر في الجنة ماله أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج لا يشرب منه إلا من صام شهر رجب قال ﷺ رجب شهر لله وشعبان شهري ورمضان شهر أمتي . وقال أهل الإشارة رجب ثلاثة أحرف راء وجيم وياء فالراء رحمة الله والجيم جرم العبد وحياته والياء بر الله كأن الله تعالى يقول أجعل جرم عبدي بين رحمتي ويري .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال قال ﷺ من صام السابيع والعشرين من رجب كتب له صيام ستين شهرا . وقال ﷺ ألا أن رجبا شهر الله الأصم فمن صام من رجب ليمانا واحتسابا استوجب رضوان الله الأكبر .

وقيل زين الله الشهور بأربعة ذي القعدة وذو الحجة وللحرم ورجب وواحد فرد وهو شهر رجب .

وحكى أن امرأة في بيت المقدس كانت تقرأ كل يوم من رجب قل هو الله أحد اثني عشرة ألف مرة وكانت تلبس الصوف في شهر رجب فمرضت وأوصت ابنها أن يلبس معها صوفها فلما ماتت كفها من ثياب مرتعة فراها في منامه تقول له أنا عك هير راضية لأنك لم تعمل بوصيتي فادبه فزع وأخذ صوفها ليده مع فش قبره فسم يدها فيه فتعير فسمع نداء أما علمت أن من أطاعنا في رجب لا تتركه فردا وحيدا .

وروى بد ، ك ، ثلث الليل من أول جمعة من رجب لا يبقى منك إلا يستعمر لصوم رجب . وعن أس رضي الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ من صام ثلاثة أيام من شهر حرام كتب له ثواب عبده بعمالة سنة . قال أنس - رضي الله عنه - سمعت أذناي أن لم أكن سمعته من رسول الله ﷺ

(٢) (صحح) سلم (٢٢٦٠)

(١) الملل للقمي ١ / ١٣٨

(٣) البيهقي ١٠ / ٢١٦



الأشهر الحرم أربعة وخمسة الملائكة أربعة وأفضل الكتب منزلة أربعة وأعضاء الوضوء أربعة وأفضل النعماء - حبات كلمات أربعة سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وعماد الحساب أربعة - أحد وعشرات ومئات وألف والأوقات أربعة الساعة واليوم والشهر والسنة وفصول السنة أربعة ربيع وصيف وخريف وشتاء والطالع أربعة حرارة وبرودة ويومعة ووطوبة وسدطان البلد أربعة صفراء وسوداء ودم وبنغم والحلقاء الراشدة أربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي - وضوء الله عليهم أجمعين -

روى النبي عن عائشة - رضي الله عنها - قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول يسبح الله الخبير في أربع ليالي سحابة الأضحية وليلة المطر وليلة النصف من شعبان وأول ليلة من رجب - وروى النبي أيضا بسنده عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ قال خمس ليال لا ترد فيها دعوة أول ليلة من رجب وليلة النصف من شعبان وليلة الجمعة وليلة العيدين .

### الباب الأول بعد المائة

#### في فضل شعبان المبارك

سمى شعبان لأنه يشعب منه غير كثير مشتق من الشعب بكسر الشين وهو طريق الجبل فهو طريق الخير .

روى عن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - قال كان رسول الله ﷺ يقول : « إذا دخل شعبان فظهروا أنفسكم وأحسنوا نيتكم فيه وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وكان أكثر صيامه في شعبان » (١) .

وفي النسائي من حديث أمامة - رضي الله عنه - قلت يا رسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان قال : « ذلك شهر يتقبل الناس فيه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الأعمال - رب العالمين فأحب أن يرقع عملي ولنا صائم وفي الصحيحين عن عائشة - رضي الله عنها - قالت ما رأيت رسول الله ﷺ استعمل صيام شهر قط إلا رمضان وما رأيت في شهر أكثر منه صيام من شعبان - وفي رواية كان يصوم شعبان كله . ولمسلم كان يصوم شعبان إلا قليلا فهذه الرواية معصرة للأولى فالمراد بكلمة أعليه قبل أن للملائكة في السماء ليأتي عيد كما أن المسلمين في الأرض من يوم عيد معبد للملائكة ليلة البراءة وهي ليلة النصف من شعبان وليلة القدر وعيد يوم الأضحية فلذا سميت ليلة نصف شعبان ليلة عيد الملائكة . وذكر

النسائي في تفسيره أنها تكفر ذنوب السنة ، وليلة الجمعة تكفر ذنوب الأسبوع وليلة القدر تكفر ذنوب العصر أي إحياء هذه الليالي سبب لتكفير الذنوب وتسمى ليلة التكبير أيضا لذلك وليلة الحياة ، لما روى الخنيزي مرفوعا من أحيا ليلتي العيد وليلة النصف من شعبان لم يموت قلبه يوم تموت القلوب . وتسمى ليلة الشفاعة لما روى أنه ﷺ سأل الله تعالى ليلة الثالث عشر الشفاعة في أمته فأعطاه الثلث وسأله ليلة الرابع عشر فأعطاه الثلثين وسأله ليلة الخامس عشر فأعطاه الجميع إلا من شرد على الله شراد البعير يعني من فر من الله وتباعد عنه بالإصرار على المعصية . وتسمى ليلة المعصرة أيضا لما روى الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال : « أن الله ليطلع ليلة النصف من شعبان إلى عباده فيختر لأهل الأرض الأجلين مشرك أو مشاحن وتسمى ليلة العتق لما روى ابن إسحاق عن أنس بن مالك بعثني رسول الله ﷺ إلى سرل عائشة - رضي الله عنها - فني حاجبة فقلت لها أسرعي فإني تركت النبي ﷺ يحدثهم عن ليلة النصف من شعبان فقالت يا أنس اجلس حتى أحدثك بحديث ليلة النصف من شعبان . تلك الليلة كانت ليأتي من رسول الله ﷺ فجاء ودخل معي في خافي فالتبته من الليل فلم أجده فقلت لعله ذهب إلى جاريته القبطية فخرجت فمررت في المسجد فوقعت رجلى عليه وهو يقول سجد بك سوادى وخيالي وأمن بك فزادى وهذه يدى وما جئت بها على نفسي يا عظيما يرجى لكل عظيم إغفر الذنب العظيم ، سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق بصره ، ثم رفع رأسه فقال اللهم اورق قلبا تقيا نقيًا من الشرك برها لا كافرا ولا شقيا ، ثم هاد ساجدا فسمعت يقول أعود بربك من سخطك ويعفوك من حقرتك وبك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، أقول كما قال أخى داود أفر وجهي في التراب لسيدى وحق لوجهي يا سيدى أن معمر ثم رفع رأسه فقلت بأبي أنت وأمي أنت في واد وأنا في واد فقال يا حميراء أما تعلمين أن هذه الليلة ليلة النصف من شعبان إن لله عز وجل في هذه الليلة عتقاء من النار بعدد شعركم كلب إلا ستة : لا مومن عمر ، ولا هاني لوانديه ، ولا مصر على الرنا ، ولا مضارب ، ولا مضرب ، ولا قتات . وفي رواية مصور بطل مضرب ، وتسمى ليلة القسمة والتقدير لما روى عطاء ابن يسار إذا كانت ليلة النصف من شعبان نسح لملك الموت كل من يموت من شعبان إلى شعبان وأن العيد ليعرس العرس ويكح الأزواج ويبنى البنيان وأن اسمه قد نسخ في الموتى وما ينتظر به ملك الموت إلا أن يؤمر به فيقبضه .

## الباب الثاني بعد المائة

## فصل فضل رمضان العظيم

ما الله تعالى . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ (١) عن سعيد بن جبهر - رضي الله عنه - كان صوم من قبلنا من الأتمة إلى الليلة لقابلة كما كان في بدء الإسلام وقال جماعه من أهل العلم كان وجبا على النصراني فري كان يقع في الحر الشديد والبرد الشديد وكان يشق عليهم في أسفارهم وبعض معاشهم فاجتمع رأي كبارهم على أن يجعلوا صيامهم في فصل من السنة بين الشتاء والصيف فجعلوه في الربيع وزاد فيه عشرة أيام كعادة لما صمتوا ثم أن ملكا لهم اشتكى فجعل الله عليه أن يرى من وجهه وأن يزيد فيه أسبوعا فلما مات ذلك ووليهم ملك آخر قال آخوه خمسين يوما ثم أصابته موتان وهو موت الهالك فقال زيدوا صياكم فزادوا عشرة قبل وعشرا بعد . وقيل ما من أمة إلا وفرض عليهم صيام رمضان إلا أنهم ضلوا عنه .

قال البغوي والصحيح أن رمضان اسم للشهر من الرمضاء وهي الحجارة للحمة لأنهم كانوا يصومون في الحر الشديد لأن العرب لما أرادت أن تضع أسماء الشهور وافق أن الشهر المذكور كان في شلة الحر . وقيل معنى بذلك لأنه يرمض الذنوب أي يحررها . وفرض في السنة الثانية من الهجرة وهو معلوم من الدين بالضرورة يكفر جاحدا وجوبه . وورد في فضله أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ إذا كان أول ليلة من رمضان فتحت أبواب الجن كلها فلم يعلق منها باب في الشهر كله . وأمر الله تعالى مناديا ينادي يا طالب الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر ثم يقول هل من مستغفر فيحمر له ، هل من سائل فيعطى موله ، هل من تائب فيتاب عليه ، فلم يزل كذلك إلى أن تجل الصبح ولله كل ليلة عند الصبح ألف ألف عتيق من النار قد استوجبوا العذاب .

وعن سلمان الفارسي - رضي الله عنه - قال خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان فقال أيها الناس قد أظلمكم شهر عظيم فيه ليلة القدر غير من ألف شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليلة تطوها ، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ومن أدى فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة وهو شهر المراساة ، وهو شهر يرد فيه رزق المؤمن ، من فطر فيه صائما كان له عتيق رقبة ومغفرة لذنوبه ، فلنا يا رسول الله ليس كلما يجد ما يطر به الصائم قال يعطى الله هذا الثواب من يطر صائما مدقة لبن أو شربة ماء أو تمر ومن أشبع صائم كان له مغفرة لذنوبه وسقاه ربه من حوضي شربة لا يظما

بعدها أبدا وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء ، وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتيق من النار ، ومن خفف من مملوكه فيه أعتقه الله من النار فاستكثروا به من أربع خصال . خصلتين ترضون بهما ربكم وخصلتين لا غنى لكم عنهما أما الخصلتان اللتان لا غنى لكم عنهما تسألون ربكم الجنة وتعودون به من النار ، ومنها قوله ﷺ من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ورواه ﷺ كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجره به . وما هي بعبادة أعبدها البارئ تبارك وتعالى لنفسه ومنها قوله ﷺ أعطيت أمي خمس خصال في شهر رمضان لم تعطهن أمة قبلها حروف دم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا ، وتصعد فيه مردة الشياطين ، ويزين الله تعالى كل يوم الجنة ويقول يوشك عبادي الصالحون أن يكف عنهم السوء والآذى ، ويغفر لهم آخر ليلة منه ، قيل يا رسول الله أمي ليلة القدر قال لا ولكن العامل يوفي أجره إذا قضى عمله .

## الباب الثالث بعد المائة

## فصل ليلة القدر

روى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال ذكر لرسول الله ﷺ رجل من بني إسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر فعجب رسول الله ﷺ لذلك ونمى ذلك لأمت فقال يا رب جعلت أمي أقصر الأم أعمرا وأقلها أصملا فأعطاء الله تعالى ليلة القدر خير من ألف شهر مدة حمل الإسرائيلي السلاح في سبيل الله له ولأمة إلى يوم القيامة . فهي من خصائص هذه الأمة ، ويقال اسم ذلك الرجل شمعون بن عزرا المدون ألف شهر لم يجف ليد فرسه وقهر الكفار لما أعطى من القوة والحساسة بضاعت قلوبهم منه فبعثوا رسلا إلى امرأته وضمتوا لها طستا مر ذهب مملوكة ذهب إن هي قيدته حتى يجسوه في بيت لهم ويستريحوا منه فلما نام بالليل أوثقت بحبل من ليف فلما انته حرك أعضائه فقطع الحبل قطعاً وسألها لم صنعت ذلك فقالت أجرتك فترك فلما أخبر الكفار بذلك بعثوا لها سلسلة ففعلت مثل ما فعلت فقطعها فجاء إبليس إلى الكفار وأرسلهم إلى أن تسأل المرأة زوجها أي شيء لا تقوى على فكه وقطعه فأرسلوا إليها فسأته فقالت ذواتي وكان له ثمانية دواب طويلة تجر على الأرض فما قام فبدت رجله بأربع يديه بأربعة فجاء الكفار وأخذوه وذهبوا به إلى بيت مذهبهم مقدار أربعمئة ذراع علوه ومعه اتساعه له عمود واحد فقطعوا أذنيه وشفتيه وكثروا كلهم مجتمعين لديه فسأل الله تعالى أن يقوى على فك وثاقه وعلى أن يجر العمود ويهدمه عليهم من تجاهه منهم ففأمر الله فتمحرك فانكث وثاقه وحرك العمود فوقع عليهم السقف فأهلكهم الله جميعا ونجا منهم ، فلما سمع أصحاب رسوا

الله ﷺ ذلك الخبر قالوا يا رسول الله هل نلذك ثوابه فقال لا أجرى ثم سأل ربه فأعطاه كما تقدم ليلة القدر ، وعن أنس - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ إذا كان ليلة القدر نزل جبريل - عليه السلام - في كبكة من الملائكة يصلون ويسمعون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله تعالى . قال أبو هريرة - رضى الله عنه - الملائكة تنزل ليلة القدر في الأرض أكثر من عدد الحصى فتفتح أبواب السماء للنزل كما ورد فتسطع الأنوار ويحصل نمل عظيم ويكشف فيها الملكوت والانس في ذلك متفاوتون منهم من يكشف له عن ملكوت السموات والأرض فتكشف له الحجب عن السموات فيشاهد فيها الملائكة على صورها ما بين قائم وقاعد وذراع وساجد وذاكر وشاكر ومسبح ومهلل ومنهم من يكشف له عن الجنة بما فيها من دورها ونصورها وحورها وانهارها وأشجارها وأثمارها ويشاهد عرش الرحمن وهو سقفها ويشاهد منازل الأنبياء والأولياء والشهداء والصدقيين وبهيم في هذا الملكوت ويتنزه في ذلك الرحموت ويشاهد جهنم ويشاهد ذراريها ومنازل الكفار إلى غير ذلك ومنهم من تتكشف حجبته عن جمال الله فلا يشاهد إلا إياه . وعن عمر عنه عليه - الصلاة والسلام - من أحيا ليلة سبع وعشرين من شهر رمضان إلى الصبح فهو أحب إلى من قيام ليالي شهر رمضان كلها ، فقالت فاطمة يا أبت ما تصنع الضحفاء من الرجال والنساء ممن لا يفلحون على القيام قال لا يضعون الوسائد فيكتفون عبيها ويقعدون ساعة من ساعات تلك الليلة ويدهون الله - عز وجل - إلا كان ذلك أحب إلى من قيام أمي جميعا شهر رمضان . وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت قال رسول الله ﷺ من أحيا ليلة القدر وصلى فيها ركعتين واستغفر فيها غفر الله له وخاض في رحمة الله ومسحه جبريل بجناحه ومن مسحه جبريل بجناحه دخل الجنة .

### الباب الرابع عشر من هذه الليلة

#### في فضل العيد

سمى هذا اليوم الذي هو أول شوال واليوم الذي هو العاشر من ذي الحجة عيداً لأن المؤمنين عادوا فيهم من طاعة الله تعالى التي هي أداء فريضة صيام واطيع إلى طاعة رسول الله ﷺ التي هي صيام ست من شوال والتأهب لزيارته ﷺ وتكرار ذلك كل عام ، ولكثرة عوائد الله تعالى فيه بالإحسان والعود السرور بعمده وأول عيد صلاه رسول الله ﷺ عيد الفطر في السنة الثانية من الهجرة ولم يتركها فهي سنة مؤكدة . وعن أبي هريرة - رضى الله عنه - : « زينوا أعيادكم بالتكبير » (١) . قال ﷺ : من قال سبحان الله ومحمده يوم العيد ثلثمائة مرة وأمدأها

(١) (ضعيف) المعجم الصغير ١ / ٢١٥ ، وضعيف الجامع (٣١٨٢) .

لأموات المسلمين دخل في كل قبر ألف نور ويجعل الله تعالى في قبره إذا مات ألف نور . وعن وهب بن منبه - رضى الله عنه - أن إبليس يرن في كل عيد فتجتمع إليه الأبالسة فيقولون يا سيدنا م غضبك فيقول إن الله تعالى غفر لأمة محمد ﷺ في هذا اليوم فليكنم أن تشغلهم بالذلات والشهوات . وعن وهب أيضا أن الله تعالى خلق يوم عيد الفطر وغرس شجرة طوى يوم عيد الفطر . واصطفى جبريل للوحي يوم عيد الفطر وثاب على سحرة فرعون يوم عيد الفطر وقال النبي ﷺ : « من قام ليلة العيد محسباً لم يمض قلبه يوم تموت القلوب » (١) .

حكى أن عمر رأى ولدا له يوم عيد وعليه قميص فبكى فقال ما يبكيك فقال له يا بني أحس أن ينكسر قلبك في يوم العيد إذا رأك الصبيان بهذا القميص الخلق فقال إنما ينكسر قلب من أهمله الله وغناه أو حق أمه وأبيه وإنه لا يرجو أن يكون الله راضيا حتى يرضاك فيبكي عمر وضمه إليه وده له - رضى الله عنهما - .

وما أحسن قول القائل :

قالوا غدا العيد ماذا أنت لابسه \* \* \* نلت خلعة ساق عيده الجبرما  
فخر وصبر ثوبان بينهما \* \* \* قلب يرى ربه الأعياد والجمعا  
العيد لي ماأم إن غبت يا أملي \* \* \* والعيد أن كنت لي مرأى ومثما

وورد إذا كان غدا عيد الفطر يمض الله الملائكة ليهبطون إلى الأرض ويقومون على السكك فينادون بصوت يسمعه جميع خلق الله إلا الإنس والجن يقولون يا أمة محمد أخرجوا إلى رب كريم يعطي العطاء الجبريل ويغفر القسب العظيم فإذا برروا إلى مصلاتهم قال الله للملائكة ما جزاء الأجير إذا عمل فيقولون جزاؤه أن يوفى أجره فيقول سبحانه أشهدكم أني قد جعلت ثوابهم رضائي ومعرفتي .

### الباب الخامس من هذه الليلة

#### في فضل عشر ذي الحجة

روى بن عباس - رضى الله تعالى عنهما - أن النبي ﷺ قال : ما من أيام العمل فيها أحب إلى الله من هذه الأيام يعنى أيام العشر قالوا ولا الجهاد في سبيل الله تعالى قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا وجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء ، وعن جابر بن عبد الله قال :

(١) (ضعيف) ابن ماجه (١٧٨٢) ، وضعيف الجامع (٥٧٤٦)

قال رسول الله ﷺ ما من أيام أحب إلى الله وأنصل من أيام العشر قليل ولا مثلهن في سبيل الله ، قال ولا مثلهن في سبيل الله وعن عائشة - رضي الله عنها - أن شليبا كان صاحب سماع وكان إذا أهل هلاك دى لحجة أصبح صائم مبلغ ذلك رسول الله ﷺ فدعاء فقال ما يحملك على صيام هذه الأيام قال بأبي أنت وأمي يا رسول الله إنها أيام المشعر وأيام الحج عسى الله أن يشركني في دعائهم . قال فإن لك بكل يوم تصومه عدد مائة رقة ومائة بقة ومائة فرس يحمل عليها في سبيل الله فإذا كان يوم الثروة فللك فيها عدد ألف رقة وألف بقة وألف فرس تحمل عليها في سبيل الله فإذا كان يوم حرفة فللك فيها عدد ألفي رقة وألفي بقة وألفي فرس تحمل عليها في سبيل الله تعالى ، وقال ﷺ يعدل صوم يوم حرفة بصوم ستين ويعدل صوم عاشوراء بصوم سنة وقال أهل التفسير في قوله تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا سُبُلَ اللَّهِ ﴾ (١) الآية . إنها المشعر الأولى من ذي الحجة ، وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - أن الله اختار من الأيام أربعة ومن الشهور أربعة ومن النساء أربعة يسبقون إلى الجنة وأربعة اشتقت إليهم الجنة أما الأيام فأولها يوم الجمعة فيها ساعة لا يوافقها مسلم يسأل الله تعالى شيئا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه ، وثانيها يوم حرفة فإذا كان يوم حرفة يباهي الله تعالى ملائكته فيقول يا ملائكتي انظروا إلى عبادي جاءوا شعثا حبرا قد أنفقوا الأموال وأتعبوا الأبدان أشهدوا أنني غفرت لهم ، وثالثها يوم المحرم فإذا كان يوم التمر وقرب العيد قرباته فأول قطرة قطرت من القرابين تكون كفارة لكل ذنب عمله العبد ، ورابعها يوم الفطر فإذا صاموا شهر رمضان وخرجوا إلى هبدهم يقول الله تبارك وتعالى للملائكة إن كل عامل يطلب أجره وعبادي صاموا شهرهم وخرجوا من هبدهم يطلبون أجرهم أشهدكم أنني قد غفرت لهم . وينادي المتأدي بأمة محمد إرجعوا فقد بدلت سيئاتكم حسنات . وأما الشهور فمرجبه الفرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم . وأما النساء فمرم بنت عمران وحديجة بنت خويلد سابقة نساء العالمين إلى الإيمان بالله ورسوله وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون وعاطمة بنت محمد سيدة نساء الأخية . وأما السابقون فللكل قوم سابق فسينا محمد ﷺ سابق العرب وسلمان سابق الفرس وصهيب سابق الروم وبلال سابق الحبشة . وأما الأربعة الذين اشتقت لهم الجنة فعلى بن أبي طالب وسلمان الفارسي وعمار بن ياسر والمقداد بن الأسود . وعن ﷺ من صام يوم الثروة أعطاه الله ثوابا مثل ثواب عيسى - عليه السلام - وعن النبي ﷺ إذا كان يوم حرفة نشر الله رحمته فليس أكثر من يوم عتقته ومن سأل الله تعالى في يوم حرفة حاجة من حوائج الدنيا والآخرة قضاه له ، وصوم يوم حرفة يكفر سنة ماضية وسنة مستقبلية (٢) ، والحكمة في ذلك والله أعلم أنه بين عشرين وهما يوم سرور المؤمنين ولا سرور

(١) (١٤٢) سورة الأعراف

(٢) صحيح مسلم (١٠٦٢)

أعظم من غفران ذنوبهم ، ويوم عاشوراء بعد العيدين فهو كفارة سنة واحدة ولأنه لموسى - عليه السلام - ويوم حرفة نبييا ﷺ وكرامته تضاعف على غيره ﷺ .

### الباب السادس بعد المائة

#### في فضل عاشوراء

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال قدم النبي ﷺ المدينة فوجد اليهود يصومون عاشوراء فسالهم عن ذلك فقالوا إن هذا اليوم أظهر فيه موسى وبنو إسرائيل على قوم فرعون فنحن نصومه تعظيما له فقال النبي ﷺ نحن أولى بموسى منكم فأمر بصومه وقد ورد في فضل عاشوراء آثار كثيرة منها أنه توب على آدم فيه وكان خلقه فيه وفيه أدخل الجنة وفيه خلق العرش والكرسي والسموات والشمس والقمر والنجوم وولد إبراهيم الخليل فيه وكانت نجاة من النار فيه وكذلك نجاة موسى ومن معه وإخراق فرعون ومن معه وفيه ولد عيسى وفيه رفع إلى السماء وفيه رفع إدريس مكانا عليا وفيه استوت سمينة نوح على الجودي وأعطى فيه سليمان الملك العظيم وأخرج يونس من بطن الحوت ورد بصير يعقوب عليه وأخرج يوسف من الجب وكشف أسر أيوب وأول مطر نزل من السماء إلى الأرض كان يوم عاشوراء وكان صومه معروفا بين الأمم حتى قيل بأنه فرض قبل رمضان ثم نسخ به وصام ﷺ قبل الهجرة ، ولما دخل المدينة أكد طلبه حتى قال ﷺ في آخر عمره الشريف إن عشت إلى قابل لأصوم من التاسع والعاشر فانتقل إلى الرفيق الأعلى من هامة ولم يصم غير العاشر لكنه رغب فيه وفي صوم التاسع والعاشر عشر بقوله ﷺ صوموا قبله يوماً وبعده يوماً خالفوا سنة اليهود . أي حيث أفردوه بالصوم . وروى البيهقي في شعب الإيمان من وسع على عياله وأهله في يوم عاشوراء وسع الله عليه في سائر سنته وفي رواية منكرو للطيراني الصدقة فيه بدرهم يسعمائة ألف درهم وأما حديث من اكتحل يومه لم يرم ذلك العام ومن أختسل فيه لم يمرض فموسوع ، وقد صرح الحاكم بأن الاكتحال يومه بدعة ، وقال ابن القيم حديث الاكتحال وطبخ الحبوب والأدهان والتطيب يوم عاشوراء من وضع الكلابيين .

واعلم أن ما أصيب به الحسين - رضي الله عنه - يوم عاشوراء إنما هو الشهادة الثالثة على مريد رفيعته ووجهه عند الله والحقه بدرجات أهل بيته الطاهرين فمن ذكر ذلك اليوم مصابه فلا يسيء أن يشجع إلا بالإسراج مع مثالا للأمر والحرارة ربه تعالى عليه بقوله ﴿ وَأَوَلَيْكُمْ عَذَابٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ (١) رايه ثم رايه أن يشتمل سدع الرافضة ويحرمهم من

(١) سورة البقرة

الندب والباحة والحرث إذ ليس ذلك من أخلاق المؤمنين ولا لكان يوم وفاة جده ﷺ أولى بذلك وأخرى وحيينا الله تعالى وحده ونعم الوكيل .

### الباب السابع بعد المائة

#### في فضل ضيافة الفقراء

قال ﷺ : « لا تكلفوا للضيف لتبتغوه فإنه من أبغض الضيف فقد أبغض الله ومن أبغض الله أنعم الله » (١) وقال ﷺ : « لا خير ليس لا يضيف » (٢) . ومر رسول الله ﷺ برجل له ابل وبقر كثيرة فلم يضيئه ومر بامرأة لها شويهاة فذبحت له فقال ﷺ انظروا إليهما إنما هذه الأخلاق بيد الله فمن شاء أن يمنعه خلقا حسنا فعل . وقال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ أنه نزل به ﷺ ضيف فقال قل لفلان اليهودي نزل بي ضيف فأسلمتني شيئا من الدقيق إلى وجب فقال اليهودي والله لا أسلمه إلا برهن فأخبرته فقال والله إنني لأمين في السماء أمين في الأرض ولو أسلمتني لأدبته فأنهبط بدرعي وأرهنه عنده ، وكان إبراهيم الخليل - صلوات الله عليه وسلامه - إذا أراد أن يأكل خرج ميلا أو ميلين يلتمس من يتخذى معه وكان يكتي أبا الضيفان ولصدق نيته فيه دامت ضيافته في مشهدة إلى يومنا هذا فلا تتقصى ليلة إلا وأكل عنده جماعة من بين ثلاثة إلى عشرة إلى مائة . وقال قوام الموضع أنه لم يخل ليلة عن ضيف . ومثل رسول الله ﷺ ما الإيمان فقال إطعموا الطعام وبذل السلام وقال ﷺ في الكفارات والدرجات إطعام الطعام وطيب الكلام . وقال أنس رضي الله عنه كل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله الملائكة . والأخبار الواردة في فضل الضيافة والإطعام لا تحصى .

وما أحسن قول القائل :

لم لا أحسب الضيف أو ••• إرتاح من طرب إليه

والضيف يأكل رزقه ••• هندي وشكرتي عليه

ومن كلام الحكماء لا تتم العنيفة إلا بطلاقة الوجه وحسن الحديث ولطف اللقاء وقال آخر :

أضاحك ضيفي قبل أنزل رحله ••• ويخصب عندي والمحل جديب

وما انصب للأضياف في كثرة القرى ••• ولكنما وجهه الكريم خصيب

(١) انجاف السادة ٥ / ٢٣٨

(٢) (صحيح) أحمد ٤ / ١٥٥ ، وصحيح الجامع (٢١٩٢)

فينبغي لبداهي أن يعمد بدعوته الانتباه دون الفساق قال ﷺ أكل طعامك الأبرار في دعائه لبعض من دعاه ﷺ : « لا تأكل إلا طعام تقى ولا يأكل طعامك إلا تقى » (١) ويقصد الفقراء دون الأغنياء على الخصوص . قال ﷺ : « شر الطعام طعام الوليمة يدهى إليها الأغنياء دون الفقراء » (٢) ويسمى أن لا يهمل أقربه في ضيافته فإن إهمالهم إيهاش وقطع رحم وكذلك يراعى الترتيب في أصدقائه ومعارفه فإن في تخصيص البعض إيهاشا لقلوب الباقين وينبغي أن لا يقصد بدعوته المباهاة والتفاخر بل استمالة قلوب الإخوان وأتسنى سنة رسول الله ﷺ في إطعام الطعام وإدخال السرور على قلوب المؤمنين وينبغي أن لا يدعو من يعلم أنه يشق عليه الإجابة أو يتأذى بالحاضرين بسبب من الأسباب ، وينبغي أن لا يدعو إلا من يحب إجابته . قال سفيان من دعا أحدا إلى طعام وهو يكره الإجابة فعليه خطبة فإن أجاب الدعوة فعليه خطبتان لأنه حمله على الأكل مع كراهة ولو علم ذلك لم كان يأكله . وإطعام التقى إهانة على الطاعة وإطعام العاسق تقوية على العسق وقال رجل غياط لابن المبارك أد أخيط ثياب السلاطين فهل تحاف أن أكون من أحوار الظلمة قال لا ، إنما أحوار الظلمة من يبيع منك الخيط والإبرة أما أنت فمن الظلمة أنفسهم وأما الإجابة فهي سنة مؤكدة ، وقد قيل بوجودها في بعض المواضع . قال ﷺ لو دعيت إلى كراع لأجبت ولو أهدى إلى ذراع لقبلت وللإجابة حمسة أداب مذكورة في إحياء علوم الدين وغيره .

### باب الثامن بعد المائة

#### في الكلام على الجنائز والقبر

إعلم أن الجنائز عبرة للبصير وفيها تنبيه له وتذكير لأهل الففلة فإنها لا تزيدهم مشاغلهم إلا قسوة لأنهم يظنون أنهم أبدا إلى جنارة غيرهم ينظرون ولا يحسبون أنهم لا محالة على الجنائز يحملون أو يحسبون ذلك ولكنهم قبل حساباتهم وانقرض ولا يتمكرون أن النحومين على الجنائز هكذا كانوا يحسبون قبل حساباتهم وانقرض على القرب زمانهم فلا ينظر هبد إلى جسارة إلا وقدر نفسه محمولا فمنه محمول عليها على القرب ولعله في قد أو بعد قد . ويرى من أين هرة - رضى الله عنه - أنه كان إذا رأى جنازة قال أمضوا فدنا على الأثر . وكان مكحول العمشقى إذا رأى جنازة قال أغدوا فدنا والعون موعظة بليغة وخمسة سريعة يذهب الأول والآخر لا عقل له وقال أسيد بن حضير ما شهدت جنازة فحدثني نفسي بشيء سوى ما هو معمول به وما هو صائر

(١) انجاف السادة ٤ / ٢٢٨

(٢) (صحيح) البخاري (٥١٧٧)

إليه ، ولما مات أخو مائد بن ديتار خرج مائلك في جنازته يبكي ويقول والله لا تفر صيتي حتى أعلم إلى ماذا صرت إليه ولا أعلم مادمت حيا .

وقال الأعشى كنا شهد الجملتين فلا نرى من نعزي لحزن الجميع . وقال ثابت البناني كنا يشهد الحناجر فلا نرى إلا متنعما باكيا فهكنا كان خوفهم من الموت ، والآن لا ننظر إلى جماعة يحسرون حنارة إلا وأكثرهم يصيحون ويلهون ولا يتكلمون إلا في ميراثه وما خلفه لورثته ولا يتذكر أمره وأقاربه إلا في الحيلة التي بها يتناول بعض ما خلفه ولا يتذكر واحد منهم إلى ما شاء الله في حناره بمسه وفي حاله إذا حصل عليها ولا سبب لهذه العفلة إلا فسوة القلوب بكثرة المعاصي والصوب حتى نسي الله تعالى واليوم الآخر والأحوال التي بين أيديهم فصرنا نلهو ونعمل ونشغل بما لا يعنيننا ، فسأل الله تعالى اليقظة من هذه الغفلة فإن أحسن أحوال المحاسنين على الجنائز بكاءهم على الميت ولو عقلوا ليكوا على أنفسهم لا على الميت . نظر إبراهيم الربات إلى أناس يترحمون على الميت فقال لو ترحمون على أنفسكم لكان خيرا لكم إنه نجا من أهوال ثلاثة وجه ملك الموت وقد رأى ومرارة الموت وقد داق وخوف الحفاقة وقد آمن . وقال أبو عمرو بن العلاء جلست إلى جرير وهو يملئ على كتابه شعرا فاطلعت جنازة . فقال :

نسرونا الجنائز مقبلات \* \* \* ونلهو حين نذهب مدبرات

كروعة ثلثة لعمار ذئب \* \* \* فلما غاب عادت راتعات

فمن آداب طهور الجنائز التفكير والتنبه والاستعداد والمشي أمامها على هيئة التواضع كما ذكرت آدابها وسنه في فن الفقه ومن آداب حسن الظن بالميت وإن كان فاسقا ، وإساءة الظن بالنفس وإن كان ظاهرها الصلاح فإن الحفاقة خطيرة لا تدري حقيقتها ، ولذلك روى عن عمر بن ذر أنه مات واحد من جيرانه وكان مسرفا على نفسه فتجأى كثير من الناس عن جنازته فحضرها هو وصلى عليها فلما دلى في قبره وقف على قبره وقال يرحمك الله يا أبا ملان فلقطد صحبت عمرك وبالتوحيد وعمرت وجهك بالسجود وإن قالوا ملذب وقو خطايا فمن منا غير ملذب وغير ذي خطايا .

ويحكى أن رجلا من المنهكين في العبادات في بعض نواحي البصرة فلم تجد أمراة من يبعثها على حمل جنازته إذ لم يدبر بها أحد من جيرانه ففقه فاستأجرت حمالين وحملنها إلى المصلى فما صلى عليه أحد فحملتها إلى الصحراء ، للفق فكان على جبل قريب من الموضع راقد من الزهاد الكبار فرأته كما تنتظر للجنازة ثم قصد أن يصلى عليها فانتشر الخبر في البلد بأن الزاهد نزل ليصلى على فلان فخرج أهل البلد فصلى الزاهد وصلوا عليه وتعجب الناس من

صلاة الزاهد عليه فقال قيل لي في المنام ينزل إلى موضع كذا ترى فيه جنازة ليس معها أحد إلا امرأة فصل عليها فإنه معفور له فزاد تعجب الناس فاستدعى الزاهد أمرأته وسألها عن حاله وأنه كيف كانت بحيرته ، قالت كما عرف كان طول نهاره في المأخور مشغولا بشرب الخمر فقال نظري هل تعرفين بيته شيئا من أعمال الخير قالت نعم ثلاثة أشياء كان إذا أفاق من سكره وقت الصبح يبدل ثيابه ويتوضأ ويصلى الصبح في جماعة ثم يعود إلى المأخور ويستقل بالنفس ، والثاني أنه كان أبدا لا يحلو يته من يقيم أو يتيمين وكان إحسانه إليهم أكثر من إحسانه إلى أولاده وكان شديد لتعقد لهم ، والثالث أنه كان يقيم في أثناء سكره في ظلام الليل فيبكي ويقول يا رب أي زاوية من زوايا جهنم تريد أن تملأها بهذا الحديث يعني نفسه . فالتصريف الراقد وقد لوتفع إشكاله من أمره قال الضحك قال رجل يا رسول الله من أزهدهم الناس قال من لم ينس القبر والليل وترك فضل زينة الدنيا وأثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد هذا من أيامه وعد نفسه من أهل القبور .

وقيل لعلى - كرم الله وجهه - ما شأنك جاورت المقبرة قال إني أجدهم خير جيران إني أجدهم جيران صدق يكون الألسنة ويذكرون الآخرة . وكان عثمان بن عفان - رضي الله عنه - إذا وقف على قبر يبكي حتى يبل لحيته فسئل عن ذلك وقيل له تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي إذا وقعت على قبر فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد (١) . وقيل إن عمرو بن العاص نظر إلى المقبرة فنزل وصلى ركعتين فبيل له هذا شيء لم تكن تصنعه فقال ذكرت أهل القبور وما حبل بينهم وبينه فاحببت أن أتقرب إلى الله بهما . وقال مجاهد أول ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول أنا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة هذا ما أعلنت لك فما أعلنت لي .

وقال أبو ذر ألا أخبركم يوم فقرى يوم أوضع في قبري .

#### الباب التاسع بعد المائة

#### في التخييف من عذاب جهنم

أخرج البخاري كان أكثر دهاء النبي ﷺ وينا أننا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . وأبو يعلى أنه ﷺ خطب فقال لا تتسوا العظيمين الجنة والبار ثم بكى حتى جرى أو بل دموعه جاتين لحيته ثم قال والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم من أمر الآخرة لخشيتهم على الصعيد والخشيتهم على رؤوسكم التراب . والطبراني في الأوسط جاء جبري إلى النبي ﷺ في حين

أرسلت فيها السفن لجبرت . وأبو يعلى يا أيها الناس ايكوا فإن لم تيكوا فتاكوا فإن أهل النار يكون من النار حتى تسيل دموعهم في عذوبتهم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فيسيل يعني الدم فتخرج الميرون .

### الباب العاشر بعد المائة

#### في الميزان والصراط

أخرج أبو داود عن الحسن بن عاتشة أنها بكت فقال رسول الله ﷺ ما بك بك قالت ذكرت النار فيكيت مهل يذكرون أهليكم يوم القيامة ، فقال ﷺ أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدا عند الميزان حتى يعلم أحسن ميزانه أم يشقى ، وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه في يمينه أم في شماله أم وراء ظهره ، وعند الصراط إذا وضع بين ظهراني جهنم حتى يعلم أي جواز أم لا ، والترمدى عن أنس - رضي الله عنه - قال سألت رسول الله ﷺ أن يشع لي يوم القيامة قال أنا ماعل إن شاء الله تعالى قلت فأين أطلبك قال أول ما تطلبني على الصراط قلت فإن لم ألقك على الصراط قال فاطلبني عند الميزان قال فاطلبني عند الخوض فإني لا أخطئ هذه الثلاثة مواطن .

وروى الحاكم يوضح الميزان يوم القيامة فهو ورنث أو وضعت فيه السموات والأرض لو وضعت فتقول الملائكة يا رب لم يزن هذا ، فيقول الله تعالى لمن شئت من خلقي فتقول الملائكة سبحانك ما عبادتك حق عبادتك ويوضح الصراط مثل حد الموصي فتقول الملائكة من يجوز على هذا فيقول من شئت من خلقي فيقولون سبحانك ما عبادتك حق عبادتك . وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال يوضح الصراط على سواء جهنم مثل حد السيف المرفف مدحضة مزلة عليه كلاليب من نار يحتطف بها ممسك يهوى فيها ومصرع ومنهم من يمر كالبرق فلا ينشب ذلك أن ينجو ثم كالريح فلا ينشب ذلك أن ينجو ثم كجرى العرس ثم كسعى الرجل ثم كرمل الرجل ثم كمشى الرجل ثم يكون آخرهم إنسانا رجل قد لوحته النار ولقى فيها شراً ثم أدخله الله الجنة بفضلته وكرمه ويقال له ممن وصل فيقول أي رب أنهزأ مني وأنت رب العزة فيقال له ممن وصل حتى إذا انقطعت به الأماني قال لك ما سألت ومثله معه . وروى مسلم عن أم مبشر الأنصارية - رضي الله عنها - أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول عند حمصة رضي الله عنها لا يدخل النار إن شاء الله تعالى أحد من أصحاب الشجرة الذين يابغوا تحتها قالت بلى يا رسول الله فمتنهرها فقالت حمصة - رضي الله عنها - وإن منكم إلا واردها فقال النبي ﷺ قد قال الله تعالى :

عن حبه أدى كان يأتيه فيه فقام إليه رسول الله ﷺ فقال يا جبريل مالي أولك متعير الدول فقال ما حدثت حتى أمر الله عز وجل بفتح أسرار فقال رسول الله ﷺ يا جبريل صف لي أسرار أو ابعث لي جهنم صف جهنم إن الله تبارك وتعالى أمر بجهنم فأوقد عليها ألف عام حتى أبيضت ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى أحمرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى أسودت فهي سواد مظلمة لا يضيء شروها ولا يطفأ لهبها والذي بعثك بالحق نبيا لو أن قلبك تقب ليرة فتح من جهنم مات من في الأرض كلهم جميعا من حره والذي بعثك بالحق لو أن خازنا من حرمة جهنم يرزأ أهل الدنيا مات من في الأرض كلهم جميعا من قبح وجهه ومن من ربحه والذي بعثك بالحق لو أن حلقه من خلق سلسلة أهل النار التي نعت الله في كتابه وضعت على جبال الدنيا لأرغمت وما تقاربت حتى تنتهي إلى الأرض السفلى فقال رسول الله ﷺ حسبي يا جبريل لا تنصدع قلبي فأمرت قال فمطر رسول الله ﷺ إلى جبريل وهو يكي فقال يكي يا جبريل وأنت من الله بالمكان الذي أنت به فقال وما لي لا أكي وأنا أحق بالبقاء لعلي أكون في علم الله على غير الحال التي أنا عليها وما أدرى لعلي ينتهي بما ابتلى به إبليس فقد كان من الملائكة وما أدرى لعلي ينتهي بما ابتلى به هاروت وماروت قال يكي رسول الله ﷺ ويكي جبريل فما زال يكيان حتى نوذبا أن يا جبريل ويا محمد إن الله تعالى قد أنكما أن تعصياه فارفع جبريل وخرج رسول الله ﷺ فمر بقوم من الأنصار يضعحكون ويلعبون فقال أتضحكون ووراءكم جهنم فلو تعلمون ما أهلهم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ، أسفتم الطعام والشراب وخرجتم إلى الصعدات تجارون إلى الله - عز وجل - فودي يا محمد لا تقطع عبادي إنما بعثت مشرا ولم أبعثك مبشرا فقال ﷺ سددوا وقاربوا .

وروى أنه ﷺ قال لجبريل مالي لا أرى ميكائيل صاحبك قط قال ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار ، وابن ماجة والحاكم وصححه أن نازكم هذه جزء من سبعين جزء من نار جهنم ولولا أنها أطفئت بماء مرتين لما انتعتم بها وإنها لتدعو الله عز وجل أن لا يعيدها فيها . والبيهقي أن عمر - رضي الله عنه - قرأ : ﴿ كلما نضجت جلودهم بنكاهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ﴾ (١) قال يا كعب أحبرني بتفسيرها فإذا صدقت صدقت وأن كذبت وكذبت عليك فقال إن جلد ابن آدم يحرق في ساعة أو في يوم ستة آلاف مرة قال صدقت . والبيهقي أن الحسن البصري قال في الآية تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلب أكلتهم قبل لهم صودوا فيعودون كما كانوا . ومسلم يؤتى بأسم أهل الدنيا من أهل النار فيصعب في النار صبغة ثم يقال له يا ابن آدم هل رأيت خير قط فيقول ما رأيت خيرا قط . ويؤتى بأبأس أهل الدنيا فيمس في الحية غصة ثم يقال له هل رأيت مؤمب قط فيقول ما مؤمب في يؤس قط ولا رأيت شدة قط . وروى ابن ماجة يرسل البكاء على أهل النار فيكون حتى تنقطع الدموع ثم يكون الدم حتى يصير في وجوههم كهية الأحود لو

(١) الآية (٥٦) سورة النساء

﴿ثُمَّ نَجَّى الدِّينَ فَقَرَأَ وَسَبَّحَ الطَّالِعِينَ فِيهَا جَنًّا﴾ (١) وروى أحمد أن جماعة احتلوا في الورد فقال بعضهم لا يدخلها مؤمن وقال بعضهم يدخلونها جميعا ثم ينجى الله الدين اتفقا مأل بعضهم جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - فقال تردونها جميعا ثم أمري بأصبعه إلى أذنيه وقال سمعت إن لم أكن سمعت رسول الله يقول الورد الدخول لا يبقى بر ولا قاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين برحا وسلاما كما كانت على إبراهيم حتى أن النار أوقال لحقمت جميعا من بردهم : ﴿ثُمَّ نَجَّى الدِّينَ فَقَرَأَ وَسَبَّحَ الطَّالِعِينَ فِيهَا جَنًّا﴾ وروى الحاكم يرد الناس البار ثم يصنعون عنها بأعمالهم أو لهم كمنح البرق ثم كمنح الريح ثم كمنح الفرس ثم كالراكب في رحله ثم كشذ الرجل ثم كمنحه

الباب الحادي عشر بعد المائة

فی وفاة النبی - علی الله علیه وسلم -

قال ابن مسعود - رضي الله عنه - : دخلت على رسول الله ﷺ بيت أمنا عائشة - رضي الله عنها - حين دنا الفراق فنظر إلينا فلمعت عيناه ﷺ ، ثم قال مرحبا بكم حياكم الله أراكم الله نصركم الله وأرضيكم يتقوى الله وأرضى بكم الله إني لكم منه نذير مبين أن لا تعملوا على الله في بلاده وعياده وقد هنا الأجل والمنقلب إلى الله وإلى سدة المصطفى وإلى جنة المأوى وإلى الكأس الأولى فاقربوا على أنفسكم وعلى من دخل في دينكم بعملى مني السلام ورحمة الله ، (٢) .

وروي أنه ﷺ قال لجبريل - عليه السلام - عند موته من أمتي يعلى ، فأوحى الله تعالى إلى جبريل أن بشر حبيبي أني لا أخدله في أمته ، ويشره بأنه أسرع الناس خروجاً من الأرض إذا بعثوا وسيدهم إذا جمعوا وأن الجنة محرمة على الأم حتى يدخلها أمته ، فقال الآن قرت هيني وقالت عائشة - رضي الله عنها - أمرنا رسول الله ﷺ أن نغسله بسبع قرب من سبعة أيار ففعلنا ذلك فوجدوا حة فخرج فصلي بالناس واستغفر لأهل أحد ودعا لهم وأوصى بالانصار لا تزيد على مئتي ألف من عليها اليوم وأن الانصار هيتي التي أوتيت إليها فأكرموا كريمهم يعني محسنهم ونجاوزوا من مسيئتهم ثم قال أن عبداً خير بين الدنيا وبين ما عند الله فاحترار ما عند الله فيكي أبو بكر - رضي الله عنه - وظن أنه يريد نفسه فقال إلى ﷺ على رسلك يا أبا بكر سدوا هذه الأبواب والشوارع في المسجد ، وإلا باب أبي بكر فإنني لا أعلم امرأ أفضل عندي في الصحبة من أبي بكر قالت عائشة - رضي الله عنها - فقبض ﷺ في بيته وفي يومين مسحري ونحري وجمع الله

(١) آية (٧٦) سورة هود

٩٩٨ / (٢) جلد ٩٩٨

بين ويقي وريقه عند الموت فدخل على أبي عبد الرحمن وبينه سواك فحمل ينظر إليه فعرفت أنه يحبه ذلك فقلت له أحمده لك فارما برأسه أي نعم فتولته إياه فأدخله في فيه فاشتد عليه فقلت ألبه لك فارما برأسه أي نعم فليت وكأن بين يديه ركوة ماء فجعل يدخل فيها يده ويقول لا إله إلا الله إن للموت لسكرات ثم نصب يده يقول الرفيق الأعلى الرفيق الأعلى فقلت إذا والله لا يختارنا .

وروى سعيد بن عبد الله عن أبيه قال لما أتت الأنصار أن رسول الله ﷺ يزداد ثقلاً أطافوا بالمسجد فدخل العباس - رضي الله عنه - على النبي ﷺ فأعلمه بمكانهم واشتاقهم ثم دخل عليه الفضل فأعلمه بمثل ذلك ثم دخل عليه علي - رضي الله عنه - فأعلمه بمثله فبعد هذه وقالوا فتناولوه فقال ما تقولون قالوا بقول محض أن الموت ونصايح ساؤهم لاجتماع رجالهم إلى النبي ﷺ فزار رسول الله ﷺ متوكئ على علي والفضل ، والعباس أمامه ورسول الله ﷺ معصوب الرأس يحيط برجليه حتى جلس على أسفل مرقاة من الخبز وثاب الناس إليه فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس إنه بلغني أنكم تخافون على الموت كأنه استنكار منكم للموت وما تفكرون من موت بيبكم ألم أنع إليكم ونعي إليكم أنفسكم هل خلد نبي قبلي فيمن بعث فأخلد فيكم ألا إنني لأحق بربي وإنكم لأحقون به وإني أوصيكم بالمهاجرين فيمن بعث خيراً وأوصي المهاجرين فيما بينهم فإن الله - عز وجل - قال : ﴿ وَالْفَضْرُ ۖ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ ۖ خَسِرٌ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ <sup>(١)</sup> إلى آخرها . وأن الأمور تجري بإذن الله فلا يحمنكم استبطاء أمر علي استعجاله فإن الله عز وجل لا يعجل لمجلة أحد ومن طالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم وأوصيكم بالأنصار خيراً ، فإنهم الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلكم أن تحسنوا إليهم ، ألم يشاهدوكم الثمار ألم يوسعوا عليكم في الديار ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة ، ألم قم ولي أن يحكم بين رجس فيقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئتهم ألا ولا تستأثروا عليهم ألا وإني فرط لكم وأنتم لأحقون بي ألا وإن مواعدكم الموضع حوضي أعرض عما بين بصرى الشام وصنعاء اليمن يصب فيه ميزاب الكوثر ماء أشد يابها من لبن والين من الزبد وأحلى من الشهد ، من شرب منه لم يظمأ أبداً حصباؤه اللؤلؤ ويطحاهه المسك ، من حرمه في الموقف خدا حرم الخير كله ، ألا فمن أحب أن يرد علي خدا فليكف لسانه ويده إلا عما ينهى . فقال العباس يا نبي الله أوص بقرش فقال إن أوصي بهذا الأمر قرشا والناس تحل قرش يربهم ليرهم ولناجرهم لناجرهم فاستوصوا آل قرش بالناس خيراً يا أيها الناس إن سدود معبر بعم وتبدل القسم فإذا بر الناس بربهم ألتمهم وإذا فجر الناس عقوبهم قال الله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي الْغَالِمِينَ ۖ بَعْضًا يَأْتِي بَعْضًا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُكْسَرُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup> وروى ابن مسعود -

(٤) (٤٢٩) سورة الانعام

(١) آية (٣٠-١) سورة الأنعام ،



رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال لأبي بكر - رضي الله عنه - سل يا أبا بكر فقال يا رسول الله دنا الأجل فقال قد دنا الأجل وتدلى فقال ليهتك يا نبي الله ما عند الله فليت شعري عن متقلبنا فقال إلى الله وإلى سدرة المنتهى ثم إلى جنة المأوى والفرحوس الأعلى والكأس الأولى والرفيق الأعلى والحظ والعيش المهنأ ، فقال يا نبي الله من يلى غسلك ، قال رجال من أهل بيتي الأدنى فالأدنى قال فقيم نفسك قال ثيابي هذه وفي حلة يمانية وفي بياض مصر ، فقال كيف الصلاة عليك منا وكنيتا ويكي ثم قال مهلا فخر الله لكم وجزاكم عن نبيكم غيرا إذا غسلكموني وكفتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري ثم اخرجوا عنى ساعة فإن أول من يصلى على الله عز وجل : ﴿ هو الذي يصلى عليكم وملائكته ﴾ <sup>(١)</sup> ثم يأذن للملائكة في الصلاة على فأول من يدخل على من خلق الله ويصلى على جبريل ثم ميكائيل ثم إسماعيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة ثم الملائكة بأجمعها - صلى الله عليهم أجمعين - ثم أنتم فادخلوا على أفواجا فصلوا على أفواجا زمرة زمرة وسلموا تسليما ولا تؤذوني بتزكية ولا صيحة ولا رنة وليبدأ منكم الإمام وأهل بيتي الأدنى فالأدنى ثم زمر النساء ثم الأدنى مع ملائكة كثيرة لا ترونهم ويرونكم قوموا فأدوا عنى إلى من بعدى . وقالت عائشة - رضي الله عنها - فلما كان اليوم الذي مات فيه رسول الله ﷺ وأوا منه خفة في أول النهار فتفرق عنه الرجال إلى منازلهم وحوادثهم مستبشرين وأدخلوا رسول الله ﷺ بالنساء فيبينما نحن على ذلك لم تكن على مثل حالنا في الرجاء والفرح قبل ذلك إذ قال رسول الله ﷺ اخرجن عنى هذا الملك يستأذن على فخرج من فى البيت غيرى ورأسه فى حجرى فجلس وتحنيت فى جانب البيت فناحى الملك طويلا ثم إنه دهاني فأعاد رأسه فى حجرى وقال للنسوة ادخلن ، فقلت ما هذا بحس جبريل - عليه السلام - فقال رسول الله ﷺ أجل يا عائشة هذا ملك الموت جاءنى فقال إن الله - عز وجل - أرسلنى وأمرنى أن لا أدخل عليك إلا بإذن فإن لم تأذن لى أرجع وأن أذنت لى دخلت وأمرنى أن لا أقبضك حتى تأمرنى فماذا أمرك ، أكف عنى حتى يأتينى جبريل عليه السلام فهله ساعة جبريل قالت عائشة - رضي الله عنها - فاستقبلنا بأمر لم يكن له عندنا جواب ولا رأى فوجئنا وكأنا نضربنا بصاخرة ما نحير إليه شيئا وما يتكلم أحد من أهل البيت إعظاما لذلك الأمر وهيبة ملائكة أجوافنا قالت وجاءه جبريل فى ساعته فسلم فعرفت حسه وخرج أهل البيت فدخل فقال إن الله - عز وجل - يقرأ عليك السلام ويقول كيف تحمدك وهو أعلم بالذى تحمدك ولكن أراد أن يزيذك كرامة وشرقا وأن يتم كرامتك وشرfk على الخلق وهو تكون سنة فى أمتك فقال أجيدنى وجما فقال أبشر فإن الله تعالى أراد أن ييلقك ما أحد لك فقال يا جبريل أن ملك الموت استأذن على وأخبره الخبر فقال جبريل يا محمد إن ربك إليك مشتاق ألم يعلمك الذى يريد بك لا والله ما استأذن ملك الموت على أحد قط ولا يستأذن عليه أبدا إلا أن

ربك متم شرفك وهو إليك مشتاق قال فلا تبرح إذا حتى يجي . وأذن للنساء فقال يا فاطمة أدنى فأكبت عليه فتناجها فرفعت رأسها وعيناها تدمع وما تطبق الكلام ثم قال أدنى منى رأسك فأكبت عليه فتناجها فرفعت رأسها وهي تضحك وما تطبق الكلام فكان الذى رأينا منها عجبا فسألناها بعد ذلك فقالت أخبرنى وقال إنى ميت اليوم فيكبت ثم نال إنى دعوت الله أن يلمحك بى فى أول أهلى وأن يجعلك معى فضحكت وأذنت ابنيها منه فشعها ، فقالت وجاء ملك الموت فسلم واستأذن له فقال للملك ما تأمرنا يا محمد قال ألحقنى برى الآن فقال بلى من يومك هذا أما إن ربك إليك مشتاق ولم يتردد على أحد ترده عنك ولم ينهن عن الدخول على أحد إلا بإذن غيرك ولكن ساعتك أمامك وخرج . قالت وجاء جبريل فقال السلام عليك يا رسول الله هذا آخر ما نزل فيه إلى الأرض أبدا طوى الوحى وطويت الدنيا وماكان لى فى الأرض حاجة إلا حضورك ثم لزوم موقفى لا والذى بعث محمد بالحق ما فى البيت أحد يستطيع أن يحير إليه فى ذلك كلمة ولا يبعث إلى أحد من رجاله لعظم ما نسمع من حديثه ووجدنا وأشفقنا ، قالت فقممت إلى النبى ﷺ حتى أضع رأسه بين ثديى وأمسكت بصدرة وجعل يغمى عليه حتى يغلب وجهته ترشح رشعا ما رأيته من إنسان قط فجعلت أملت ذلك العرق وما وجدت رائحة شىء طيب منه فكنت أقول له إذا أفاق بأبى أنت وأمى ونفسى وأهلى ما تلقى جبهتك من الرشح ، فقال يا عائشة إن نفس المؤمن تخرج بالرشح ونفس الكافر تخرج من شديفه كنفس الحمار فعند ذلك ارتعدنا وبعتنا إلى أهلنا فكان أول رجل جاءنا ولم يشهده أخى بعثته إلى أبى فمات رسول الله ﷺ قبل أن يجي . أحد وإنما صدمه الله عنه لأنه ولأه جبريل وميكائيل وجعل إذا غمى عليه قال بل الرفيق الأعلى كأن الحيرة تعاد عليه فإذا أطاق الكلام قال الصلاة الصلاة إنكم لا تزالون متماسكين ما صليتم جميعا الصلاة الصلاة كان يوصى بها حتى مات وهو يقول الصلاة الصلاة .

قالت عائشة رضي الله عنها مات رسول الله ﷺ بين أرتضاع الضحى وانتصاف النهار يوم الاثنين ، قالت فاطمة رضي الله عنها ما لقيت من يوم اثنين والله لا تزال الأمة تصاب فيه بعظيمة ، أو قالت أم كلثوم يوم أصيب على كرم الله وجهه بالكوفة مثلها ما لقيت من يوم الاثنين مات رسول الله ﷺ وفيه قتل على وفيه قتل أبى فما لقيت من يوم الاثنين . وقالت عائشة رضي الله عنها لما مات رسول الله ﷺ اقتحم الناس حتى ارتفعت الرنة وسجى رسول الله ﷺ الملائكة بشوى فاختلفوا فكذب بعضهم بموته وأخرس بعضهم فما تكلم إلا بعد البعد وغلط آخرون ملأوا الكلام بغير بيان وبغى آخرون معهم عقولهم واقعد آخرون فكان عمر بن الخطاب فيمن كذب بموته وعلى فيمن أقعد وعثمان فيمن أخرس ولم يكن أحد من المسلمين فى مثل حال أبى بكر والعباس فإن الله - عز وجل - أبينهما بالتوفيق والسادد وإن كان للناس لم يرفعوا إلا يقول أبى بكر حتى جاء العباس فقال والله الذى لا إله الا هو لقد ذاق رسول الله ﷺ الموت ولقد قال وهو

بين أظهركم : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَأَنْتُمْ مُبْشَرُونَ ﴾ (١) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَسَدٌ رِيحُكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿ (٢) وبلغ أبا بكر الخير وهو في بني الحارث بن الخزرج فجاء ودخل على رسول الله ﷺ فنظر إليه ثم أكب عليه فقبله ثم قال بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما كان الله ليهلك الموت مرتين فقد والله توفي رسول الله ﷺ ثم خرج إلى الناس فقال أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد رب محمد فإنه حي لا يموت ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ الْآنَ مَاتَ أَوْ قُبِلَ الْقَلْبُ عَلَى أَفْئَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ ﴾ (٣) الآية . فكان الناس لم يسمعوا هذه الآية إلا يومئذ .

وفي رواية أن أبا بكر - رضي الله عنه - لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله ﷺ وهو يصلي على النبي ﷺ وعيناه تهلان وعصمه ترتفع كقصع الجرة وهو في ذلك جلد الفعل والمقال فأكب عليه فكشف عن وجهه فقبل جبته وخديه ومسح وجهه وجعل يبكي ويقول بأبي أنت وأمي ونفسي وأهلي طبت حيا وميتا انقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء فمظمت عن الصفة وجللت عن البكاء وخصمت حتى صرمت مسلاة وجممت حتى صرنا فبك سواه ولولا أن موتك كان اختيارا منك لجئنا لحزتك بالنفوس ولولا أنك نهيت عن البكاء لأنقلنا عليك ماء العيون فأما ما لا نستطيع نفيه عنا فكمد وادكار محال فان لا يرحان اللهم فأبلغه عنا . اذكرنا يا محمد - صلى الله عليك - عند ربك ولنكن من بالك فلولاً ما خلقت من السكينة لم يقم أحد لما خلقت من الوحشة اللهم أبلغ نبيك عنا واحفظه فينا وليكن هذا آخر ما أقدرنا الله عليه واجذب قلوبنا إليه ليكون لنا برسول الله أسوة حسنة وأرجو من الله أن يبدل السيئة بالحسنة وأن يلحقنا بنينا ﷺ على الإيمان إنه أكرم مسؤول وأعز مأمول والحمد لله رب العالمين .

\*\*\*

يقول مصححه الخائف وعيد ربه الراجي منه الوعد طه بن عبد الرزوق سعد :

الحمد لله بنعمته تم الصالحات ونشهد إلا إله إلا الله شهادة تشغل ياربنا بها لنا ميزان الحسنات وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن دعا بدهوته واتبع سبيل المؤمنين .

أما بعد : فقد تم هذا الكتاب الشريف فذلك الصرح الفخم المنيف أرجو من الله أن يتوب ويغفر لكل من ساعد في نشر هذا الكتاب ولكل من قرأه أو سمعه واجعلنا من الذين يسمعون القول فيشبهون أحسنه واجعلنا من الذين يقولون فيفعلون ويقولون فيخلصون ويخلصون فيقبلون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

(١) آية (٣١-٣٢) سورة الزمر . (٢) آية (١٤٤) سورة آل عمران .

### ترجمة حياة الإمام الغزالي

- ٥ في بيان الخوف
- ٧ في الخوف من الله تعالى
- ١٠ في الصبر والمرض
- ١٢ في الرياضة والشهوة النفسانية
- ١٥ في غلبة النفس وعداوة الشيطان
- ١٦ في الغفلة
- ١٩ في نسيان الله تعالى والفسق والتفك
- ٢١ في التوبة
- ٢٤ في المحبة
- ٢٦ في العشق
- ٢٩ في طاعة الله ومحبة ومجبة رسول الله ﷺ
- ٣٤ في ذكر إبليس وعذابه
- ٣٦ في الأمانة
- ٣٨ في إتمام الصلاة بالخضوع والخشوع
- ٤١ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- ٤٤ في عداوة الشيطان
- ٥٢ في بيان الأمانة والتوبة
- ٥٧ في فضل الترحم
- ٥٩ في بيان الخشوع في الصلاة
- ٦٢ في بيان الغيبة والندبة

- في بيان الزكاة ..... ٦٦
- في بيان الزنا ..... ٦٧
- في صلة الرحم وحقوق الوالدين ..... ٧٢
- في بر الوالدين ..... ٧٦
- في الزكاة والبخل ..... ٧٨
- في طول الأمل ..... ٧٩
- في ملازمة الطاعة وترك الحرام ..... ٨٤
- في بيان ذكر الموت ..... ٨٨
- في ذكر السموات والأجناس المختلفة ..... ٨٩
- في بيان الكبرى والعرش وبيان الملائكة والأرزاق والتوكل ..... ٩١
- في ترك الدنيا ودمها ..... ١٠٢
- في ذم الدنيا ..... ١٠٦
- في فضل القناعة ..... ١١٠
- في فضل الفقراء ..... ١١٥
- في اتخاذ ولي من دون الله وفي بيان العرصات ..... ١١٧
- في النسخ والفرع والحشر من المقابر ..... ١٢٠
- في بيان القضاء بين الخلائق ..... ١٢٢
- في بيان ذم المال ..... ١٢٥
- في الأعمال والميزان وعذاب النار ..... ١٣١
- في فضل الطاعة ..... ١٣٣
- في الشكر

- في بيان ذم الكبر ..... ١٣٩
- في التفكير في الإيمان وغيرها ..... ١٤١
- في بيان شدة الموت ..... ١٤٤
- في بيان القبر وسؤاله ..... ١٤٧
- في بيان علم اليقين وعين اليقين والسؤال يوم العرض ..... ١٤٨
- في فضل ذكر الله تعالى ..... ١٥١
- في فضل الصلوات ..... ١٥٢
- في بيان عقوبة تارك الصلاة ..... ١٦١
- في بيان عرصات جهنم وعذابها ..... ١٦٣
- في بيان عذاب جهنم أيضاً ..... ١٦٦
- في بيان فضل الخوف من الذنب ..... ١٦٨
- في بيان فضل التوبة ..... ١٧٢
- في بيان النهي عن الظلم ..... ١٧٤
- في النهي عن ظلم اليتيم ..... ١٧٥
- في بيان ذم الكبر ..... ١٧٧
- في فضل التواضع والقناعة ..... ١٧٩
- في بيان غرور الدنيا ..... ١٨١
- في بيان ذم الدنيا والتحذير منها ..... ١٨٥
- في فضل الصدقة ..... ١٨٧
- في قضاء حاجة أخيه المسلم ..... ١٨٨
- في فضل الوضوء

١٩٢	في فضل الصلوات
١٩٣	في بيان أهوال القيامة
١٩٥	في صفة جهنم والميزان
١٩٥	في بيان ذم الكبر والعجب
١٩٦	في الإحسان إلى اليتيم واجتناب الظلم
١٩٨	في تحريم أكل الحرام
٢٠٠	في النهي عن الربا
٢٠٢	في حقوق العبد
٢٠٣	في ذم اتباع الهوى وفي بيان الزهد
٢٠٧	في صفة الجنة ومراتب أهلها
٢١٠	في الصبر والرضا والقناعة
٢١٢	في فضل التوكل
٢١٣	في فضل المسجد
٢١٤	في الرياضة وفضل أهل الكرامة
٢١٧	في الإيمان والتفاني
٢١٩	في النهي عن الغيبة والنميمة
٢٢٢	في بيان عداوة الشيطان
٢٢٣	في بيان المحبة ومحاسبة النفس
٢٢٥	في بيان تلييس الحق بالباطل
٢٢٧	في فضل صلاة الجماعة
٢٢٨	في فضل صلاة الليل

٢٣٠	في عقوبة علماء الدنيا
٢٣١	في فضل حسن الخلق
٢٣٣	في الضحك والبكاء واللباس
٢٣٤	في فضل القرآن وفضل العلم والعلماء
٢٣٥	في فضل الصلاة والزكاة
٢٣٦	في بر الوالدين وحقوق الأولاد
٢٣٨	في حقوق الجوار والإحسان للمساكين
٢٤٠	في عقوبة شارب الخمر
٢٤١	في معراج النبي ﷺ
٢٤٣	في فضل الجمعة
٢٤٤	في حق الزوجة على الزوج
٢٤٦	في حق الزوج على الزوجة
٢٤٨	في فضل الجهاد
٢٤٩	في مكر الشيطان
٢٥١	في بيان السماع
٢٥٣	في النهي عن البدعة واتباع الهوى
٢٥٤	في فصل في النهي عن آفة اللهم
٢٥٥	في فضل رجب
٢٥٦	في فضل شعبان المبارك
٢٥٨	في فضل رمضان المعظم
٢٥٩	في فضل ليلة القدر
٢٦٠	في فضل العيد
٢٦١	في فضل عشر ذي الحجة
٢٦٣	في فضل عاشوراء
٢٦٤	في فضل ضيافة الفقراء
٢٦٥	في الكلام على الجبارة والقبس
٢٦٧	في التخويف من عذاب جهنم
٢٦٩	في الميزان والعصاة
٢٧٠	في وفاة النبي ﷺ
٢٧٩	في القهر